

سلسلة التراث الروحي للإنسان 8

المعتقدات الرومانية

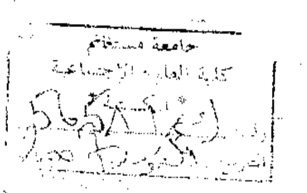
خزعل الماجدي



المعتقدات الرومانية

تأليف

خزعل الماجدي





2006

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2005/10/2480)

398.40.9545
الماجدي، خزعل
المعتقدات الرومانية / خزعل الماجدي . - عمان: دار
الشروق، 2005
(   ) ص
ر.إ. 2005/10/2480
الواصفات: المعتقدات الشعبية//ايطاليا//التاريخ القديم//الرومان/

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(ردمك) ISBN 9957 - 00 - 244-9

رقم الإجازة المتسلسل 2005/10/2393

● المعتقدات الرومانية .
● الدكتور خزعل الماجدي .
● اللوحة : بومبي بورتيه خباز وزوجته متحف نابلي القومي .
● الطبعة العربية الأولى . الإصدار الأول 2006 .



دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321   فاكس : 4610065
ص.ب 926463 الرمز البريدي : 11110   عمان - الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله المنارة - شارع المنارة - مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614
غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

الإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :
دائرة الإنتاج / دار الشروق للنشر والتوزيع

المقدمة

بعد أن قدّمنا الدين الأغريقي في كتابنا (المعتقدات الإغريقية) نقدّم اليوم الدين الروماني في كتابنا هذا بكل بناه الرئيسية والثانوية .

والحقيقة أن تاريخ الرومان يبدأ من بناء مدينة روما في حدود (753 ق .م) لكن شبه الجزيرة الإيطالية ، التي كانت حاضنة روما ، تمتد بتاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ، ولذلك تتبعنا نمو العقائد الايطالية القديمة منذ تلك العصور وحتى ظهور روما ، ثم توغلنا مفصلاً في المعتقدات الدينية الرومانية .

لا يبدو لنا الدين الروماني متجانساً بل هو خليط من عقائد دينية محلية ووافدة فلم يكن هناك ما يمنع الرومان من تبني أية عقيدة دينية لدنياهم خدمة معينة وتساعدهم على الاستمرار في العيش ، لقد كان الرومان نفعيين وحسيين الى حد كبير وكانت الآلهة والقوى الميتافيزيقية بالنسبة لهم وسيلة حماية مقابل أجر يدفع لها على شكل تقدمات وأضاح نباتية وحيوانية ومادية لقاء خدماتهم ، ولذلك فقد كانوا يعمدون إلى حرمان الآلهة من أجورهم إن كانت خدماتهم غير موفقة .

أما آلهتهم فقد كانت أرواحاً لا هوية لها ولا معابد ولا كهنة ، انحدرت لهم من العصور السحرية والأرواحية والطوطمية وعندما حوّلوها الى آلهة تشبه ما يعبده جيرانهم افتقرت الى التميز والوضوح ولم توضح في مجمع إلهي متسلسل الأنساب والأساطير ، فضلاً عن اختلاط آلهتهم مع آلهة الأقوام الأخرى الوافدة عليهم أو التي استولوا هم على أرضهم .

وقد وجدنا أدلة مقنعة جداً على أن جذور بعض الآلهة والمعتقدات الرومانية تكمن في التراث البابلي الأموري والكنعاني ، وهو ما قادنا الى افتراض أن هناك هجرة بابلية أمورية كنعانية قد حصلت في بداية الألف قبل الميلاد وربما قبل ذلك . وقد أيّد افتراضنا هذا أن

الأتروسك (التوسكان) وإقليمهم أتروريا قد شهدا بوضوح أكبر مثل على هذا الأثر البابلي الأموري وما أتروريا إلاّ بلاد الإله الأموري (مر) و (أر) . . أما آلهة الأتروسك ففي طقوسها وأشكالها مايشير إلى ذلك أيضاً .

لقد كان الباحثون يشيرون دائماً وبقوة إلى المؤثرات الهندو أوربية في تراث الرومان القديم ثم إلى المؤثرات الإغريقية التي صبغت بلونها كل تراث الرومان اللاحق . ولكننا عبر كتابينا عن المعتقدات الإغريقية والرومانية أثبتنا أن المؤثرات الأقوى والجذور الأبعد في تراث الإغريق والرومان هي المادة الروحية والثقافية للعراق القدم (وادي الرافدين) منذ سومر وأكد وبابل وآشور حتى الهجرات الأمورية والكنعانية التي انطلقت من تخومه الى البحر المتوسط وأثرت بعمق في اليونان وإيطاليا .

لكن تلك الجذور العراقية القديمة للحضارتين الإغريقية والرومانية تراكمت عليها الدهور وغطاها النسيان ، وما أحوجنا اليوم للكشف عنها وتأشير مساراتها .

لعلّ كتابنا هذا عن الدين الروماني هو الكتاب الأول في المكتبة العربية عن هذا الموضوع . ولذلك تعمدنا التدقيق والتوضيح والتبويب لكل المعلومات الواردة فيه وجعلها ميسرة لكافة المستويات ، رغم أننا حافظنا على المستوى الأكاديمي اللائق بهذا الموضوع ولم نفرط بخصوصيات البحث في علوم كالثيولوجيا (المعتقدات) والمثولوجيا (الاساطير) والليتورجيا (الطقوس) لإدراكنا أن مثل هذه العلوم قد أصبحت اليوم أساس البحث العلمي في الأديان كلها .

يخبرنا فوجيل ، في الإنيادة ، أن مدينة روما هي بنت مدينة طروادة وأن مدينة طروادة هي بنت حضارة كريت ، ومعلوم أن كريت هي أساس حضارة الإغريق ، وهي أيضاً بؤرة التفاعل الأول بين الغرب والشرق فقد ظهرت في أقدم ركائز الموجات الحضارية السومرية والبابلية في البحر المتوسط ، وهكذا .

يرى مرسيا إلياد أن التصور المثولوجي الضعيف للرومان وعدم مبالاتهم تجاه الميتافيزيك هما متوازيان ، وسنرى هذا من خلال إهتمامهم الشغوف بالمحسوس والخاص والمباشرة ، وإن العبقرية الدينية الرومانية تتميز بالبراغماتية ، وبالبحث عن الفاعلية ، وبخاصة التقديس للجماعات العضوية : أسرة ، شعب ، وطن . والحقيقة أن الرومان سجلوا للتاريخ معنى الانحدار الأخير لتعدد الآلهة وكانوا عندما يضعفون البعد الميتافيزيكي لهذه الآلهة والأديان

العالم القديم فإنما يقدمون الذريعة والأرضية لظهور عقيدة التوحيد العالمية الأولى ونعني بها المسيحية التي تحولت على أرضهم الى صراع بين الله والآلهة الكثيرة التي صنعها الإنسان عبر تاريخه الديني القديم ، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فإن تعظيم القانون ونزعه عن الدين وتحويله الى قيود دنيوية صارمة هو الذي أعطى للبشرية فجراً جديداً الى عالم جديد تنظمه الحقوق والواجبات ولا يتحكم فيه رجال الدين ، ولعل ذلك هو الذي عكس نزعتهم الواقعية والبراغماتية التي ستغيبها القرون الوسطى وسيعلن من شأنها العصر الحديث منذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا .

يتناول الفصل الأول من هذا الكتاب تاريخاً موجزاً يشبه الجزيرة الإيطالية وحضاراتها المتعاقبة ثم لروما وتأسيسها وتاريخها الملكي والجمهوري والامبراطوري وصولاً الى انشطار الامبراطورية الرومانية الى شرقية (بيزنطية) وغربية وتتبع نهاية الأخيرة التي كانت نهاية العالم القديم . وكان من الملفت للانتباه حقاً تلك الثقافات أو الحضارات البرونزية والحديدية المبكرة التي أدخلت الزراعة والمعادن الى ايطاليا ، ثم هجرة الشعوب الهندو أوربية والإغريقية والإتروسلكية التي سبب احتكاكها بتلك الثقافات المحلية ظهور بذرة روما الملكية . ورغم أننا لم نستطع تحديد الهجرة الأمورية التي زعمها أنها حملت مؤثرات الشرق الى إيطاليا وتحديداً المؤثرات الرافدين والشامية لكننا تحدثنا عن ذلك من خلال الإتروسك التي اعتبرناها هجرة مشرقية فعلت ذلك ، رغم اعتقادنا أن الأحتكاك المشرقي الإيطالي حصل قبل ذلك بكثير .

وفي الفصل الثاني أسهبنا في عرض المعتقدات الدينية الرومانية من خلال جذورها أو تطورها ، وبحثنا في تركيب المؤسسة الدينية (الآلهة ، الكهان ، المعابد) ورأينا أن هناك عدة أنواع من العبادات الرومانية صبغت الدين الروماني مثل العبادات السحرية والأسروية – العشائرية (عبادة الأجداد) والزراعية الرعوية (الخصب) وعبادة الأباطرة التي ظهرت متأخرة . كما ألمحنا الى أن هناك نزعات وأشكالاً كثيرة للعبادات فرغم أن نزعة تعدد الآلهة هي السائدة الا أن هناك تفريداً للأول(يانوس) والمعظم (جوبتر) وتوحيداً فلسفياً بسيطاً عند أفلوطين وإلحاداً عند بعض الشعراء والفلاسفة . وقد التقطنا علاقة الدين بالفلسفة من خلال النزعات الحديثة لكل من الرواقية والأبيقورية والشكلية والأكاديمية ، حيث حاول الفلاسفة صياغة دين فلسفي ينأى بهم عن هرج ومرج العامل الديني . . ومثل ذلك تتبعنا التيارات الباطنية التي حاولت جميع خاصتها في فرق غنوصية وخلاصية استمدت قوتها

من تيارات الباطن الإغريقي من جهة ومن تيارات الباطن والخلاص الشرقي من جهة أخرى . . ولعل المسيحية كانت آخر هذه التيارات التي انتصرت انتصاراً ماحقاً على كل ما حولها وقلبت الامبراطورية رأساً على عقب بل وشطرتها الى قسمين .

وفي مبحثنا عن عقائد ما بعد الموت الجنائزية شرحنا شكل العالم الآخر عند الرومان الشبيه كثيراً بما عند الإغريق . وختمنا هذا الفصل بالحديث عن الصفات العامة للدين والمعتقدات الرومانية .

الفصل الثالث صار مكرساً للميثولوجيا الرومانية حيث الآلهة وأساطيرها لكن عقبة هذا الفصل صادفتنا منذ بدايته إذ كيف سنصف هذه الحشود الهائلة من الآلهة الخليطة . ولذلك عملنا على وضع أكثر من طريقة لتصنيفها وبدأنا بتصنيفها حسب وظائفها وهي الطريقة التي درج الكتاب والباحثون الغربيون على السير فيها فهناك آلهة العائلة وآلهة الدولة وآلهة الريف والزراعة وآلهة المياه وآلهة العالم الأسفل وآلهة المدن والآلهة المعنوية . ثم تناولنا الآلهة الرومانية حسب أصولها المحلية الأجنبية ثم تناولنا الالهة الرومانية حسب شجرة الآلهة الإغريقية ووضعنا أكثر من ثمانية أشجار إلهية لهذا الغرض لكي نكشف التوازي بين الإغريق والرومان في هذا المجال .

كذلك تناولنا أساطير الخليقة والعصور الاربعة وأجيال البشر والطوفان وهي نسخ أسطورية أخذت عن الإغريق . وميّزنا على أبطال روما المؤلهين .

في الفصل الرابع تناولنا الطقوس والشعائر الرومانية وركزنا على الأعياد الدورية الرومانية فوضعنا ما يشبه الروزنامة الرومانية لتلك الأعياد وتتبعناها شهراً شهراً ثم الأعياد غير الدورية والطقوس الخاصة والعامة . وقد وجدنا أن تلك الأعياد الدورية بشكل خاص كانت عملية جداً ولها علاقة بالجذور الزراعية للرومان بدليل أن ثلاثة أشهر هي (أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني) كانت خالية من الأعياد لأن المحاصيل الزراعية تكون قد حصدت وجمعت في المخازن فليس هناك من آلهة يمكن أن ترتجى في هذه الأشهر!!

في الفصل الخامس تناولنا المكونات الثانوية للدين الروماني وهي الأخلاق والشرائع فتحدثنا عن أعراف الأسرة الرومانية والسلوك ثم تناولنا أكثر صفحات الحضارة الرومانية

إشراقاً وهي الشرائع والقوانين ، فعرّفنا بالماضي التقليدي للشرائع الدينية الرومانية التي تشبه ما ظهر في الحضارات الأخرى ثم تناولنا الشرائع المدنية والقانون الروماني التي ظلت تنمو حتى نهاية العصور الوسطى .

وأخيراً لا بد من التنويه بأن العمل بهذا الكتاب كان شاقاً لقلة المراجع المتخصصة ولتشابه المعلومات فيها ولسيادة الفوضى والخلط عند الحديث عن الآلهة ، فكان لا بد من فرز كلّ هذا وجمعه وتبويبه ثم تحليله بطريقة علمية أدت الى بناء أركان الدين الروماني الأساسية والثانوية .

ومن الله التوفيق

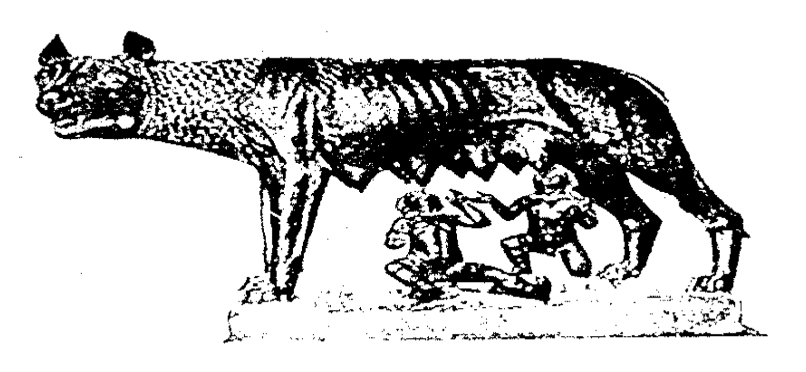
د . خزعل الماجدي

2004/11/22

الفصل الأول

تاريخ الرومان

(مقدمة في تاريخ وحضارة إيطاليا وروما الملكية
والجمهورية والإمبراطورية)



الذئبة (لوبا) تُرضع مؤسسي روما (روميولوس وريموس)

المبحث الأول
إيطاليا في عصور ما قبل التاريخ

سميت إيطاليا بهذا الاسم لواحد من احتمالين أو لكليهما ، الأول هو أن هذا الاسم (Italia) مشتق من كلمة أو سكية قديمة هي (Vitellio) والتي تعني (أرض العجول) كناية عن الغنى في المرعى وتربية الماشية وهو الأرجح ، والثاني مشتق من إسم ملك قديم إسمه إيتاليوس) وهو ما تذكره الأساطير التاريخية .

وكان الإغريق هم الذين أطلقوا هذا الإسم ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، على الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة المجاور لصقلية وبالتدريج أخذ مدلول هذا الإسم يتسع إلى أن أصبح إسم إيطاليا قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد يشمل جغرافياً وسياسياً كل البلاد من أقصى الجنوب حتى جبال الألب(1) .

تتكون إيطاليا من إقليمين رئيسيين مختلفين في طبيعتهما الجغرافية هما :

1 . وادي البو : وهو الأقليم الشمالي السهلي الذي تطوقه الجبال على هيئة هلال غير منتظم يمتد من البحر الأدرياتي حتى البحر المتوسط ، ويخترق هذا الوادي نهر البو poe الذي هو أعظم أنهار ايطاليا ويشغل أكثر أنحاء سهل أو وادي نهر البو (padus) ، وينبع نهر البو من جبال الألب في الغرب ويصب في بحر الادرياتيك بعد أن يكسب السهل الكبير الشمالي الرواسب الخصبة من الطمي والمياه الغزيرة .

2 . جبال الأبنين وشبه الجزيرة الإيطالية : وتشكل الإقليم الجنوبي ، حيث تمتد شبه الجزيرة لمسافة 1000كم ولا يزيد عرضها في أي مكان عن 200كم تخترقها جبال الأبنين من الشمال الى الجنوب مروراً بجزيرة صقلية وهي كالعمود الفقري لشبه الجزيرة الإيطالية ذات الحجارة الكلسية .

في الجانب الشرقي تنحدر هذه الجبال نحو بحر الأدرياتيك تاركة شريطاً ضيقاً تقطعه عدة مجار مائية قصيرة باستثناء سهل أبوليا في أقصى الجنوب الذي يشكّل مراع جيدة للماشية .

أما الجانب الغربي لجبال الأبنين فإنه أقل ارتفاعاً وأكثر بعداً عن البحر التيراني وهو ما نتج عنه حالتان هما ظهور السهول الواسعة في أتروريا ولا تيوم وكمبانيا وظهور أربعة أنهار كبيرة نسبياً وهي من الشمال الى الجنوب أرنوس ، تيبر ، ليريس ، فولتورنيوس) وهي تنبع من جبال الأبنين وتندفع بقوة

لتصب في البحر التيراني سواحل إيطاليا تمتد لأكثر من 3000كم وهي قليلة التعاريج فقيرة في الخلجان العميقة والموانئ الطبيعية الجديدة ، يوجد في الساحل الشرقي ميناء واحد جيد هو ميناء بروندبزيوم في أقصى الجنوب ، أما الساحل الشرقي ففيه ميناء جنوه وسيناء لوناي بورتوسو وفي الشاطئ الجنوبي يوجد ميناء تارنتم .

وجزر إيطاليا هي جزيرة قبرص التي يفصلها عن شبه الجزيرة الايطالية مضيق مسينا وجزيرة سردينيا في البحر التيراني حيث تغطي أرضها الحجارة والألواح المرتفعة .

العصر الحجري القديم (الباليوليت) 500.000 - 12.000 ق.م.

لم تعرف إيطاليا بداية العصر الجيولوجي الرابع المسمى بعصر البليتوسين الذي عرفته أواسط وشمال أوربا ، وكانت تتصل اتصالاً مباشراً بافريقيا حتى انفصلت عنها بعد أن هبط مستوى سطح الأرض في حوض المتوسط وهذا ما يفسر عدم وجود آثار تدل على إقامة الانسان في ايطاليا في العصر الحجري القديم الأسفل الباليوليت الأسفل) . وفي الباليوليت الأوسط ظهرت هياكل إنسان النياندرتال وأدواته الحجرية المصنوعة بطريقة التشظية في كهوف الجبال الإيطالية ، وكان الوعل والثور الوحشي البيزون) والحصان إضافة الى الفيل والكركدن من الحيوانات التي عاشت مع هذا الإنسان واصطادها . في الباليوليت الأعلى ظهر الإنسان العاقل (Homo sapiens) قادماً من آسيا وأفريقيا وظهرت ثقافاته المتميزة وخصوصاً الثقافة الجدلينية التي أظهرت المستوى الفني الراقي له من خلال جداريات الكهوف ، حيث عثر عليها في كهوف ليس وباليرمو وليفانزو في ايطاليا وصقلية .

وفي كهوف جريمالدي ، على شاطئ ليجوريا قرب الحدود الايطالية الفرنسية ، عثر على مدافن عديدة تنهض محتوياتها دليلا على أن ايطاليا عرفت عندئذ نوعين جديدين من السكان أحدهما أقدم عهداً من الآخر . والنوع الأقدم يتسم بسمات متزنجة (Negroid) ، والنوع الأحدث ينتمي الى تلك الفئة من الناس التي أطلق عليها اسم كرومانيون (Cro-Magnon) وكانت تعيش في جنوب فرنسا في أواخر العصر الحجري القديم وتتمتع بقدرة فنية عالية في رسم الحيوانات وتصويرها على الكهوف(2) . في هذه الكهوف كان الموتى يدفنون في خنادق سطحية ممددين أو جالسين القرفصاء ، وكانت الجثث تغطى بكميات كبيرة من أصداف البحر وبقلائد مصنوعة من هذه الأصداف وبأدوات صوانية ، وكان هناك كميات من بقايا المغرة (الحمراء) التي تستخدم في طلاء جثث الموتى ، وتدل هذه الموتى على معتقدات ما بعد الموت.(3)

وكانت لوحات الكهوف الايطالية تتركز في جنوب ايطاليا وصقلية وفي مواقع مثل ليسي وباليرمو وليفانزو ، أما في القسم الشمالي فظهرت بصورة نادرة في شمال شرق وادي البو في موقع فالكامونيكا .

وبصورة عامة تنقسم أدوار لوحات الكهوف الأوربية الى أربعة هي :

1 . الدور الأورغنيشي .

2 . الدور الجدليني (الأسفل ، الأوسط ، الأعلى) .

كذلك ظهرت النقوش الرمزية والدمى الفينوسية خصوصاً في فرنسا وسويسرا .

العصر الحجري الوسيط الميزوليت (12.000-5.000) ق.م.

انتهى عصر الجليد البلستوسين وبدأ عصر الهولوسين وتغير مناخ الأرض الى مناخ معتدل نسبياً ، ويعتبر الميزوليت مرحلة انتقال من الباليوليت الى النيوليت .

لم يعد الجليد الدائم موجوداً في أوربا بل انحصر في القطبين الشمالي والجنوبي وفي جرينلاند . وأتيح للحيوانات والنباتات وللإنسان العاقل العيش بحيوية أكثر واستمر صيد الحيوانات لكن تدجينها بدأ أيضاً بالاتساع تدريجياً واخترع الانسان القوس والسهم ليصيد عن بعد وصنع الاسلحة من الأشجار والعظام والقرون إضافة الى اسلحة الحجر الدقيقة المايكروليتية) .

وقد ظهرت ثقافات عديدة في هذا العصر لعل أكثرها اتساعاً هي الثقافة الازيلية التي عرفت بحصاها المنقوشة والملونة ومعتقداتها الدينية لما بعد الموت ، كذلك الثقافة التاردنوسية اللاحقة لها .

العصر الحجري الحديث (النيوليت) (5000-2500) ق.م

حدث تحوّل نوعي في تركيب سكان إيطاليا مع بداية النيوليت فقد شهدت إيطاليا ثلاث موجات من الهجرات الأجنبية هي :

1 . من شمال أفريقيا باتجاه صقلية وشبه جزيرة إيطاليا وجزيرتي كورسيكا وسردينيا .

2 . من اسبانيا على الطريق الساحلي في جنوب فرنسا حيث وصلوا الى ليجوريا شمال غربي إيطاليا .

3 . من وسط أوربا حيث هبطوا نحو وادي البو عن طريق ممرات الألب .

وبعد استقرار هؤلاء المهاجرين الجدد وتفاعلهم مع سكان ايطاليا الأصليين حدثت تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة أدت الى تشكيل ملامح حضارة العصر الحجري الحديث .

وينتمي جنس الانسان العاقل لعصر النيوليث الايطالي الى ما يعرف بـ جنس البحر المتوسط) وهو الجنس الأصلي لمعظم البلاد المطلة على البحر المتوسط والتي تتميز بالقامة المتوسطة والبشرة السمراء والشعر الداكن والجمجمة الطويلة نسبياً والفك المستقيم .

التدجين والزراعة:

انتقلت إيطاليا من مرحلة جمع القوت والتقاطه الى مرحلة انتاج القوت عن طريق الزراعة وتدجين الحيوانات وتكونت القرى الزراعية البسيطة التي تحيط بها حقول الرعي والزراعة . وقد ساهم ذلك في زيادة عدد السكان وتحسين أحوالهم المعيشية .

إن الزراعة لم تبلغ من الأهمية . مبلغ تربية الحيوان عند سكان ايطاليا في العصر الحجري حيث كانت الثيران والأغنام والماعز والخنازير والحمير أهم أنواع حيواناتهم المستأنسة . . ومع ذلك فإن سكان ايطاليا كانوا يزرعون عندئذ أنواعاً متعددة من الحبوب الغذائية وكذلك الكتان ، ولكنهم فيما يبدو لم يمارسوا بعد زراعة الفاكهة وإن كانوا يأكلون البرية منها وقد استمر كذلك الصيد والقنص مصدراً هاماً من مصادر توفير القوت(4) .

ولا نعرف على وجه التحديد إن كانت الزراعة قد انتجت ديانتها المرادفة لها وهي عبادة الإلهة الأم التي ظهرت في بعض أصقاع اوربا ولا نعرف ما هو دور المرأة في المجتمع آنذاك .

الأدوات الحجرية الحديثة:

صقلت الأدوات الحجرية القديمة وظهرت الاسلحة الحجرية الحديثة واستعمل الحجر في أدوات العيش ، وظهرت رؤوس السهام الحجرية الدقيقة .

إن استغلال أسلوب الصقل مكّن إنسان العصر الحجري الحديث من إبداع أشكال متعددة للأدوات لم تكن معروفة بالنسبة لأسلافه من أهل العصور السابقة . ويمكن القول بأن الفأس المسمارية الشكل المصقولة والمعدل شكلا أداتان مميزتان لهذا العصر(5) .

الفخار والنسيج

ظهرت في النيوليت صناعتان هما (الفخار والنسيج) ، وكانت الآنية الفخارية تصنع باليد ثم توضع في أفران غير مسقوفة . وكانت هذه الآنية متعددة الأشكال والأحجام لتوائم متطلبات الإستعمال اليومي وكذلك متطلبات الدفن ، وكانت تزخرف عادة زخرفة بسيطة من الطراز المعروف بطراز الزخرفة الهندسية ، أي بخطوط ودوائر محفورة(6) .

الأكواخ والقرى:

لم يصل الايطاليون بعد الى بناء البيوت بل كانت هناك الأكواخ ، فقد هجروا الكهوف ما عدا سكان ليجوريا) وبنوا أكواخاً جماعية شكلت قراهم البسيطة .

كانت هذه الأكواخ إما مستديرة أو بيضوية الشكل ، ولا يستبعد أن جدران هذه الأكواخ تحفر الى عمق يبلغ حوالي المتر تحت مستوى الأرض المحيطة بها .

المقابر والدفن:

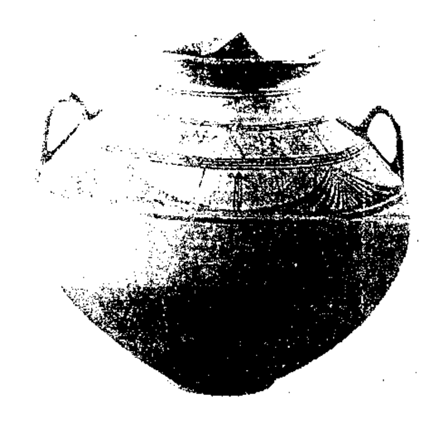
كان الموتى يدفنون في أوضاع مختلفة أكثرها يشبه وضع الجنين في بطن أمه ، وكان الدفن في أرضيات الكهوف أو في خنادق أو حفر أعدت خصيصاً لهذا الغرض وكانت تغطى جوانبها وفتحاتها بألواح حجرية وكانت الملابس والحلي والأسلحة تدفن معهم بالاضافة الى الآنية الفخارية الحاوية على الطعام والشراب ، وكانت الهياكل العظمية مطلية بالمغرة الحمراء اللون)(7) .

العصر الحجري النحاسي الكالكوليت (2500-1800) ق.م

استخدم النحاس بالإضافة الى الحجر في صناعة بعض الأدوات والأغراض مثل الخناجر والسكاكين ، ويرجّح أن مهاجرين من وسط وادي الدانوب قد هبطوا الى ايطاليا واحدثوا عمليات تعدين النحاس ولكنهم كانوا محدودي الأعداد . ولم تكن تكفي خامات إيطاليا من النحاس ولذلك كان شرق المتوسط وإسبانيا ووادي الدانوب هي مصادر النحاس الوافد إلى إيطاليا .

وكان الكالكوليت بطيئاً وغير حاسم في إيطاليا ولم تستثمر صناعة النحاس بشكل واسع في إيطاليا . ولعل أهم حضارة نتجت عن عمليات تعدين النحاس في إيطاليا هي حضارة لاغوزا Lagoz-za في جبال الألب الإيطالية وخصوصاً على بحيرة فاريز وهي حضارة بناء المساكن على ضفاف البحيرات وقد تأثرت بحضارة شبيهة لها في سويرا .

أما في صقلية فقد كان الكانكوليت متميزاً بسبب صلات هذه الجزيرة بانتشار الأقوام الشرقية وخصوصاً أجداد الأموريين الذين حملوا معهم صناعة النحاس بشكل مبكر الى جزر المتوسط وسواحله الأوربية .



شكل (1) رقص طقس إيطالي قديم مجسد على آنية فخارية، وتذكر أشكال الراقصين بتلك الأشكال التي عثر عليها في آثار وادي الرافدين وخصوصاً فخاريات سامراء في الألف الخامس قبل الميلاد.

المبحث الثاني

العصور التاريخية

أولاً: العصر البرونزي 1800-1000 ق.م

بدأ العصر البرونزي في إيطاليا مبكراً في غرب وادي البو حوالي 1800 ق .م ولكنه لم يظهر في شمال وشرق هذا الوادي الا في عام 1400 ق .م ، وفي حوالي 1000 ق .م في شمال ووسط شبه الجزيرة الايطالية . وهذا يعني أنه انتقل من وادي الألب بطيئاً الى وادي البو ثم الى شبه الجزيرة . أما في صقلية وسردينيا فقد ظهر مبكراً جداً بفضل علاقتهما بجزيرة كريت وبلاد الاغريق وربما تكون صقلية مصدر انتقال تعدين البرونز الى جنوب ووسط شبه الجزيرة الايطالية .

ونتيجة لاستخدام البرونز (نحاس + قصدير) ظهرت أنواع جديدة من الأدوات والأواني والأسلحة التي كانت مفضلة على نظيراتها من النحاس ، وتطورت المجتمعات سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وظهرت سلالات الملوك والأمراء والزعماء وتكرست عبادة الشمس في أغلب مواقع حضارة البرونز خصوصاً أن حاملي حضارة البرونز كانوا ، في الغالب ، من الآريين المهاجرين الى ايطاليا . وتميز وادي البو بحضارتين برونزيتين مهمتين هما (بيوت الركائز) والتيرامار) ، أما شبه جزيرة إيطاليا فلم تشهد حضوراً متميزاً لحضارات البرونز رغم أنها شهدت ظهور ما يسمى بـ (الشعوب الإيطالية) .

حضارة بيوت الركائز palafitte houses

وهي حضارة المنطقة الغربية من وادي البو حيث أقامت قراها على شواطئ بحيرات أخرى هناك . وهذه القرى كانت تتألف من نوع جديد من المساكن التي تقام على المياه الضحلة عند حافات البحيرات على عوارض خشبية كانت ترفعها فوق مستوى سطح الماء ركائز غرست في الأرض الرخوة . وعندما حدث فيما بعد أن ارتفع مستوى سطح الماء في البحيرات بحيث غمرت المياه هذه المساكن هجرها أصحابها ولم يتبق من المساكن إلا ركائزها ، وهي التي كشف عنها خلال القرن التاسع عشر عندما هبط مستوى سطح الماء في البحيرات(8) . والحقيقة أن المصدر الأساسي لهذه الحضارة هو سويسرا حيث عبرت جماعات من هناك عبر ممرات الألب لتنقل هذه الحضارة الى ايطاليا في البو الغربي .

وكانت هذه الحضارة السويسرية تسمى حضارة روبنهاوزن (Robenhausen) وهي حضارة ساكني البحيرات السويسرية بما فيها من بقر وخنازير وحبوب وغير ذلك وقد كانت مساكن السويسريين بجوار

الشاطئ ولكن جسراً متحركاً كان يصل بين الشاطئ وبين الإفريز الذي قامت عليه الأكواخ المصنوعة من الأغصان والطين(9) .

وإنه لما يعزز الأصل السويسري لحضارة بيوت الركائز العثور على آنية فخارية جنائزية ومعها حلي وأشياء أخرى ، وتحتوي الآنية على رماد جثث الموتى وهو ما يدل على أن المهاجرين الجدد لم يختلفوا عن سابقيهم من سكان وادي البو من حيث نوع المساكن فحسب بل أيضاً من حيث أنهم كانوا لا يدفنون موتاهم وإنما يحرقون جثثهم (10) ويدفعنا هذا الاستنتاج ان هذه الأقوام كانت من أصل آري هندو- أوربي) لأن الآريين كانوا لا يدفنون موتاهم بل يحرقونهم ويحتفظون بأواني الرماد في المقابر . . وإنه لما يعززنا هذا الاستنتاج العودة الى الهجرة الآرية الاولى التي بدأت في حدود 2000 ق .م ووصلت الى أواسط وجنوب أوربا مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد مفتتحة عصر البرونز هذا .

حضارة التيرامار Terramare

وهي حضارة وادي البو الأوسط والشرقي وظهرت حوالي 1400 ق .م ، وتعني كلمة تيرامار (الشعوب الملتصقة بالأرض) أو (الأرض السوداء) ويسمى أصحابها تيرامار كولي Terramate coli ، ويرجح أن تكون كلمة تيرامارا (Terramara) هي أصل اشتقاق اسمهم وهي تعني (أرض السماد) التي تدل على بيوتهم المقامة على قيعان الأنهار الجافة (بدل البحيرات) وعلى مساند وركائز وقواعد ثابتة .

في البداية اعتقد الآثاريون والمؤرخون أن حضارة التيرامار مشتقة من حضارة بيوت الركائز إن لم تكن هي نفسها ومن ذات المصدر السويسري ، لكن الكشوفات اللاصقة أكدت اختلافها فقد ظهر أن نظام بناء البيوت في قرى التيرامار لم يكن وفق تخطيط حضري Vrbanization مسبق حيث لم يعثر على جسور التراب الا نادراً وكانت الأكواخ مستديرة الشكل ثم أصبحت مستطيلة وأن الركائز لم تظهر الا في فترة متأخرة وكانت نادرة (11) .

ولكن القبور التيرامارية أوضحت عادة حرق الجثث ووجود آنية الرماد فضلاً عن وجود الحلي والاسلحة والآلات الموسيقية البرونزية . والملاحظ أن حضارة التيرامار أكثر تطوراً وغنىً من حضارة الركائز .

ويرجّح العلماء هجرة شعب التيرامار من حوض الدانوب في المجر الى ايطاليا ونشرهم هذه الحضارة في وادي البو . وربما كان هؤلاء المهاجرون من أصل آري أيضاً .

الهجرات الآرية والإلورية

لا تتضح معالم حضارة البرونز في شبه الجزيرة الايطالية كما في وادي البو في الشمال الإيطالي . لكننا بالمقابل نلمح ظهور شعوب متعددة اللهجات تسكن وسط وجنوب ايطاليا يطلق عليها الباحث (اللهجات الايطالية) وعلى اصحابها الشعوب أو (الاقوام الايطالية) .

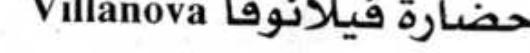
وحيث أن هذه اللهجات شديدة القرب من اللغتين الإغريقية والسلتية فإنه ليس من [illegible] الرأي الربط بين ظهور هذه اللهجات في شبه الجزيرة الايطالية وبين الهجرات الكبرى [illegible] الأقوام الهندو أوربية من أواسط آسيا صوب الغرب فيما بين عامي 2000-1000 ق .م . وإذا كان يمكن القول بأن أصحاب الحضارتين اللتين ظهرتا في وادي البو في عصر البرونز كانوا ينتمون الى الأقوام الهندو - أوربية ، فإنه لا يوجد دليل على هجرات من وادي البو الى شبه الجزيرة خلال هذا العصر(12) .

وبالاضافة إلى الآريين نلمح أفواجاً من الإلوريين Illyrioi قد هاجروا من شبه جزيرة البلقان وجاءوا الى ايطاليا واستقروا في أماكن متفرقة من ايطاليا مثل فنتيا ، بكينيوم ، أبوليا ، كالابريا ، لوكانيا ، البروتيي) حيث ظهرت آثارهم ولهجاتهم في هذه الأماكن .

ثانياً: العصر الحديدي 1000-250 ق.م

مثلما بدأ العصر البرونزي بهجرة أقوام آرية الى إيطاليا بدأ العصر الحديدي في مطلع الألف الأول بهجرة آرية كبيرة شملت إيطاليا وحمل أصحاب حضارة هالشتات Hallstat (وهي المدينة التي عثر فيها على آثار كثيرة لهذه الحضارة وتقع قرب سالزبورج في وادي الدانوب) صناعة وتعدين الحديد الى ايطاليا .

ومع قدوم حضارة هالشتات إلى ايطاليا اكتمل شكل الشعوب أو الأقوام الإيطالية التي ظهرت في العصر البرونزي . وكان من ظروف تكيف حضارة هالشتات في ايطاليا أن استبدل أصحاب هذه الحضارة مصدر الحديد عندهم من وادي الدانوب الى جزيرة ألبا قرب ايطاليا . ولا يمكننا بطبيعة الحال دراسة حضارة الهالشتات هنا لأنها حضارة وافدة لكن هذه الحضارة حفزت ظهور حضارة إيطالية محلية حديدية هي حضارة فيلانوفا .



حضارة فيلاّنوفا Villanova

فيلانوفا اسم جبّانة حديثة عند بولونيا Bologna في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الايطالية ، وسميت الحضارة باسمها لإكتشاف بقايا هذه الحضارة بين أطلال أكبر قرى عصر الحديد المبكر الإيطالي .

وأهم ميزات حضارة فيلانوفا هي :

1 . أماكن وجودهم في إيطاليا : بولونيا شمالاً ، أتروريا ولا تيوم جنوباً .

2 . بيوتهم وقراهم : أكواخ مستديرة الشكل منظمة في قرى متناثرة غير حصينة وغير منظمة التخطيط .

3 . قبورهم ودفنهم : القبور قرب القرى ، بهيئة حفر غير منتظمة تغطي فتحاتها ألواح من الحجر أو حفر مستطيلة الشكل مغطاة بالألواح الحجرية من أعلى ومن الجوانب . طرق الدفن هي حرق الجثة والاحتفاظ برمادها بأطباق معدنية أو خوذ معدنية .

4 . معادنهم : استخدموا الحديد وكذلك بلغوا بصناعة البرونز درجات متطورة للاستعمالات المدنية والحربية .

5 . حرفهم : تربية الماشية وزراعة الأرض وصيد الحيوانات وعمل المنسوجات والأدوات الفخارية .

وعقد عثر على أواني لحفظ عظام الموتى وأنصاب حجرية جنائزية وتماثيل شكل (3,2) .

هجرة الإتروسك إلى إيطاليا

تخصّبت حضارة الفيلانوفا بظهور عناصر جديدة وافدة الى إيطاليا هم الإتروسك والإغريق .

ففي أوائل القرن الثامن قبل الميلاد هاجر الإتروسك الى ايطاليا واستقروا على الشاطئ الغربي في شمالي التيبر .

ويستنتج علماء الآثار أنه لا يوجد في الطبقات الأرضية التي يحللونها أي انقطاع بين الحضارة الفيلانوفية والحضارة الإتروسكية والتفسير الأبسط المعقول يحمل على الإعتقاد أن الثقافة الإتروسكية هي نتيجة تفاعل وتوليف بين التقاليد الإيطالية الفيلانوفية التي هي نفسها مركبة ، وبين الروافد الآتية من الشرق مع بعض فئات المهاجرين الذين وصلوا في نهاية القرن التاسع ق .م(13) .

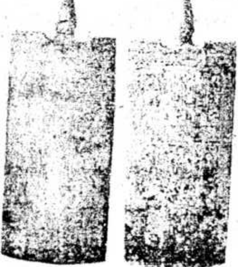
وسنتناول في فترة منفصلة حضارة الإتروسك .



شكل (2) آنية لحفظ عظام الموتى مع غطاء فخاري من حضارة فيلانوفا القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد).







شكل (3) نصب حجري جنائزي وتماثيل من القرن السابع والسادس قبل الميلاد وتظهر على وجهي النصب مشاهد لنساء أشكال هندسية.

هجرة الإغريق الى ايطاليا

مع بداية العصر الأرخي في اليونان (750-480) ق.م وظهور النظام الارستقراطي في الكثير من مدن الإغريق تذمرت طبقات الشعب الفقيرة هناك فظهر ميل شديد نحو هجرة الشعوب الإغريقية خارج بلاد اليونان ليجدوا الأمان والعيش الأفضل في مدن جديدة وقع أغلبها في حوض المتوسط وجزره وسواحله ، كما أن البحث عن أراض زراعية جديدة بسبب وعورة أرض اليونان وعدم صلاحيتها للزراعة كان سبباً هاماً يضاف له رغبة الإغريق في التوسع التجاري وإيجاد الأسواق الجديدة ، لبيع المنتجات وحاجتهم الى المواد الخام اللازمة لصناعاتهم المتطورة .

هاجر الإغريق منذ منتصف القرن الثامن حتى منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأنشأوا لأنفسهم مستعمرات في الجزء الجنوبي بشبه الجزيرة من طرف البحر الأدرياتي حتى خليج نابولي وكذلك صقلية . ونشأت مدن أغريقية مثل كوماي ، ليونتيني ، سيبارس ، كرتون ، تارنتم وفي صقلية أسس الكريتيون مدينة جيلا وهميرا وسمي جنوب ايطاليا بـ إغريقيا العظمى (Magna Graecia) لكثرة المستوطنات الإغريقية فيه .

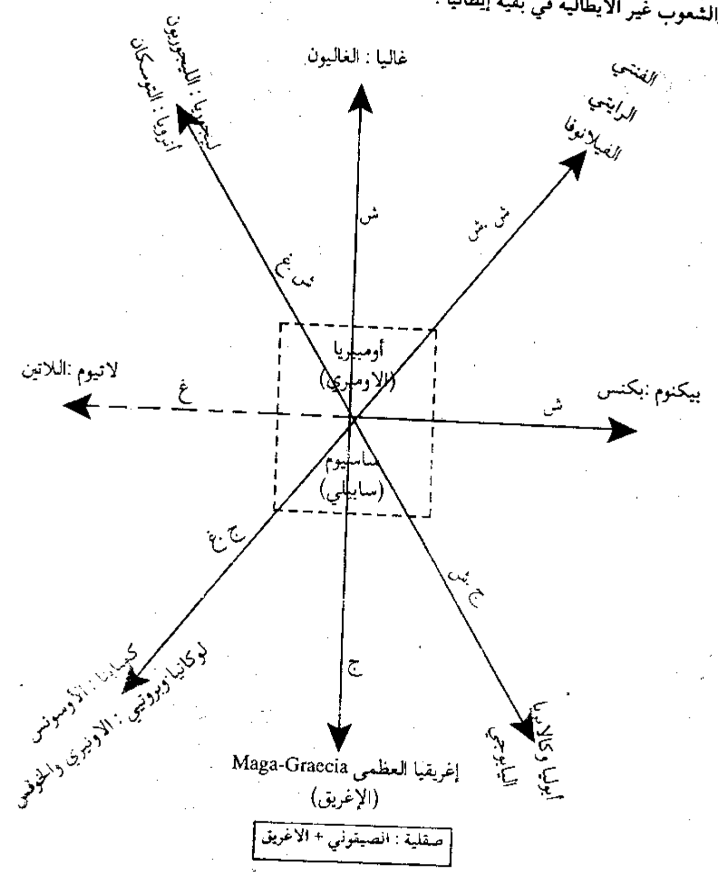
وقد نقل الإغريق تقاليدهم المعروفة في الدفن والتي تقضي بدفن الميت في حفرة أو ضمن جثوة (حضارة القبور المحفورة ، في نوفيلار و أبوليا) هذه التأثيرات اليونانية عينها فعلت فعلها منذ القرن السابع في سكان فيلانوفا الذين استقبلوا من توسكانيا مهاجرين وافدين عن طريق البحر من الشرق الأوسط . ومن هذا الإنصهار الوثيق تنشأ الحضارة الإتروسكية (14) .

الشعوب الإيطالية والشعوب غير الإيطالية

أمام هذا التنوع الإثني الذي أحدثته الهجرات المتتالية لإقوام عصور النيوليت والكالكوليت والبرونز والحديد اتضحت في القرن السادس قبل الميلاد تقريبا خارطة الشعوب التي تسكن ايطاليا والتي يقسمها المؤرخون الى شعوب إيطالية (Italic) وشعوب غير ايطالية (Non -Italic) والتي تتوزع على كل مساحة ايطاليا يوضحها الجدول (2) والمخطط (1) والخارطة (1) .

مخطط (1) توزيع الشعوب الإيطالية وغير الإيطالية في جهات إيطاليا حوالي القرن السادس ق.م

ملاحظة : الشعوب الايطالية تقطن الأماكن المنطقة فقط (أومبيريا ، سامنيوم ، لاتيوم) والشعوب غير الايطالية في بقية إيطاليا .



جدول (1) توزيع الشعوب الإيطالية وغير الإيطالية في جهات إيطاليا حوالي القرن السادس ق.م

نوع الشعب	الإقليم ووصف المكان	اسم الشعب	القبائل التي معه	أصله	لغته	أهم مدنه
الشعوب الإيطالية	لاتيوم: جنوب نهر التيبر بين الشاطئ الغربي والسلسلة الرئيسية لجبال الأبنين	لاتين	الهرنيكي الفاليسكي	أريون	لاتينية	لابنوم
	وسط جبال الابنين أومبريا سامنيوم	الاومبريا - سابيلي	الاومبري، سابيني، مارسي، بايلجني، أيكوي، فولكي، فستيني، خيبريني السمنيون	نيوليثيون + أريون من عصر البرونز	الأومبرية الأوسكية	
•	المنطقة الشمالية الغربية وادي البو من جبال الألب حتى نهر تيكينوس شرقاً وسواحل نهر الأرنوس جنوبا إقليم ليجوريا	الليجوريون		نيوليثيون + أرون	هندو- أوروبية	سيطر عليهم الاتروسك
	المنطقة الشمالية غاليا	الغاليون	السلتية	سلت (كلت	مختلفة	
	المنطقة الشمالية الشرقية من جبال الألب الجنوبية إلى جبال الالب الشرقية دنيا	الفنتي الرابتي فيلانوفا	إليريون إليريون + وسط أوروبا أريون	إليريون وأريون		
	المنطقة الوسطى لاكنوم: بين أنوكونا ونهر ياجرو	بكنس (بكنتس)		نيوليثيون+إليرين في أواخر البرونز		
الشعوب غير الإيطالية	المنطقة الجنوبية الشرقية أبوليا، كالابريا	الياييجي	الداوني البيوكيتي	إليريون من بلاد اليونان أريون	إغريقية	
	المنطقة الجنوبية إغريقيا الكبرى من شاطئ البحر الإدرياني حتى خليج نابولي	الإغريق	الميسابي	نيوليثيون+إليريون أفارقه نيوليثيون أفارقه+أتروسك +		سيطر عليهم الاتروسك
	كمبانيا على الساحل الغربي بين لاتيوم ولوكانيا والابنين	الاومبوتري الخونس		سابلي نيوليثيون + برونزيون+ حديد		تاركويني، كايري،
	أتروريا غرب السلسلة الغربية لجبال الابنين بين نهري الايوس والتيبر	الأوسكي الأوسونس إتروسك		من أسيا الصغرى (ليديا)		فولكي، فتولينا،
	صقلية	صيقولي (صيقلس)		نيوليثيون+إليريون+إغريق+ قرطاجيون	-	بوبولينا، فولسيني، بروجيا، أرتزو، فياي

المبحث الثالث
الإتروسك والإغريق

أولاً: الإتروسك (التوسكان)

كادت الحضارة الإتروسكية أن تكون هي حضارة إيطاليا كلّها لولا ظهور روما الذي أجهز عليها تدريجيا وامتصت الحضارة الرومانية مادتها واعتاشت عليها ، وهذا يشير الى صراع بين الحضارتين اللاتينية والإتروسكية قبل ظهور روما وبعدها بقليل أسس اللاتين روما في (730 ق م) . ومن هنا جاء الاهتمام بهذه الحضارة لأنها تشكل المادة الأولية التي ذابت في نسيج الحضارة المبكرة لروما . كان الرومان يسمونهم (إتروسكي Etrusci) أو توسكي Tusci وكان الاغريق يسمونهم ترسينوي Tyrsenoi) أو التيرينوي Tyrrhenoi . وكانوا هم يسَمون أنفسهم (راسيّنا Rasenna) ويسمى الاقليم الذي يسكنوه توسكاينا أو إتروريا ويسمى البحر الذي يفصل الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة الايطالية عن جزيرتي تورسّيكا وسردينيا بـ البحر التيراني) .

أصل الإتروسك:

ما زال أصل الإتروسك ، منذ هيرودوت حتى يومنا الحاضر ، يثير أسئلة كثيرة ولم تصل بعد الى حل نهائي فيما يخص أصلهم ومكان إقامتهم قبل ظهورهم في ايطاليا . وتنقسم الأراء والنظريات حول أصلهم الى ثلاثة :

1 . **الأصل الأناضولي** : وهي أرجح النظريات فقد رأى هيرودوت منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد أنهم جاءوا من ليديا في آسيا الصغرى ، وهناك ما يدعم هذه النظرية من خلال فحص اللغة الإتروسكية التي ظهرت بعدم رجوعها الى فصيلة اللغات الهندية – الأوربية الأرية) . وقد تبين أن أسماء الأعلام الإتروسكية وصيغ تصريفها تدل على وجود تشابه مع اللهجة الليدية ولهجات آسيا الصغرى التي ظهرت قبل اللغات الآرية هناك .

وهناك آراء رأت أنهم من آسيا الصغرى ولكنهم ليسوا بالضرورة من الليديين وربما كانوا من أزمير حملتهم المجاعة على الهجرة الى ايطاليا . ويرجّح البعض أن هذا حصل بعد حرب طروادة وظهور موجات الغزو الدوري وشعوب البحر ، إذ أن هناك من يرى أيضاً أنهم من شعوب البحر وقد يكونون هم التورشا (Turscha) وهم أحد شعوب البحر التي تحالفت مع الليبيين وحاولت غزو مصر في العام الخامس من عهد مرنبتاح (1227/1226 ق م) . ويلاحظ التقارب بين إسمي إتروسك والتورشا .

2 . **الأصل الأوربي** : جرياً على تتبع أصل الهجرات التي وفدت الى ايطاليا في عصور ما قبل التاريخ والعصرين البرونزي والحديدي يقول أصحاب هذه النظرية أن الإتروسك قدموا الى إيطاليا إما من وسط أوربا أو من اليونان أو تساليا . وأنهم اختلطوا مع السكان الأصليين لإتروريا فظهر التوسكان .

فربما كانوا من وسط أوربا؟ من وادي الدانوب أو غيره! ولكن كتاب الإغريق كانوا يصفون سكان إتروريا بأنهم بلا سجيون لاتيرانيون ، وهذا يعني أن السكان القدماء الأصليين لليونان وهم (البلاسجيون) قد رحلوا من موطنهم بعد مجيء القبائل الهيلينية (الاغريقية) إلى بلاد اليونان وطردهم لأهلها الإصليين (البلاسجيين) .

وهناك من يرى أنهم جاءوا من (تساليا) شمال بلاد اليونان بعد كثافة الهجرات الإغريقية هناك . ويذهب هؤلاء وأولئك الى أن وجود عناصر لغوية إغريقية في اللغة الإتروسكية هو الدليل العملي على ذلك .



خارطة (2) شمال شبه الجزيرة الإيطالية ويظهر فيه إقليم أتروريا المؤلف من اثنتي عشر مدينة

خارطة (3) الاتروسكيون في أقصى توسعهم حوالي 540 ق.م

3 . **الأصل الإيطالي** : يرجّح أصحاب هذه النظرية أن حضارة الإتروسك ما هي إلا الامتداد الطبيعي لحضارة الفيلانوفا «ذلك أن أغلب المدن الإتروسكية خلفت قرى فيلانوفية سابقة كانت تقوم على المواقع ذاتها أو بالقرب منها . وأن الأنواع المتعاقبة لمقابر تلك المدن وكذلك خصائص أثاث تلك المقابر تنم عن تطور متتابع متصل الحلقات(15) .

ولا شك أن أصحاب حضارة الفيلانوفا احتلوا الشطر الأكبر من إترووريا قبل ظهور الاتروسك) بل وتوغلوا في أجزاء من إقليم لاتيوم والمرتفعات الوسطى ، وهكذا نرى أن إترووريا قد توافرت لها ، قبل دخول الإتروريين ، ممثلون لثقافتين مميزتين وربما لثلاث ثقافات مميزة وهي التيراما والفيلانوفا) وتعددت في أنحائها المختلفة ألوان من المزج والتوفيق بين شتى العقائد والأساليب المتنافرة في الحياة (16) .

ويرى مؤيدو هذه النظرية أن في تبني الإتروسك لفكرة حرق جثث الموتى والإحتفاظ برمادها في قوارير ما يشير الى علاقتهم بحضارة الفيلانوفا التي كانت تفعل الشيء ذاته ، لكن الإتروسك كانوا

يدفنون جثث موتاهم في قبور أيضاً ولعل حرق الجثث والاحتفاظ بالرماد عادة قليلة الإنتشار عندهم وهو ما يضعف هذه النظرية .

4 . **الأصل الأموري** : نرى أن أصل الإتروسك يعود الى الأموريين ، وهو رأي لم يذهب اليه الباحثون ، ولعلها المرة الأولى التي نطرح فيها هذه النظرية فقد وجدنا أن اسم إقليم الاتروسك كان (إترووريا) وهو ما يدل على أصلهم ، فقد كان اسم الإله القومي للأموريين هو (مر) وكان يرد أيضاً بصيغة (ايتور - مر) وكان الإله (مر) يقابل الإله إر) ويستبدل به حيث (مر) السماء و(إر) الأرض ، وهكذا يرد إيتور إر) كلقب للإله القومي للأموريين الذين هاجروا في زمن مبكر من وادي الرافدين الى الشام ثم الى جزر وسواحل المتوسط وربما أصبح أسمهم (انزوري) و (إترووريا) وهو الاسم الذي سموا به إقليمهم ، ونلاحظ التشابه الكبير جداً بين الآلهة الإتروورية والآلهة السومرية والأمورية (انظر الفصل الثالث) وربما يكون الإتروريون قد هاجروا الى آسيا الصغرى والى ليديا القديمة ثم هاجرو الى إيطاليا مع بداية الالف الأول قبل الميلاد واختلطوا مع السكان المحليين وأنتجوا هذه الحضارة المتميزة .

وما زالت الآراء حول زمن وصولهم الى إيطاليا متباينة فهناك من يرى أنهم جاءوا في القرن الثالث عشر ق .م استناداً الى كونهم أحد أقوام شعوب البحر ، كما ذكرنا ، وهناك من يرى قدومهم في بداية القرن الثامن ق .م عند بداية العصر الحديدي . ولا شك أن الإتروسك كوّنوا حضارة راقية في إيطاليا وكان لهم تاريخ حافل فيها .

ويبدو أنهم استولوا أولاً على المواقع المهمة في الساحل الغربي وبنوا مدنهم هناك مثل (تاركويني ، كابري ، فولجي ، فتولينا ، بوبولينا) توغلوا داخل إقليم إترووريا وبنوا مدنهم هناك حتى أصبح عندهم أكثر من 18 مدنية محصنة ومن مدنهم الداخلية (فولسيني ، بروجيا ، أرتزو ، فياي) وتعتبر مدنية فياي أعظم مدنهم .

وقد استطاع الإتروسك في فترة وجيزة التقدم شمالاً والسيطرة على إقليم فنتيا وإخضاع قبائل الرايتي واصحاب حضارة الفيلانوفا شمال جبال الأبنين وشرقيها بين نهر البو وأريمينوم على شاطئ الأدرياتي . ثم سيطرو على إقليم لايتوم وحكموا اللاتين لزمن طويل رغم أنهم أقلية هناك .

وسنتابع تاريخهم بعد تأسيس روما لكننا نود أن نشير الى أن الإتروسك لم يهزموا دفعة واحدة بل على مراحل ولم يذوبوا في الحضارة الرومانية نهائياً الا عند اقتراب القرون الميلادية الأولى ، لقد كانت أول هزيمة لهم عندما طردهم الرومان من إقليم لاتيوم عام 509 ق .م ، ثم هزمهم الحكومايي مرتين 504 ,474ق .م)وأصبحت سواحل إترووريا مهددة بعد تحطيم أسطولها ثم تقلصت سيادتهم في وادي

البو بعد وصول بعض القبائل السلتية عام 400 ق .م . وهكذا انكمشوا في إقليم إتروريا الذي ضغطت عليه جمهورية روما ثم احتلته .

تاريخ الإتروسك

1 . منذ وصولهم ايطاليا في القرن الثالث عشر ق .م . الى 510 ق .م حيث قام الرومان بطردهم ، وقد ظهرت اسرة الملوك الإتروسك منذ الفتح الاتروسكي في منتصف القرن السابع قبل الميلاد وكان أول ملوك هذه الأسرة هو تاركوينوس . وقد اتسعت روما في العصر الملكي بانتصارها على جيرانها ، وفي عهد سادس ملوكها(سرفيو توليوس) أدخلت على دستور روما البدائي اصلاحات هامة كانت لها نتائج بعيدة المدى . وكان آخر ملوكها هو (تاركوينوس العظيم) الذي كان متعسفاً ظالما فطرده الرومان .

2 . الحروب الرومانية الاتروسكية : حاول الاتروسك إعادة الملك المطرود وإعادة نفوذهم الى روما فدخلوا في سلسلة حروب من الإتروسك كان أولها في 505 ق .م عند أريكيا حيث هزم الاتروك ، ثم تأسست العصبة اللاتينية وخاضت حرباً مع الاتروسك وحاصروا عاصمتهم (396-405) ق .م وحين حاول الإتروسك تحرير عاصمتهم (فياي) هزمهم الرومان ووزعوا أراضي جنوب إتروريا على فقراء مواطنيهم ثم هزموا مرة أخرى عام 351 ق .م . وكان الاتروسك قد صقلوا شخصيتهم الحضارية في هذه المرحلة بتأثرهم بالفن الاغريقي الآرخي العتيق) وبالديانة الإغريقية في بداية ظهورها الواضح .

كان التاريخ قد هيأ المسرح ليلعب الإتروسك دور توحيد إيطاليا قبل الإغريق والرومان لكنهم أضاعوا هذه الفرصة مثلما أضاعها الإغريق .

جاءت المحاولة الأولى لتوحيد ايطاليا سياسيا على يد الإتروسكيين في حدود (550-423) ق .م . ففي القرن السادس ق .م استولى الإتروسيون على رأسي جسر ، عند فيدناي وروما ، على الضفة اليمنى لنهر التيبر الأدنى ، ثم استولوا بعد ذلك على المنخفضات ، في الجنوب الشرقي ، حتى أرض كوماي الحلفية . وانتزعوا ممر بولونيا من الليغوريين وتعاونوا مع الأغارقة لاقامة ميناء تجاري في سبينا . وقد بدا في حدود (525 ق .م) كما لو أنهم على وشك توحيد حوض نهر البو ، لاشبه جزيرة ايطاليا فقط تحت حكمهم لكنهم انهاروا في سلسلة من الهزائم أمام الإغريق والرومان(17) .

3 . أفول الحضارة الإتروسكية والتي بدأت في أواخر القرن الرابع ق .م . حيث كان إقليم إتروريا قد بدأ بفقدان سيادته الاقتصادية والتجارية بعد أن هزم جيشه على يدي هيرون حاكم سراقوسة (الصقلية) في معركة بحرية جرت في البحر التيراني أمام مدينة كوماي باقليم كامبانيا عام

474 ق .م ، وتحولت إتروريا الى إقليم زراعي فحسب ، وشرعت اليونان وقرطاجة في احتلال مكانة إتروريا التجارية في البحر ، ثم تضاءل شأن إتروريا من الناحية الاقتصادية حيث اكتشفت في اسبانيا مناجم أغنى من مناجم توسكانيا الإترورية . وتدهور الفن التوسكاني وقلّد الفن الإغريقي الكلاسيكي خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وانتهت هذه المرحلة بالذوبان التدريجي للإتروسك في المجتمع الروماني .

الحضارة الإتروسكية

1 . المظهر السياسي :

كان النظام السياسي الإتروسكي عبارة عن حلف يضم إثنتي عشر مدينة ، أي أنه نظام أقرب الى نظام دولة المدينة .

ويبدو أن هذه المدن كانت من الناحية السياسية تحت حكم الملوك ، وفي بعض منها كان حكم الأقلية يحل محل الأسرة المالكة ، وكانت ثرواتهم قائمة على المصنوعات المعدنية وعلى التجارة ، فقد نقبوا عن الحديد في ألبا Elpa والنحاس في أتروريا . وكانوا صناعاً مهرة في صنع منتجات الذهب والفضة وكانت لهم اتصالات تجارية وثيقة ببلاد اليونان ومصر ولبنان واتصالات أكثر قوة بقرطاجة ، ولما كانوا منافسين ليونان ماسيليا وصقلية في مضمار النشاط التجاري في غرب البحر المتوسط ، كان من الطبيعي أن يصبحوا حلفاء لقرطاجة ، وكلما نمت ثروتهم امتد نفوذهم الى ما وراء أتروريا . فقد وقعت كثير من المدن اللاتينية تحت نفوذهم بما فيها روما وكانوا يسيطرون على وادي البو وكمبانيا لفترة ما مع أنهم قد طردوا من كليهما فيما بعد (18) .

2. المظهر الاجتماعي والاقتصادي

يعتقد الباحثون أن المجتمع الأتروسكي يحمل صفات شرقية اختلفت في القرن الثامن قبل الميلاد عن مجمل النسيج الاجتماعي للشعوب الإيطالية وغير الايطالية التي قطنت ايطاليا . وقد كانت بنيته الاجتماعية تتكون من «طبقة من كبار الملاكين يسيطرون على شعب من الفلاحين حوّلهم الرومان الى عبيد ، وكان الشعب الإتروسكي مقسّما الى مدن لها كيانات الدول المستقلة ، لكل منها عباداتها وعاصمتها . وكانت هذه المدن مرتبطة باتحاد ويجمعها معبد إتحادي . يشبه هذا التنظيم إلى حد ما بعض الدول اليونانية ولكنه يبقى مختلفاً نوعاً ما ، كي لا نتحدث عن اقتباس الإتروسكيين عن الهيلينيين . (19)

3. المظهر الديني (انظر الفصل الثاني).

4. المظهر الثقافي

أ. اللغة الاتروسكية: قلنا أن اللغة الاتروسكية لم تكن لغة آرية ولم تكن لغة أناضولية ولكن فيها مؤثرات ليدية، لكننا نرجّح أن تكون لغتها هذه اللغة الأمورية التي ربما تعرضت لعمليات تحوير كثيرة خلال تجوالها في البحر المتوسط وآسيا الصغرى وأوربا.

وأنه لمما يزيد الأمور تعقيداً أن نصوص وكلمات هذه اللغة كتبت في إتروريا بالأبجدية اليونانية «ولم ينطو تحليل رموز كتابتها على صعوبات كبيرة. لكن ترجمتها كانت أكثر صعوبة، لان جميع محاولات التقريب بين تلك اللغة ولغة معروفة أخرى باءت بالفشل... لكن مقدرة العلماء على ترجمة هذه اللغة زادت، شيئاً فشيئاً، ابتداء ببعض النقوش على القبور مثل عبادة (س إبن ج، عمره ن). لكن النصوص الطويلة القليلة العدد الباقية هي وثائق طقوسية غامضة، ولا نعلم حتى الآن سوى معناها العام. أطول هذه النصوص المكتشفة، حتى الآن، مكتوبة على القماش» (20).

وهذا ما يدعم رأينا من أن اللغة الإتروسكية لغة أمورية قديمة تعرضت للتحوير وكتبت بالأبجدية الإغريقية.

ب. المدن والعمارة: كانت مدن وعمارة الإتروسك ذات مستوىً رفيع وكانت الموانئ وقنوات الملاحة وتحويل الجداول تحت الأرض وحفر الأنفاق للأنهار لتمر تحت الطرق عوضاً عن بناء الجسور فوقها.

ولكن الشيء الأهم في العمارة الإتروسكية هو (العقد) الشرقي الأصل الذي أصبح أهم خواص العمارة الرومانية، ثم أصبحت (البوابة) الإتروسكية هي جذر (قوس النصر) الروماني وهو ابتكار معماري فذّ ولا شك.

ورغم أن الأتروك استخدموا الثولوس الموكيني مقبرة الا أن غرف المقابر الاتروسكية بجدرانها المزينة بلوحات تمت الى حياة ما بعد الموت كانت أساس عمارة وفن القبور (الكاتاكومب) الرومانية.

وربما هناك ما يشير الى هندسة المعابد الإتروسكية في معابد روما لاحقاً خصوصاً بهو الأعمدة وقاعة العبادة.

حـ. الفنون: اتسم الفن الإتروسكي منذ نضجه بسمة الاكتئاب والعنف والمرارة والتعصب والقلق، وحملت الإنجازات الفنية الإتروسكية قسمات الأسى والعذاب التي نستطيع تبينها في الابتسامات الغامضة على وجوه الشخوص الغريبة المنحوتة فوق التوابيت، وفي التصويرات الجدارية بالقاعات الجنائزية التي تتميز شخوصها بالغرابة والاستطالة والنحول، وتكمن وراء تأنقها سذاجة دفينة، وتتراءى خلف صمتها حياة خفيّة دافقة، وإن بدت مع ذلك وكأنها أشباح مشدودة الى الجدران. وهي تكشف عن عبقرية فذّة في الزخرفة وفي إقامة توازن مرهف بين عناصر الصورة يتجلى في التماثل الظاهر في الحركات الطقوسية ورفرفة أجنحة الطير وانثناءات الأغصان والأوراق والزهور(21).

ويمكننا تقسيم مراحل الفن الإتروسكي الى ثلاث مراحل فنية متتابعة هي:

1. المرحلة المبكرة (700-625 ق.م) وهي المرحلة المتأثرة بالشرق والتي تتجه نحو النزعة الطبيعية (الفينيقية والقبرصية). وقد عثر على تحفها في مقابر مثل مقبرة (جالاسي بتشرفيتري) ومقابر بالسترينا. وتألقت صناعة الحلي والمجوهرات والأواني والعاجيات.
2. المرحلة الوسيطة (625-400 ق.ن) وهي المرحلة المتأثرة بالفن الإغريقي الأرضي (العتيق) وخصوصاً الأيوني والأتيكي، وشهدت إتروريا خلال القرن السادس ذروة الرخاء والقوة، اللذين أتاحا لفنانيها الإجادة والتألق وظهرت مجموعة رائعة من تماثيل التراكوتا لتزين معبد أبولو في فيبسو، كما انجزت منحوتات مذهلة في محرف (فولشا) استاذ النحت الذي ينسب إليه بلييئوس تزيين المعبد الذي شيد فوق تل الكابيتولينوس بروما قبل عام 500 ق.م. وفي الفترة أتيح لإتروريا أن تصدر منتجاتها من البرونز الى اليونان نفسها، وزينت جدران المقابر في تاروكينيا بمشاهد رائعة رسمها مصورون أتروسكيون تمثلوا التصوير الإغريقي ثم أفرغوه في طرازهم الإتروسكي الذي لا يحاكى(22).
3. المرحلة المتأخرة (400-200 ق.م) وهي المرحلة المتأثرة بالفن الإغريقي الكلاسيكي ولكنهم تجنبوا مراعاة قواعد تشريح الجسد الإنساني وانسجام الأشكال وظلت الأشكال التي تحمل التعبير الذاتي بمشاهد الطبيعة هي الأفضل.

ثانيا: الإغريق في إيطاليا

كان الرومان هم أول من أطلق اسم الإغريق على الهيلينيين؛ وقد أطلقوه، أولاً، على الغرايوي Graioi وهم هيلينيون كانوا يسكنون إقليم بويوتيا في بلاد اليونان اشتركوا مع غيرهم في تأسيس

مدينة كوماي على الساحل الغربي لإيطاليا وهي أقدم المستعمرات اليونانية هناك حيث تأسست حوالي (750-725 ق.م) وأسموهم غرايكي Graeci . ثم اطلق الرومان هذه التسمية على جميع سكان تلك المستعمرة ثم أطلقوه على سكان بلاد اليونان .

ولا شك أن الإغريق أسسوا لإنفسهم موطناً على الساحل الإيطالي من (تراس تارنتوم) على الجهة الجنوبية الغربية للعقب الايطالي دوراناً باصبع القدم واتجاها شمالاً على الساحل الغربي الى جزيرة بثيكوزا (إشيا) وكوماي . وكان الإغريق قد احتلوا أيضاً السواحل الشرقية والجنوبية لجزيرة صقلية بالإضافة الى (مسيليا مرسيليا) التي أنشأت غرب مضيق أترانتو . وقد خاص إغريق إيطاليا وصقلية حروباً طاحنة مع القرطاجيين لضمان السيادة على وسط وغرب البحر المتوسط .

هزمت قرطاج أمام الإغريق عندما حاولت منع الإغريق من تأسيس مستعمرتهم في مرسيليا عام 600 ق.م ، وردّ القرطاجيون عليهم بعد نصف قرن وأخضعوا أغلب إغريق صقلية لهم .

وعندما تولى ماجون حكم قرطاج تحالف مع الإتروسكيين ضد الإغريق وقد أدى ذلك الى احتلال تورنسيكا وسردينيا من قبل المتحالفين .

لكن اغريق صقلية أنشأوا تحالفاً (سيراقوس- إغريقنتي سيراقوسة واغريقنتوم) وانتصروا على القرطاجيين في نصر يوازي ما احرزه التحالف الاسبرطي- الأثيني على الفرس في السنة ذاتها 480 ق.م .

وفي عامي 409 و406 ق.م انتصرت قرطاج على إغريق صقلية في مدينتي سيلونوته وإغريقنتوم وقادها من جانب قرطاج هانيبال بن جزجو و هملكو وبعدها بقرن حاصر القرطاجيون سيراقوسة التي ردت عن قرطاج ...

إن المستوطنين الإغارقة في صقلية نجحوا في توحيد صقلية على المستوى الحضاري عن طريق (هلينة) الجزيرة بأجمعها ، بما في ذلك الجماعات الصقلية غير الاغريقية ، التي كانت خصماً سياسياً للإغارقة من الناحية السياسية . وقبل نهاية القرن الخامس ق.م لم يكن جميع سكان صقلية قد أصبحوا ناطقين باليونانية ، بل إنهم قبسوا نظام المدنية - الدولة الإغريقي ، بحيث أصبحت ناطقين باليونانية ، بل إنهم قبسوا نظام المدنية - الدولة الاغريقي ، بحيث أصبحت مدن - دول صقلية ليست من أصل أغريقي تسك النقود وتشيد الهياكل على الأسلوب الهيليني .(23)

فشل الإغريق في توحيد صقلية وإيطاليا لأن مدنهم كانت تتحارب بينها (وهذه عادة إغريقية متأصلة!) ورغم ذلك فقد أشرف الاغريق على توحيد صقلية وشبه الجزيرة الايطالية تحت سيادة سيراقوسة وذلك أيام حكم طاغية سيراقوسة ديونسيوس الأول (405-367) ق.م لكنه فشل في متابعة هجومه على بيرجي باحتلال مدينتي كايري وروما .

لقد اجترح ديونسيوس غلطتين . فقد هاجم سنة (390 ق.م) المدن - الدول الاغريقية الايطالية التي كانت على خصومة معه أما غلطته الثانية فقد كانت في تجهيزه للحملة الثانية ضد قرطاج سنة 383 ق.م فقد كسر هذه المرة وكان علية أن يعقد صلحاً في سنة 378 ق.م. (24)

لقد وصل إغريق ايطاليا الى اليأس (سنة 334 ق.م) واستنجدوا باصلهم الإغريقي في الشرق (البلقان) فاستجاب لهم تيموليون الكورنثي الذي دمر قرطاج واستجاب لهم أرخداموس من إسبارطة والاسكندر الأول ملك أبيروس وبيروس ملك أبيروس ، ولكن ذلك لم يشفع للإغريق أمام قوة روما التي سارعت ونجحت في توحيد إيطاليا وصقلية .

حضارة الإغريق في إيطاليا

كانت الصلات الحضارية بين الإغريق والإتروسك هي الأسبق في ايطاليا من صلة الرومان بالإغريق ، وتأثر الإتروسك بحضارة الاغريق في مراحلها المهمة الثلاثة وهي (الأرضية والكلاسيكية والهيلنستية) رغم أن الاتروسك احتفظوا بهويتهم الحضارية .

وجاءت أول التأثيرات الحضارية الإغريقية الى الرومان عبر الإتروسك ، فقد بنت روما ، مثلا ،أول مسرح لها عام 364 ق.م يشبه المسرح الاغريقي ولكنه يحاكي مسارح إتروريا .

ثم وطّد الرومان علاقتهم المباشرة بأثينا بحيث أن شباب روما بدأوا بالذهاب الى أثينا لدراسة المعارف والعلوم والأداب والفنون في أثينا .

ثم تحولت مدن أبوليا وصقلية وكامبانيا الى مراكز انتاج الفن الإغريقي الحرفي والأعمال الفنية والتحف الإغريقية واحتفت ايطاليا كلها بالفن الاغريقي وساعدت مدن اغريقيا العظمى) جنوب ايطاليا والمدن الاغريقية في صقلية على انتشار الحضارة الأغريقية في إيطاليا .

ولا يعني وصف الفن الإيطالي بالمتأغرق أن هذا الفن كان كله ذا طابع متأغرق موحّد الخصائص والصفات ، فقد كان يتأثر هناوهناك بسمات محلية واضحة مثل السمات الصقلية التي تعد أقرب ما تكون الى السمات الأصلية للفن المتأغرق ، ثم السمات الأبولية التي تتميز بوفرة ملامحها الريفية وثرائها مع وضوح التأثير المقدوني فيها ، كما أن هناك سمات خاصة بإقليم سامنيا على البحر الأدرياتي تتميز بالخشونة ، ويكاد فن كامبانيا وإتروريا المتأغرق يحمل السمات نفسها(25) .

انشغلت روما في القرن الخامس قبل الميلاد بالتنظيم الداخلي ودوّنت القوانين ونظمت هيكلها

الدستوري وقواتها المسلحة وعلاقاتها الخارجية وكانت تهتدي بالكثير من إنتاج الاغريق في هذه المجالات .

وفي منتصف القرن الرابع حوالي (355 ق .م) بدأ أول سك للنقود الرومانية تأثراً بالعملة الاغريقية واتخذوا صادر السفينة رمزاً تجارياً لمدينة روما . ودخل البانثيون الإغريقي الى روما وأعاد الرومان تشكيل أنساب آلهتهم وفق الهيكل الإغريقي بعد أن كان مجمع الآلهة الرومانية شكلياً ونفعياً ومخلوطاً بالأرواح القديمة . . ولكنه خسر خصوصيته وهو يتشكل بهذه الطريقة الإغريقية . ونشأت للآلهة الرومانية ، على هذا الأساس ، أساطير مشابهة لنظرائهم الإغريق وكادت الأساطير الرومانية الأصيلة أن تدفن نهائياً . واكتسحت أشكال النحت الإغريقي لهذه الآلهة منحوتات روما الدينية .

وتسربت فلسفة الإغريق الى روما ، لكن روما لم تنتج معماراً فلسفياً شاهقاً كالذي انتجه الاغريق . وكذلك لم تنتج مسرحاً رومانياً عملاقاً يناظر المسرح الاغريقي ، أما الشعراء وكتاب الملاحم مثل فرجيل وأوفيد فقد تأثروا بالشعر والملاحم الإغريقية .

المبحث الرابع
مملكة روما 753 - 508 ق.م

اللاتين:

في بداية الألف الأول قبل الميلاد عبر مهاجرون من فيلانوفا واستقروا في إقليم لاتيوم latium واختلطوا بالسكان المحليين وأصبح سكان هذا الاقليم يسمون (اللاتين) «وتوحي القرائن بأن اللاتين كانوا مزيجاً من أربعة عناصر رئيسية وهي : عنصر مهاجري العصر الحديث ، وعنصر مهاجري أواخر عصر البرونز ، وعنصر مهاجري عصر الحديث الذين كانوا مثل العنصر الثاني يتبعون عادة حرق جثث الموتى ، وعنصر مهاجري عصر الحديد الذين قدموا من المناطق المجاورة في جبال الأبنين وكانوا مثل العنصر الأول يدفنون موتاهم»(26) .

وبدأت القرى الزراعية بالظهور بين نهر التيبر وخليج نابولي وكانت الحياة فيها بسيطة ريفية .

وفي أواخر القرن السابع قبل الميلاد شهد إقليم لدتيون تبدلاً جوهرياً عندما قدم اليه الإتروسك فازدهرت صناعة المعادن والسدود وقنوات الصرف وفيه تم اقتباس اللتين الحروف الأبجدية من الإتروسك (الذين كانوا قد اقتبسوا من الإغريق) ، وتحولت قرى لاتيوم الى مدن حصينة محاطة بأسوار من الطين ومزينة بمعابد إتروسكية .

لم يكن اللاتين موحدين بل انقسموا الى شعوب (populus) وكان كلّ شعب يشغل إقليماً (pa-gus) كان مركزه مدينة حصينة(oppidum) وتوحدت بعض المدن في اتحادات دينية لعبادة آلهة اللاتين المشتركة .

كانت أهم مدن اللاتين هي مدينة آلبا لونجا(Alba Longa) التي تتزعم رابطة المدن التي تعبد الإله جوبتر لاتياريس ومن هذه المدينة ستنطلق جماعة لتؤسس مدينة روما المرتقبة .

كان الإتروسك يسيطرون تماماً على القسم الشمالي من لاتيوم (شمال نهر التيبر) وكان اللاتين يسيطرون على القسم الجنوبي منه ، وكان هناك جسر يصل ما بين القسمين أقيم فوق النهر ، ويشرف على هذا الجسر رابية شاهقة تعرب بـ (البلاتينية) وعلى قمتها قلعة مربعة الشكل لحراسة مخاضة الجسر . وكان في جوارها تلال أخرى انتشرت فوقها بعض القرى .

كان الشعب اللاتيني لا يدفن موتاه بل يحرقهم «ويعيش حياة رعوية وينتمي الى مجموعة الشعوب التي استقرت على الهضاب الممتدة من تلال الأبنين نزولاً نحو البحر ، الى الجهة الجنوبية

من نهر التيبر . كانت هذه الشعوب قد تجمعت في قرى منذ وقت قصير ، ويبدو أنها كانت تخضع لسلطة ملك واحد وتعبد إلهاً واحداً ، هو جوبيتر اللاتيني الذي يرتفع معبده على ذروة في المنطقة ، هي قمة جبل ألبانوس الذي يشرف على بحيرتي نامي وألبا . ولدى هذا الشعب ، الذي دعاه الرومان فيما بعد اللاتين القدماء ، حفظت وبواسطة انتقلت التقاليد الدينية والاجتماعية وكذلك لغة المهاجرين الهندو - أوربيين»(27) .

ويمكننا القول أن هذا المجتمع اللاتيني القديم كان مجتمعاً عائلياً عشائرياً تسود فيه سلطة الأب القاسية . «وهكذا يبدو أقدم شكل للمجتمع الروماني في عنصر اللاتيني تتألف الجماعة من عدة عائلات تقسم بينها الأرض التي لم تعد تجزأ بكاملها من جديد . إذ يبقى القسم الأكبر منها مشتركاً يخص المجموع وكل عائلة من ضمن هذا الشعب تملك قطعة أرض يمكن انتقالها بواسطة الارث . . . فهو مجتمع يحتفظ بالكثير من حياة الترحل ولكنه بدأ يرتبط بالأرض»(28) .

تأسيس روما

وضع المؤرخون ، على ضوء الحقائق الآثارية ، عدة سيناريوهات لتأسيس روما فمنهم من رأى أن سوقاً عامة لأهل القرى في المنطقة المواجهة للتلال القريبة من قلعة (البلاتينية) جنوب نهر التيبر كانت تقام فيلتقي فيها الفلاحون اللاتين مع البحار الإتروسك وتتم هناك عمليات شراء وبيع بينهم عن طريق المقايضة . وفي عام 750 عبر أحد أمراء الأتروسك نهر التيبر وقضى على آخر زعيم لاتيني واستولى على قلعة (البلاتينية) ثم جعل قصره وقلعته مركزاً لإدارة شؤون القرى القائمة على التلال الاخرى ، وتأسست مدينة روما على سبعة تلال واختفت مدينة (إلبا لونجا) وأصبحت روما بديلة عنها يحكمها ملك إتروسكي مثل باقي المدن الإتروسكية ، وقد بقيت روما قرنين من الزمن تحت سلطة الملوك الإتروسك لكن سكانها وسكان لاتيوم ظلّوا لاتينيين يتكلمون اللغة اللاتينية (29) .

السيناريو الآخر يعتمد على اللقى الآثارية التي عثر عليها في تلال روما ويقضي بوجود ثلاث جماعات قروية كانو من اللاتين والسابين ويسكنون تلال (بلاتين وإسكولين وكويرينال) ويعيشون في عزلة عن بعضهم لكنهم تجمعوا في رابطة دينية مشتركة وأقاموا حفلاً سنوياً دينياً هو حفل التلال السبعة (Septimontium) الذي شمل سكان التلال السبعة . ومن إتحاد التلال السبعة نشأت مدينة روما .

ويرجّح المؤرخون أن يكون غزاة إتروسك هم الذين فرضوا الوحدة وأنشأوا مدينة روما ذات الأحياء الأربعة (Roma Quadrata) ويؤيدون رأيهم هذا بأن اسم مدينة روما مستمد من كلمة إتروسكية

معناها (نهر) وبأن أسماء الملوك الرومان ونبلائهم مستمدة من أسماء إتروسكية وهناك مقابر إتروسكية محفورة في صخور كل يقع الى وراء تلك بانيكولوس يدعى تل ماريانوس(30) .

لكن هناك أراء تقول أن لا علاقة للإتروسك بنشأة المدينة وتفترض أن العكس هو الصحيح إذ أن الخوف من عدوان الإتروسك هو الذي جعل سكان التلال السبعة يتحدون ويكونوا مدينة حصينة هي (روما) في أعقاب استيلاء الإتروسك على مدينة برانيستي ، غير أن الاتروسك استعمروا روما بعد تأسيسها رغم أن سكانها كانوا أغلبية لاتينية .

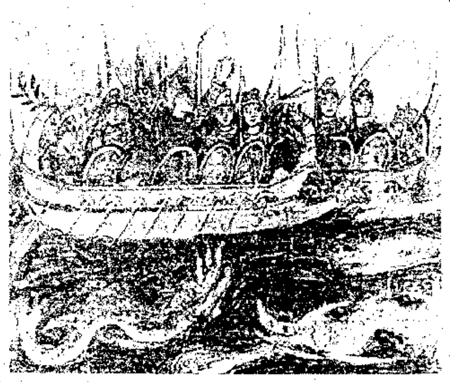
وهكذا نجد هذه السيناريوهات الثلاثة متعارضة حيناً ومتفقة حيناً لكنها تختلف عن السيناريو الاسطوري الرابع الذي كوّنته أخيلة الشعراء وهو اسطورة تأسيس روما .

أسطورة تأسيس روما

إذا عرفنا حقيقة أن أقدم ماكتبه الإغريق عن نشأة روما لا يتعدى القرن الخامس قبل الميلاد وأن أقدم ما كتبه الرومان عن نشأة روما لا يتعدى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، أدركنا تماماً أن أسطورة تأسيس روما ظهرت أولا عند المؤرخ الإغريقي ديونسيوس الهاليكرناسي ثم نقلها عنه المؤرخ الروماني ليفيوس ثم صاغ الأسطورة صياغة ملحمية الشاعر الروماني فيرجيل في (الانياذة) وبذلك تكون هذه القصة الأسطورية عن نشأة المدينة قد عدلت وشكلت عدة مرات ، وإنها في أقصى تاريخ ظهورها عند الإغريق أولا جاءت بعد ثلاثة قرون من تأسيس روما .

إنها اسطورة تتردد فيها أصداء حقائق تاريخية لكنها لا تصف هذه الحقائق بل تشحنها بالخيال والروايات الشعبية عن تأسيس المدنية .

تقول الأسطورة / الملحمة أن البطل الطروادي إينياس بن أنخيس تزوج من كريوزا بنت الملك بريام وأنجب من الإلهة (أفروديت اسطورياً) إين إينياس أو إين (Aeneas, Enee) الذي كان بطلاً عظيماً وشارك في حرب طروادة ضد الإغريق الآميين وبعد سقوط طروادة خرج إينياس منها حاملاً والده على رقبته وفرّ في سفنه هائماً في البحر وعانى الأهوال التي يصفها فرجيل مفصلاً في ملحمة الاينياذة حتى يلتقي بملكة قرطاج ديدو (إليسا) ويعشقها ويكاد يتزوجها ويستقر معها لكن أفروديت تحثّه على مواصلة رحلته لكي يستقر هو ومن معه في شبه الجزيرة الإيطالية ولكن تكون سلالته حاكمة في لاتيوم ومؤسسة لمدينة عظيمة فيما بعد اسمها (روما) .



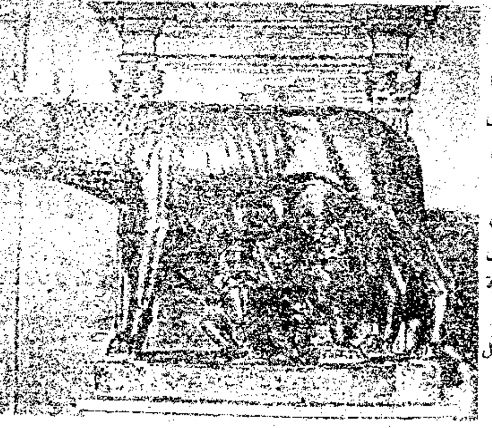
شكل (4) إينياس وهو يرحل عبر البحر. صورة في مخطوطة تعود للقرن الرابع الميلادي تصوره وهو يتجه الى لايتوم.

يرحل إينياس إلى لايتوم ويتزوج هناك من لافينا ابنة ملك لاتيوم شكل (5) ويسيطر أبناء واحفاد إينياس على لاتيوم ويتوجون ملوكاً عليه ويحكمون في عاصمة الإقليم (إلبا لونجا)، وبعد ثمانية أجيال يقوم حفيد إينياس الذي اسمه (نمتور) بالجلوس على العرش لكن أخاه ويدعى (أماليوس) اغتصب العرش منه وأخرجه وقتل جميع أبنائه الذكور وأرغم ابنته الوحيدة (ريا سلفيا) على أن تصبح كاهنة للإلهة ف(ستيا) وأن تترهب وتقسم أن تظلّ عذراء حتى الممات.

وذات يوم ذهبت ريّا الى شاطئ البحر وفتحت صدرها لنسيم البحر ونامت فلمحها إله الحرب مارس) وعشقها وتزوجها وأنجب منها توأمين وحين عرف أماليوس بذلك أمر بإغراقهما في النهر فوضعا فوق رمس وحملتهما الأمواج الى البر وصادفتهما ذئبة اسمها لوباLupa وأرضعتهما فشبا في حمايتهاوقد درج الفنانون الاتروسك على نحت ولدي ريّا روملوس Romulus وريموس Re-mus) وهما يرضعان من أثداء الذئبة لوبا شكل (6) وفي رواية أخرى أن من أرضعهما هي زوجة راع لقبها لوبا أو ذئبة وقد لقبت بهذا اللقب لأن حبها عارم كحب الذئاب.



شكل (5) تمثال من الطين المشوي للفتاة لافينا ابنة لاتيوم زوجة اينياس



شكل (6) الذئبة لوبا وهي ترضع روملوس وريموس، وهو تمثال برونزي في متحف الكابيتول ويعود الى أواخر القرن السادس ق.م وهو عصر الملكية الاتروسكية تمثالا التوأمين أضيفا خلال عصر النهضة).



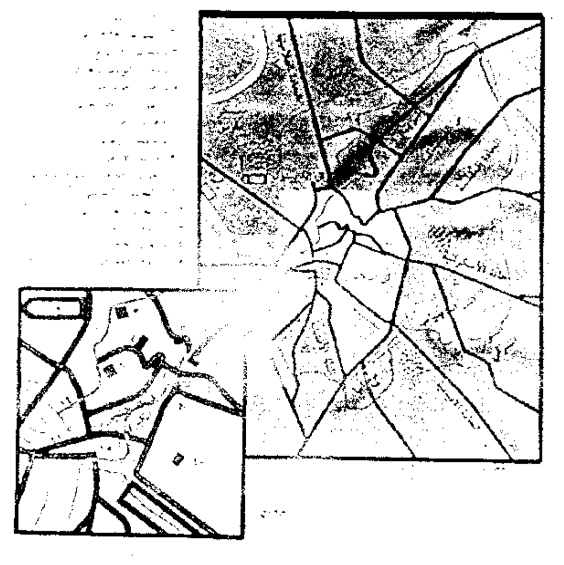
شكل (7) أعمدة معبد رومولوس وريمس وهي جزء من هيكل كاستور وبولوكس في ساحة روما.

وبعد أن شبّ رومولوس وريمس وأصبحا رجلين قتلا أمليوس وأعادا نمتور الى العرش ، ثم قام رومولوس بإنشاء مدينة روما على التلال السبعة وأصبح ملكاً عليها وهو أول ملوك روما وما زالت آثار معبد رومولوس وريموس في ساحة روما شكل (7) . ولا شك أن هذه القصة الأسطورية الطابع تحمل الكثير من عناصر الخيال ولم تؤيد الاثار مضمونها لكن الحقيقة تقول أن اللاتين أرسلوا نفراً منهم ليشيدوا روما وتصبح حصناً يقيهم من الإتروسك الذين كانوا يتوسعون في كل الاتجاهات . أما مسألة قدوم مهاجرين من طروادة الى لاتيوم فإنه احتمال ضعيف لا يقوم على أساس فالزمن بين طروادة وتأسيس روما بعيد .

ويرى المؤرخون أن جعل رومولوس سليلاً لملوك ألبا لونجا ليس إلا صدى لحقيقتين تاريخيتين «إحداهما هي الأهمية الباكرة التي تمتعت بها ألبا لونجا في لاتيوم ، والحقيقة الأخرى هي أن أكثرية سكان لاتيوم من اللاتين ، ثم أن قصة تزاوج مستعمرة روما مع السابيني من سكان تل كو يرينااليس تشير الى حقيقة تاريخية أخرى وهي قدوم مهاجرين من المنطقة الوسطى بجبال الأبنين وتزاوجهم مع اللاتين»(31).

وقد قدّس الرومان هذين الت... الت تتضح منه أعمدة ثلاثة ويقع داخل حدود أولى قرى البلاتين ثم أعيد ... يلاد وفي القرن الأول الميلادي ، ويمكن أن يكون قد بني قبل ظهور هذين التوأمين ... شكل 6) .

وقد شيدت روما على تلال سبعة وثلاث روابٍ ، فقد تم أولاً الاستيطان على تلي البلاتين وهما (كيرينال واسكيلين) . وكان آخر التلال المستوطنة هما كابيتولين وآفنتين خارطة (4) وقد أخذت تنشأ المدينة الموحدة لروما عندما اتحدت القرى الواقعة على بعض هذه التلال في أوائل القرن السابع ق.م . وقد شيد أول سور حول المدينة حسب الرواية التقليدية من القرن السادس الذي كان فترة نشاط عمراني عظيم في عهد الملوك الإتروسكيني . وتعود شبكة الكبرى وهي جهاز معقد للمجاري ... جوبتير الكابيتولاني الى هذه الحقبة المبكرة أيضا(32) .



... وتلالها السبعة

ملوك روما:

تذكر المرويات التاريخية أن روما حكمها سبعة ملوك حتى قيام النظام الجمهوري فيها وهم :

1 . روميولوس Romulus وربما شاركه السابيني تيتوس تاتيوس .
2 . نوما بومبليوس Numa pampilius .
3 . تولوس هوستيليوس Tullus Hostillius .
4 . أنكوس ماركيوس Ancus Marcius .
5 . لوكيوس تاركوينوس برسكوس)(Lucius Tatquinius (priscus .
6 . سرفيوس تولوس Servius Tullius .
7 . لوكيوس تاركوينوس سوبربوس)(Lucius Tarquinius (Superbus .

ربما كان روملوس شخصية اسطورية وضعت لتفسير تأسيس المدينة واسمها وكذلك الذي شاركه الحكم (تيتوس) لتفسير حصة السبنيين في تأسيس روما وحجم قبيلة تيتيس (Tities) في روما . ويبدو أن معركة حصلت بين روملوس وملك السبنيين تيتوس انتهت بمشاركة الاخير حكم روما مع روملوس . وتروي الروايات ان روملوس رفع الى السماء في عاصفة واتخذ منه الرومان إلهاً محلياً ، وكان لقب الملك بالرومانية هو ريكس Rex .

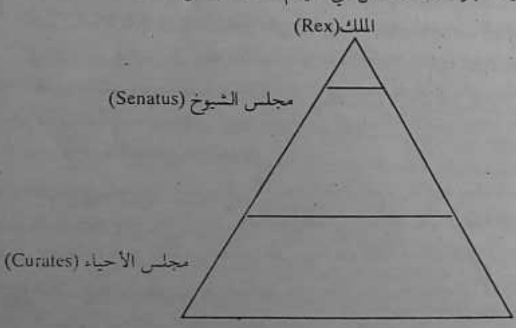
ويمكننا القول أن الملوك الأربعة الأوائل كانوا من أصل لاتيني لكن الملك الخامس هو من أصل توسكاني اغتصب العرش وجعل لقب الملك هو (تاركون) ويرجّح الباحثون أن الملوك الستة بعد روملوس هم شخصيات تاريخية ولكن هناك اختلافات كبيرة في أصلهم وأحداثهم وطبيعة ملكهم .

الراجح لدينا أن الملكين الخامس والسابع هما من الإتروسك ولذلك سميا لوكيوس تاركوينوس ، ومعنى اسم الأول برسكوس هو (القديم) وهو ملك جاء من مدينة تاركويني في إقليم إتروريا ويبدو أنه حارب السبنيين وانتصر عليهم وأخضع لاتيوم لسلطانة ونشّط الحياة التجارية والمالية ويبدو أن أشراف روما قتلوه ونصّبوا بعده ملكاً من روما هو سرفيوس توليوس الذي يدلّ اسمه على أصله اللاتيني لكن الإتروسك عادوا فاستولوا على السلطة وحكم روما ملك توسكاني هو (سوبربوس) أي المتكبر) وكان مستبداً وظالماً أصبحت الملكية في عهده حكماً مطلقاً وقد أوغل في تحقير الرومان وأدخلهم في حرب مع أقوام مجاورة وبينما كان هو مع الجيش في الميدان اجتمع مجلس الشيوخ في روما وأعلن خلعه عام 508 ق .م وكان ذلك انقلابا خطيراً في تاريخ روما ونهاية للملكية وبداية عصر الجمهورية كما سنرى .

ولعله لم يكن من باب الصدفة أنه في الوقت الذي ثارت فيه روما على ملكها الإتروسكي وأطاحت بالنظام الملكي الفاسد ، ثارت أيضا ثلاث من مدن لاتيوم اللاتينية (أنتيوم وأريكيا وتوسكولوم) ضد ملوكها الإتروسكيين ومن ثم فإنه يمكن اعتبار طرد الملك الإتروسكي من روما إحدى الحلقات الرئيسية في انهيار السيادة الإتروسكية في لاتيوم(33) .

كان النظام السياسي في العهد الملكي هرميا يتكون من ثلاثة يقف الملك على أعلاها ثم يأتي مجلس الشيوخ ثم مجلس الأحياء .

1 . الملك Rex : كانت بيده السلطات السياسية والقضائية والعسكرية لكن الصفة الدينية هي الغالبة حيث يقوم الملك بتقديم الأضاحي الى الآلهة ويضع التقويم السنوي والأعياد وكان يلبس التاج الذهبي ويقيم في قصر قرب المعبد . ولم يكن حكمه وراثيا بل ينتخب من قبل مجلس الشيوخ وكان يساعد الملك في حكمه هيئتان هما هيئة كبار الكهنة لتفسير الشرائع واستطلاع رغبات الآلهة وهيئة كبار القضاة للفصل في جرائم الخيانة والقتل العمد .



2 . مجلس الشيوخ (سناتو) (Senatus) : يتكون من 100 شخص من طبقة الأشراف التي تسمى طبقة الآباء (الباتري) وهم ارستقراطية روما من كبار أصحاب الأراضي وكانت سيادة هذه الطبقة اقتصادية لاعتماد صغار الملاك عليهم اجتماعيا واقتصادياً وكانت لمجلس الشيوخ سلطة واسعة في نهاية العصر الملكي لدرجة أنه استطاع خلع آخر الملوك سوبربس المتكبر) .

3 . مجلس الأحياء (كيوراتيس) (Curetes) : وهو الذي يمثل العامة pelbes الذين يمثلون أحياء روما . وكان يصادق على قرارات مجلس الشيوخ .

المبحث الخامس

الجمهورية الرومانية 508-27 ق.م

أولاً: توحيد إيطاليا بزعامة روما(805-265 ق.م

تنقسم هذه المرحلة الاولى من حياة جمهورية روما التي استطاعت توحيد ايطاليا والتبوُّء بزعامتها الى أربعة مراحل ثانوية يمكننا إدراجها كما يلي :

1 - **حروب روما مع الأقاليم التي حولها (الإتروسك، السابين، الايكوي، الفولسكي):** خاضت روما سلسلة من المعارك والحروب مع جيرانها إما لوحدها أو مع حلف ثلاثي كانت فيه ، فقد حاول الاتروسك إعادة الملك الطريد سوبربوس فما كان من ملك الاتروسك إلا اعادة الهجوم والسيطرة على روما . وكان هناك عصبة تضم المدن اللاتينية عدا روما حيث قامت هذه العصبة عام 505 ق .م بالهجوم على الاتروسك واجبارهم على الرحيل من إقليم لاتيوم عدا فيدناي . وبعد توتر بين روما والعصبة اللاتينية أصبحت روما عضواً في العصبة اللاتينية بعد معاهدة كاسيوس بينهما عام 493 ق .م ثم انضمت قبائل الهرنيكي لهما عام 486 ق .م وهكذا تشكل حلف ثلاثي قوي يتكون من العصبة اللاتينية وروما والهرنيكي وخاض هذا الحلف حروباً أربعة مع جيرانهم هي :

الحرب مع السابين : كان موطن السابين شمال شرقي لاتيوم ، وقد استطاع الرومان كسب ود زعيمهم أتيوس كلاوسوس واعطوه أرضاً في روما وحقوق المواطنة الرومانية وعضواً في طبقة البطارقة ، لكن السابين هجموا على روما عام 460 ق .م وفشلوا في ذلك لأكثر من مرة .

الحرب مع الفولسكي : كان موطنهم يقع جنوب لاتيوم ، واحتلوا الجزء الجنوبي الساحلي من سهل لاتيوم لكن الحلف طردهم بعد طرد الأيكوي .

الحرب مع الإتروسك : حاول الرومان استعادة مدينة فيدناي لكنهم هزموا وبعد نصف قرن فعلوا ذلك ثم قاموا ما بين 405-396 ق .م بالهجوم على عاصمة الإتروسك (فياي) وحاصروها حصاراً يشبه حصار طراودة ثم استولوا عليها وقتلوا أهلها وباعوا من تبقى وكان نصراً كبيراً لروما على الإتروسك .

2- **حروب روما مع الغال** : زحفت قبائل الكلت النازلين من فرنسا وهم الذين أطلق عليهم الرومان اسم الغال) وعبروا جبال الألب الى ايطاليا بداية القرن الرابع قبل الميلاد واستقروا في وادي البو وأنهوا سيطرة الأتروسك وأطلق الرومان على الإقليم الشمالي في ايطاليا اسم غاليا

كسالبينا (gallia Cisalpina) أي بلاد الغال هذه الناحية من (الألب) وهو الإسم الرسمي الذي ظل هذا الإقليم يعرف به حتى نهاية عصر الجمهورية .

وكان الغال مقاتلون أشداء ولكنهم بدائيون ويفتقرون الى التنظيم والمطاولة . وفي عام 390 ق.م عبرت الأبنين جماعة من غزاة الغال وحاصروا المدينة الاتروسكية كلوسيوم التي سارعت لطلب النجدة من روما التي طلبت منهم الإنسحاب لكنهم زحفوا الى روما والتقى الجيشان وانتصر الغال في معركة (أليا) ودخلوا روما وسلبوها ثم انسحبوا منها بعد فدية كبيرة من الذهب . فما كان من الرومان الا تسوير مدينتهم بسور قوي وزيادة مقاتليهم .

وفي عام 360 ق .م غزا الغال لاتيوم وتحصن الرومان في مدينتهم فانسحب الغال وفي عام 331ق .م عقدت قبيلة السنونس الغالية التي كانت تنزع إغارات الغال الماضية على شبه الجزيرة معاهدة صلح مع روما وبدأت فترة من السلام بين الغال وروما دامت حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد .

3 . **سيطرة روما على أواسط شبه الجزيرة الايطالية : كانت هزيمة روما أمام الغال في** معركة أليا سبباً لعودة روما الى بداية الأمور حيث ثارت الأقاليم الحلف الثلاثي وثورة أعضائه على روما ثم حروب روما مع الأقاليم بشراسة وتنقسم هذه المرحلة الى عدة مراحل ثانوية

الإتروسك : حاول الاتروسك تحرير عاصمتهم (فياي) من سيطرة الرومان لكن الرومان هزموهم ووزعوا أراضي جنوب إتروريا على فقراء مواطنيهم وكونوا من هؤلاء أربع قبائل ريفية وأنشأوا في الجزء الباقي من هذه المنطقة مستعمرتين لاتينيتين ، ثم هزم الإتروسك عام 351 ق .م وقبلوا الصلح لمدة أربعين عاماً .

الأيكوي والفولسكي : ناصب الأيكوي العداء لروما وتحدي الهرنيكي روما فهاجمتهم روما عام 380 ق .م وأخضعتهم ، ثم أغار الفولسكي على روما فأخضعهم الرومان مرتين الأولى في 358 ق .م والثانية في 338 ق .م عندما سقطت مدينتهم الرئيسية انتيوم .

مدن لاتيوم وكمبانيا : إذا كانت أكثر المدن اللاتينية قد ظلت وفية لتحالفها مع روما في خلال الصراع الذي مرّ بنا ذكره ، فانه قد حدث في عام 340 ق .م أن يحل المدن اللاتينية أعضاء الحلف قامت في وجه روما قومة رجل واحد لأنها رأت من الشواهد ما يشير إلى أن تحالفها مع روما سيؤدي حتما الى سيطرة روما عليها(34) .

حددت معاهدة الحلف الثلاثي كاسيوس عام 358 ق .م وصار الرومان هم قادة هذا الحلف وظهرت إشارات تدلّ على ذلك بقوة من خلال هزيمة روما للفولسكي والانفراد بغنائمها وعقدهم لاتفاق مع

السمنيين أشعر اللاتين بأنهم أصبحوا محاصرين من قبل روما والسمنيين وعقد روما لمعاهدة مع قرطاج بعدم الاعتداء .

كل هذا دفع المدن اللاتينية للتحالف مع مدن كمبانيا الشمالية وطلبت الى الرومان ان يعاملوها على قدم المساواة وفقا لنصوص كاسيوس الأولى وعندما رفض الرومان ذلك نشبت (حروب اللاتين الكبرى) التي دامت ثلاث سنوات دمر الرومان قوات المدن اللاتينية (340-338) ق .م .

ثم اتجه الرومان الى مدن كمبانيا التي ساندت المدن اللاتينية واحتلوها ومنحوا سكانها حقوق المواطنة الرومانية مع سماحها لهم بالاحتفاظ باستقلالهم المحلي ودساتيرهم وهكذا امتدت الدولة الرومانية حتى خليج نابولي .

الحروب السمنية : كان السمنيون يسكنون في جبال الأبنين لكنّ أقواماً منهم انحدرت نحو جنوب ايطاليا وغزت مدنها وهم السابليون لكنهم لم يقيموا دولة كبيرة موحدة بل قامت قوى صغيرة منفصلة . وشكّل السمنيون والسابليون معاً تحدياً كبيراً لروما فخاضت معهم حربين .

الحرب السمنية الأولى (326-304) ق .م : دخل السمنيون حرباً ضد المدينة الإغريقية في ايطاليا تارنتم) . وكانت روما قد تحالفت مع تارنتم وهكذا وقفت روما وتارنتم صفاً واحداً ضد السمنيين واقتحم الرومان أولاً الحامية السمنية في نابولي وطردوهم منها ولكن الرومان حاولوا تطويق السمنيين عن طريق أبوليا لكن السمنيين 321 ق .م وفي عام 315 نقض الرومان صلح قاوديوم مع السمنيين واستأنفوا الهجوم عليهم عن طريق أبوليا وخسروا أولاً ثم ربحوا واستولوا على مدن وقلاع جديدة .

وفي عام 311 ق .م انتهى زمن الصلح بين الرومان ومدينتي فالريي وتاركويني الاتروسكيتين ، فقام السمنيون بتحريضهم ثم حرضّوا الهرنيكي والأيكوي لكن الرومان تصدوا لهؤلاء ثم ضغطوا على السمنيين فطلب هؤلاء الصلح عام 304 ق .م

الحرب السمنية الثانية (298-290) ق .م : انقسمت لوكانيا الى قسمين وقف أحدهم مع السمنيين والآخر مع الرومان وأرسل السمنيون قوة الى لوكانيا فقام الرومان بطردهم عام 298ق .م وبدأت الحرب السمنية الثانية ونشبت حرب كبيرة مع السمنيين خسروها أمام روما وخسر معهم التوسكان الذين حالفوهم .

وكان الغال (السنونس) قد غزوا إتروريا فتصدى الرومان لهم ودمروا بعضا من إقليم الغال ثم قامت قبيلة (البويي) الغالية بمهاجمة روما مع قوات إتروسكية عدة مرات لكنهم فشلوا وطلبوا الصلح وكذلك الإتروسك الذين سلموا عام 280 ق .م

بذلك أصبح الرومان القوة الرئيسية في شمال ووسط إيطاليا .

4 . **سيطرة روما على جنوب شبه الجزيرة الايطالية** : دأبت الأقاليم الجنوبية في شبه الجزيرة الإيطالية على الاعتداء على المدن الإغريقية هناك وانبرت تارنتم للرد على هذه الأقاليم ولكنها كانت تستنجد مرة بملك إسبارطة 338 ق .م و (330ق .م) ومرة بملك ابيروس (334 ق .م) ومرة بسراقوسة (298 ق .م) .

وعندما طلبت مدن إغريقية أخرى مثل(ثوريي ورجيوم ولوكري) النجدة من الرومان ضد هذه الأقاليم غضبت تارنتم فنشبت حرب بين تارنتم وروما واستنجدت تارنتم بملك (أبروس بوروس) الذي كان يملك جيشاً قوياً فاستجاب لطلبهم واصدم هذ الجيش بجيش روما عام 280 ق .م عند هرقليا على شاطئ خليج تارنتم وانتصر بوروس بنصر فادح الثمن مرتين على روما ، ورفضت روما عقد الصلح مع ابيروس التي كانت تحت سيطرة (قرطاج) ونشبت الحرب بين بوروس وقرطاج في صقلية وأرغمهم على التخلي عن كل ممتلكاتهم في صقلية ما عدا ليلوبايوم وأخذ بوروس يتأهب لنقل الصراع الى أفريقيا ، لكن القرطاجيين عقدوا صلحاً مع إغريق صقلية فاضطر للرجوع الى إغريق جنوب ايطاليا .

اصطدم جيش بوروس بالجيش الروماني هناك فاضطر إلى العودة إلى أبيروس ليحاول من هناك الاستيلاء على مقدونيا لكنه قتل في بلاد الإغريق . وهكذا وجد الرومان في عام 272 ق .م أنفسهم يُخضعون أقاليم الجنوب اللوكاني والبروتيي والسمنيين وحلفائهم من القبائل السابلية واستولوا على جانب كبير من أقاليمهم وأقاموا فيها عدداً من المستعمرات أهمها عند بايستوم على شاطئ لوكانيا وإيسرنيا وبنفنتوم في قلب سامنيوم ، وارمينوم على شاطئ الأدرياتي في الشمال . ولم يواف عام 265 ق .م حتى كانت شبه الجزيرة الإيطالية بأجمعها تعترف بسيادة الرومان(35) .

صحيح أنه لم تتكون دولة واحدة تحت ظل الرومان ولكن الدولة الرومانية Ager Romanus اتسع إقليمها وكوّنت إتحاداً عسكرياً أصبحت الدولة الرومانية سيدته وحنيفة إتصال أعضائه .

لم يكن حلفاء روما أعضاء حلفها (العسكري) من مواطني روما وإنما كانوا حلفاء أجانب تربط كلاً منهم بروما معاهدة تحالف خاصة وينقسمون الى قسمين : الأول هو الحلفاء اللاتين الذين يتمتعون بالحصول على الحقوق الرومانية كاملة والثاني هم الحلفاء الايطاليون الذين كانوا يتألفون من المجتمعات الايطالية والاغريقية والألورية والاتروسكية ولهم بعض الحقوق الرومانية وعليهم واجبات كثيرة .

كذلك أصبح يطلق ، من الآن ، على سكان شبه الجزيرة الايطالية تسمية ويستطيع كل منهم ايقاف ما لا يروق له من تصرفات زميله بحق الاعتراض وقد أطلقوا عليهما أولا اسم الرئيسين برايتورس (praetores) ثم الزميلين القنصلين (Counsules) . وهكذا أصبح القنصل القنصلان) في النظام الجمهوري بدل الملك الواحد في النظام الملكي . ونستطيع أن نسمي القرن الرابع ق .م في روما بقرن القوانين والتشريعات وحصول العامة على حقوقهم باتجاه الديمقراطية الجمهورية حيث أصبح

للعامة مجلسان هما مجلس العامة ومجلس قبائل الشعب) وظهرت قوانين ليتيوس الشعبية ثم قوانين ليكينيا الذي خفف من القوانين الدينية وقانون بيليا الذي قضى على حق مجلس الشيوخ بالرفض وقانون بائتيليا وفاليريا وأوجيليا . .

وظهرت الإصلاحات العسكرية وإنشاء جمعية المئينات (سنتوريا) وظهرت وظائف جديدة للحكام الرومان مثل التراينة والقنسروس والكوايستورس (القضاء) والإيديليس رابنة (العامة) مما لا يسعنا ذكره هنا ، وقد ساهمت هذه التبدلات الاجتماعية والسياسية في نضج الرومان وقوتهم .

ثانيا: روما تسيطر على البحر المتوسط 264-133) ق.م

خرجت روما في هذه المرحلة من إيطاليا وفتحت أعينها على الدول المطلة على البحر المتوسط وعلى جزره فاستولت على أغلبها وحولتها الى ولايات تابعة لها ، ويمكننا تقسيم هذه المرحلة الى مجموعة من الحروب التي خاضتها روما مع ابرز الدول التي كانت تطل على البحر المتوسط وانتصرت فيها جميعا في نهاية الأمر .

1. الحروب البونية (264-146) ق.م

أ. الحرب البونية الأولى (264-231) ق.م

كان السبب الرئيسي لهذه الحرب هو محاولة السيطرة على جزيرة صقلية ، أما السبب الثانوي فهو طموح روما لبسط نفوذها على جزيرة سردينيا ، وكان السبب المباشر الذي أشعل فتيل الحرب هو قيام مرتزقة طليان بدخول مسينا في صقلية) ، والاستيلاء عليها ، فقام حاكم سيركوز والقرطاجيون لانهاء هذا الوضع الشاذ ، فاستنجد المرتزقة بروما التي هبت لنجدتهم وبدأت الحرب .

وعندما خذل حاكم سيراكوز قرطاجة ، انسحب القرطاجيون الى البحر واستعدوا لخوض معركة بحرية مع الاسطول الروماني الفتي فتغلب عليهم الرومان اولاً ثم تغلب القرطاجيون ، وفكر الرومان بنقل الحرب الى أرض افريقيا فأنزلوا قواتهم شرق عنابة في تونس واستعد القرطاجيون بقيادة هملكار (برقة) لمقاومة حصار روما لقرطاج العاصمة ونجحوا في ذلك ، بل وهزموا الرومان وأسروا قائدهم . لكن الرومان أعادوا الكرّة فغزوا الساحل القرطاجي ولكنهم فشلوا ايضا .

انتهت الحرب البونية الأولى بمعركة كبيرة في صقلية عام 241 ق.م انتصر فيها الرومان واضطرت قرطاج لعقد اتفاقية سلام مع روما تقضي بجلاء قرطاج نهائياً من صقلية ودفع غرامة مالية كبيرة على

مدى 20 عاما . وهكذا ضعفت قرطاج وخرج الحلفاء الليبيون على جيش هملكار فحاربهم لثلاث سنوات كانت روما خلالها قد بسطت نفوذها الكامل على جزيرتي سردينيا وكورسيكا .

ب. الحرب البونية الثانية (218-202) ق.م

حاولت قرطاج أن تعوض ما فقدته من نفوذ وخسائر في الحرب البونية الأولى فشددت على بناء قوتها الداخلية ووسعت نفوذها باتجاه شبه جزيرة أيبيريا (اسبانيا) حيث قام هملكار برقة بقيادة هذا المشروع ثم أكمله زوج ابنته (هسدروبال) ، الذي بنى مدينة قرطاجنة قرطاجة (الجديدة) على ساحل اسبانيا المتوسطي .

وبدأت الحرب البونية الثانية مع تولي (هانيبال) ابن هملكار برقة حكم دولة قرطاج فقرر الانطلاق من اسبانيا لمحاربة روما وبدأ بحصار مدينة ساجنتوم الموالية لروما فاعلنت روما الحرب عليه وكان هو قد خطط لتسلق اوروبا كلها ثم النزول على ايطاليا من أعلاها وهو ما لم يخطر ببال الرومان الذين توقعوا الحرب في صقلية ، أو على السواحل الافريقية .

ترك هانيبال أخاه (هسدروبال) في اسبانيا ليكون ظهيراً له يرسل الامدادات له بانتظام ، وخرج هانيبال من اسبانيا بجيش جرار تتقدمه الفيلة فهزم أولا قبائل أيبيريا عام (218 ق .م ث) عبر جبال البرانس ثم عبر جبال الالب (12 الف قدم فوق سطح البحر) . ثم عبر مضيق الرون ثم عاد فعبر السلاسل المتبقية من جبال الالب وقمم فيزو وخاض معركة بلاسنتيا (218 ق .م) مع القبائل الغالية والكلتية ، بعدها نزل الى حوض نهر البو ، حيث كان الرومان بانتظاره .

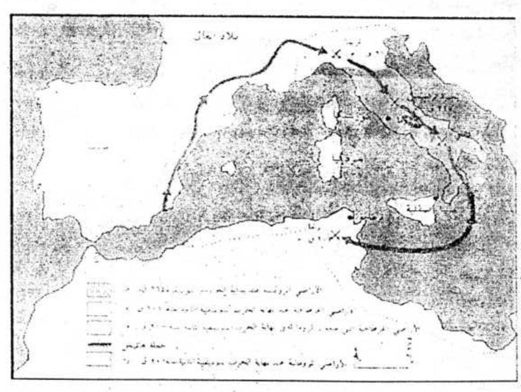
وفي ايطاليا خاض هانيبال ثلاث معارك كبيرة هي (تريبيا ، ترازيمين ، كاناي) انتصر فيها انتصاراً ساحقاً على الرومان وكان مهيئاً لحصار روما ودخولها ، ولكنه لم يكن يملك إدوات الحصار المناسبة ، فقامت روما بتشتيت قوة هانيبال بحصارها للمدن البعيدة في ايطاليا مثل (سيراكوز ، كابوا ، تارينتوم). ، ثم قاد سقيبو الافريقي الجيش الروماني ليهزم هيسدروبال في معركتين متتاليتين (قرطاجنة ، ميتاروس) وليقطع الامدادات نهائياً عن هانيبال .

وإزاء ذلك وبسبب طول الزمن الذي قضاه هانيبال في روما (15 سنة) طلب أهل قرطاجة من هانيبال العودة لبلاده فعاد ، لكن سقيبو الافريقي لم يقتنع بذلك فوجه الجيش الروماني نحو قرطاج وخاض مع جيش هانيبال المعركة الفاصلة في (زاما) فمني هانيبال بهزيمة واضحة فرّ على اثرها الى الشرق ، إذ تعاون أولاً مع السلوقيين ضد روما من دون جدوى ، ثم مع ملك ليديا ضد الرومان من دون جدوى . . فلم يجد مفراً من الانتحار .

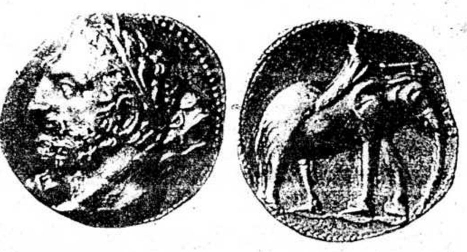
جـ. الحرب البونية الثالثة (149-146) ق.م

رغم الخسارة الكبيرة التي خسرتها قرطاج في الحرب الثانية نلاحظ أنها حاولت عن طريق بناء اقتصادها اعادة العافية لمدنها المحيطة بالعاصمة قرطاج عند الساحل الافريقي . واستطاعت ذلك خلال ما يقرب من عشرين عاماً ، وهو ما أفقد صواب روما التي رفعت شعار (يجب محو قرطاج من الوجود) على اثر زيادة (كاتو) لقرطاج للفصل في منازعتها مع نوميديا فهاله من رآه من حياة نشطة وأخشاب مكدّسة عند الموانئ فأدعى ان قرطاج ستبني أسطولاً بحرياً جديداً ، وكان الملك نوميديا ماسينيا قد أشعل فتيل الآزمة عندما دخل طرابلس التابعة لقرطاج وهو يلاحق ثائراً ضده من دون أن يستأذن من قرطاج أوروبا ، ومع ذلك جاء اللوم على قرطاج من قبل روما ، ثم طلبت روما أن يرحل القرطاجيون عن العاصمة مسافة عشرة أميال حتى يتسنى للرومان تدمير المدينة كلها .

فأدرك القرطاجيون أن روما تريد إبادتهم فأغلقوا أبواب مدينتهم واستعدوا للحصاروالحرب وقاوموا حصار الرومان ببسألة ثلاث سنوات متصلة شعر الرومان خلالها بالفشل ، فعينوا قائداً جديداً لقواتهم هو اميليانوس) وطلبوا منه اقتحام قرطاج بأي ثمن ، وتمكن من ذلك عام 146 ثم قام بتدميرها وإحراقها وباع سكانها كرقيق وزرع أرضها بالملح ثم وزّعت أرضها على الفلاحين الرومان ، وحولت روما إقليم قرطاج الى ولاية جديدة هي افريقيا) جعلت (أوتيكا) مقر حاكمها وتبعتها للحكم الروماني .



خارطة (5) روما في الحروب البونية



شكل (8) قطعة نقدية توضح صورة هانيبال على أحد وجهيها اماالوجه الآخر فيحمل صورة فيل أفريقي رافقه في حملته ضد روما .

2. الحرب الإلورية (229-219) ق.م

وحّد الملك أجرون القبائل شبه المتبربرة التي كانت تعيش في أرجاء إلوريا Illyria (على وجه التقريب) تحت حكمه وجعل القرصنة البحرية المورد الرئيسي لمملكـ... معترونيا في حروبها ضد أبيروس (ألبانيا) وعصبتي اتيولوليا وآخيا وتبعته في هذ... في ذلك بعد وفاته وطال نشاطها سواحل ايطاليا الجنوبية فأرسلت ايطاليا طلباً للتعويض لكن إلوريا رفضت وأهانت الوفد الروماني فردت روما بقوة وتنازلت إلوريا عن الكثير من نفوذها . وأقامت علاقات قوية مع عصبتي إيتوليا وآخايا (عدوتا إلوريا ومقدونيا) .

عندما اغتصب انتيجونس دوسون العرش في مقدونيا استغل فرصة المنازعات التي كانت تقطع أوصال بلاد الإغريق وأعاد بسط سيادة مقدونيا على بلادهم . ولما تولى بعده فيليب الخامس العرش قام ببسط سيادته على بلاد الاغريق بعد نشوب حرب الحلفاء) وأخذ يعدّ العدّة لطرد روما من إلوريا .

3. الحروب المقدونية (212-148) ق.م

أ . الحرب المقدونية الأولى (212-206 ق.م.) : كانت مقدونيا تودّ السيطرة على بلاد اليونان الوسطى والجنوبية لكنها لم تسيطر الا على تساليا شمال بلاد اليونان بسبب مقاومة عصبتي إيتوليا وآخيا واسبرطة لأطماعها والتي كان البطالمة يمدونها ليحولوا دون ذلك ، لكن عصبة آخيا انحازت الى جانب مقدونيا فانزلت مقدونيا هزيمة ساحقة بأسبرطة عام 222 ق.م وكوّنت من أغلب بلاد الإغريق الوسطى والبلوبونيز عصبة بزعامتها وورث فيليب الخامس هذه الأوضاع وحافظ عليها .

بدأت الحرب بين روما ومقدونيا عندما قام فيليب الخامس بمناورة تهدف الى التدخل إلى جانب القرطاجيين لكن روما حالت دون وصول مساعداته إلى هنيبال ثم أن فيليب آوى ديميتروس الإليري اليه . فزاد عداء روما له فنشبت الحرب المقدونية الأولى بين مقدونيا وإيتوليا فوقف الرومان وبرجام مع إيتوليا لكن فيليب الخامس انتصر على ايتوليا ، وعقد هدنة مع الرومان سنة 205 ق .م . عرفت بمعاهدة (فونيكي) .

ب- الحرب المقدونية الثانية (200-196 ق .م) : بعد انتصار روما على هانيبال في معركة زاما ، قررالسناتو الروماني إعلان الحرب على فيليب بحجة اعتدائه دون مبرر على برجام حليفة روما وسلّموه إنذاراً نهائياً بدفع التعويضات وعدم الاعتداء . وفي أواخر عام 200 ق .م نزل الجيش الروماني في ألوريا وقاتلوا الجيش المقدوني هناك ثم استؤنف القتال في عام 197 في تساليا حيث أنهزم فيليب الخامس ففر الى مقدونيا وطلب الصلح وكان من شروط هذا الصلح أن يتمتع إغريق آسيا وأوريا بحريتهم وأن يحكموا وفقا لقوانينهم وينسحب من ألوريا وبحر إيجة وآسيا الصغرى ويسلم سفنه ويدفع لروما تعويضا مالياً .

وبعد سنتين انسحبت روما من المدن الإغريقية التي حررتها من فيليب واكتفت بمعاهدات تحالف معها . ثم قام فيليب الخامس بالتحالف مع روما وقدّم لها مساعدات قيمة في حربها مع السلوقيين والايتوليين .

حـ- الحرب المقدونية الثالثة (171-169 ق.م)

لم يقبض فيليب الخامس من روما ثمن مساعدته لهم فقام بالاستيلاء على مدينتين في تراقيا وإرضاء لروما أرسل ولده الأصغر ديميتروس لكسب ود الرومان وقد نجح في ذلك فأغاظ هذا ولده الأكبر برسيوس الذي دبّر خطة اغتال فيها أخاه فصمم والده على حرمانه من العرش لكن فيليب مات عام 179 ق .م فورثه برسيوس الذي حذا حذو والده في استقلال مقدونيا ونفوذها في بلاد الإغريق وقوّى علاقاته مع سوريا وثبرنيا فعلنت روما الحرب على مقدونيا واستطاعت عام 169 ق .م . طرد برسيوس من تساليا والوصول الى مقدونيا وسلّم برسيوس نفسه أسيراً فأخذ أسيراً الى روما وعقب النصر الروماني لم يعد لمقدونيا وجود بوصف كونها دولة فقد قسمها الرومان إلى أربع جمهوريات تتمتع كل منها باستقلال ذاتي وفرضوا على كل قسم منها الجزية السنوية .

د- الحرب المقدونية الرابعة (149-148 ق.م)

ظهر مغامر إغريقي اسمه أندريسكوس وادّعى أنه ابن برسيوس وجمع حوله قوات في تراقيا وطالب بحق أبيه في العرش واقتحم مقدونيا عام 149 ق .م وأعاد توحيدها ثانية ما أدى لنشوب الحرب المقدونية الرابعة وعندما أرسلت روما ضده جيشاً صغيراً أعدته على عجل هزم أندريسكوس هذا

الجيش هزيمة فادحة واجتاح تساليا ، وفي العالم التالي 148 أرسلت روما ضده جيشاً استطاع ان يهزم اندريسكوس هزيمة ساحقة . وفي أعقاب هذا النصر حوّل الرومان مقدونيا الى ولاية رومانية وتأمينا لهاعقدوا محالفات مع حكام تراقيا وشقوا طرقاً للمواصلات يصل الى بيزنطة . وهكذا انتهت مقدونيا نهائيا .

4. الحرب الآخية 146 ق.م

كان الآخيون قد فقدوا استقلالهم على يد روما وعين الرومان حاكما مواليا لروما على الآخيين هو كاليكراتس الذي سمّاه الآخيون بالخائن ، وبعد أن توفي هذا الخائن عام 150 ق .م انفجر غضب الآخيين وقرروا الانتقام من إسبرطة لأن روما كانت منشغلة بحروبها المقدونية والبونية والإسبانية وكانت اسبرطة قد انفصلت من العصبة الآخية وساعدت روما فاعادوا اسبرطة الى العصبة الآخية لكن روما طلبت حل العصبة الآخيه كلها وتحرير كورنثا وأرجوس واسبرطة منها . واستعدت العصبة في كورنثا لإهانة مبعوثي الرومان ثم اجتاحت العصبة بلاد الإغريق الوسطى عام 146ولم تنتبه لتحذيرات الرومان ، وانضمت للعصبة قوات من بويوتيا ويوبوبا فأوقف جيش روماني من مقدونيا تقدمها وجاء جيش آخر وهزم الآخيين عام 146 هزيمة قاسية . وقرر الرومان معاقبة كورنثة ونقل كنوزها الى روما وتسويتها مع الأرض وتحويل أهلها الى عبيد . ثم وضعوا بلاد الإغريق الوسطى والجنوبية تحت إشراف حاكم ولاية مقدونيا ، وهكذا انحلت عصبات الآخيين والبويوتيين والكوكايين وأخذوا من مدنهم الجزية واسندوا الحكم الى الطبقات الثرية في أغلب المدن وحظروا التعامل بين مختلف المدن وإذا كان السلام قد عمّ بلاد الإغريق على نحو لم تعرفه من قبل ، وكانت لم تنقض بضع سنين ... الحظر على تبادل التجارة بين المدن الإغريقية وأعيد تكوين العصبات على أساس اجتماعي وديني فقط ، فإن استقلال الإغريق وحريتهم ودورهم في السياسة الدولية غدت جميعاً من سمات عهد مضى وانقضى الى غير رجعة(36) .

5. النفوذ الروماني في الدول الهيلنسنية (البطلمية والسلوقية وبرجام)

البطالمة : ظهر نفوذ روما في دولة البطالمة منذ تولى الطفل بطليموس الخامس الحكم بعد أبيه وقررت أن تساهم بشكل أو بآخر في وصايته ثم عندما كبر . وظهرت بوضوح شديد مع حكم بطليموس الثامن يورجيتس الثاني) منذ نزاعاته مع أخيه بطليموس السادس وهيأت له فرصة مقاسمته العرش وحكم برقة ثم حكم مصر وحمته من الثورة الداخلية وآوته في قبرص وأعادته الى مصر وهكذا

كان الملك مدينا لها بكل شيء وكان يطيع أوامرها تماماً . وكانت روما تعتمد على القمح المصري في غذائها آنذاك وتريد تأمينه .

السلوقيون : عندما قام انطيوخس الثالث بكسب الحرب السورية الخامسة أمام البطالمة استعد لاسترداد ممتلكات دولته في آسيا الصغرى فحذرته روما من ذلك ، لكن انطيوخس الثالث تحالف مع ملك برجام واسترد في 213 ق .م . معظم الممتلكات السورية في آسيا الصغرى ، ثم قام بغزو آسيا الصغرى وبلاد اليونان فقامت روما بالرد عليه بشدة في معارك متصلة امتدت من (190-188 ق .م) منها معركة مينيوس البحرية ثم معركة ترمبولي البرية ثم معركة مغنيسيا التي قهر فيها سقيبو الافريقي قاهر (هانيبال) جيش انطيوخس بمساعدة من ملك برجام وعقدت بين السلوقيين وروما معاهدة (أباميا) عام 188 ق .م التي نصت على تخلي انطيوخس الثالث عن جميع المدن في أوربا وآسيا الصغرى ودفع مبالغ هائلة وتسليم أفياله وسفنه الحربية وولده (هانيبال الذي كان مختبئا عنده) .

ويتضح تأثير روما على الدولة السلوقية حين قام أنطيوخس الرابع بغزو مصر البطالمة ونشوب الحرب السورية السادسة حيث استنجد فيلومتر بروما واجبرت روما انطيوخس الرابع على الإنسحاب من مصر لأنها لم تكن تسمح للسلوقيين بالاتساع بحيث تضم دولتهم مصر لأن في ذلك تهديد مباشر لها . وكانت روما تأوى لها كل معارضي الدولة السلوقية والمطالبين بالعرش لزعزعة استقرار السلوقيين .

برجام : حاربت روما يومنس الثاني ملك برجام لوقوفه بوجه مصالحها وعندما توفي عام 159 ق .م آل العرش الى صديق روما أتالوس الثاني وكان هذا يدرك قوة روما ولذلك أوصى قبل وفاته عام 133 ق .م أن تؤول مملكته الى الشعب الروماني بعد وفاته على أن تعفى من الجزية ، لكن مطالباً بالعرش اسمه (أرستونيكوس) استطاع جمع قوات له ووقف بوجه روما واستطاع ان يهزم ويعدم القنصل الروماني ، لكنه في العام التالي 130 ق .م أسر وفي عام 129 تحولت برجام الى ولاية رومانية جديدة باسم ولاية آسيا ، وبضم مملكة برجام أصبحت روما تسيطر على شواطئ إيجة الشرقية والغربية وفي مركز يسمح لها بالتغلغل الى أبعد من ذلك .

7. الحروب الغالية (225-119) ق.م

أ. حرب روما والغال شمال ايطاليا (225-222) ق.م

تحالف أربع قبائل غالية بقيادة قبيلتي الأنسوبرس والبوبي وضمت الى الحلف المغترين النازلين في بلاد الغال عبر الألب غاليا ترانس (ألبينا) وزحفوا عام 225 ق .م على شمال شبه الجزيرة بجيش

جرار وغزوا إتروريا من سردينيا واجهزت عليهم وحصروهم على الشاطئ فبادرت قوة رومانية من سردينيا واجهزت عليهم وعند (تلامون) سقط أغلب غزاة الغال بين قتيل وأسير . وفكر الرومان بفتح بلاد الغال كلها ليقضوا على خطر الغال نهائيا ويجعلوا من جبال الالب حدود ايطاليا الشمالية . وهيئوا لذلك حملات متتابعة ونجحوا في ذلك وأرغموا البويي على الاستسلام وبسطوا سيطرتهم في عام 224 ق .م على غاليا كسبرانا (Gallia Cispadana) أي بلادالغال هذه الناحية من البو باستثناء ليجوريا التي لم تشترك في معاداة الرومان فتركوها وشأنها مؤقتا . وفي عام 223 ق .م انتصروا على الانسوبرس وبسطوا سيطرتهم في 119 ق .م على كل المنطقة الواقعة شمال البو وهي المعروفة باسم غاليا ترانس بدانا (Gallia Transpadana) أي بلاد الغال عبر البو باستثناء أعالي البو وأنشأوا الطرق التي سهلت لهم الحركة في إقليم غاليا .

ب. إخضاع شمال إيطاليا بأجمعه:

بعد انتهاء الحرب البونية الثانية ورغم أن الغال خانوا روما وتعاونوا مع هانيبال فإنهم هذه المرة شكلوا حلفاً ثلاثياً من أكبر قبائل الغال الثلاث وهي الأنسوبرس والبوي والقنوماني) واحتلوا قلاعاً رومانية لكن الرومان دمروهم ووزعوا أراضيهم على المواطنين الرومان ، ثم طردوا الغال القادمين من وراء الألب وانشأوا مستعمرة كبيرة عند أكويليا وشقوا الطرق دعماً لسيطرتهم ثم سيطروا على ليجوريا وماسيليا عن بلاد الغال عبر الألب وأنشأوا مستعمرة عند لوقا 180 ق . م وهكذا أخضع شمال إيطاليا تماماً .

8. الحروب الإسبانية (197-133 ق.م

بعد الحرب البونية الثانية سقطت اسبانيا بيد الرومان فحولوا أقاليمها الى ولايتين جديدتين هما إسبانيا الدانية (Hispania Citerior) و إسبانيا القاصية (Hispania Ulterior) وزادوا عدد البراتيزرس (القناصلة) الى ستة ليتولى إثنان منهم حكم هاتين الولايتين .

لكن الأيبيريين وهم سكان أيبريا أو (إسبانيا) شنّوا حرباً ضد روما بدأت عام 197 ق .م واستمرت لمدة 64 عاماً . وشنت روما حملات مدمرة ضد القبائل الأيبيرية ، وانتهت المرحلة الأولى من الحروب الإسبانية عندما تمكن جراكوس عام 179 ق .م من تسوية عامة بين المحاربين سيطرت فيها روما على كل اسبانيا ما عدا المناطق المطلة على المحيط الأطلسي ومن عام 145 ق .م بدأت المرحلة الثانية من الحروب وظهر جيل جديد من أبناء السليتيري واللوستياني يطالب بالثأر من الرومان للهزائم القديمة . وقد ثار اللوسيتاني عام 154 ق .م وثار السلتيبري بعدهم بعام ولم يستطع الرومان بعد حرب

استمرت(22) عاماً وقف نار هذه الحرب الا بصعوبة بالغة ارتكبت خلالها أبشع أنواع القسوة ضد شعب إسبانيا ، فقد قام البروقنصل حاليا عام 151 ق .م بارتكاب جريمة غدر وحشية لوثت الشرف الروماني عندما ذبح عدة الألف من اللوسيتاني بعد أن عقد صلحاً معهم وأغراهم برمي سلاحهم ، فقام أحد الرعاة الناجين من المذبحة واسمعه فيرياثوس بقيادة اللوستياني وتحدى الرومان ثمانية أعوام حتى قتل غدراً هو الآخر . وفي عامي 138 و 137 ق .م احتلت روما ما يعرف اليوم بالبرتغال ونشبت حرب نامانتيا ضد الرومان .

ولم تهدأ الحرب الا عندما تعين سفيبو ايميليانوس قاهر قرطاجة) عام 146 ق .م ليكون أحد قنصلي اسبانيا فحاصر نومانتيا واجتاحها وباع أهلها في سوق النخاسة عام 133 ق .م . وعندئذ أرسل السناتو بعثة لتعيد تنظيم الأوضاع في اسبانيا فتمتعت بعد ذلك فترة طويلة من الهدوء .

ثالثاً: الصراع بين المحافظين والشعبيين (133-88) ق.م

درج المؤرخون على تسمية القرن الأخير من عهد الجمهورية الرومانية (عصر الثورات) . ومرد هذه التسمية إلى أن هذا القرن بدأ في عام 133 ق .م بحركة اصلاح سرعان ما تحولت الى ثورة عارمة ضد طبقة الأقلية الحاكمة أي طبقة السناتو تحولت الى حروب أهلية واسعة وانتهت المرحلة الأولى منها باحتفاظ طبقة السناتو بامتيازاتها القديمة ودعم سيطرتها ، وعندما استؤنف الصراع ثانية انتهى بالقضاء على النظام الجمهوري الروماني وإقامة النظام الامبراطوري(37) .

كان مجلس السناتو (الشيوخ) محتكراً للسلطة السياسية ومستغلاً نفوذه لصالح التوجه الأرستقراطي له وامتلاكه للأراضي الزراعية ، وكان نبلاء مجلس ، الشيوخ هم الماسكون بكل أدوات السلطة لكن النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد شهد صراعات عدة حول سنّ القوانين المناصرة للعامة والداعية الى امتلاكها للأرض واتضح في مجلس الشيوخ ظهور تيارين اساسين هما : تيار المحافظين أو الأخيار(optimates) وتيار القدمين أو الشعبيين (populates) ولكن انقسامهم الحقيقي لم يظهر الا بعد مقتل الأخوين جراكوس . كان تيبيريوس جراكوس يرى أن الخطر الأكبر على الجمهورية الرومانية يكمن في نظام الإقطاعيات الزراعية الضخمة التي نتج عنها تشريد المزارعين الرومان الفقراء وكان العلاج في نظره هو إعادة توزيع الأراضي الزراعية من جديد ، لذلك رشح نفسه لمنصب التربيون وانتخب عام 133.ق .م

قدّم تبريوس مشروعاً باعادة توزيع الأراضي الزراعية حدد بموجبة الحد الأقصى للملكية الفردية للملاك الكبار بـ (500 فدان روماني وإعادة توزيع بقية الأراضي على شكل مساحات صغيرة تبلغ

الواحدة منها (30) فدان روماني للفلاح الواحد ، وشكّل لجنة للإصلاح الزراعي لممارسة تطبيق هذا الاقتراح عملياً بعد أن رفضه مجلس السناتو وقبله مجلس القبائل .

وطلب تيبريوس تنفيذ هذا القانون بالأموال التي أهداها ملك برجام الى روما لكن مجلس الشيوخ رفض ذلك ، وعندما أراد تيبريوس ترشيح نفسه كـ (تريبون) للعام الثاني أقصاه النبلاء فثارت العامة وحصلت ثورة شعبية راح ضحيتها تبريوس جراكوس مع 300 رجل من أنصاره .

ظلت لجنة الاصلاح الزراعي تمارس عملها لمدة (14) سنة متتالية حتى 120 ق .م وكان فيها أخ تبريوس جراكوس وهو جايوس جراكوس الذي كان متحمساً لتنفيذ هذا القانون ، وكوّن جايوس جبهة قوية ضد مجلس الشيوخ من أصحاب المصالح المالية والتجارية والفقراء وأعاد ترشيح نفسه ك (تريبون) منذ 124-122 ق .م وأصدر خلال هذه الفترة عددا من القوانين التي تضمنت تنفيذ برامج الإصلاح الزراعي على نطاق واسع . وبسبب ما حصلت عليه الطبقات الفقيرة من رفاه وازدياد شعبية جايوس اعلن مجلس الشيوخ الحرب عليه فلم يرشح من جديد ثم قتل في هجوم عنيف عليه وعلى أعوانه وشرد منهم 3000 في عمليات التطهير التي تلت ذلك .

وهكذا أصبح الصراع الحزبي السياسي سمة الحياة في روما مترافقاً مع العنف ، وحين ظهر ماريوس كتربيون عام 119 ق .م أتمّ هذه المهمة خلال عامين بفضل جيش من المتطوعين أعده ماريوس من بين فقراء روما وسلحه ودربه وكانت هذه أولى خطواته لتطوير الجيش الروماني الذي دان بالولاء لفترة طويلة لقائده جايوس ماريوس .

وقد استطاع ماريوس القضاء على حركات التمرد التي قادها النوميديون ثم الموريتانيون وخصوصاً حركة يوغرتا ، فانتخب ماريوس قنصلاً عام 104 ق .م . كان ماريوس أول من أدخل التطوع في العسكرية بدلا من الخدمة الاجبارية . وأصبحت النزعة العسكرية لماريوس أساس حكمه فازداد العامة قوة وأضعف الخاصة أو البطارقة والنبلاء معتمداً على طبقات الشعب السفلى .

أما الأحداث الخارجية التي تعرضت لها روما خلال هذه الفترة الأولى فيمكننا تصنيفها حسب واقعها كما يلي :

1- جزر البحر المتوسط:

صقلية : حرب العبيد الاولى- قمعت روما داخل ايطاليا عدة ثورات للعبيد ، ولكن ثورات العبيد الكبرى حصلت في صقلية وبدأت في مدينة إنا قادها رجل سوري اسمه (يونس) الذي نصب نفسه

ملكاً ثم انتشرت الثورة لتشمل مدناً أخرى عام 135 ق .م وقام عدد من القادة الرومان بمواجهتهم لكنهم فشلوا حتى تمكن روبيليوس من القضاء عليهم عام 132 ق .م .

أما حرب العبيد الثانية فقد نشبت في صقلية عام 104 ق .م في إقليم هرقليا مينوا واختاروا شخصاً اسمه (سالفيوس) ملكاً عليهم ثم تفشت الثورة في أرجاء صقلية ولم يستطع القضاء عليها غير القنصل اكويليوس زميل ماريوس عام 101 ق .م .

سردينيا : اغتصبت روما سردينيا من قرطاج عام 238 ق .م وحولتها مع كورسيكا الى ولاية رومانية عام 227 ق .م فثارتا لكن الرومان أخضعوا كورسيكا نهائياً عام 163ق .م . ولما ثارت سردينيا عام 177 قمعها . تيبيريوس طراكوس ثم ثارت مرة أخرى عام 126 وجهز الرومان حملة عليها قمعت فيها ثورتها .

جزر البليار : استولت روما عليها عام 123 ق .م لتأمين اتصالها بحرياً باسبانيا بعد أن صارت وكراً للقراصنة ، وحرصت روما على إقامة المدن الجديدة فيها .

2- آسيا الصغرى:

برجام (ولاية آسيا) : توفي أتالوس الثالث ملك برجام عام 133 ق .م وأوصى أن تؤول مملكته الى الشعب الروماني بعد وفاته ، لكن مدعياً أدعى أنه أخ أتالوس واسمه (اريستونيكوس) واستطاع أن يحرز بعض النجاح ثم قضي عليه وتحولت برجام الى ولاية اسمها (آسيا) .

قليقيا تزاخيا : حيث ظهر فيه القراصنة والمطالبين بعرش الدولة السلوقية وظهر فيهم (تروفون) الذي هاجم سلوقيا وقتل ، وأرسلت روما حملة عليه عام 100 ق .م وحولت هذا الإقليم الى ولاية رومانية اسمها (قليقيا) .

بونطس : تطل مملكة بونطس على جنوب شرق ساحل البحر الأسود وقد قاد منها ملكها المسمى مثيريداتس السادس (يوباتور) الحرب الأولى له ضد روما واستغل انشغال روما بالحروب فاصبح في عام 88 ق .م سيد آسيا الصغرى وحاول مد نفوذه الى بلاد الإغريق . ثم انشب الحرب الثانية عام 84ق .م لكن صولا تصدى له وانتهت بفشله وحصوله على جانب من كابدوكيا فقط عام 81 ق .م .

3- شمال أفريقيا (نوميديا وموريتانيا):

استطاع سكان شمال أفريقيا قبل سقوط قرطاج انشاء دولتي نوميديا في الجزائر وموريتانيا في الجزائر والمغرب . وكان ملوك هاتين الدولتين في مد وجزر مع روما فمرة يتحالفون معها ومرة يواجهونها

ولعل أهم من واجه الرومان هو النوميدي يوغرطا بعد أن حاول توحيد نوميديا وموريتانيا فبدأ سلسلة من المعارك مع روما من (111-105 ق .م) واجه فيها القناصلة بستيا وميتلوس وماريوس ولم يستطع سوى القبض عليه بعد حيلة مدبرة مع صهر يوغرطا الذي اسمه بوكوس ، ثم جاء أخ يوغرطا واسمه (غودا) الذي والى روما حتى وفاته عام 88 ق .م

4- أوربا :

شمال إيطاليا : استطاعت روما أن تخضع القبائل المشاغبة في شمال ايطاليا قرب السفوح الجنوبية لجبال الألب منها قبيلة ستويني وكارني وأنشأت الجسور والطرق والمستعمرات الجديدة هناك لضمان الأمن والسلام .

البلقان : قامت روما بحملة ضد إقليم كارسو ودلماتيا ، وثار الاسلكورديسكي لكن روما قمعتهم وهكذا أصبح للرومان اتصال مباشر بين ايطاليا وولاية مقدونيا .

الكيمبري والتيوتون : وهما قبائل جرمانية وسلتية أنزلوا بالرومان أفدح الهزائم فبعد هزيمة جاريو جاءت هزيمة سيلانوس 109 ق .م ثم هزيمة لونجينوس 106 ق .م ثم هزيمة أرواسيو 105 ق .م في هزيمة لونجينوس 106 ق .م ثم هزيمة أرواسيو 105 ق .م في بلاد الغال . ورغم أن الطريق أصبح مفتوحاً أمام الغزاة للإغارة على الولاية الرومانية بل على ايطاليا ذاتها فانهم انشطروا مرة أخرى فريقين تزعم الكيمبري أحدهما واتجهوا صوب إسبانيا وتزعم التيوتون الآخر نحو بلاد الغال فاستطاع ماريوس القضاء على التيوتون 102 ق .م وعلى الكيمبري 101 ق .م في فركلاي وبذلك تخلصت روما من أكبر خطر هددها بعد قرطاج .

رابعاً: تداعي الجمهورية الرومانية ونهايتها (88-27 ق.م)

1. صولا (Sulla):

كان لصدى المذبحة التي دبرها مثريداتس عام 88 ق .م وقتل فيها في يوم واحد ما يقرب [illegible] ألف من الرومان والإيطاليين في آسيا ، الأثر الكبير في اختيار (لوكيوس كورنيليوس صولا [illegible] الحرب ضد مثريداتس وأنزل به خسائر جسيمة حتى اضطر الى عقد معاهدة صلح [illegible] بمقتضاها عن جميع فتوحاته ودفع تعويضاً لروما مقابل احتفاظه بمملكته بونطس [illegible] لروما ، وهكذا كسب صولا شرف استعادة ولاية آسيا للشعب الروماني (38).

وما أن عاد صولا حتى واجهه مجلس الشيوخ وأشراف روما الذين خافوا من طموحاته ونفوذه وسطوته بعد نصره في ولاية آسيا فواجه عصياناً ثم استطاع الاستيلاء على ايطاليا وأخضع خصومه في الولايات ، ثم أعلن نفسه ديكتاتوراً لمدة غير محدودة وحكم روما بالإرهاب وانتقم من خصومه انتقاماً بشعاً . وكان صولا قد سنّ دستوراً صارماً أباح فيه استعمال القوة ونظم فيه سيطرته على مجلس الشيوخ وسنّ النظم الإدارية والمالية والاجتماعية وابتكر النظام القضائي الذي تضمن وجود سبع محاكم جنائية عامة .

وعندما فرغ صولا من تشريعاته في خلال عام 80 ق .م اعتزل الحكم من تلقاء نفسه في مطلع العام التالي وسرّح حرسه الخاص معتمداً على ولاء قدماء محاربيه فقضى بقية حياته في قصره الريفي في ضيعته بكمبانيا يلهو في تمضية الوقت بين الصيد والقنص والملذات ، وبين قراءة الأدب وكتابة مذكراته . وفي عام 68 ق .م توفي صولا في الستين من عمره (39) .

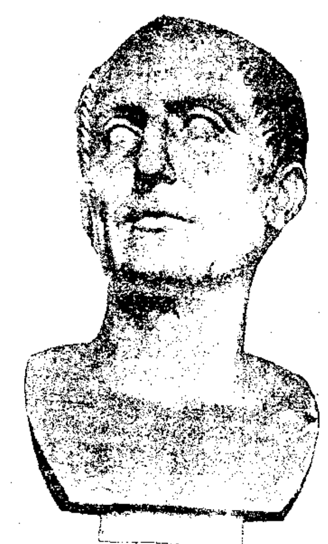
2. بومبي (pompius):

بعد وفاة صولا عاد الشعب الروماني الى المطالبة بحقوقه المسلوبة فظهر غايوس بومبايوس (بومبي) أحد الضباط المساعدين لصولا الذي تدرج في مناصبه حتى رشح نفسه مع كراسوس المنصب القنصلي عام 70 ق .م فكان ذلك نذيراً بتجدد الحروب الأهلية وسير النظام الجمهوري الروماني نحو الانهيار وفشل دستور صولا في منع الجيش من التدخل في الحياة السياسية الرومانية .

وكان ثرادتيس قد بدأ حربه الثالثة في عام 74 ق .م واستطاع لوكلوس أن يطرده من مملكة بونطس نفسها عام 67 ق .م ونشبت ثورة العبيد بقيادة سبارتكوس في جنوب ايطاليا واستمرت من 70-73ق .م وقضى كراسوس عليها تقريباً وأكمل بومبي تدميره على ما تبقى منها وهو في طريق عودته من اسبانيا واكتسب بومبي وكراسوس شعبية كبيرة مكنتهما من الترشيح والفوز بالقنصلية . شنّ بومبي حملة على القراصنة عام 67 ق .م وأزال وجودهم في البحر المتوسط وقضى على ميثريداتس واستسلمت له أرمينيا وأخضع الأيبيريين والألبانيين وزحف شرقا حتى اقترب من بحر قزوين وعاد خصار ميثريدتس ثم ذهب الى سوريا وأنهى مشكلة اليهود ثم اسقط الدولة السلوقية في سوريا عام 64 ق .م وسيطر على القدس عام 63 ق .م وحوّل سوريا الى ولاية رومانية جديدة . وهكذا نظم بومبي ثلاث ولايات رومانية جديدة هي بونطس وسوريا وقليقيا .



شكل (9) بومبي (رأس منحوت)



شكل (10) قيصر (تمثال نصفي)

3. قيصر (Caesar) :

وهو غايوس يوليوس قصير حفيد ملوك روما المؤلفين وابن اخي سكستوس القنصل لعام 91 ق.م، تدرج في مناصبه وازدادت شعبيته ؛ وحين عاد بومبي الى روما تكون تحالف ثلاثي بين (كراسوس وبومبي وقيصر) كان يهدف للحصول على القنصلية عام 59 ق.م وقد تم هذا التحالف منذ عام 60ق.م.

وبعد انتهاء قنصلية قيصر صار أميراً على بلاد الغال ووضعت ثلاث فرق عسكرية رومانية تحت إمرته فقام قيصر بغزواته الشهيرة على بلاد الغال (58-52 ق.م.) وعاد الى ايطاليا بعد القضاء على الثورة القومية الغالية وانتهاء مهمته بنجاح عام 51 ق.م. وخلال تلك السنوات الطويلة تمكن قيصر من تكوين جيش قوي يدين له وحده بالولاء اعتماداً على شخصه ومشاركته. وجدد قيصر تحالفه مع زملائه كراسوس وبومبي وخرج كل منهم بغنيمة لا بأس بها اذ جدد قيصر إمارته لبلاد الغال خمس سنوات أخرى، وأصبح بومبي وكراسوس قنصلين عام 55 ق.م(40).

ثارت بارثيا بعد نهاية الدولة السلوقية فشن كراسوس حملة لإخضاعها إلاّ أن هذه الحملة انتهت بكارثة حلت بالجيش الروماني وقتل فيها كراسوس. وبدأ الصراع يتفجر بين بومبي وقيصر، فوقف بومبي بوجه قيصر عن طريق مجلس الشيوخ فاحتل منصب (بطل مجلس الشيوخ).

وكان بومبي قد صدّ القبائل الجرمانية عن غاليا وغزا بريطانيا وأضاف للجمهورية الرومانية فرنسا وبلجيكا. وعندما وقف بومبي بوجه قيصر وحاول اختيار قنصل آخر غيره خوفاً من أن يرشح نفسه، استعد قيصر لغزو ايطاليا من وادي البو عام 49 ق.م وبدأت بوادر الحرب الأهلية تتضح. واقترب جيش قيصر من روما بينما فرّ بومبي وأعضاء مجلس الشيوخ والاعيان من روما. وغزا قيصر اسبانيا خوفاً من وقوف الجيش الروماني فيها مع بومبي ومجلس الشيوخ فاستغل هؤلاء غيبته في اسبانيا وحاولوا قطع طريق عودة قيصر لكنه فاجأهم ونشبت بين الطرفين معركة (فرسانيا) عام 48 ق.م انتصر فيها قيصر واستلم مجلس الشيوخ اما بومبي فقد لجأ الى مصر حيث قتل هناك.

تبع قيصر بومبي الى مصر مع قوة صغيرة فشهد الحرب بين كيلوباترا السابعة وأخيها بطليموس الثالث عشر.وتعرض الى فتنة خفية في مصر كادت تؤدي به حيث احترقت مكتبة الاسكندرية جراءها ثم وقع في حب كيلوباترا وفض نزاعات الملك بين كيلوباترا وأخيها بطليموس الرابع عشر.

غادر قيصر مصر الى أنطاكية ومنها اتجه الى البونطس وانتصر على مثريدتس وأبنه عام 47 ق.م، ثم عاد الى روما ثم الى أفريقيا لمقاتلة جيش سقيبو فهزمه عند تابسوس، ثم غادر الى اسبانيا لمحاربة من تبقى من اتباع بومبي وانتصر عليهم في موندا.

استمرت هذه الحروب من (49-45 ق.م) وكان مسرحها جميع أنحاء الامبراطورية الررومانية، قد خرج منها يوليوس قيصر ظافراً، وكانت انتصاراته مبرراً كافياً ليركز كل سلطات الدولة في يديه أضاف الى اسمه لقب (امبراطور) ومنحته الجمعية الشعبية عام 49 ق.م لقب الدكتاتور ثم في عام 46 ق.م عين دكتاتوراً لمدة عشر سنوات. ثم في عام 44 ق.م عدل التعيين ليصبح دكتاتوراً مدى الحياة، ثم أعذقت عليه الكثير من الألقاب الشرفية والوظائف والامتيازات والسلطات التي لم تمنح لأحد في التاريخ الروماني.

وأثار هذا الاتجاه الذي بدا وكأنه عودة للنظام الملكي ثائرة الجمهوري وبعض اتباع قيصر نفسه وكانت النتيجة هذ اغتيال قيصر بيد أقرب اصدقائه ومنهم بروتوس في 15 مارس عام 44 ق.م. وحتى الآن لا يوجد ما يؤكد اتجاه قيصر نحو اعلان نفسه ملكاً على روما قبل اغتياله أو العكس، لكن المؤكد هو أن هذه الاجراءات التي سبقت موت قيصر كانت إشارة واضحة تعلم موت الجمهورية الرومانية، فقد تم التصديق على ما قام به قيصر من أعمال ولكن عفي عن قتلته(41).

4. انطونيوس:

كان أنطونيوس هو القنصل الوحيد عندما قتل قيصر بل كان، في حقيقة الأمر، حاكم ايطاليا الوحيد وكان قبل ذلك قائد فرسان قيصر وعندما التأم مجلس الشيوخ بعد اغتيال قيصر وقرأت وصية قيصر اتضح أن قيصر كان قد تبنى ابن اخته أوكتافيوس كابن له وأوصى له بما عنده واكتفى بذكر انطونيوس بين الورثة الثانويين فما كان من انطونيوس الا ترك الأمور على حالها والحفاظ على النظام الجمهوري. لكن الشعب عرف بوصية قيصر وبأنه وهبه جنائنه التي وراء جنائنه، نهر التيبر فهاج وطالب باعدام القتلة فهرب كاسيوس وبروتوس خارج المدينة. وأصبح انطونيوس القنصل ولبيدوس الكاهن الأكبر والغيت الدكتاتورية.

لكن انطونيوس وسّع نفوذه فأدخل انصاره في مقاعد مجلس الشيوخ وغضّ النظر عن عودة كيلوباترا الى مصر بعد أن ذهبت الى روما طامحة في الزواج الرسمي من قيصر على الطريق الرومانية والاعتراف بابنها (قيصرون) وريثاً لقيصر ولكن احلامها ذهبت أدراج الرياح بعد مصرع قيصر.

5. أوكتافيوس:

كان مجيء أوكتافيوس الى روما واطلاعه على وصية خاله قيصر وإعلانه اسمه الجديد (غايوس يوليوس قيصر اوكتافيوس) نذيراً بصراع مع انطونيوس سيأخذ عدة أشواط لكنه في النهاية سيرسي

خارطة (6) فتوحات قيصر



شكل (11) قوس النصر في أورانج وهو يخلد انتصارات قيصر في بلاد الغال وفتح مرفأ مرسيليا

على إلغاء النظام الجمهوري والتوصل الى انشاء حكومة ثلاثية مكونة من أوكتافيوس وأنطونيوس ولبيدوس وإقرار قانون التيتا عام 42 ق .م الذي خوّل الثلاثة صلاحيات واسعة لإعادة النظر في نظام الجمهورية لمدة خمس سنوات .

وفور ظهورهذا القانون بدأت حملة خارجية لقتل قتلة قيصر وحملة داخلية للتطهير راح ضحيتها أعظم مفكري وخطباء روما (شيشرون) ثم جاءت معركة فيليبي حيث انتصر فيها أنطونيوس واوكتافيوس ولبيدوس على قتلة قيصر (كاسيوس وبروتوس) . واتفق انطونيوس واكتافيوس على أن يتقاسما ممتلكات الدولة الرومانية فاتجه انطونيوس الى الشرق لفرض سيطرة روما هناك واتجه اوكتافيوس الى الغرب وأحكم سيطرته على ايطاليا وغاليا واسبانيا ، أما افريقيا فقد كانت تحت سيطرة لبيدوس . واستدعى انطونيوس ، وهو في طرسوس ، كيلوباترا السابعة ودعته الى سفينتها فذهل بما هي فيه من حياة شرقية مترفة وبدأت أول خطوات عشقهما .



شكل (12) أغسطس

وحين عرف انطونيوس ان نجمه قد أفل في روما اتجه بجيشه الى هناك واستعد اوكتافيوس بجيش مشابه والتقى القائدان عند برنيزي وعقدا اتفاقا يقضي بتقسيم المتوسط وحوضه الى قسمين شرقي تولاه انطونيوس وغربي تولاه اوكتافيوس وظلت افريقيا بيد لبيدوس ، أما ايطاليا فمباحة للقائدين الكبيرين وتزوج انطونيوس من اخت اوكتافيوس . وصادفتهما مشكلة سكتوس ابن بومبي الذي كان في صقلية ومسيطرة على تجارة القمح لكن القادة الثلاثة قضوا عليه لاحقاً . استمال اوكتافيوس جنود لبيدوس ونجح ثم عزل لبيدوس وأصبح الحكم ثنائياً . وقام انطونيوس بالزواج من كليلوباترا ضارباً عرض الحائط بالشرائع الرومانية التي تحرم ذلك . . . بل انه حين انتصر على ملك ارمينيا احتفل بالنصر في الاسكندرية وليس في روما وأعلن كيلوباترا (ملكة الملوك) واعترف بشرعية ابنها (قيصرون) من قيصر ، وكان قد وزع اقسام الجزء الشرقي من الدولة الرومانية بينه وبين كيلوباترا وأولادهما . وكتب الى مجلس الشيوخ الروماني ليعترف بكل مافعل .

انفرد اوكتافيوس بالحكم خصوصاً بعد سيطرته على قبرص وعزله لبيدوس واقيم له تمثال ذهبي في الفورم يحمل عبارة (الامبراطور قيصر) واسبغ القداسة على زوجته واخته اوكتافيا نكاية بزوجها انطونيوس .

وحين انتخب القنصلان أهونوربوس وسوسيوس وقفا بجانب انطونيوس في الحرب الكلامية التي جرت داخل مجلس الشيوخ لكنهما خافا وانهزما الى انطونيوس . ثم طلق انطونيوس اوكتافيا وكتب وصيته ووضعها في معبد فيستا فحصل اوكتافيوس عليها واستعملها لفضح انطونيوس من امام مجلس الشيوخ فوقف المجلس معه وعزل انطونيوس من الحكم واعلن حرباً مقدسة ضد الشرق وتحديداً ضد كيلوباترا .

وفي عام 31 ق .م اصبح اوكتافيوس قنصلا للمرة الثالثة يعاونه كورفيوس بدلا من انطونيوس وبدأت الاستعدادات للحرب وتوجه اسطول اوكتافيوس بقيادة أغريبا الى اكتيوم ليلتقي هناك اسطول انطونيوس وكيلوباترا فتمكن من الانتصار عليهاواستسلم انطونيوس بعد مفاوضة دامت سبعة ايام وفي صيف 30 ق .م لاحق اوكتافيوس انطونيوس وجنوده الى مصر فانتحر انطونيوس ثم انتحرت كيلوباترا ونقل أموال مصر الى روما ، واصبحت مصر ولاية رومانية ذات طابع خاص .

وفي عام 27 ق .م حصل اوكتافيوس على ثلاثة ألقاب مهمة هي : أوغسطس Auaustus أي (الجليل المحترم) الذي حمل شيئاً من التعظيم الديني حيث ذكّر الرومانيين بروملوس الـ Augusto Augurio الذي أسس روما . ولقب برنكبس princips أي (المواطن الأول) الذي يشير الى تقدمه

في الشؤون الدينية . ثم اتخذ لقب امبراطور Imperator الذي يعني (القائد المنتصر) والذي كان قد استعمل في العهد الجمهوري خصوصاً من قبل قيصر . وبذلك نقول أن الجمهورية الرومانية قد انتهت لتبدأ فترة جديدة في التاريخ الروماني هي العصر الامبراطوري .



شكل (13): اغسطس كاهناً



شكل (14) :اغسطس إلهاً في هيئة الإله هرمس / تحوت



شكل (15): اغسطس ملكاً تتويج اغسطس (نحت على جوهرة).

المبحث السادس

الامبراطورية الرومانية 27 ق. م - 476 م

لقد حاولت الجمهورية الرومانية ، من قبل ، أن تحكم العالم الروماني بقوانين دولة المدينة ، ولهذا فشلت ، أما في ظل حكم اوغسطس فقد تمّ وضع الخطوط الرئيسية لطريقة الحكم الجديدة . وتحديد كل الوظائف المدنية والعسكرية في الامبراطورية ولم يكن سابقاً لروما جيش نظامي بل كانت هناك حملات تعبئ لغرض معين ، ولكن أوغسطس غيّر هذه الأوضاع ونظم الجيش الجديد وأنشأ فرقاً جديدة ووصل تعداده الى 300.000 رجل كما أعاد تنظيم الأساطيل البحرية (42) .

وفي عام 27 ق .م قاد أوغسطس حملة لضم شعوب الغال نهائياً الى الامبراطورية وفي عام 25 ق .م منح أوغسطس السلطة البروقنصلية العظمى وهي السلطة التي تسري على الامبراطورية الرومانية بأجمعها .

وما بين عامي 23-19 ق .م قام بحملات كبرى في الشرق ضمته من جديد الى جسد الامبراطورية ، ثم رحل الى الغال واسبانيا وأنهى الاضطرابات هناك .

ولم يشهد العالم حكومة أكثر نفعاً من حكومة اغسطس الذي عمّر طويلاً وكان يمثل الطبقة الوسطى الايطالية ، وفي يد اغسطس أصبحت ، لأول مرة ، مصدر خير للجميع واتسمت بطابع رحيم بل أبوي ، وانتهت أعمال الاغتصاب الكريهة التي كان يرتكبها الرأسماليون الأوليجاركيون الذين نهبوا الولايات في أواخر عهد الجمهورية . وشنّ اغسطس حرباً شعواء على عدم التدين وإهمال التناسل ، وحاول أن يعيد ذلك الخلق الروماني المتين وتلك العقائد القديمة التي كان يعتنقها الايطاليون(43) .

مات اغسطس عام 14 م من عمر دام 76 سنة بعد أن حكم العالم الروماني أكثر من 45 سنة أحدث فيها أعظم التحولات في التاريخ الروماني ، وقد ظهر في عهده أعظم ادباء روما مثل (هوراتيوس ، بروبرتيوس ، أوفيدو ، فرجيل) والمؤرخ (ليفيوس) والمهندس المعماري (بليو) وكثيرون غيرهم . استمرت الامبراطورية الرومانية حتى عام 476 م رغم أنها انشطرت في عام 330 م الى قسمين شرقية (بيزنطية) وغربية . وفيما يلي جدول يوضح أسماء أباطره الرومان ومدد حكمهم على ضوء مراحل الامبراطورية :

أولا: الامبراطورية المبكرة (27 ق.م – 98م)

أوغسطس	27 ق.م – 14م	الاسرة اليوليسية
تيبوبوس	27-14	
كاليجولا	41-37	
كلوديوس	54-41	
نيرون	68-54	
جالبا	69-68	
أوتو	69	
فيتليوس	69	
فاسباسيان	79-69	الاسرة الفلافية
تيتوس	81-79	
دوميتيان	96-81	
نيرفا	98-96	

ثانيا: الامبراطورية الذروة (98 -180) م

تراجان	117-98	لاسرة الانطونية
هادريان	138-117	
انطونيوس بيوس	161-138	
ماركوس أوريليوس	180-161	

ثالثاً: الامبراطورية المتأخرة (180-284) م (امبراطورية الجنود)

كمودوس	192-180	
برتيناكس	193	
سبتيموس سفيروس	211-193	أسرة الأفريقية
كاراكلا	217-221	
مكرينوس	218-217	
انطونينوس	222-218	
سفيروس الاسكندر	235-222	
مكسيميوس تراكسي	238-235	

جورديان الاول	238
جورديان الثالث	244-238
فيليب	249-244
دسيوس	251-249
تريبينيانوس جالوس	253-251
فاليريان	260-253
جالبينوس	268-260
كلودوس الثاني	270-268
أوريليان	275-270
تاسيتوس	276-275
بروبوس	282-276
كاروس	283-282
كارينوس	284-283

رابعاً: الامبراطورية المتصدعة (284-395)

1 . دقلديانوس والحكومة الرباعية

دقلديانوس (اعتزل العرش في 305)	305-284
مكسيميان (اعتزل العرش في 305)	305-286
جاليريوس وآخرون	311-305
قسطنطين الاول وليسينوس	334-311

2 . اسرة قسطنطين (324-378)

قسطنطين الاول (نقل العاصمة الى قسطنطينية وترك روما)	337-324
قسطنطين الثاني	340-331
قسطنطين الثاني وقنستانز	350-340
قسطنطين الثاني	361-350
جوليان	363-361
جوفيان	364-363
فالتينيان الأول	375-364
فالنس	378-375

3 . اسرة ثيودوسيوس (378-457)

378-395	ثيودوسيوس الاول (الأكبر)

خامساً: الامبراطورية المنشطرة (395-476-1453)

الامبراطورية البيزنطية (الشرقية)

395-408 م	اركاديوس ابن ثيودوسيوس
308-450 م	ثيودوسيوس الثاني
450-457 م	مارفيان

الاسرة الليونية
(457-518)

457-474م	ليو الاول

الامبراطورية الرومانية (الغربية)

395-423	هونوريوس ابن ثيودوسيوس
425-455	فالنتينيان الثالث
445	بترونيوس كلسيموس
455-456	ارفينوس
457-461	ماجوريان
461-465	ليبيوس سفيروس
467-472	انتميوس
472	اولبريوس
474م	ليو الثاني
474-491م	زينو
491-518م	انسطاسيوس الاول

اسرة جستنيان
(518-610)

518-527م	جستين الاول
527-565 م	جستنيان الاول

565-578م	جستين [illegible]
578-582م	تيبريوس الثاني
582-602م	موريس
602-610م	فوكاس

اسرة هرقل
(610-717)

610-647م	هـ[illegible]
641م	قسطنطين [illegible]
641-668م	قنسطانز الثاني
668-685م	قسطنطين الرابع
685-695م	جس[illegible]
695-698م	ليونتيوس
698-705م	تيبريوس الثالث
705-711	جستني[illegible]
711-713م	فيليبيكوس [illegible]
713-715م	انسطاسيوس [illegible]
715-717م	ثيودوسيوس [illegible]

الاسرة الأيسورية
(717-820)

717-740م	ليو الثالث [illegible]
740-775	قسطنطين [illegible]
775-780م	ليو الرابع الخزري
780-797م	قسطنطين [illegible]
743-474	حليسيوس
474-475	[illegible]
475-476	روملوس اوغسطولوس وهو آخر الأباطرة الرومان الغربيين وقد خلع عن العرش وبه تنتهي الامبراطورية الرومانية الغربية وينتهي تاريخ العالم القديم

802-797م ايرين
811-802م نقفور الاول
811م ستوراكيوس
813-811م ميخائيل الاول
820-813م ليو الخامس الاوميني

الاسرة العامورية
(867-820)

886-867م ميخائيل الثاني العاموري
842-829م ثيوفيلس
867-842م ميخائيل الثالث

الاسرة المقدونية
(1059-867)

886-867م بازيل الاول المقدني
912-886م ليو السادس (العاقل)
913-912م الاسكندر
919-913 م قسطنطين السابع
944-919م رومانوس الاول ليكابينوس
959-924م قسطنطين السابع
963-959م رومانوس الثاني
963م بازيل الثاني
969-963م نقفور الثاني فوكاس
976-969م يوحنا الاول تزمسكيس
1025-976م بازيل الثاني
1027-1025م قسطنطين الثامن
1034-1028م رومانوس الثالث ارجيروس
1041-1034م ميخائيل الرابع البنلاجوني
1043-1041م ميخائيل الخامس
1042 زوى وتيودورا
1055-1042م قسطنطين التاسع مونوخوس
1056-1055م تيودورا

1057-1056م ميخائيل السادس ستراتيوتيكوس
1059-1057م اسحق الاول كومنين

أسرة دوكاس
(1081-1059)

1067-1059م قسطنطين العاشر دوكاس
1068-1067م ميخائيل السابع
1071-1068م رومانوس الرابع ديوجينيس
1078-1071م ميخائيل السابع
1081-1078م فقفور الثالث

اسرة كومنين
(1185-1081)

1118-1081م الكسيس الاول كومنين
1143-1118م يوحنا الثاني
1180-1143م مانويل الاول
1183-1180م الكسيس الثاني
1185-1183م اندرونيق الاول

اسرة انجيلوس
(1204-1185)

1195-1185م اسحق الثاني انجيلوس
1203-1195م الكسيس الثالث
1204-1203م الكسيس الرابع
1204م الكسيس الخامس

اسرة لاسكاريد
(اباطرة بيزنطة في نيقية)
(1258-1204)

1222-1204م تيودرو الاول لاسكاريين
1254-1222م يوحنا الثالث دوكاس فاتاتزيس
1258-1254م تيودور الثاني لاسكاريس فاتاتزيس

1258م	يوحنا الرابع دوكاس فاتازيس

أسرة بايولوجس
(1258-1453)

1258-1282م	ميخائيل الثامن باليولوجس
1282-1328م	اندونيق الثاني
1328-1341م	اندونيق الثالث
1341-1347م	يوحنا الخامس
1347-1355م	يوحنا السادس كنتاكوزينوس
1376-13500م	يوحنا الخامس
1376-1379م	اندرونيق الرابع
1379-1393م	يوحنا الخامس
1390م	يوحنا السابع
1390-1391م	يوحنا الخامس
1391-1425م	مانويل الثاني
1425-1448م	يوحنا الثامن
1448-1453م	قسطنطين الحادي عشر
1453	سقوط الدولة البيزنطية على يد محمد الفاتح ونهاية القرون الوسطى في أوربا

مراحل الامبراطورية الرومانية

هناك طرق عديدة للنظر الى تاريخ الامبراطورية الرومانية ونرى ان أفضل هذه الطرق هو تقسيم تاريخها الى المراحل الآتية :

1 . الامبراطورية المبكرة (27 ق .م - 98 م) : وتشمل مرحلة تاسيسها على يد أغسطس والأباطرة الإثنا عشر (مع اغسطس) الذين حكموها وأسسوا لشكلها ومضمونها وتنتهي بوفاة نيرفا .

2 . الامبراطورية الذروة (98-180)م وهي قمة مراحل الامبراطورية حيث حكم أعظم أباطرة الرومان وهم تراجان ، هادريان ، انطونيوس بيوس ، ماركوس أوريليوس ثم سبتيموس سفيروس ، وقد حققت فيها الامبراطورية أعظم اتساع لها وأعظم انجازاتها الحضارية .

3 . الامبراطورية المتأخرة (180-284)م وهي مرحلة الضعف والاضطرابات التي عصفت بالامبراطورية وشهدت تولي أباطرة ضعفاء لم يتداركوا التصدعات المتلاحقة التي عصفت بالامبراطورية .

4 . الامبراطورية المتصدعة(284-395) م وتبدأ من دقلديانوس الذي قسم الامبراطورية إدارياً الى قسمين (غربي وشرقي) مروراً بقسطنطين الذي نقل العاصمة الى قسطنطينية وحتى انشطارها النهائي بعد وفاة ثيودوسيوس الأول .

5 . الامبراطورية المنشطرة (395-476-1453)م .

الامبراطورية الغربية (الرومانية) (395-476) م

الامبراطورية الشرقية (البيزنطية) (395-1453) م

وهناك تقسيم آخر يقوم على أساس الأسر منذ أغسطس وحتى نهاية الامبراطورية البيزنطية وسنذكره هنا لكننا سنأخذ بالتقسيم السياسي الذي ذكرناه أعلاه لانه يدرس السمات السياسية والحضارية ، أما التقسيم الاسري فهو كما يلي :

1 . الاسرة اليوليسية (من اغسطس الى نيرون) .
2 . الأسرة الغلافية (من فسبسيان الى دومتيان) .
توافق الامبراطورية المبكرة تقريبا

3 . الاسرة الانطونية (من نيرفا الى كمودوس) . توافق الامبراطورية الذروة

4 . الاسرة الافريقية (من سبتموس سفيروس الى قسطنطين الاول) . توافق الامبراطورية المتأخرة المتصدعة

ثم تبدأ الامبراطورية البيزنطية التي قسمت سابقاً على أساس أسري أيضا ، أما الامبراطورية الرومانية الغربية فيتسلسل ملوكها الأحد عشر (بعد الانشطار) في قائمة خاصة كما هو أعلاه .

1. الامبراطورية المبكرة (27 ق.م -98م)

كنا قد ناقشنا تأسيس الامبراطورية على يد أوغسطس وكيف أنه اقامها على أساس سياسي صلب وقد جاء تيبيريوس (ابن زوجة اغسطس وخليفته) وسار على منهجه ، وكان تيبريوس جندياً بارعاً وإدارياً ممتازاً ساهم الى حد كبير في توطيد دعائم النظام الامبراطوري طوال عهده الذي امتد ثلاثين عاماً . ويذم بد ناقدوه الارستقراطيون . وإن بقاء النظام الامبراطوري ، برغم ما ارتكبه كثير من الأباطرة من الجرائم والرذائل التي يكاد لا يتصورها العقل ، لينهض دليلاً على أن قيام ذلك النظام كان استجابة لرغبة إجمالية شاملة(44) .

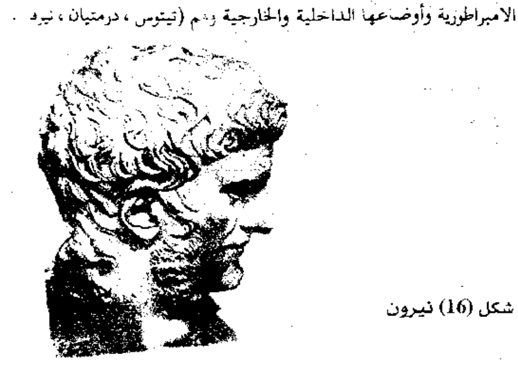
جاء بعد تيبريوس ثلاثة أباطرة كان اولهم مجنوناً وثانيهم دعيا وثالثهم وحشاً ، قد تنصب اولاً كاليجولا(Caligula) الذي حكم أربع سنوات ، كان اسمه الحقيقي جايوس قيصر لكن الجنود أطلقوا عليه لقب كاليجولا لأنه كان يرتدي منذ طفولته حذاءً صغيراً يشبه حذاء الجنود (Caligae) . وقد أصيب بعد سنة من حكمه بمرض عقلي جعله يتصرف بصفات المجرم والمجنون معاً مخلوطين بجنون العظمة حتى أنه أله نفسه وقطع رؤوس تماثيل الآلهة ووضع تمثاله الرأسي بدلها وكان شاذاً يقطع الأعضاء الجنسية لجنوده وندمانه ويعاشر الحيوانات ويطلب القمر . . . الخ حتى قتله أحد الضباط ونصب مكانه كلاوديوس وعمره خمسون سنة وقد كان هذا ضعيف الشخصية مولعاً بالأدب والتاريخ ولا يصلح للحكم وقد تزوج من عدة نساء أجبرته الأخيرة على إقصاء ابنه وتبني ابنها نيرون لتضمن ارتقاءه العرش ، ولم تلبث ان دسّت السم له .

حكم نيرون أربعة عشر عاماً وكان شريراً وقد أحرق روما عام 64 م وأدى طغيانه الى قيام ثورة عارمة ضده وقضت أخيراً عليه .

ثم بدأت المرحلة الثانية من الامبراطورية المبكرة بظهور أربعة أباطرة متنافسين وبدأ عام من الفوضى والحروب الأهلية فقدت فيه روما حوالي 50000 انسان . وبحلول حكم فاسباسيان بدأت مرحلة أفضل فقد رفض عبادة الامبراطور لكن ابنه الثاني دومتيان أعادها .

كان فاسباسيان يفضل إنشاء ما يسمى بالممالك الصامتة على حدود الامبراطورية وهي ممالك صديقة أعطي ملوكها حق المواطنة الرومانية وتعلموا في روما مثل مملكة كوماجين وبسبوران وأرمينيا . أما نيرفا فقد كان مسالما ولن تحدث في عصره الكثير من المشاكل السياسية .

وهكذا توالى على الامبراطورية بعد فسباسيان ثلاثة من الأباطرة الذي حسنت نسبيا احوال الامبراطورية وأوضاعها الداخلية والخارجية وهم (تيتوس ، درمتيان ، نيرفا) .



شكل (16) نيرون



شكل (17) فاسباسيان

2. الامبراطورية الذروة (98-180)م

بلغت الامبراطورية أوج عظمتها في عهد حكامها الأربعة الذين تعاقبوا بعد نيرفا من عام 98 الى 180 م وهم تراجان القوي والعادل وهادريان العبقري وأنطونيوس بيوس المحب للسلام وماركوس أوريليوس انطونيوس المثالي الفيلسوف ، ولم يستسلم أحد منهم لاغراء الفتوح إلا تراجان . وقد كرّس هؤلاء الحكام الأربعة حياتهم للعمل ، قبل كل شيء ، على زيادة رخاء الامبراطورية برمتها ، ويعتبر العهد الذي يعرف بـ (عصر الانطونيين) هو العصر الذهبي للامبراطورية الرومانية بجدارة .

عصر الانطونيين:

كان تراجان قد ورث نزعة الفتوحات الرومانية فمضى بها بهدوء رغم الاخطار التي كانت تحاول إجهاض عزمه «وعلى الرغم مما اداه تراجان من خدمات جليلة بوصفه حاكما فإن اعتزازه بشهرته فاتحاً ربما فاق اعتزازه بشهرته حاكما إذ انه كان جديا بفطرته وحاكماً تحت ضغط الظروف . إلا أنه قد اتفق الرأي على أن ثمرة أعمال تراجان الحربية لم يكن لها أثر باق ولا نستطيع بحال أن نعدها نجاحاً خالصاً . وهذا لا ينتقص من كفايته العسكرية وإن كان لا يكشف عن قصوره في سياسة أمور الدولة لأنه انتهج سياسة عدوانية لتوسيع رقعة الامبراطورية»(45) .

كانت أول حملات تراجان على الدانوب ثم اقتحم الأبواب الحديدية واخترق داشيا ، ثم أصبح بليني بريتوراً في بنطس وتبادل الرسائل مع تراجان بشأن الموقف الذي يجب أن يقفه من المسيحيين .

وفي عام 104 فتح داكيا ثم شيد تراجان وعمود تراجان بروما وفي عام 114 زحف على بارتيا وعبر نهر الفرات ثم دجلة ثم استولى على طشقوته واضطرته الثورات في موخرة مسيره الى الانسحاب حتى مات في 117 في سلينوس بكليكية .

أما هادريان عبقريا صحب الامبراطور تراجان في حملاته واسندت اليه القيادة العليا في أحيان كثيرة فاظهر كفاءته فيها فلم يدهش أحد حين رشحه تراجان الراحل خلفاً له .

كان هادريان عكسرياً فذاً لكنه لم يكن يميل الى توسيع الامبراطورية الى أبعد مما كانت عليه فنبذ كل مشاريع التوسع وتنازل عمداً عن فتوحاته فيما وراء نهر الفرات وردّ كسرى الى عرش بارثيا بعد أن كان تراجان قد نصب له بدلا منه .

في عالم 118 انسحب من داشيا انسحاباً جزئياً وعاد الى روما ليعد العدة للقيام برحلة في أنحاء الامبراطورية وزار بريطانيا وبنى فيها سوره الشهير من سولوي الى التين . ثم ذهب الى غالة ومنذ 121

وعلى مدى عشر سنوات زار إسبانيا وأفريقيا وسوريا وآسيا الصغرى وبلاد الاغريق ثم عاد الى روما وزار قرطاجنة واثينا وأنطاكية والاسكندرية . هكذا استبدل هادريان الفتوحات بالزيارات السلمية التي أعطت عصره سمة متحضرة .

بهر العالم الروماني نشاط هادريان العجيب الذي لم يدرك كنهه ، والذي نشر حيثما اتجه اصالة لا نتوقعها من روماني وقدرة متعددة الجوانب يندر أن توجد بين الرومان ، ولعل الرومان من أصحاب التقاليد القديمة قد وجدوا في هادريان امبراطوراً بارعاً غير متقيد بالعرق بصورة تثير النفوس ، الا أن براعة هذا الامبراطور فيما يتصل بامور الحكم كانت براعة عملية جدا(46) .

أما أنطونيوس بيوس (الورع) فقد حكم لمدة (23) سنة وكان عهده عهد السلام ورخاء لا تكدرهما الأحداث ولكنه شجع البرابرة على الحدود على الظن بأن الامبراطورية أخذت تفقد عنفوانها .

وكان عهد خلفه ماركوس اوريليوس أكثر اضطراباً ، فقد كان بسليقته من أهل البحث والتحصيل الا ان إحساسه القوي بالواجب دفعه الى غير رغبته لان يكون حاسماً في بعض الأحيان ، ويصفه المؤرخون بأنه يمثل المثل الأعلى الإفلاطوني للملك الفيلسوف كما يمثل اسمى فكرة عن الأخلاق قبل المسيحية ، ويعتبر كتابه (التأملات) أثراً خالداً .

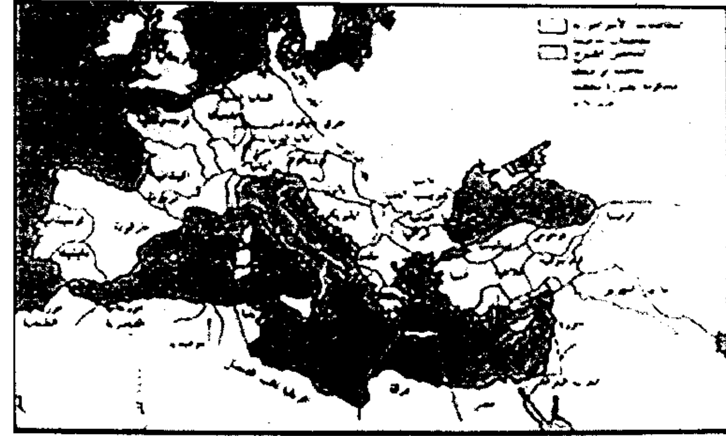
استطاع اوريليوس دحر بارثيا عندما طالبت بأرمينيا وهددت سوريا ثم دحر تهديدات الكوادي والماركوماني الألمان والسرماتيين . ولعل من أهم ما يؤاخذ عليه أوريليوس هو عدم قدرته على معالجة مشاكل الدفاع عن الحدود ومناداته بابنه كومودوس خلفاً له وعدم فهمه للمسيحية .



شكل (18) هادريان



شكل (19) تراجان



خارطة (7) الامبراطورية الرومانية في أوج اتساعها في القرن الميلادي الثاني

ويرى المؤرخ (جيبون) أن عصر الآباطرة الانطونيين كان أزهى وأسعد عصر شهده الجنس البشري في الغرب ، بحيث أنه لم يسبق أو يلحقه عصر مماثل له . ففي ذلك العصر لم يكن ضغط المتبربرين على حدود الامبراطورية قد وضح على أشده ، وكان عبء الضرائب لا يزال خفيفاً وتمتعت طبقة وسطى مثقفة كبيرة العدد بتراث أدبي عظيم في كنف ظروف تهيأت فيها كل مسببات السعادة المادية(47) . .



شكل (20) تمثال ماركوس أوريليوس من البرونز آخر أباطرة الذروة

ثالثاً: الامبراطورية المتأخرة (180-284) م:

الأباطرة الجنود استمرت هذه المرحلة زهاء القرن وبدأت هذه المرحلة بالضعف والتردي منذ كومودوس ثم برتيناكس الذي اختير من قبل الحرس البرايتوري وأصبح التاج هدف كل جندي طموح ، واصبح انتقاله من امبراطور الى آخر مجالا لوقوع صراع أهلي ولذلك مات أباطرة هذه المرحلة المتأخرة جميعهم بالقتل الا ثلاثة أباطرة من ثلاثة وعشرين . وكان هذا القرن هو قرن الامراض وقلة أعداد السكان وزيادة الهجوم على تخوم الامبراطورية من قبل البرابرة .

وظهر في هذه المرحلة أباطرة من أصول سورية أو عربية أو افريقية . ويمتاز القرن الثالث للميلاد بنشاط اثنين من فقهاء القانون الروماني وهما (بابينيان) و (البيان) وكلاهما آسيوي الأصل . ويمتاز هذا القرن أيضاً بذلك الازدهار المتأخر في الأدب الاغريقي الذي يصوره لنا ما أنتجه الفيلسوف الاسكندري (بلوتينوس) من المؤلفات الصوفية العميقة التي كانت تهدف الى التوفيق بين العقائد المسيحية والافكار الأفلاطونية ويطلق على جميع اباطرة هذه الامبراطورية المتأخرة اسم (الأباطرة الجنود)(48) .

وفي ذلك القرن توغلت حتى وسط اسبانيا أقوام (الفرنجة) الرحل القادمين من ألمانيا ، ونهبت مدينة تاراجونا ، ونشرت قبائل (الألماني Alemanni) السيف والنار في وادي الروم ووادي البو ، وفضلاً عن ذلك فان مدينة انطاكيا (التي تعتبر معقل السيادة الرومانية في الشرق سقطت مرة في يد ملك فارس وأخرى في يد ملكة تدمر زنوبيا ، وامتاز ذلك القرن باضطرابات أهلية عنيفة ومصادمات بين الأباطرة المتنافسين وما يؤيد كلا منهم من الجيوش ، وكاد الشرق يفلت من قبضة الامبراطورية بل إن العالم الاغريقي الروماني بأجمعه ، قد يكتسحه ويقضي عليه المتبربرون من أهل الشمال (49) .

حاول سبتموس سفيروس (الافريقي المولد) إصلاح الأمور ولكنه خضع للجيش وأصبح الجيش هو الفاصل في الخلافات ، وعندما خلفه ولداه كراكلا وجيتا قام كراكلا (الذي لا يقل بشاعة عن كاليجولا ونيرون) بقتل أخيه ولكنه اسبغ على الجيش الكثير من العطايا والهبات ، ونال كركلا سخط الطبقات المثقفة التي اعتبرته أسوأ طاغية في التاريخ الروماني ، وتحالف ضده قائد الحرس البريتوري مع ضباط آخرين وقتلوه في معبد اديسا .

استلم الحكم بعده ماكرينوس وهو ضابط عسكري ، لكن جوليا مايسا ادعت أن ابن ابنتها (انطونينوس) هو ابن غير شرعي لكراكلا وقد رفع كاهناً لمعبد إله الشمس تحت اسم (إيلاجابال) الذي قتلته الامبراطورية الام وتنصب ابن ابنتها الأخرى تحت اسم (سفيروس الاسكندر) الذي يقتله الجنود مع الامبراطورية وينصبون ماكسيمنوس وهكذا تستمر المؤامرات والفتن والحروب الأهلية حتى يظهر فيليب الأول (العربي) الذي يفشل هو الآخر خارجياً وداخلياً .

تعد فترة (فاليريان) من أحلك فترات التاريخ الروماني حيث تعرضت الحدود الشمالية للهجوم البربري الذي وصل كذلك الى ايطاليا والغال واسبانيا ، كما أغار الفرس على بلاد ما بين النهرين وسوريا وعادوا الى بلادهم وفي حوزتهم الامبراطور (فاليريان) نفسه مكبلاً بالأغلال ، وعمت القرصنة في البحار ونهبت سواحل بونتوس وآسيا الصغرى وانتشر الطاعون في مصر (50) .

وبعد حكم جالينوس ابن فاليريان سقطت الامبراطورية بيد مجموعة من الطغاة الذين يسمون (الطغاة الثلاثين) حيث قاموا بحركات انفصالية وهددوا عرش جالينوس وكان عددهم الحقيقي 18 مدع للعرش وربما كان القصد من لقبهم بالثلاثين مشابهتهم بطغاة أثينا الثلاثين . وكاد هؤلاء الطغاة تحطيم الامبراطورية برمتها لكنهم تساقطوا واحداً بعد الآخر على يد جالينوس وكلفه هذا حياته في نهاية الشوط ، فقد قتل نتيجة لانقلاب قادة ضباط اليريا لانه أهل حماية موطنهم الاصلي في الدانوب .



شكل (21) وجه تمثال رخامي الامبراطور سبتموس سفيريوس قطعة من منحوتات القوس المشيد على شرفه/ لبدة العظمى في ليبيا

وكان معظم (الثلاثين) يدفعون الى الثورة تحت ضغط جنودهم ، ثم لا يلبث الواحد منهم أن يلقي حتفه غيلة ، فيما عدا أوديناثوس (أذينة) في تدمر ، الذي اعترف السناتو وجالينوس نفسه بجميله فأصدرا قراراً بمنحه لقب أغسطس مع بعض سلطات استقلالية ، وهو اللقب الذي تركه بعد وفاته لزوجته الرائعة الشهيرة (زنوبيا) (51) .

وبعده جاء كلوديوس الثاني ثم جاء أوريليان الذي بثّ الأمل في النفوس عندما قضى على البرابرة الجرمان في الدانوب وهزيمته لقبائل الوندال (الجرمانية) التي عبرت الدانوب ، لكنه تخلى عن داسيا ،

وقد أكمل مهمة استعادة الدانوب والراين الامبراطور بروبوس . لكن التداعي استمر حتى آخر أباطرة هذه المرحلة وهو كارينوس .

كانت المسيحية تنتشر ببطئ من الجهات الشرقية للامبراطورية حتى العاصمة روما وكان أكبر مضطهدي المسيحيين هذه الفترة هم ديكيوس وفاليريان .

رابعاً: الامبراطورية المتصدعة (395-584)م

1- دقليديانوس والحكومة الرباعية:

كان الأباطرة الجنود قد أحدثوا خللاً فادحاً في النظام الامبراطوري وأصبحت الامبراطورية تنوء بثقلها وترهل بولاياتها البعيدة . وقد حاول الامبراطور دقليانوس معالجة هذه الظواهر بما استحدثه من تقسيم للسلطة وهو ما عرف بـ (الحكومة الرباعية) . فقد قسم الامبراطورية الى أربعة أقاليم إدارية كبرى على رأس كل منها حاكم إداري عام يتمتع بلقب أوغسطس أو قيصر ، والحكام الأربعة حكموا متضامنين أو مشاركين وكان التقسيم كالآتي :

1 . الولايات الآسيوية ومصر استقر فيها الاغسطس (دقلديانوس) وجعل مدينة (ينقوميديا) عاصمة له .

2 . شبه جزيرة البلقان والدانوب وحكمها (جاليروس) الذي كان بمثابة القيصر لقلديانوس واتخذ من مدينة سرميوم عاصمة له وهي بلغراد .

3 . ايطاليا وافريقية وإسبانيا ويحكمها الاغسطس (ماكسيميان) وهو الامبراطور الثاني ومقره في مدينة ميلان في ايطاليا .

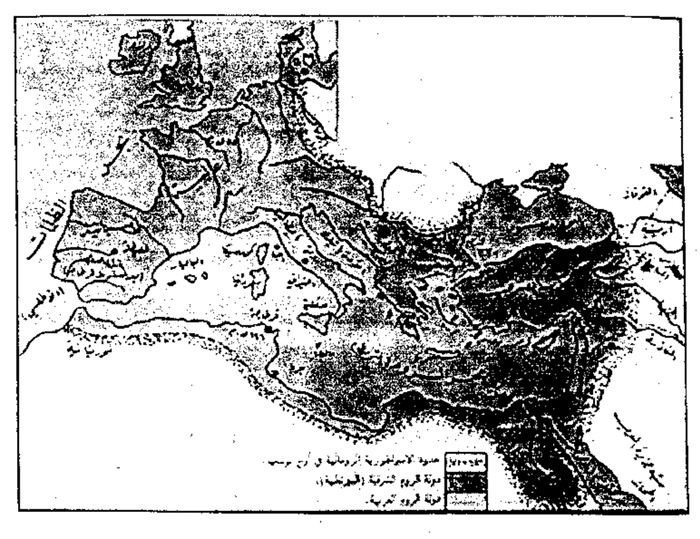
4 . غاليا وبريطانيا ويحكمها القيصر (قسطنطينوس كلوروس) وعاصمته مدينة (تريفيس) ومدينة (يورك) وكان قيصراً لماكسيميان .



شكل (22) رأس قسطنطين منحوتاً من الحجر

كان الغرض الأساسي مما قام به دقلديانوس هو منع قيام الجند بتنصيب الأباطرة وعزلهم واعتبر هؤلاء الحكام الأربعة أنهم يحكمون إمبراطورية رومانية واحدة غير منقسمة ، وكل المراسيم والأوامر والقرارات الامبراطورية تصدر بأسماء الأربعة .

لقد أدرك دقلديانوس ضمنياً بوادر الاختلاف بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني وأن إدارة الامبراطورية لا يمكن أن تتم بواسطة حاكم واحد ، وحقق هذا الإصلاح الإداري في عصر النجاح ، وأمدّ الامبراطورية بحكومة قوية استطاعت أن تقف في وجه الغزوات الخارجية ضد الامبراطورية ولكن الى حين . استقال دقلديانوس وماكسيمان ثم توفي جاليروس وقسطنطينوس فانفرد في الحكم فجأة قسطنطين (ابن قسطنطينوس كلوروس) ومعه ليكنيوس . وكان جاليروس قد أصدر قبل وفاته (مرسوم التسامح) حيث سمح فيه للمسيحيين بممارسة حياتهم الدينية ، فجدد قسطنطين وليكنيوس إصدار هذا المرسوم تحت اسم (مرسوم ميلان) .



خارطة (8) الامبراطورية الرومانية المتصدعة

2. أسرة قسطنطين (324-378) م

عندما أنفرد قسطنطين بالحكم هيأ لبناء عاصمة جديدة للامبراطورية قرب أنقاض مدينة بيزنطة اليونانية أسماها قسطنطينية بدلاً من روما واعترف بالدين المسيحي كأحد ديانات الامبراطورية بل وأصبح هو مسيحياً وقد مهدت هذه الاجراءات لظهور الامبراطورية البزنطية وانفصالها عن الامبراطورية الرومانية الغربية ، ويعتبر الكثير من المؤرخين أن عام 330م الذي يصادف افتتاح مدينة القسطنطينية هو بمثابة بداية تاريخ الامبراطورية البزنطية ، لكننا نرى أن نقل العاصمة لوحده لا يكفي لذلك فقد كان قسطنطين امبراطوراً على كل الامبراطورية الرومانية وليس على جزئها البيزنطي الشرقي فقط .

ورعى قسطنطين المجمعات المسكونية الأول في نبقيه 315م والثاني في صور 334 م .

ومع مرور الوقت وبينما أخذت العاصمة الجديدة ، القسطنطينية ، تزدهر وتتقدم ، كانت العاصمة القديمة ، روما ، تفقد أهميتها ويهجرها كثيرون من سكانها ، وقد امتازت القسطنطينية بالطابع المسيحي والجذور الرومانية وأحاطت المراكز الهيلنستية بها ، وقد جعلها هذا تتأثر مع مرور الوقت بالطابع الهيلنستي على حساب الطابع الروماني ، بل أنها ما لبثت أن أصبحت المركز الأساسي الذي تشع منه الحضارة الهيلنستية التي ميزت الدولة البيزنطية(52) .

وخلف قسطنطين أولاده الثلاثة ، ثم جاء جوليان الذي حاول إعادة الوثنية الى الامبراطورية بمثل ما كانت تتمتع به قبل قسطنطين لكنه قتل . وانتخب الجنود جوفيان المسيحي ثم فالنز على الجزء الشرقي وفالنتنيان على الجزء الغربي لكن القوط الغربيين الذين نزلوا من (مؤنزيا) الى الامبراطورية ، خوفاً من الهون ، ثاروا وقتلوا فالنز في معركة ادرنه عام 378 . وتعتبر هذه المعركة هي البداية الحقيقية للغزوات الجرمانية ، فقد أصبح بمقدور أية جماعة جرمانية محاربة الامبراطورية وكان هذا هو جرس الموت خصوصاً على جزئها الغربي .

3. أسرة ثيودوسيوس (378-457):

كان ثيودوسيوس آخر امبراطور روماني على كل الامبراطورية الرومانية إذ ستنشطر بعده الى قسمين ، وكان ذكاؤه الميداني قد قاده الى سياسة اللين مع قوات القوط وقد «نجح في ضم آلاف من هذه القوات دخلت في خدمة الامبراطورية وعملت فترة طويلة بها حيث ظهر منها عدد كقواد ، مما أدى بعد ذلك إلى أن نجد معظم جنود الامبراطورية الشرقية من القوط والذين استقرت منهم فرق كبيرة في الولايات ومن ناحية أخرى كان ثيودوسيوس الأول أول من وضع سياسة المهادنة معهم واعتبرهم معاهدين وأقسموا له يمين الولاء»(53) .



شكل (23) صورة الامبراطور قسطنطين فوق عملة نقدية ويظهر فيها الصولجان على شكل صليب مسيحي.



شكل (24) فالنز وفالنينيات في عملة نقدية

كانت الامبراطورية الرومانية تتميز بالتسامح الديني منذ قسطنطين حتى مجيء ثيودوسيوس فقد سارت الوثنية جنب المسيحية وتعايشت مذاهب المسيحية (الأريوسية والإثناسيوسية) لكن يثودوسيوس «أعلن أن الوثنية والمسيحية لا يمكن لهما أن تعيشا جنباً الى جنب . وهكذا حُظِر دُخول المعابد الوثنية ، وحطمت صور الآلهة ، وهدمت مزاراتها ، ومنعت إقامة الطقوس الوثنية منعاً باتاً وحرمت الأريوسية في الشرق والغرب على السواء(54) .

وهكذا ترافق مع نهاية عصر ثيودوسيوس آخر عهود الامبراطورية الواحد وآخر أشكال التسامح الديني ، وبعد وفاته ترك الامبراطورية لولديه ، فكان القسم الشرقي من نصيب أركاديوس والقسم الغربي من نصيب (هونوريوس) وبموته انشطرت الامبراطورية الرومانية نهائياً .

خامساً: الامبراطورية المنشطرة

الامبراطورية الرومانية الغربية (395-476)م

لا يقع البحث في تاريخ الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) في إطار كتابنا هذا فهي امبراطورية مسيحية يقع تاريخها في صلب تاريخ المسيحية ذاتها : أما الامبراطورية الرومانية الغربية فبالرغم من ظهور المسيحية فيها الا أنها ظلت تمثل الرمق الأخير للوثنية الغربية وتقاليد الامبراطورية الرومانية القديمة .

بدأ الفصل الحقيقي بين الامبراطوريتين عندما ثار القوط في الامبراطورية البيزنطية ولم يستطع أركاديوس مواجهتهم فعقد اتفاقاً سرياً مع زعيمهم القوي (الاريك) الجسور ليسهل المهمة لهم بالعبور الى أراضي القسم الغربي ، فعبر الآريك واستولى على روما عام 410 م «وهو من الأعوام الحاسمة في تاريخ الغرب الأوربي ، وبما كان أيضاً تأكيداً لإنقسام الامبراطورية الى قسمين شرقي وغربي . ومن ناحية أخرى فإن النتائج المعنوية لسقوط روما كانت ضخمة وذلك لأنها لم تحتل أو تسقط منذ آلاف السنين . وبعد ذلك الأزمات المعنوية الحقيقية تظهر في الغرب» (55) .

وجاء الخطر الثاني من قبائل الهون الآسيوية التي فرضت الجزية على الامبراطورية البيزنطية ثم رفض مرقيان آخر أباطرة أسرة ثيودسيوس هذه الجزية فاندفعوا نحو الامبراطورية الغربية فصدهم أمبراطورها فالنتانيان الثالث ولقوا الهزيمة في موقعة شالون عام 451 م . على أن هونوريوس كان في العاشرة من عمره واستطاع بفضل الوصي عليه الضابط الوندالي (فلافيوس ستليكو) إنقاذ الامبراطورية الغربية بمقدرته الحربية وكان هذا الوصيّ هو الحاكم الحقيقي تحت حكم هونوريوس . لقد هزم ستليكو القوط الغربيين مرتين ولكن الدسائس حبكت له فاستطاع القوط اسقاط روما وقاموا بنهبها وعاثوا فيها

فساداً ثم اضطروا الى تنصيب (أتالوس) امبراطوراً طيعاً بين أيديهم ، لكنه أقصي بعد أن عاد هونوريوس واستمر السجال بين القوط والامبراطور وتزوج قائد القوط أثولف من أخت هونوريوس الأميرة (جالا بلاكيديا) التي كانت أسيرة لديه لكنها بعد وفاته تزوجت من أحد ضباط الامبراطور ، ومات هونوريوس عام 423 وهو في الأربعين دون أن يعمل شيئاً للامبراطورية الغربية .

وخلفه ابن بلاكيديا فالنتنيان الثالث وكان طفلاً كاد يُغتصب العرش منه لولا القائد ايتوس الذي واجه تحديات البرغنديين في الشرق والقوط في الغرب والجنوب والفرنجة الساليين على نهر الشلد ، الا ان التحدي الأكبر جاء ، من الوندال الذين احتلوا أجزاء كبيرة من شمال افريقيا بقيادة (جيسريك) . وكان من عبقرية ايتوس ان وحّد صفوف القوط والرومان أمام عاصفة الهون التي كان يقودها أتيلا الذي أطلق على نفسه (عذاب الله) حيث هزمهم هزيمة في معركة شالون451 ثم قتل أتيلا عام 453 ، وانهار كيان الهون «ذلك البناء المخيف ، بل الهش ، الذي أقام عليه امبراطورية . وأصبح الهون ضعافاً لا حول لهم ولا قوة بعد أن لم يعد لهم قائد يقودهم ، وثار عليهم القوط الشرقيون والجيبيد والروجيون والهيروليان وأقعوا بهم شرّ هزيمة في موقعه نيداو في بانونيا 454»(56) .

ومثلما قتل الدسائس ستليكو قام فالنتينيان بذبح ايتوس بيده بعد أن حيكت ضده الدسائس لكن اثنين من اتباع ايتوس انتقموا له فذبحا فالنتينيان وحاجبه عام 455 ، ثم توفي مرقيان امبراطور الشرق بعد ذلك بعامين ، ولم يبق في الشرق ولا في الغرب ابن واحد من بيت ثيودوسيوس يتولى الملك بعدهما كما ان الامبراطور المتوفي لم يعين خلفاً له .

قام الثري مكسيموس بشراء التاج بعد اغتيال فالنتيان واجبر أرملته على الزواج منه فاستغاثت بجيسريك ملك الوندال فزحف الى روما ، واغتال الشعب مكسيموس واحتل جيسريك روما ونهبها تماماً وأسر الملكة وابنتيها وزوج صغراهما من ابنه هنسريك .

ثم جاء أباطرة ضعفاء عيّنهم القوط مثل (أرفيتوس ، ماجوريان ، سفيروس) وقام الامبراطور البيزنطي ليو بتعيين (انتيميوس) اليوناني صهر مرقيان امبراطوراً على الغرب لكي يتحد الغرب والشرق من أجل هزيمة الوندال لكنّ الوندال هزموا الاسطول الامبراطوري بقيادة باسيلسكوس عام 468 .

بدأت الامبراطورية الغربية بالتفكك حيث دخل القوط الغربيون جنوب بلاد الغال وتحررت بريطانيا بعد أن سيطر عليها الجوت والسكسون واشتدت قوة المملكة البرغندية شرق بلاد الغال ، أما بريطانيا فقد تزعم (ديسيمر) التيوتوني الأصل قيادة الضباط والجنود وكان يزدري الامبراطور الغربي انتيميوس . وفي عام 472 قام ريسيمر بخلع انتيموس وعين مكانه أوليبريوس (زوج ابنة فالنتينيان الكبرى) وأعدم انتيموس لكن ريسيمر مات بعد ذلك بقليل وحلّ محله أخوه (جنودباد) البرغندي الذي خلع

أوليبريوس ونصب مكانه جليسريوس امبراطوراً ، ورفض الامبراطور البيزنطي (ليو) الاعتراف بهذا فقام بتنصيب يوليوس نيبوس امبراطوراً وصار جليسيريوس أسقفاً . وفي العالم التالي فرّ يوليوس من روما ، بعد أن طرده منها قائد جنوده أورستيز وعيّن ابنه امبراطوراً ، وهذا الامبراطور الجديد هو الذي يطلق عليه اسم روميلوس أغسطولوس Rumulus Augustulus على سبيل الزراية والاستخفاف . وهو آخر أباطرة الرومان الغربيين .

وكانت الامبراطورية البيزنطية الشرقية آنذاك تحت حكم زينون (الذي أتى بعد ليو الثاني) وهو الذي كان قد فرّ أيضاً من القسطنطينية بعد أن عزله قائد الاسطول البحري باسيليسكوس والذي قام جيسريك بإبادة اسطوله ، وهكذا سقط كلا المغتصبين للعرش في عام 476 ، وعاد زيو الى عرشه في الشرق ولكن السلطة في الغرب انتقلت الى يدي أودوكر الاسكرياني Odocar of Scitian ، وقد رفض هذا أن يكون أغسطساً بنفسه كما رفض أن يعمل تحت أمرة أغسطس غربي آخر ، ولكنه اختار ان يكون نائباً عن الامبراطور الروماني في القسطنطينية(57) .

وهكذا انتهت الامبراطورية الرومانية الغربية التي ظلت عاصمتها روما أكثر من ألف سنة ، وقد جعل المؤرخون عام 476 م هو عام نهاية التاريخ القديم كله وبداية التاريخ الوسيط .

مراجع الفصل الأول

1 . نصحي ، ابراهيم : تاريخ الرومان (من أقدم العصور حتى عام 133 ق.م) ، حـ1 ، ط ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1998 ص12 .
2 . المرجع نفسه ، ص 25 .
3 . المرجع نفسه ، ص 25-26 .
4 المرجع نفسه ، ص 28 .
5 . النور ، أسامة وأبو بكر شلابي : تاريخ الانسان حتى ظهور المدنيات ، منشورات Elga ، مالطا ، 1995 ، ص 630 م .
6 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص 27 .
7 . المرجع نفسه ، ص 29 .
8 . المرجع نفسه ، ص 32-33 .
9 . مارت ، تاريخ العالم ، المجلد الأول ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص 279-281 .
10 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص 33 .
11 . المرجع نفسه ، ص 34 .
12 . المرجع نفسه ، ص 36 .
13 . غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوربا العام ، حـ1 (أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر) ، ترجمة أنطوان أ. الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، 1995 ، ص 160-161 .
14 . المرجع نفسه ، ص 87 .
15 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السابق ، ص 47 .
16 . ميرز ، ج .ل : «الاتروريون والقرطاجيون (أصلهم وتكاثرهم) ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ، الفصل 38 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص 469 .
17 . توينبي ، أرنولد : تاريخ البشرية ، ج1 ، ترجمة الدكتور نقولا زيادة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 ، ص 229 .
18 . ددلي ، دونالد .ر : حضارة روما ، ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979 ص 14 .
19 . غريمال ، بيار وجماعته : المرجع السابق ، ص 161 .
20 . النيهوم ، الصادق : «الاتروسكيون» ، بهجة المعرفة ، المجموعة الثانية 3 ، مسيرة الحضارة ، المجلد الاول ، الشركة العامة للتوزيع والنشر والإعلان ، طرابلس ، 1982 ، ص 197 .
21 . عكاشة ، ثروت : الفن الروماني ، المجلد الاول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993 ، ص 10 .
22 . المرجع نفسه ، ص 28 .
23 . توينبي ، أرنولد : المرجع السابق : ص 228 .

24 . المرجع نفســه ص 231 .

25 . عكاشة ، ثروت : المرجع السـابق ، ص 68 .

26 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السـابق ، ص69 .

27 . غريمال ، بيار وجماعته : المرجع السابق ، ص 161 .

28 . المرجع السابق ، ص 162 .

29 . أيوب ، ابراهيم رزق الله : التاريخ الروماني ، منشورات جامعة سبها ، 1996 ، ص 30-31 .

30 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السـابق ، ص 82 .

31 . المرجع نفسه ، ص 83-84 .

32 . النيهوم ، الصادق : المرجع السابق ، ص200 .

33 . نصحي ، ابراهيم : المرجع السـابق ، ص 87 .

34 . المرجع نفسه ، ص 122 .

35 . المرجع نفســه ، ص 136 .

36 . المرجع نفسه ، ص 343 .

37 . نصحي ، ابراهيم ، المرجع السـابق ، الجزء الثاني (جـ2) ، ص 7 .

38 . الشيخ ، حسين :الرومان ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 51 .

39 . أيوب ، ابراهيم رزق الله : المرجع السـابق ، ص 252 .

40 . الشيخ ، حسين : المرجع السـابق ، ص 53 .

41 . المرجع نفســه ، ص 54 .

42 . الشيخ ، حسين : المرجع السـابق ، ص64 .

43 . فشر ، هـ . أ . ل : تاريخ أوربا في العصور القديمة ، ترجمة د . ابراهيم نصحي بك ود . محمد عواد حسين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1950 ، ص 122 .

44 . المرجع نفســه ، ص 124 .

45 . هامرتن ، السيرجون الامبـراطورية الرومانية ، كتاب تاريخ العالم للسير جون أ . هامرتون ، مجلد الثالث ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ص 665 .

46 . المرجع نفسه ، ص 675 .

47 . فشر ، هـ . أ . ل : المرجع السابق ، ص 130 .

48 . المرجع نفسه ، ص 132 .

49 . المرجع نفسه ، ص 133 .

50 . الشيخ ، حسين :المرجع السـابق ، ص 89 .

51 . هامرتون ، السيرجون : «الامبـراطورية في دور الانحلال 211-330» ، كتاب تاريخ العالم للسيرجون أ . هامرتون ، المجلد الرابع ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ص 105 .

52 . توفيق ، عمر كمال : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، [illegible]

53 . حسين ، حسن عبد الوهاب : معالم التاريخ البيزنطي (السـياسـي والحضاري) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2001 ، ص72 .

54 . هامرتون ، السيرجون : المرجع السـابق ، ص 204 .

55 . الشيخ ، حسين : المرجع السـابق ، ص72 .

56 . هامرتون ، السـيرجون : المرجع السابق ، ص 212 .

57 . المرجع نفسه ، ص 214 .

المعتقدات الرومانية

(دراسة في اللاهوت والأفكار الدينية الرومانية)



موت أورفيوس

المبحث الأول

جذور الديانة الرومانية وتطورها

أولا: جذور الديانة الرومانية

نشأت في ايطاليا ، قبل ظهور روما ، معتقدات دينية كثيرة كانت قريبة من المحيط الذي ظهر فيه الرومان فيما بعد وأثرت بشكل مباشر وواضح على ديانة روما وكانت بمثابة الجذور المباشرة لها . وقد ناقشنا تفصيلياً تاريخ ايطاليا وحضارتها في العصرين البرونزي والحديدي وتبين لنا أن هذه الحضارات صبّت خلاصتها في البيئة الرومانية مثل حضارات بيوت الركائز والتيرامار في العصر البرونزي وحضارة الفيلانوفا في العصر الحديدي .

لكن الجذور المباشرة التي استقت منها روما عقائدها كانت تكمن في ثلاثة جذور أساسية هي (الإتروسكية والإغريقية والايطالية المحلية) .

لقد مثلت الإتروسكية والإغريقية العقائد الوافدة الى ايطاليا في العصر الحديدي فقد كانت الاتروسكية مزيجاً من عقائد شرقية وافدة من آسيا الصغرى ومخلوطة بالتراث الآري ، وكانت الإغريقية مزيجاً من عقائد هيلينية هي فرع من التراث الآري في بلاد اليونان .

ولعل من أهم العقائد الايطالية المحلية هي اللاتينية التي كانت عقائد آرية بدائية شكـ... [illegible] المباشر لعقائد الرومان إن لم تكن هي نفسها مادة هذه العقائد لأن اللاتين هم الذين أسـ[illegible] روما وهكذا نجد أن العقائد الآرية تكاد تكون القاسم المشترك بين هذه الجذور الثلاثة .

وإذا كانت اللاتينية قد منحت العقائد الرومانية تلك الصبغة الريفية البدائية السحرية والارواحية والطوطية والعبادة العائلية والعشائرية المحدودة فان الاترزسكية منحتها عمق الخصب الشرقي وشعائره بينما أعطتها الاغريقية الهيكل البانثيوني الأخير الذي تجانست فيه الديانة الرومانية مع الإغريقية ثم بدت وكأنها وريثة لها .

1. الجذور الاتروسكية

كان للإتروسك معتقدات دينية خاصة بهم اعتزوا بها ولم يدمجوها من معتقدات أخرى .

الإلهة الأم الإتروسكية كان اسمها فولتمنا Voltumna وكان لها معبد مركزي يجتمع فيه الإتروسكيون في وقت محدد كلّ عام وكانت عقائد ما بعد الموت تشكل أساس الديانة الإتروسكية

ولذلك احتلت الهة الموت ثوفلثا (طوفلطا Thuflitha) مكانة فريدة في مجمع آلهة الإتروسك بحيث كانت ترادف فولتمنا كونها تشكل إلهة أم كما أنها راعية الأحياء والأموات من البشر وتوضح تماثيلها الفريدة مكانتها ، ففي تمثال مجوّن من القرن الخامس كان يضمّ رماد شخص تظهر طوفلطا جالسة وبيدها طفل (يشبه هذه المشهد رديفاً له للإلهة البربرية تانيت التي انتشرت في شمال أفريقيا) ولكرسيها مساند أرضية لملاكين أو أمرأتين عاريتين (شكل 25) وكذلك تشبه الإلهة الفريجية سيبيل(1) .



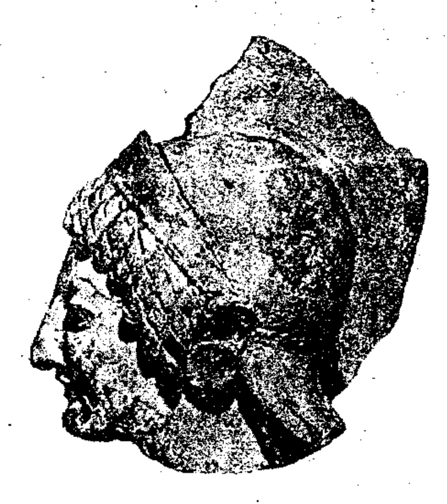


شكل (25) الإلهة طوفلطا إلهة الموتى (اليمين) والهة البشر (اليسار) .

وقد عبدوا الإله تاجيس Tages الذي كان من آلهة ما تحت الأرض هو إله العرافة الذي ظهر من الأرض بعد أن حرثها فلاح أتروسكي وقدم نفسه على أنه حفيد جوبتر ، ثم علّم الاتروسكيين العرافة الخاصة بقراءة أحشاء الحيوانات واختفى بعدها (2) . وعبدوا أثينا وأبولو في هيئة اغريقية شكل (27,26) .

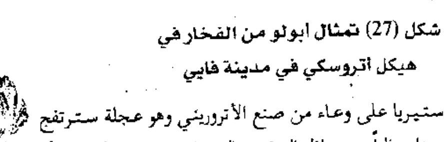
أما التمثال الآخر فهو وعاء جنائزي يرجع تاريخه للقرن الخامس قبل الميلاد للإلهة طوفلطا حيث تظهر كإلهة للموتى والليل وتلبس وشاحاً مرصعاً بالنجوم وعلى صدرها جعران يرمز للبحث(3) .

وعبد الإتروسك آلهة أخرى أصبحت فيما بعد جزءاً من البانثيون الروماني وهذه الآلهة هي يوني Uni الإتروسكية التي أصبحت عند الرومان يونون وهي زوجة جوبتر ، والإله تينا Tinna الذي كان إلهاً للعاصفة والصاعقة والبرق وهو إله المشتري الذي أصبح عند الرومان جوبتر ، ومنيرفا Minerva التي أصبحت الإله العذراء إلهة الحكمة الرومانية ، وكذلك الإله ميركوMerku (وهو اسم العشيرة اتروسكية) الذي أصبح الإله عطارد (ميركوري) كل هذه الآلهة المشتركة من الإتروسك والرومان كانت ذات جذور اتروسكية أولا . وقد عبدوا أبولو (شكل27) لكن الرحالة من الإغريق وحدّوا بين هذه الآلهة الاتروسكية والآلهة الإغريقية ذات الوظائف والصفات نفسها من حيث المظهر على الأقل ، وربما كان هذا باعثاً للرومان ، بعد عدة قرون ، لمقابلة آلهتهم بآلهة الإغريق أيضاً .



شكل (26) رأس أثينا الإتروسك من الطين المحروق القرن السادس ق.م.

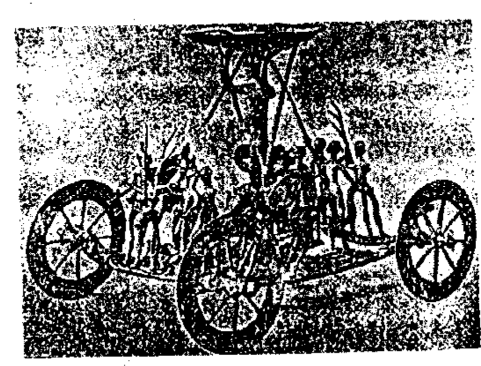
وكانت الإلهة توازن الهة الحب والجمال عند الاتروسك وتقابل أفروديت الاغريقية .



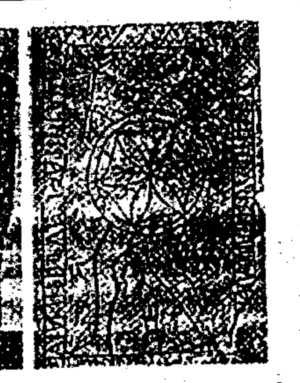
شكل (27) تمثال ابولو من الفخار في هيكل اتروسكي في مدينة فايي

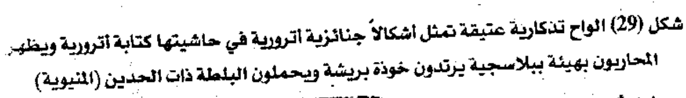
وقد عثر في ستيريا على وعاء من صنع الأتروريين وهو عجلة سترتفج Streetweg وهو يرينا منظراً من مناظر العقيدة الدينية : وهو يمثل الإلهة الأم في حجم يفوق حجم الإنسان يحرسه من جانبيه حارسان مدججان بالسلاح . وخدم من الطواشي يقودون الضحية وهي وعل حيث يتأهب كامن لذبحة ببلطة . ومن المحتمل أن التمثال كان محفوظاً في دغل من الأدغال المقدسة وكان يسحب منه مرة في كل عام ويحمل ويطاف به حول البلاد في عربة . والعربة مصنوعة من البرونز وأركانها محلاة برؤوس الخيل وفي وسطها يقوم التمثال يحرسه المحاربون بخوذاتهم ومعهم خيلهم وفي كل طرف وعل للضحية يحف به رهط من الكهنة العراة (شكل 28) .

وعثر على ألواح تذكارية تحمل صور محاربين وكتابات إترورية قديمة (شكل 29) .

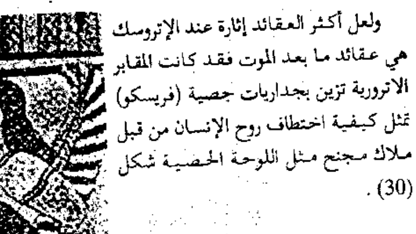


شكل (28) العربة القربانية الإترورية من سترتفج Strettweg مصنوعة من البرونز عثر عليها في ستيريا بايطاليا





شكل (29) الواح تذكارية عتيقة تمثل اشكالاً جنائزية اترورية في حاشيتها كتابة اترورية ويظهر المحاربون بهيئة ببلاسجية يرتدون خوذة بريشة ويحملون البلطة ذات الحدين (المنيوية)



ولعل أكثر العقائد إثارة عند الإتروسك هي عقائد ما بعد الموت فقد كانت المقابر الاترورية تزين بجداريات جصية (فريسكو) تمثل كيفية اختطاف روح الإنسان من قبل ملاك مجنح مثل اللوحة الجصية شكل (30) .



شكل (30) لوحة جصّية اترورية على جدار مقبرة تمثل ملاك الموت المجنح وهو يختطف امراة ويتقدمه ملاك ملقح يحمل سلاحاً.

هناك مناظر لشياطين العالم الأسفل المرعبة وللأرواح المعذبة حيث الشياطين يحملون مطارقهم تنهش فريستها ، والملاحظ أن هذه اللوحات تظهر أنواع العذاب التي تقع على الموتى من الأرواح رة وآلهة الموت في الآخرة .

كسباً لود هذه الأرواح وإرضاء لها وكذلك تكريماً للموتى وضماناً لاستمتاعهم في العالم الآخر راضية يخلدون فيها كان الاتروسكيون يقدمون ضحايا بشرية في مناسبات الوفاة فيقتلون في ات أصبحت فيما بعد النماذج التي أوحت للرومان بما يسمى بـ (مباريات المجالدين -gladia t) الجنائزية (4) شكل (31 , 32) كانت مقابر الإتروسك بالدرجة الأساسية لدفن الموتى ، رغم ما يشير الى دفن قوارير رماد الموتى التي تشير الى حرق جثثهم خاصة شمال إتروريا (شكل



شكل (31) لوحة في مقبرة العرافين لرجلين يتصارعان وحايور

شكل (32) شخص مقنع (فيرسو)
أثناء المباريات الجنائزية



شكل (33) أواني حفظ أحشاء الموتى الإتروسكية / مقبرة كيوزي

ويمكننا تقسيم مقابر الدفن الى أربعة أنواع هي :

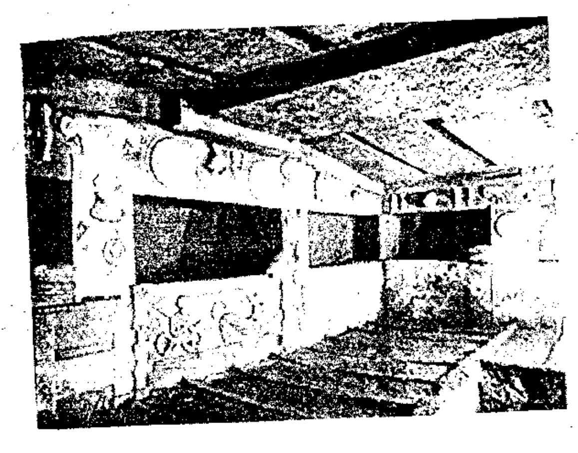
1 . التومولوس Tumulus : وهي غرفة تبنى فوق سطح الأرض وتغطى بكومة كبيرة من التراب .

2 . الثولوس Tholos : وهي غرفة مستديرة الشكل مقببة السقف تبنى عند سطح أحد التلال .

3 . الحفر والخنادق الأرضية التي يسجى فيها الميت أو يوضح بوضع الجنين ويهال عليه التراب ويغلق بحجرة كبيرة .

4 . الشقوق الصخرية : حيث يوضع الميت في حفر صخرية .

5 . مقابر الدفن : وكانت مقابر الدفن الاتروسكية الخاصة بالأغنياء والملوك تزين بلوحات الفريسكو وتصور مشاهد من حياة ما بعد الموت وتحتوي كذلك على أنصاب الموتى وأغراضهم والأثاث الجنائزي لهم . شكل ( ) حيث تظهر الأسرة الجنائزية ولكل منها وسادتان ولبعضها وطيء قدم وخفٌ وكأنه ينتظر صاحبه ، وهناك أسلحة وتروس معروضة بشكل نافر ومنها خوذ وصفائح للأرجل وسيوف وقد زينت الأعمدة الوسطى بعدة أشكال من الأدوات والآنية المستعملة في الحياة اليومية هذا القبر الذي يسمى (قبر النحوت النافرة) في الصخر الصلد في تشير فيتيري ظاهرة فريدة من نوعها . شكل (34) .



شكل (34) قبر النحوت النافرة

وتظهر في القبور الإتروسكية وخصوصاً في النمط التركويني المستطيل الغرفة في الصخر وعلى جدار الكلس لوحات فريسكو (جصيته) توضح الصيد والقنص والولائم الجنائزية تكريما للأموات وهناك من يرى أن هذه اللوحات هي تصوير لعقائد ما بعد الموت وأن الطيور التي تظهر فيها ما هي إلا أرواح الموتى (شكل35) .

ولعل أشهر أشكال النواويس الجنائزية ذلك الناووس الذي يصور زوجين منحوتين بحجم طبيعي على غطاء تابوت الفخار المشوي والذي وجدَ في تشرفيتيري بايطاليا قرب كابيري (26) .

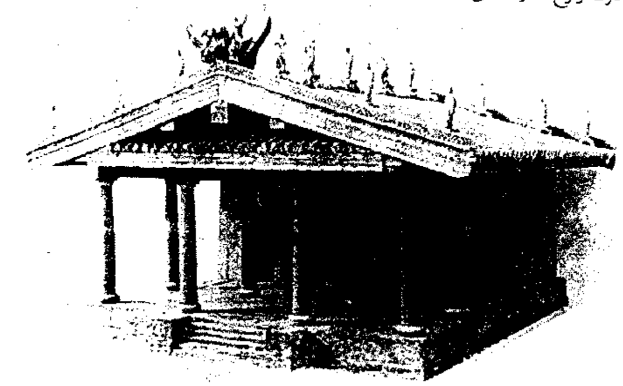
شكل (35) فريسكو في مقبرة الطيور أرواح الموتى



شكل (36) ناووس من الفخار المشوي

المعابد الإتروسكية كانت تبنى على قاعدة مرتفعة حيث تنقسم الى بهو الدخول المزين بالأعمدة وقاعة العبادة Cella ، وجدران المعابد تبنى من اللبن فوق أساس من الحجارة ، أما الأعمدة وعوارض السقف فتصنع من الخشب وتكسى بالطين المفخور ، ويوضع في السقف تماثيل طينية .

ويوضح الشكل (37) نموذجاً لمعبد إتروسكي في كل زاوية منه عمود مربع وعلى السقف مثلث بزخارف ولوح الشرفة على بستار غريب الشكل .



شكل (37) إعادة تصميم لمعبد اتروسكي

ثبت الالهة:

لا يمكننا ، بطبيعة الحال ، تنظيم شجرة أنساب دقيقة للآلهة الإتروسكية ولكننا يمكن أن نضع ثبتاً للآلهة الإتروسكية يكون نواة لتنظيم شجرة دقيقة لأجيال الآلهة الإتروسكية التي كان معظمها جذراً للكثير من الآلهة الرومانية :

أ . الآلهة الكبار :

1 . فولتمنا : وهي الالهة الأم الأتروسكية .

2 . تينا : وهو الإله الأب الإتروسكي (الذي أصبح جوبتر عند الرومان) .

ب . الآلهات الإناث :

1 . منيرفا : الإلهة العذراء المختصة بالصواعق والطب .

2 . يوني : إلهة الأمومة والزواج .

3 . توران : إلهة الحب والجمال .

4 . طوفلطا : إلهة الموت والعالم الأسفل .

حـ . الآلهة الذكور :

1 . تالاسيو : إله الزواج .

2 . فيرتومن (فيرتر) : إله قوة الطبيعة والأزهار والربيع .

3 . تاجيس : إله العرافة وهو إله سفلي (تحت الأرض) .

4 . فولكان : إله النار والمعادن .

5 . تيبر : إله النهر .

6 . ميركو : إله تجارة الحبوب والكوكب عطارد .

2. الجذور الإغريقية:

لم تكن العبادة الإغريقية جذراً للعبادة الرومانية ولكنها كانت عبادة لصيقة بجذورها ، إذ يمكننا وضع العبادتين الأتروسكية والإغريقية كينابيع للجذر اللاتيني الذي هو أساس شجرة الآلهة والمعتقدات الرومانية .

واذا جاز لنا وصف الديانة الأتروسكية كأهم ينابيع الديانة الرومانية في العصر الملكي فانه يمكننا القول ، قياساً على ذلك ، أن الديانة الإغريقية كانت أهم ينابيعها في العصر الجمهوري .

كان الإغريق يمارسون تأثيرهم الديني في مدن (إغريقيا العظمى) جنوب ايطاليا منذ تأسيس روما وخلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، ولكن تأثيرهم الآخر اتضح عن طريق العلاقة المتوطدة بين الإغريق والقبائل الايطالية وخصوصاً في المدن الإتروسكية مثل (تاركيني) و (فولتشي) و (كاير) والتي ربطتها صلات تجارية منتظمة مع المستعمرات الإغريقية . وقد كان تاركيس الأكبر (الأول) وسيرفيس تولوس وتاركينس سوبربس من أصل أغريقي رغم أنهم ملوك أتروسك .

1. المدونات السيبيلية: Cebelliane texts

وهي النصوص الخاصة بالإلهة الفريجية سيبيل (Sibyle, Cebell, Syhole) وهي إلهة أم ظهرت في فريجيا واشتهرت بأسطورتها مع أتيس وانتقلت عبادتها الى اليونان والرومان وسطرت حولها الكثير من الاسرار والاساطير السرية والطقوس المحاطة بالغموض ، وقد وجدت مع ريّا وشاركت جوبتر في السيطرة على التكاثر عند الآلهة والبشر والحيوان والنبات .

كانت أساطيرها تخص بعث الإله الميت وعقائد الخلاص وأثرت في العقائد الأورفية . ولها تماثيل عدة تصورها جالسة على عرش تحيط به الأسود أو على عربة تجرها الأسود وعلى رأسها تاج بهيئة أبراج وبيدها مفتاح يرمز الى كنوز الأرض وقد تحمل صولجاناً أو غصناً من الغار أو قرن الوفرة (5) .



شكل (38) الإلهه الفريجية سيبيل

وقد انتقلت عبادتها من الإغريق الى الرومان في القرن الخامس قبل الميلاد عندما عرضت كاهنة أبو لو (وهي كاهنة سيبيل في كومي) على الملك الأتروسكي تاركوين بأن تبيعه تسع كتب من كتب التنبؤ حيث تقول الاسطورة ان الملك رفض شراءها مرتين بسبب سعرها المرتفع ، وكانت الكاهنة تطرح ثلاث كتب في النار وتضاعف سعر البقية وأخيراً قام تاوكوين بشراء آخر ثلاث كتب متبقية وتمّ حفظها في الكابيتول وسميت بالكتب أو المقرونات السيبيلية .

وتضمنت إرشادات عن كيفية كسب رضا الآلهة الأجانب سواء الاغريقية أو الشرقية . وكانت هذه الطريقة التي نفذ فيها الإله أبولو الى آلهة الرومان واحتل مكانة بينها(6) .

وقد جددت هذه الكتب عن طريق الاتصال بالكاهنات الشهيرات (ولا سيما كاهنة أريتيريا) وقد كان مؤولو كتب هذه الكاهنة أول الامر إثنين ثم أصبح عددهم في 364ق .م عشرة خمسة من العامة وخمسة من الخاصة ثم ارتفع عدد الأعضاء الى خمسة عشر في عهد سلا يتولون تأويل هذه الكتب الشعرية .

وكانت الإلهة (ما) الكبدوكية التي تسمى (عين أناهيت) تشير الى إلهة مزدكية لكنها أصبحت إحدى تابعات (سيبيل) .

2. البانثيون الإغريقي:

في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد اعترف الرومان رسمياً بمجموعة من الآلهة الكبرى تماثل الآلهة الإغريقية الاثنتي عشرة التي كانت تؤلف مجموعة آلهة الأولمب . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هي أن الآلهة ذات الأصل الإغريقي خلفت سريعاً الآلهة اللاتينية الصغرى . وأن الآلهة الرومانية غير المجسدة اتخذت أشكالا آدمية مثل الآلهة الاغريقية ، مما أدى الى كثرة الطلب على انتاج تماثيل للآلهة الرومانية على غرار تماثيل الآلهة الاغريقية(7) .

وقد ذكر الشاعر إينيوس في القرن الثالث ق .م آلهة البانثيون الروماني وهي (جونو ، فيستا ، منيرفا ، سيريس ، ديانا ، فينوس ، مارس ، ميركيريوس ، جوف (جوبتر) ، نبتونوس . فولكانوس ، أبولو) وهذه الآلهة تماثل آلهة البانثيون الأولمبي الإغريقي .

وبظهور البانثيون الروماني المقابل للبانثيون الإغريقي فقدت بعض الآلهة الإيطالية المهمة مثل (يانوس وساتيرن) مكانتهما وازدادت مكانة آلهة ثانوية صعدت الى البانثيون . وأخذ جميع الآلهة شكلاً وتجسيداً بشريين .

3. أفروديت/ فينوس:

شقت الإلهة أفروديت طريقها من صقلية الإغريقية الى الرومان عام 217 ق .م وتحول اسمها الى فينوس إلهة الحب والجمال الرومانية ويعتقد أن التجار الإغريق حملوها الى هناك .

4. آلهة الأسرار الإغريقية:

منذ دخول مدونات سيبيل الى العبادة الرومانية وديانات الاسرار الإغريقية الرومانية تحاول أن تأخذ مكانها العميق عند الرومان ولذلك بدأت أساطير وآلهة العالم الأسفل وآلهة الخلاص بالتسرب الى روما .

ففي أزمات الحربين البونيتين الأولى والثانية وافق السناتو عامي 249 و207 ق .م على إنشاء أعياد دينية ذات طقوس إغريقية استرضاء لإلهي العالم .

الاسفل الإغريقي الأصل ديس Dis (وعند الاغريق هادس أو بلوتون) وبروسربينا proserpina (وعند الاغريق برسفوني)(8) .

وانتشرت عبادة الإله باخوس والأم الكبرى بين الرومان دالة على عقائد الخصب الزراعية القديمة التي تحولت الى عقائد خلاص وأسرار غنوصية أمام السطح الأملس العقائد الألهة التقليدية .

وفي عام 186 ق .م اتخذت اجراءات صارمة ضد جماعات الباخوسيين Bacchanalia التي انتشرت في مختلف أنحاء ايطاليا وكانت تقيم في الخفاء طقوساً عابثة تحت ستار عبادة ديونسيوس (باخوس الروماني) . وهذا الاتجاه نفسه يفسر طرد المنجمين الكلديين من ايطاليا في عام 139ق .م(9) .

5. آلهة إغريقية متفرقة:

في عام 293 ق .م عبدوا الاله ابيداوروس الذي هو الإله الثعبان اسكلابيوس إله الطب عند الاغريق .

ورفع الإله نبتون من إله ثانوي صغير الى مقام كبير وارثاً مملكة البحر من بوسايدون الاغريقي .

وأخذ الأب ليبر أو الإله (ليبرباتر) وهو إله فلاحي متواضع ورث ثروات الإله إياكوس ديونسيوس lacchus Dionysins .

وفي الوقت نفسه ظهرت الصلاة الهيلينية وبضمنها طقوس ليكتسترينا Lectisterina وعيدها حيث توضع صورها ويهيئ لها الطعام وقد ظهرت هذه الطقوس في 399 ق .م وكان عبارة عن مسيرات شعبية ابتدأت في معبد أبو لو وتقوم بزيارة الأماكن المقدسة في المدينة .

وقد رأى بعض الباحثين دخول هذه الآلهة والطقوس الاغريقية الى الأزمة السياسية والأخلاقية التي أورثت الحروب البونية ونكسات روما خلالها .

ومن الألهة الدخيلة ذات المنشأ الاغريقي (Disnovensides) الألهة (أبو لون ، تسيريرا ، ليبير ، ليبيرا ، ميركوري ، إسكولاب وغيرها) .

3. الجذور الايطالية المحلية

انصهرت الشعوب الايطالية المحلية في بوتقة واحدة وهي تتكون من (اللاتينو والاميبريون والسابنيون) وجميعهم من أصل آري اختلطوا بسكان العصر الحجري الحديث الاصليين الذين سكنوا ايطاليا .

وقد حكم لايتوم (موطن اللاتين) ملك اسطوري هو (لايتنوس) كان يعتبر تارة ابن البطل أوليس من الساحرة كيركة ، وآخر يعد حفيده وأحيانا يعتبر ابن فونوس من ماريكا . وقد أنجب من زوجته آماتية ابنة تدعى لافينا تزوجها فيما بعد اينياس القادم من طروادة المحترقة . وعبد لاتينوس بعد موته باسم جوبيتر لاتيارس (10) .

وحكم قبل لاتينوس ملوك اسطوريون وصلوا حد التألية بعد موتهم مثل جانوس وبيكوس وفوتوس وإينياس .

وظهر في منطقة لاتيوم عدة مدن هي :

1 . بلانتيوم : أسسها أيفاندر وهي التي أصبحت روما فيما بعد التي أسسها روموليوس وريمس .

2 . لافينوم : أسسها اينياس على اسم زوجته لافينيا وهي ابنة لاتينوس الوحيدة من زوجته آماتيه خطبها الملك تورنوس لكن جدها فونوس أعلم أباها عن طريق الوحي أن عليها أن تنتظر الزواج من غريب هو إينياس ، وانجب إينياس من لافينيا ابنهما سلفياس الذي أصبح ملك لافينوم .

3 . ألب لالونغ : أسسها إسكاني واستوطن بعض من شعبها في روما .

أما السابينيون فقد حكمهم عدة ملوك منهم تاتيوس الذي أعلن الحرب على روما بعد أن سباهم رومولوس ، واقتحموا قلعة روما ثم تصالح الشعبان الروماني والسابيني وأسسا حكومة ثنائية لكن اللورنتين قتلوا تايتوس انتقاماً لما حل بهم على يد قومه فدفنه رومولوس وحكم الشعبين وحده . والحقيقة أن الشعب اللاتيني صهر معتقدات وأساطير الشعوب الايطالية التي معه عبر اللغة اللاتينية التي أصبحت لغة الدولة الرومانية الموحدة . كانت المعتقدات اللاتينية .

كان السابينيون مزارعين وكانت عبادة الخصب أهم عقائدهم الدينية ، فقد عبدوا الإله (مارس) كإله للزراعة والربيع والإخصاب وأقاموا له عيداً في بداية الربيع واسمه الأصلي (مافورس ، مارمار) إله قبيلة المارسيين السابينية تشير الأسطورة الى أن مؤسس روما (روموليوس) أنجبته ريا سلفيا من مارس ، وريا سلفيا هي ابنة ملك مدينة ألب لالونغ ويتصل نسبها بالبطل إينياس ، وقد اغتصب عمّها أموليوس العرش من أبيها وأكرهها أن تبقى كاهنة عذراء في معبد الفيستا لئلا تلد من يسترد العرش منه ، ولكن الإله مارس أحبها فولدت منه التوأمين روموليوس وريمس مؤسسي روما فاعادا جدهما نوميتور الى عرشه وماتت ريا سلفيا بعد ذلك بقليل وألقيت جثتها في نهر التيبر وهناك اسطورة أخرى تقول أن عمها أموليوس قتلها وألقاها في التيبر وهكذا اقترن بها هذا النهر .

ومن الآلهة الزراعية الأصل عند الإيطاليين هو (فونوس) إله الرعاة وحامي القطيع والإلهة فينيرا إلهة البساتين والخمور .

وساتورن إله الفلاحة والحراثة وسيرير إلهة الحبوب وجوبيتر إله العنب وحاميه وكل هذه الآلهة تغيرت وظائفها أو حذفت فيما بعد عندما تحول اللاتين من مزارعين الى محاربين وأسسوا دولة روما .

وتعتبر آلهة روما القديمة التي تسمى (Di indigetes) من أصل إيطالي محيط بروما وهي (جانوس ، جوبتر ، مارس ، كويرين ، فستا ، بناتس ، لاري ، غينيي ، يونانا ، ساتورن ، نبتون ، فولكان وغيرها) . وهناك آلهة روما القديمة من أصل إيطاليا ولكنها آلهة دخيلة وتسمى (Di novensides) وهي (ديانا ، فورتونا ، كاستور ، بول لوكس ، هيركولوس ، فينيرا وغيرها) .

ثانيا: تطور الديانة الرومانية في عصورها الثلاثة

1. العصر الملكي

أ. ديانة الأسرة وديانة الدولة:

كان أقدم أشكال الدين الروماني متمثلاً في ديانة الأسرة ، فقد كانت الأسر الفلاحية البدائية البسيطة تعتقد بالأرواح (نومينا Numina) والتي كانوا يرون أنها تحمي بيوت وحقول الفلاحين وأسرهم ومنها :

1 . **جانوس**Janus حارس الباب .

2 . **لار فاميليارس** Lar Familians حامي الأسرة والبيت والأرض بشكل عام .

3 . **بناتس**Panates أرواح الشعلة المنزلية وحماة ومخازن الحبوب .

4 . **فستا** Vesta راعية نار البيت .

5 . **مارس** Mars باعث الحياة في النبات كل ربيع .

6 . **جوبيتر** Jupiter المسيطر على الشمس والأمطار .

7 . **جونو** Juno راعية النساء في مضاجعهن وفي مخاضهن .

وعندما تكونت الدولة الملكية رُفعت بعض هذه الأرواح إلى منزل آلهة للدولة كلها مثل (يانوس ، غستا ، لارس ، بناتس . . .الخ) وصارت هذه الآلهة حامية للمجتمع كله وليس الأسرة فقط مثل :

1 . **يانوس** : حارس أبواب روما

2 . **لار** : الآلهة الحامية للطرقات والحقول والمدن .

3 . **بنات (بينات)** : حماة الدولة تمثل على شكل شابين جالسين

4 . **فستا** : إلهة الموقد والنار المقدسة عند الرومان .

5 . **مارس** : إله الحرب الذي يحول حركة المعارك الحربية لصالح دولة روما .

6 . **جوبيتر** : الإله القومي للرومان وكبير الآلهة .

7 . **جونون** (Junon) : زوجة جوبتر وحامية المرأة وإلهة السماء . . . . .الخ .

وتكوّن الثالوث الأكبر الروماني من (جوبيتر ، جونون ، منيرفا) ومع ظهور هذا الثالوث بدأت ديانة الدولة تتطور شيئاً فشيئاً . ورغم أن الرومان قلدوا في هذا الثالوث ما كان قد فعله الاتروسك لكن ذلك عدّ تطوراً في عقيدتهم .

أما الطقوس الدينية فكانت بدائية جداً فقد كان الرومان لا يعرفون شيئاً عن آلهتهم رغم أنهم يعبدونها فلا شكل لها ولا تجسيد ولا هي مؤنثة أو مذكرة . ولا معابد لها ولا طقوس . وكان الطقس الرئيسي هو محاولة تسبب رضا هذه الآلهة عن عدة طرق مثل سكب اللبن أو النبيذ بقدر محدود أمامها وتقديم كعكة أو أضحية لها .

ب- المؤثرات الإغريقية والاتروسكية:

حين بدأت هذه المؤثرات بالدخول الفعلي إلى الديانة الريفية البدائية للرومان بدأ الرومان بمضاهاة الإتروسك والإغريق في ديانتهم رغم أن ذلك حصل بوضوح أشد في العصر الجمهوري ، في البداية

طابق الرومان آلهتهم مع بعض الآلهة الإغريقية ووضعوا لها نفس الوظائف تقريبا ، ولم يحصل تكوين البانثيون الروماني على شاكلة البانثيون الإغريقي إلا في العصر الجمهوري .

ومن الآلهة التي طابقوا بينها في العصر الملكي ما يلي :

الإسم الروماني	الإسم الإغريقي	الوظيفة
منيرفا	أثينا	الحكمة
ليبرا	كوري	العالم الأسفل
ليبر	ديونسيوس	الخمرة
كيرس	ديمتر	الأرض والقمح
هرطوس	هركليس	البطولة
ديانا	أرتميس	الصيد والشباب
ميركروس	هرمس	رسول الآلهة (عطارد)
أبولو	أبولون	الفن والجمال والشباب

أما المؤثرات الأتروسكية فتضمنت تكوين الثالون (جوبيتر ، جونون ، منيرفا) والذي أصبح أعلى ثالوث للآلهة كما عند التوسكان . كذلك ظهرت فنون العرافة وتفسير النذر مثل فحص الأحشاء ومراقبة حركات الطيور والحيوانات لاستطلاع الغيب ، وقد اصبحت للعرافين في العصر الملكي هيئة خاصة عند الاتروسك كما عند الرومان .

جـ. الطقوس المتطورة والنظام الكهنوتي:

تطورت الطقوس الرومانية البدائية بعد دخول المؤثرات الاغريقية والاتروسكية واصبح ، في نهاية العصر الملكي ، هناك هيئات دينية رومانية هي «هيئة كبار الكهنة وهيئة حارقي القرابين وهيئة العرافين وهيئة الراقصين وهم الذي كانوا يؤدون رقصات دينية وهم مسلحون استجداء لرضاء إله الحرب مارس ، وهيئة أخوة الذئب وهم الذين كانوا يجرون حول السياج المقدس ليدفعوا الأرواح الشريرة عن المدينة ، والعقر عن نسائها وقطعانها» .(11)

2 . العصر الجمهوري

أ . العرافة الاتروسكية:

ازدادت تأثيرات العرافة الاتروسكية جنباً الى جنب مع العرافة الرومانية ويدل على ذلك أنهم «أولا» كانوا يوفدون أبنائهم إلى أتدروريا لدراسة التعاليم الاتروسكية الخاصة بذلك والآخر هو ازدياد

استخدام خبراء العرافة الاتروسكية وأصبحت لهم حماية ازدادت أهميتها على مرّ الزمن ، إلى حد أنها أصبحت منذ الحرب البونية الثانية منافساً شديداً لجماعة العرّاف الرومان ، إلا أنه كانت لكل جماعة أساليبها الخاصة في التعرف على الإرادة الإلهية»(12) .

ب. التأثيرات الإغريقية:

استمرت التأثيرات الإغريقية في بلورة ونضج الديانة الرومانية ، فقد دخلت إليها آلهة جديدة مثل الديسكوري وهو إله توأم للأخوين (كاستور وبولوكس) إبني الحسناء ليدا وكان الأول زوجها من تنداريوس ملك إسبارطة فهو غير خالد والثاني من الإله زوس ولذا كان خالداً وقد قتل كاستور وقام زوس بترتيب لقاء بين الأخوين في الأولمب مرة وفي العالم الأسفل مرة في كل يوم وآخر . وقد دخلت عبادتها الى روما عام 484 وبنى لهما معبد في الفورم مقابل معبد فيستا . أما الإله الآخر فهو إسكلابيوس الذي عبد في روما تحت اسم (إسكولابيوس) الى الشفاء والطب رغم أن للرومان إلهة شفاء هي (سالوس) لكن ذلك حصل بعد تفشي الطاعون عام 293 ق .م .

وتم التطابق التام بين آلهة الأولمب الإغريقية مع ما يقابلها من الآلهة الرومانية في آلهة أولمبية رومانية وكما يلي :

الإله الروماني	الإله الإغريقي	وظيفته
1 . جوبيتر	زوس	رئيس الآلهة والإله القومي إله الصاعقة
2 . جونو	هير	إلهة الأسرة والزواج
3 . نبتون	بوزيدون	إله البحار
4 . بلوتو	هاديس	إله العالم الأسفل
5 . فيستا	هيستيا	إلهة المواقد والنار المنزلية
6 . أبولو	أبولون	إله الضوء والعدالة والموسيقى
7 . منيرفا	أثينا	إلهة الحكمة
8 . فينوس	أفروديت	إلهة الحب والجمال
9 . مارس	أريس	إله الحرب
10 . ميركوري	هرمس	إله السفر والتجارة والحماية ورسول الآلهة
11 . ديانا	أرتميس	إلهة الشباب والصيد
12 . فولكان	هيفايستوس	إله النار والحدادة والزلازل والبراكين

حصل هذا في النصف الثاني من عصر الجمهورية الرومانية «وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هي أن الآلهة ذات الأصل الاغريقي خلفت سريعاً الآلهة اللاتينية الصغرى، وأن الآلهة الرومانية غير المجسدة اتخذت أشكالاً آدمية مثل الآلهة الاغريقية، مما أدى الى كثرة الطلب على انتاج تماثيل للآلهة الرومانية على غرار الآلهة الإغريقية، بيد أن المعبود الإغريقي الوحيد الذي وفد على الديانة الرومانية من أرض إغريقية في خلال الفترة التي نحن بصددها كانت المعبودة فينوس وهي التي أحضرت من صقلية عام 217 ق.م»(13) أما المظهر الآخر من مظاهر المؤثرات الإغريقية فقد كان في الأعياد حيث ظهرت أعياد دينية ذات طقوس إغريقية مثل أعياد ديس (بلوتون) و (بروسربينا) وتحول عيد ساتورناليا من عيد مهيب الى عيد بهرجي ودخول الأعياد الديونسيوسية تحت ستار الإله باخوس.

ظهرت المعابد الرومانية التي مازالت تحتفظ بالتصميم الإتروسكي الأصل والأعمدة. الإغريقية ثم دخل تصميم البازليكا الإغريقية عليها رغم أن البازليكا صارت أساس عمارة أبنية القضاء، وبنيت معابد الإله ميركوري والثالوث الثاني الروماني المكون من (كيرس وليبر وليبرا) والديسكوري وأبولو وسالوس إسكلاديبوس... الخ.

حـ. الفلسفة الرواقية والفلسفة الأبيقورية:

انتشرت الفلسفة الرواقية والفلسفة الإبيقورية منذ العصر الجمهوري الأخير بين الرومان لسهولة تطبيقاتهما العملية والأخلاقية. وقد أثرت المدرسة الرواقية أكثر من الإبيقورية كانت الرواقية مدرسة نفعية وعملية وهي أقرب الى البراجماتية المعاصرة في تكرس الفلسفة والعلوم للمنفعة العملية المباشرة «فالمنطق والميتافيزيقيا وسائر العلوم إنما تدرس عند الرواقيين من ناحية منفعتها العملية فحسب، وتقتصر أهميتها في تعاليم المدرسة باعتبارها مقدمة للأخلاق ومدارالبحث فيها (الحكمة العملية) وهي فضيلة الفضائل ومؤداها أن يحيا الحكيم ويعمل وفقاً للعقل، والعقل بدوره مطابق للطبيعة، والعلم النظري يخضع أيضا لهذه الغاية فإذا لم يحقق غاية عملية فلم يؤثر في ميولنا ويوجه أفعالنا فإنه يصبح عقيماً لا طائل تحته أو شراً يجب الابتعاد عنه»(14).

تناغمت الرواقية مع طبيعة المجتمع الروماني ومع تكوينه الأسري العريق وحياته العملية والقتالية، ولم تكن الرواقية مجرد نظرية علمية بل هي أخلاق ودين أحكمت الدين الروماني النزاع الى الروح العملية والنفعية.

وإذا كان الرواقي الروماني رجل قتال لا رجل تأمل وتفكير، فقد كان يتجنب ما وراء الطبيعة، ويرى ذلك من المطالب الميئوس منها، وكان يجد في الرواقية فلسفة أخلاقية تقوم على الآداب الإنسانية، وتضم شمل الأسرة، وتثبت النظام الاجتماعي من غير حاجة الى رقابة علوية وسيطرة

إلهية، وكان جوهر قانونه الأخلاقي هو سيطرة المرء على نفسه، فكان يدعو إلى اخضاع الشهوات للعقل. وكان في الناحية السياسية يعترف بأخوة البشر الخاضعين لأبوة الله. وكان في الوقت نفسه يحب بلده وتراه على الدوام مستعداً لأن يضحي بحياته لكي يرّد عنها وعن نفسه المذلة والعار(15).

كان الرواقية أغريقية النشأة على يد زينون القبرصي (322-264) ق.م وتلاميذه لكن الفترة الوسطى منها والمتأخرة هي التي تركت أثرها على الفلاسفة الرومان فصار أغلبهم رواقياً منهم بوزيدونوس الأبامي من رودس، وآريوس ويديموس السكندري معلم الامبراطور أغسطس، وآنوس سنيكا وبعد الامبراطور مرقس أوريليوس (121-80) م آخر الرواقيين الكبار.

أما الأبيقورية التي أنشأها مبكراً أبيقور (341-270) ق.م في أثينا فقد وجدت لها صدىً كبيراً هي الأخرى في حياة الرومان لأنها داعبت الجانب الحسي واللذائذي عندهم، وإذا كانت الابقورية في مهدها تؤكد على أن الفلسفة هي التي تمكننا من بلوغ السعادة القصوى وتحررنا من عبودية الاعتقاد بالخوارق والميتافيزيقيا عن طريق التأمل والملاحظة فإن هذه الابيقورية عند الرومان أصبحت حسّية محضة، فقد انكبّ روادها الرومان على الخمور والنساء ولم يترك ذلك لهم فرصة التأمل والملاحظة.

لقد ضربت الابيقورية صميم الروح الديني القديم وتبدو وكأنها اتفقت مع النزعة اللادينية التي تكمن في أعماق الروماني فقد سلمت من ناحية بوجود الآلهة ولكنها رفضت التسليم بوجود أي تأثير لها على العالم أو على الوجود الإنساني ومن ثم فلا وجود للسحر أوللعرافة أو للمعجزات أو الخوف من عذاب جحيم لها على الإطلاق(16).

وكانت اللذة هي جوهر الأبيقورية، وإذا كانت الأبيقورية الإغريقية ترى أن لذة العقل أعلى من لذة الحس فإن الابيقورية الرومانية عكست الأمر وانغمست في اللذات الحسية وأهملت، في أقل تقدير، التوازن بين لذة العقل ولذة الحس.

ويرجع موقف الأبيقوريين السياسي في مساندتهم للأباطرة الى أنهم كانوا يرون المثل الأعلى في حاكم قوي مسيطر يحتمون بلوائه حيث يعيشون في سلام دائم وقد استغلوا حماية هؤلاء الأباطرة لهم وأجهزوا على ما كان قد بقي من هيكل الدين القديم المنهار، ودين تعدد الآلهة، كما اشتد هجومهم على الدين الجديد أي المسيحية دين المعجزات التي أنكروها منذ قرون عدة قبل ظهور المسيح(17).

د. ضعف الديانة الرسمية:

كلما نزحنا نحو القرون الميلادية الأولى كانت الديانة الرسمية الرومانية تتهاوى وتضعف «وقد كان الكثيرون من الرومان وبخاصة المتعلمين منهم يرون أن المذاهب الدينية الرسمية فقدت معناها الديني منذ أمد طويل، وأن العناية بإقامة شعائر هذه المذاهب لم تعد إلا وسيلة سياسية القصد منها هو

السيطرة على الجماهير باسترضاء مشاعرها لاعتقادها بأن إقامة شعائر المذاهب الدينية الرسمية وفقاً للاصول المرعية يكفل رضاء الآلهة وحسن علاقاتها مع المجتمع الروماني . بيد ان العبادة البسيطة التي كانت كل أسرة تمارسها في بيتها ظلّت محتفظة بقيمتها الدينية على الأقل من نظر أكثر الناس تمسكاً بالتقاليد القديمة»(18) .

وقد لعبت الفلسفة الهيلنستية والعقائد الهيلنستية دوراً كبيراً في إضعاف الديانتين الإغريقية والرومانية لما شابهما من عقائد شرقية قديمة ولزحف عقائد الخلاص والغنوصية في نسيجهما .

كذلك لعبت العبادات الشرقية دوراً في إضعاف الديانة الرومانية الرسمية لما فيها من إغراء جديد ولما كان يحوطها من غموض .

هـ. دخول الآلهة الشعبية والشرقية:

كانت المذاهب الشعبية تحتفي بآلهة متواضعة لا تجلس على قمة هرم بانثيون رصين ومحكم مثل الإله باخوس إله المتعة والخمر الذي كان منتشراً بين الناس عبادة وشعائر وتماثيل وطقوساً وكان إضافة لذلك يشكل إله خلاص عند معتنقي العقائد السرّية .

كذلك شكلت الإلهة (سيبيلي) ملاذاً شعبياً قادماً من فريجيا وسادت اسطورتها مع (أتيس) الخيال الشعبي الديني لما تتضمنه من إيقاع خصبي وخلاصي .

ومثل ذلك حازت إيزيس وسرابيس الهيلنستي على انتشار شعبي في أواخرالعصر الجمهوري ، وكذلك الإله الكابادوكي (وما) والإله الفارسي (ميثرا) .

كانت هذه الآلهة الشرقية الأصل تنتشر بين الطبقات الشعبية فتغدو روحاً لها وتبدو ، بما تحمله من طقوس عنيفة درامية في شكليها المفرح والمبكي ، وكأنها حاجات الظمأ الروحي الذي لم تعد الآلهة الرسمية تلبيه بحكم فساد الأوضاع السياسية وعدم جدوى آلهة الدولة نباع نفسك . رهقد استهوت الناس آلهة قادمة من الشرق ومسربلة بخضاب الجنس والخصب والخلاص فأصبحت الملجأ الروحي لهم .

و. عقائد التنجيم:

كانت عرافة النجوم قد انتقلت بشكل مباشر أو غير مباشر ، الى روما ، عن طريق الكلدانيين كما يصرح بذلك شيشرون وغيره ويؤكد هذا الرأي المرسوم الذي أصدره السيناتو عام 139 ق .م وقضى بطرد المنجمين الكلدانيين من روما .

وبرغم كل المحاولات لتفنيد التنجيم إلاّ أنه كان ينتشر بين الاوساط الشعبية بشكل واسع .

وقد اهتم بوزيدونوس والرواقيون بالتنجيم ، وشاعت القراءة الخرافية لحركة النجوم وتأثيرها على حياة الناس ، فقد تمّ الربط بين حركة الكواكب وظهور الشمس والقمر بل والأنواء الجوية وولادة الناس في ساعة معينة وتحت تأثير أحد النجوم فإن مصائرهم تكون متشابهة .

ويرى شيشرون أن هذا جنون خارج عن نطاق التصور! فليس يكفي أن تسمي الرأي (حماقة) متى وجدته مجرداً عن كل منطق . وأية حماقة يبديها أولئك المنجمون حين يبحثون نتيجة ما يحدث من حركات واسعة النطاق ؛ وتغيرات عظيمة الأثر .(19)

3. العصر الامبراطوري

أ. عبادة الأباطرة:

لا شك أن المؤثرات الشرقية والمصرية بشكل خاص لعبت دوراً في إضفاء القداسة على بعض الأباطرة وعبادتهم ، ولا شك أن اتصال روما بالممالك الهيلنستية والبطلمية بشكل خاص أثر في دفع هذه العبادة الى الظهور بقوة .

دليلنا على هذا أن أول عبادة حقيقية للأباطرة كانت مع يوليوس قيصر وتحديداً بعد مصرعه ، فقد أدمى الأسى قلوب الناس والساسة معاً ودفعتهم فكرة (الحق الإلهي المقدس) البطلمية الى إقامة مراسيم إكبار ألوهي له بعد مصرعه .

أما أغسطس الذي يعني (المقدّس) فقد صُنفت بعد وفاته في عداد الآلهة ، وأقيم معبد على شرفه ، وأعلن كاليغولا نفسه إلهاً إبان حياته حتى أنه أمر بتبديل رؤوس تماثيل الآلهة اليونانية بصب رأسه بالذات . وسرت في كل الامبراطورية العبادة الرسمية لـ (جيني الامبراطور) وهذا كله كان يتضمن فكرة سياسية شديدة الوضوح(20) .

كان النيومين الفتيشي الذي آمن به الفلاحون الرومان مصدراً من مصادر عبادة الأباطرة ، فقد سجدوا لفتيش (نيومين) الامبراطور الذين اعتبروه روحاً مقدسة حالة بالامبراطور . هذا من ناحية الجذور ، أما من ناحية التوقيت فنرجح أن تأثير الرومان بالدين المصري هو الذي جلب رياح هذه العبادة الى روما .

لقد زار يوليوس قيصر مصر ومسّه سحر كيلوباترا وسحر الفراعنة القدماء المؤلهين ، ووجد أن ذلك بقدر ما هو طريف لكنه يغري بالمزيد من مركزية السلطة الرومانية ولذلك فقد ترك الأمر حتى رسخ عندما قام الرومان بتألية قيصر ، ثم استمر هذا التقليد بصورة واضحة بعده .

ب- الآلهة الشرقية:

ترسخت في العصر الامبراطوري عبادة أربعة آلهة شرقية ظلت تصارع من أجل البقاء في العصر الجمهوري وهي (سيبيل،أترجاتس ، إيزيس ، مترا) وما رافقها من آلهة مجتشدة معها .

ولنلاحظ أن أغلب هذه الآلهة انثوية وكان يطلق عليها (الأم العظمى) وأن كلا منها مثل أحد أهم البلدان الشرقية التي خضعت لسلطان روما فالالهة سيبيل هي الأم العظمى لفريجيا في آسيا الصغرى ، والآلهة أترجاتس هي الأم العظمى للسوريين ، والآلهة إيزيس هي الأم العظمى في العقائد المصرية ، أما الإله مترا فهو خلاصة آلهة النور الذين تمثلهم الشمس في بلاد فارس . وذات صبغة إنسانية وبعضها كان يرتبط بعقائد الخلاص التي بشرت بها المسيحية أيضا .

ظهرت الإلهة سيبيل في المجتمع الروماني منذ القرن الثالث قبل الميلاد وظلت ستة قرون حتى طردها الامبراطور أوغسطين .

وعمّت نحلة هذه الإلهة جميع أرجاء الامبراطورية ، من أسبانيا الى داشيا في عهد الأباطرة الفلافيين . وكان من الشعائر التي يتقرب بها اليها شعيرة تعرف باسم (Taurobolium) أي التعمد بدم ثور ، وشاعت هذه الشعيرة قبل نهاية القرن الثاني الميلادي(21) .

وبمرور الزمن تحولت الأم العظمى الى إلهة رحيمة ، وتحول معها رفيقها أتيس الى الإله ديونسيوس سابازيوس .

أما الإلهة أترجاتس فقد انتعشت مع ظهور الأباطرة السوريين ، وهي الإلهة المنحدرة من عبادة عشترون (عشتر) النينيقية الآرامية في سوريا وقد ارتبطت بالإله حدد الذي يقابله جوبتر عند الرومان . ولم تنحدر هذه الإلهة كثيراً في طقوس الأسرار مثل سيبيل بل ظلت قائمة في الأصقاع السورية من الامبراطورية .

أما الإلهة إيزيس فقد احتلت المكانة الكبرى من بين الآلهات الشرقيات الوافدات ومعها زوجها (سرابيس) وكان مصدر إيزيس هو مصر البطلمية التي أعادت صياغة إيزيس الفرعونية هيلينياً وصبغتها من خلال (سرابيس) بصبغة هيلنستية فعلّ الإله المركب سرابيس محل أوزيريس ، ورفع أيزيس وسرابيس الى مقام الآلهة العظمى .

أما الإله مترا فقد انتشرت عبادته منذ الامبراطور كومودوس ثم أحياها جوليان وسنتناولها بالتفصيل .

جـ- الآلهة المعنوية:

مع محاولات تشكيل البانثيون الرسمي للآلهة الرومانية كانت الآلهة المعنوية في طورها الى التشكل أما من جذور يونانية أو من جذور مادية للآلهة الرومانية بذاتها فقد ظهرت إلهة الحظ (فورتنا Fortuna) من جذور (تايكي Tyche) الاغريقية ، وإلهة العدالة (جستيتيا) من جذور (استريا As-taerea) . (ثيمس) الاغريقية ، وظهرت آلهة أخرى مثل إلهة السلام (باكس Pax) وإلهة الأمل (سبيس Spes) وإلهة المروءة (فيرتسVittus) وغيرها .

إن هذه المعاني المجردة تماماً كانت في جوهرها قليلة الدلالة على نماذج حية شخصية وأقل من هذا ميثولوجية . كما أن تسميتها تجسيرات حقيقية يبقى من الصعوبة بمكان . غير أن المعابد اقيمت لتكريسها في روما ، كما قدمت لها القرابين . أما الخيال الميثولوجي فكان لدى الرومان فقيراً الى درجة مذهلة ، مثل الضعف الذي عانى منه تجسيد الآلهة على هيئة البشر(22) .

د- الإفلاطونية الحديثة:

جاءت تعاليم وفلسفة أفلوطين استمراراً للعقائد الفلسفية الغنوصية التي حفلت بها المرحلة الهيلنستية ، وقد أعاد أفلوطين هيكلة هذه العقائد في إقنوم ثلاثي يتكون من (الواحد ، الروح ، النفس) التي تمثل الخير وتقف في مواجهة (المادة ، الجسد) التي تمثل الشّر . وقد وضع افلوطين في الانياذات (التاسوعات) مبدأي الهبوط والصعود حيث رحلة الروح من الواحد الى النفس في الجسد ، ورحلة النفس من الجسد الى الواحد للخلاص .

هـ- ديانات الاسرار:

ظهرت ديانات وعقائد الأسرار من ذلك النبع السريّ القديم لها في الشرق واليونان ، وما أن تأسست لها مللٌ ونحلٌ في الامبراطورية الرومانية حتى أصبحت ملاذاً للناس .

لقد زودت هذ العقائد الرومان أو ما زودتهم بأمل وطيد في خلود ذواتهم ، وهو أمر لم يجسر على العقول به إلا قليل من الأديان القديمة . ثم أنها جلبت معها نظاماً محكماً من الأسرار الدينية استهوى في ذلك العهد ، كما استهوى في كثير غيره من عهود التاريخ ، الغرائز الدينية للمتعلمين وغير المتعلمين على السواء ، وكان له وقع عظيم في نفوسهم . . . وكان أداء الشعائر والفروض وما صاحبها من طقوس مقدسة تقام لإظهار العابد على (أسرار) الدين ، توجد شركة بين النفس والمبدأ الإلهي ، وتطمئن العابد أنه سينتقل بعد وفاته الى حال من النعيم ويفوز بـ (الخلاص) الأبدي . وغمر التقشف

نفوس الناس كالفيض ، وبشروا بأن الامتناع عن أكل اللحم وشرب الخمر وإشباع الرغبات الجنسية ضروري للحياة الفضلى(23) .

9. محاولة بعث الآلهة الرومانية القديمة:

بالقدر الذي استقبلت فيه روما التطورات النوعية الحاصلة في ديانتها القادمة من الإغريق والشرق والفلسفة الهيلنستية لكنها تبنت أيضاً سياسة بعث وإصلاح المعتقدات والطقوس الرومانية ، تلك التي تعود الى عبادات الأسرة والدولة القديمة ، والتي كانت في طريقها الى الزوال .

لقد كانت مساعي أغسطس في إحياء المعابد وبناء الجديد منها مما جعل عدد المعابد في روما وحدها ، في عهده ، تصل الى 82 معبداً . كما أعاد عبادة الـ (لارا) القديمة واستأنف ووسع الأعياد الدينية التقليدية والألعاب ، واتخذ لنفسه لقب (سان بونتيفيك أعلى) . ولم يؤد دعم القياصرة للعبادات الرومانية القديمة الى حظر إقامة الطقوس الشرقية الغربية ، غير أنهم سعوا لوضع الديانة الرومانية الوطنية في مواجهتها والحد بعض الشيء من انتشارها . لكن هذه السياسة التي على النقيض من التطور التاريخي الطبيعي ، لم يحالفها النجاح . إن آلهة روما القديمة ، التي انعكست فيها حياة المدينة المحدودة (polic) عجزت عن تلبية المتطلبات الجديدة في ظروف امبراطورية عالمية هائلة (24) .

ز- أثر المسيحية:

ظهر السيد المسيح في فلسطين أثناء حكم الامبراطورين أغسطس ثم تيبريوس في روما . وكانت المسيحية محدودة الانتشار في بدايتها لكن القديس بولس هو الذي نشرها في أوربا .

وكان المسيحيون ينتظرون في البداية عودة المسيح بعد صلبه لكن حلمهم هذا تبدد أو تأجل الى المستقبل البعيد فاصبحت الموضوعات الرئيسية التي يبشر بها الرسل هي : الإله الواحد يعارضون به تعدد الآلهة ، والمسيح بوصفه الرب أو المخلّص ، والبعث بدلاً من خلود الروح بلا جسد ، والتقشف أو ضبط النفس ويقصد بها الطهارة الجنسية خاصة () إلخ 170 وقد منحت الفلسفة الهيلنستية الإطار الفكري بهذه العقائد الدينية كما منحت للغنوصية في العصر الروماني الامبراطوري الفلسفة المشتركة للمسيحية وللوثنية معاً وكانت أقرب التيارات الفلسفية المحاثية للغنوصية والقريبة من المسيحية هي الإفلاطونية الجديدة التي عبرت عنها فلسفة أفلوطين أسمى تعبير . وصفوة القول أنه ليس ثمة فارق كبير بين الوثني المتفلسف والمسيحي المتفلسف ، اللهم إلا في نظرة كل الى الثقافة القديمة . ونحن نستطيع أن ندرك مقدار الحزن العميق الذي انتاب الوثنيين وهم يشهدون حضارتهم العريقة العظيمة الثقافة البالغة الروعة وهي تحتضر(25) .

لقد وجدت المسيحية طريقها الى روما بفعل انحلال الديانات القديمة ويأس الناس من جدواها؛ بالاضافة الى ذلك كان آلهة الأولمب في طريقهم الى الزوال وكان (الإله القيصر) الامبراطور المؤلة أقل تأثيرا في النفس من الرواية الوطنية ، واختلطت العقائد السرية بكثير من الخرافات . وقد وقفت المسيحية موقفاً حازماً صارماً من الاتجاه الوثني للتوفيق بين مختلف العقائد السائدة ؛ وفي النهاية سحقت غريماتها سحقاً . والواقع أنه كان في هذه العقائد ما لم تستطع المسيحية أن تعرضه في صورة أنقى من صورته الوثنية»(26)

وفي ظل ذبول جذوة الديانة الرومانية والإضطرابات المتناقضة لبقية النحل والملل والفراغ الروحي الذي عانى منه الناس «بدأوا في البحث عن ديانة تضمن لهم الخلاص الفردي . فاليهودية كان اتباعها نادراً ما يقومون بنشاط تبشيري ، كما أنها كانت ما تزال غير واضحة في مفهوم الحياة الأخرى . كما أن الفلسفات وخاصة الأفلاطونية صعب على الغالبية قبولها حيث طالبت أتباعها بالبحث عن إله بنفسه . أما العبادات الشرقية فقد كان يحيط بها العديد من الطقوس السرية ، كما أن عبادة (مثرا) لم تسمح للنساء بالمشاركة في العبادة» (27) .

ظهر المسيحيون بعيداً عن هذه الاتجاهات وكانوا يرفضون أولاً عبادة الأباطرة وتقديم القرابين لهم ويؤلفون جماعة سرّية تدعو الى نشر السلم ونبذ مشاهدة مصارعة الحيوانات المتوحشة والفضائح التي ترتكب في المباريات الرومانية ويطالبون بالمساواة في المعاملة للنساء والعبيد ويرفضون الثراء والترف «ويتخذون لأنفسهم صفة الأمناء على الحق والعدل . وما من شك في أن جماعة تتحدى ما يسود العالم من العقائد الاجتماعية والسياسية بمثل هذه الصورة العنيفة ، كانت تلقى أشد الإعراض عنها ، وتثير شكوك الناس في إدراك مراميها . ومن ثم أتهم المسيحيون بالإلحاد لأنهم رفضوا عبادة الأوثان ، كما اتهموا بكراهية الناس لأنهم هاجموا تلك الأنواع المنحطة من وسائل التسلية والترفيه ، بل اتهموا بسوء الخلق ، لأن الناس عجزوا عن إدراك مقاصدهم . وبرغم ذلك كله فان الكنيسة المسيحية مضت في طريق النمو بخطى ثابتة لايعوقها الاضطهاد وإنما يشحذ عزيمتها»(28) .

وقد تعرض المسيحيون لشتى أنواع الإضطهاد على أيدي الأباطرة الرومان الذين غاضهم ، أكثر ما غاضهم ، عدم تقديم القرابين لهم باعتبارهم مقدسين حتى شرّع الامبراطور تراجان (توفي 117م) قانوناً اعتبر بمقتضاه المسيحية جريمة ضد الدولة «وعلى أثر ذلك اتخذ المسيحيون موقفاً سلبياً من الدولة ، فامتنعوا عن الخدمة في الجيش ورفضوا شغل الوظائف الحكومية الكبيرة وجعلوا اجتماعاتهم سرية ، وقد أدت هذه السرّية في الاجتماعات والنشاط الملحوظ في ارتياب الرومان في مقاصد المسيحيين وتشككهم في ولائهم بالنسبة للدولة ، وعلى مرور الوقت ازداد حنق الحكومة الرومانية .

ولم تقتصر سياسة اضطهاد المسيحيين على أباطرة متطرفين مثل نيرون بل شملت كذلك أباطرة مصلحين معروفين باعتدالهم مثل ماركوس أوريليوس ودقلديانوس»(29)

وبرغم الاضطهاد العنيف الذي مارسه الامبراطوران ديكيوس وفاليريان في الامبراطورية المتأخرة إلا أن وريثهما أوريليان شهد أوسع انتشار للمسيحية في الشرق وروما وأصبحت المسيحية منافساً خطيراً للديانة الرسمية في الدولة التي كانت آنذاك عبادة الشمس . وظلت المسيحية نحو ثلاثة قرون وهي حركة سرّية لا تعترف الدولة بها وأعطى الشهداء المسيحيون مثالاً أعلى للإيمان وكان ذلك عاملاً من عوامل انتشارها .

وصل اضطهاد المسيحية الى أقصاه مع الامبراطور دقلديانوس الذي سمي بـ (سفاح المسيحين) فقد أطلق المسيحيون على عهده اسم (عهد الشهداء) لكثرة من استشهد في الاضطهادات التي فرضها على المسيحيين ، ومع بداية القرن الرابع اعترف جاليرؤس بها عندما أصدر (مرسوم التسامح) عام 311 م «وبمقتضى هذا المرسوم أعلن الامبراطور غفران الدولة للمسيحيين مقاومتهم العنيدة السابق لها ، كما أعلن عن حقهم القانوني في الدولة ومما جاء في نص هذا المرسوم : وعليه فبموجب هذا التسامح الذي منحناهم إياه يمكنهم عبادة ربهم من أجل صالحنا وصالح الامبراطورية وصالحهم الخاص»(30) .

ثم جاء الاعتراف الكبير الذي أصدره الامبراطور قسطنطين الأول وليكينيوس عام 313 م بـ (مرسوم ميلان) الذي جعل الديانة المسيحية أحد الديانات الرسمية في الدولة ، ثم أصبح هو مسيحياً وأصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية .

المبحث الثاني
المؤسسة الدينية الرومانية

تتكون المؤسسة الدينية الرومانية من ثلاثة أركان (إلهية وبشرية ومادية) وهي على التوالي (المؤسسة الإلهية ، المؤسسة الكنوتية ، المعابد) وتسيطر الروابط القوّية المتناغمة بين هذه الأركان الثلاثة رغم أن ذلك يتوقف على قوة وتماسك العقيدة الدينية والمؤسسة السياسية الساندة لها أو المتعاملة معها .

أولاً: المؤسسة الإلهية (الكائنات الإلهية)

1) الكائنات السحرية (Magic Creations) وهي الكائنات التي ظهرت من العقائد السحرية القديمة (الأرواحية ، الطوطمية ، الفتيشية) .

أ- الأرواح (مفردها مان Mane ، جمعها مانات Manes):

ويسمون أيضا الآباء patents ، وقد اشتق اسم مان من الصفة القديمة Manus بمعنى جيد والتي هي عكس كلمة Imanis لذا يكون معنى المانات أو المانين هي (الصالحين) وكانت عبادتهم تشمل العامة والخاصة . فعندما تبنى أية مدينة كان أول ما يفعله الناس حفر خندق دائري يوضع في وسطه حجر المانا Lapis Manalis والذي يمثل البوابة الى العالم الأسفل ، ويزاح هذا الحجر في الخامس والعشرين من أغسطس والخامس من أكتوبر والثامن من نوفمبر ليسمح بمرور المانين وكان الهدف من عبادتهم هو تهدئة غضبهم ؛ وفي البدء كانت تقدم لهم أضحيات دم ويعتقد أن أول صراعات المجالدين أقيمت تكريماً لهم(31) .

ويختلف المانات أو المانيون عن الآلهة في كونهم أكثر بدائية وهم مادة عبادة الأرواح السحرية القديمة ، ويعتقد الرومان أن أصلهم هو إما أرواح هائمة ولذلك يعثر فوق بعض القبور الرومانية حرفي D.M أي Dis Manibus . والمانية Manism هي عبادة الموتى وعبادة الاسلاف أو أرواح الموتى والأسلاف وتنقسم الأرواح الى الأنواع الآتية :

1. أرواح الموتى Dis Manibus:

وهي جنيات أو أرواح الموتى الذين كانوا يسكنون البيت سابقاً ، فهي أرواح الآباء والأجداد ثم ان المانات بسبب تأليههم أصبحوا من الآلهة السفلية ، وكان الرومان يعبدونهنّ لتخفيف غضبهن وصرف

أذهانهن ، ومن ذلك تسميتهن التي تعني الراعيات الساهرات ، وقد أصبحت لهن فيما بعد أم تسمى (مانيا) وهي تشخيص للجنون ، وكانت أعيادهن تدعى البارانتاليس وتقام في شهر شباط (فبراير) (32) .

وتسمى أعياد المانات بـ (بارانتاليا parantalia وفيراليا Feralia) .

2 . ارواح الموتى السيئيين (ليمور Lemures، لارفا Larvae): وهم أرواح الموتى

الذين كانوا موسومين بسوء الأعمال وكانوا يعودون الى الأرض لتعذيب الأحياء ، وتقام طقوس الليموريا Lemuria في التاسع والحادي عشر والثالث عشر من مايو والتي أقامها روميليس تكفيراً عن مقتل أخيه ريمس الذي ظهر بعد موته للراعي فاوستيلس ولـ (آكا لارينتيا) ليطالب بالتعويض ، حيث أقام روميلوس طقوس رميوريا Remuria والتي تحول اسمها الى ليميوريا(33) .

ومن طقوس اللميوريا تقديم قرابين الفاصوليا أو الفول الأسود لها وفي أيامها تغلق المعابد ويوقف الزواج . ويقرع الناس على الأواني النحاسية طول الليل لكي تهرب هذه الأرواح .

3. الأرواح الحامية المنزلية (بينس penus وجمعها بينات penates):

كان الرومان يمثلونها على شكل أصنام صغيرة تحمي المنزل والحياة العائلية ، وكانت تؤلف مع الفستا واللارا ثالوثاً متلازماً . وتشكل هذه الارواح ما يسمى بالآلهة العائلية حيث في كل بيت لها ركن خاص تقدم اليها في العبادات والقرابين لتجلب البركة الى المنزل . ويقال أن إينياس حملها من طروادة الى ايطاليا . وتمثل البينات على هيئة شابين جالسين وبالتدريج أصبح لكل قرابة أو مدينة بيناتها الخاصة حتى ان الدولة الرومانية ذاتها كانت تعتقد برعاية هذه الآلهة(34) .

وكانت البينات ترعى في عهد الملوك ويطلقون عليها (بينات الجماهير الشعبية) ، وتبجل بشكل خاص في ريجيا حيث مكان النار المقدسة المتوقدة ومكان (بينس فستيا) نفسه واستمر تقديس البينات حتى نهاية الوثنية من قبل الفسيتاليين والأحبار .

4. الأرواح الحامية العامة (لارا Lara ، لارات Lares):

وهي ، بشكل عام ، الأرواح الحامية ، وكانت العبادة الخاصة للارات أسبق من العبادة العامة لهم فقد كان دورهم في المدينة مماثلاً لدورهم في العائلة . وهكذا يمكن أن ينقسم الى أنواع كثيرة .

أ . لارات العائلة (الخاصة) Lares Familiares

ب . لارات الطرق Lares Viales

جـ . لارات الملاحقة Lares Permarin

د . لارات الجيش (الحرب) Lares Militares

هـ . لارات تقاطع الطرق والحقول Lares Compitales : حيث كانوا يضعون عند اللاتين والسابين والإتروسك في مناطق التقاء الحقول . وقد هاجرت هذه اللارات من الريف الى أن هذه اللارات هي التي حمت روما من اقتحام هانيبال لها .

وقد قدّس الامبراطور الكسندر سيفيروس لارات أورفيوس وابراهيم وأبولونيوس (ملك تيانا) ويسوع المسيح .

لكن هذه اللارات صارت تمثل فيما بعد الموت الفاجع للمدينة والامبراطور ، أما أسطورة اللارات فسنبدأ من إلهة رومانية اسمها (لارا) ، فقد طلب جوبيتر من آلهة الأنهار أن يبعثوا له حبيبته جورتورن من الموت فلما عادت اليه أخذت (لارا) تشي بها لدى زوجة جوبتر (جونون) فما كان من الإله الا أن قلع لسانها وأرسلها الى الجحيم بصحبة ميركوري ، وفي الطرق أغواها هذا فولدت منه اللارات . وتعد لارا أيضا إلهة الموت لانها تمثل الصمت الأبدي (35) .

أما (لار) فهو الإله المذكر من ميركوري ولارا وقد أصبح حامياً للمنزل الروماني الذي يرثه جيل عن جيل ، حيث ينصب تمثاله الصغير الذي يصور ، على هيئة فتى مراهق في أحد أركان البيت .

5. الأرواح الحامية الخاصة:

الجن واليون (جن Genius ، يون Juno) :

وهي الأرواح الحامية للرجال والنساء والأمكنة ، فهم يحمون التجمعات البشرية والأماكن التي يمارسون فيها نشاطاتهم الجماعية .

وأفضل ترجمة لهذه الجنيات هو (الروح التابع) الذي يرافق الرجل أو المرأة أو الأمكنة أو الامبراطور ويحميها . وهم تجسيد للمبدأ الحيوي الذي يكفل استمرار الجنس او المكان .

أما الجون فيعتقد أنه من جونون وربما كان الروح التابع الانثوي وهناك عدة أنواع من الجن :

أ . جن الرجال (جينيا) وهي الروح التابع لكل رجل والتي تحميه ويقدم لها القرابين كل عام .

ب . يون النساء (جونوني) وهي الروح التابعة لكل امرأة والتي تحميها وتبارك لها حياتها الزوجية وولادة أطفالها .

جـ . جن الأمكنة (جينلي) Genili Locoum .

د . جن الدولة الرومانية ويسمى جن الجماهير الرومانية publico populi romani والذي تظهر صورته على النقود المعدنية التي تصوره أحياناً كامبراطور حاكم .

هـ . جن المقاطعات : مثل كيوريا وديكوريا .

د . جن المدن والقبائل والمستعمرات .

بل أن لكل بين وبوابة جن خاص بها يحميها . وقد أسس الأباطرة الرومان للناس عبادة الأرواح الحارسة الخاصة بهم طوال فترة حكمهم ومن هنا تنطلق فكرة عبادة الأباطرة التي ظهرت في الامبراطورية . ويمثل الجن عادة على شكل أفعى أو ثعبان لأنه يظهر من تحت الأرض ويقوم بالحماية .

ب. القوى الفتيشية الخارقة (نيومين Numen، نيومينات Numens):

اشتقت كلمة نيومين من الفعل Nuere الذي يفيد الحركة أو يرفع الى الحركة ، وهي قوى ذات فعالية ما فائقة القدرة ، وربما تكون قوى سحرية فتيشية تتركز فيها قوة الكون بأكمله ، وتنقسم هذه القوى الفتيشية الى :

أ . نيومين الآلهة Numen Deotum :وهي القوة الخارقة التي تحرك الآلهة فتعطيها فعاليتها .

ب . نيومين الأباطرة Numen Imperatorum : وهي القوة الخارقة التي تجعل من الامبراطور إلهاً ، وهي تشبه جن الامبراطور الذي يجعله مؤلهاً .

حـ . نيومين الانسان : وهي القوة أو القوى الخارقة في الإنسان والتي تجعل منه مميزاً وهي تشبه ما نسميه الآن بالقوى البراسايكولوجية ، وهي قوة ما كان يعرف بـ (السحر) .

جـ . الطواطم Totem : وهي الجذور الحيوانية والنباتية المقدسة التي كانت أصل العبادات في القبائل البدائية ، والطواطم هو بمثابة الجد البعيد الذي انحدرت منه القبيلة .

ولم يتبق كثير من الطواطم المعبودة في الديانة الرومانية إلا إننا نلمحها أيضا في عمليات التناسخ التي تعج بها الاساطير الرومانية . ويمكننا رصد ثلاثة أصول طوطمية في اللاهوت الروماني هي :

أ . الذئبة لوبا : وهي الذئبة التي أرضعت التوأمين روميلوس وريمس (رومول وريم) مؤسسي روما ، غير أن هناك افتراض يقول إن هذه الخرافة ومعها بعض التصورات الدينية الأخرى ، استعادها الرومان من الإتروسك .

ب .الذئب هيربوس : وهو الذئب الذي قاد الفيربين .

حـ . الثور : وهو الذي قاد قبيلة الى مدينة الثور (بوفيان) وأن اسلاف قبيلة البيتسيين قادت أربعين ثوراً . .

د . الرموز الحيوانية لكل الآلهة فهي تعبر عن اندماج أو تحول الطواطم الحيوانية الى الآلهة المناسبة لها .

2) الكائنات الإلهية:

الآلهة (ديوس Deus إله ، ديا Dea إلهة ، Dei وDii آلهة) : كان الرومان قد تصوروا الأرواح على شكل كائنات غيبية يمكن تمثيلها بالأحجار أو الرموز مثل الاحجار الكبيرة التي تمسك بها الفلاحون على أنها تمثل الأرواح والنار على أنها تمثل روح النار فيستا (بينس) أما القوى الخارقة فلم يتمكنوا من تجسيدها واعتبروها شحنة أو قوة سارية تحل في الآلهة والأباطرة والبشر ، أما الطواطم فكان من الممكن تمثلها بالطواطم الحيواني نفسه أو بتمثاله .

وكان ذات الشيء ينطبق على الآلهة الرومانية في البداية فقد «كانت فكرتهم من معبوداتهم فكرة غامضة الى حد انهم كانو يعجزون عن أن يتصوروا أشكالها أو أن يقطعوا بأنها كانت من الذكور أو الإناث في كل حالة . وهذا يفسر لماذا استمر الرومان فترة طويلة يعبدون آلهتهم دون أن يقيموا لها تماثيل أو معابد . وذلك برغم اعتقادهم أنه كان لكل إله موئل معين يجب أن يعبد فيه . وكانت مظاهر العبادة لا تخرج عن الضراعة وسكب قدر من اللبن عادة أو من النبيذ نادراً»(36) .

لقد أثر هذا في العديد من جوانب الديانة ، بما فيه تلك الحقيقة المثيرة وهي أن الكثير من الآلهة لم يكن جنساً محدداً أو أنها مزدوجة الجنس ، مولدة نموذجاً زوجياً لإله أو إلهة ذوي اسم واحد :ليبير- ليبيرا ، فاون – فاونا ، بومون – بومونا ، ديان- ديانا ، باليس (إله وإلهة) . إن الكهنة أنفسهم لم يكونوا بالذات على علم ، في بعض الأحيان ، الى أي جنس ينتمي الإله الذي يتوجهون اليه ، ولهذا كانت مخاطبتهم له في حالات كهذه كالتالي(Sive Deus, Sive Dea) (إما إله وإما الهة)(37) .

وقد رافق هذا التصور الفقير عن الآلهة فقر في الخيال الميثولوجي الروماني ولذلك نجد أن الميثولوجيا الرومانية شاحبة تماماً .

لكنّ تجسيد الآلهة وظهور قصصهم الاسطورية ظهر مع دخول الآلهة الإغريقية وأساطيرها التي طوبقت مع نظيراتها من الآلهة الرومانية . ويمكننا ، من حيث المبدأ ، تقسيم الآلهة الرومانية الى ثلاثة أنواع هي :

أ) الآلهة المحلية القديمة Dii indigetes

وهي الآلهة الإيطالية القديمة التي كانت موجودة قبل ظهور روما ثم أصبحت جزءاً من آلهة روما خصوصاً في العصر الملكي ويمكننا أن نقسّمها الى مايلي :

أ . الآلهة اللاتينية : وهي آلهة الرومان الأصيلة .

ب . الآلهة السابينية : آلهة السابينيين .

جـ . الآلهة الأومبيرية : آلهة الأومبيريين .

لقد كان أغلب هذه الالهة أرواحاً ثم تحولت تدريجياً الى آلهة مثل (جانوس ، جوبيتر ، مارس ، فستيا ، ساتورن ، نبتون ، فولكان وغيرها) وسندرسها مفصلاً .

ب) الآلهة الأجنبية الجديدة Dii novensides

وهي الآلهة غير الإيطالية التي وفدت الى روما من خارج ايطاليا حتى لو كان لها موطيء قدم في ايطاليا ، وتنقسم الى :

لو كان لها موطئ قدم في ايطاليا ، وتنقسم الى :

أ . الآلهة الإتروسكية (التوسكانية) : مثل ميركوري (ميركو) ونيرفا وجونون (يونا) وحتى جوبيتر (تينا ، تنا) .

ب . الآلهة الإغريقية (الهيلينية) المعروفة .

جـ . الآلهة الشرقية : التي بدأت بالظهور في العصر الجمهوري ثم ظهرت بقوة في العصر الامبراطوري وهي :

1 . الآلهة السورية : مثل أتارجاتس وإيلاجابيل .

2 . الآلهة المصرية : ايزيس وسيرابيس (الذي حل محل اوزيريس) .

3 . الآلهة الفريجية : سيبيل وأتيس .

4 . الآلهة الفارسية : مثرا .

جـ) الآلهة الصغيرة Dii minors

وهي الأرواح التي تحولت الى آلهة صغيرة لا شخصية لها وتشكل الأكثرية الساحقة من البانيون الروماني فهي ليست آلهة حامية بالمعنى التقليدي والتي كان جذرها الأرواحي معروفاً وليست آلهة

تعبر عن ظواهر الطبيعة ، ولكنها كانت تجسيداً لمختلف جوانب النشاط البشري الذي كانوا يقومون بحمايته فمن كشوف أو سجلات أو كتالوجات Indigitamenta هذه الآلهة تظهر لنا أن هذه الآلهة تبدو حاضرة في أية ظروف محددة بدقة ، وفي أية لحظات من حياته ولأي من هذه الالهة على المؤمن الروماني التوجه بصلاته(38) .

لقد وضع هذه السجلات الخاصة بها جزئيا انفارونيون والصقالية ، وفيما بعد الكاتب المسيحي أوغسطين .

إن كل خطوة يخطوها الإنسان ، بدءاً من لحظة ظهوره على أوجه البسيطة ، تكون تحت حماية هذا أو ذاك من الآلهة ، التي حددت وظائفها بدقة متناهية . ولم يكن لهذه الآلهة أسماء خاصة بها ، وإنما أسماء عامة تكني بها ، حسب الوظيفة التي ينفذها كل منها (ومن الجائز أن تكون أسماؤها سرية ، وبقيت غير معروفة لدينا وعلى سبيل المثال هناك الآلهة الآتية من كتالوج الآلهة الصغيرة الخاصة بالطفل(39) .

1 . فاتيكانوس Vaticanus : الإله الذي يحمي أول صراخ للطفل الوليد .

2 . فابولينوس Fabulinus-وفارينوس Fatinus ولوكوتيوس .

3 . أديسا وبوتينا : تعليم الطعام والشراب للطفل .

4 . أبيوتيا : تعليم المشي للطفل وتسيره خارج البيت .

أديونا : تعيد الطفل الى البيت .

5 . أوسّيباغو Ossipago : يصلّب عظام الطفل ويرعى نموه الجسدي .

6 . ستاتانوس Statanus : يقوّم هيكله .

7 . كارنا Carna تنمّي عضلاته .

8 . إتيرديسا Iterduca : توصل الطفل للمدرسة .

9 . دوميدوسا Domiduca : تعيد الطفل من المدرسة الى البيت . . .الخ .

أما الآلهة الصغيرة التي تحفظ مدخل البيت فهي :

1 . فوركولوس Forculus : إله مصراعي الباب .

2 . ليمنتينوس Limentinus : إله العتبة .

3 . كارديا Cardea : إلهة مفصلات الباب . . . .الخ .

وهكذا فإن كلّ شيء وكل حركة من حركات الإنسان والحيوان والنبات له إله صغير هو الذي يقوم أو يساعد أو يحمي ذلك العمل وأغلب هذه الآلهة الصغيرة من الأرواح وخصوصاً الجن الذي ناقشناه سابقاً.

فكل خطوة للإنسان، وكل نشاط يبدر منه له إله. ومن الطبيعي أن عدد الآلهة الصغيرة لم يكن يحصى. وقد نعت الباحث الألماني أوزيتير خيرمان، حسب رأيه، هذه الطبقة من الأرباب بـ (آلهة لحظة Augenblicks Götter) وليس من الصعوبة الملاحظة ان استعمال كلمة (إله) لا تتطابق بدقة مع المفهوم الروماني (Deus) التي تعطي معنى لأكثر النماذج المجسدة تنوعاً ولماهيات ما وراء الطبيعة!(40)

د- الآلهة المعنوية:

وهي الآلهة التي تجسد المعاني المجردة تماماً ونادراً ما تكون لها دلالة على نماذج حيّة شخصية، مثل آلهة السلام والأمل والمروءة والعدالة والسعادة والقدر والنصر... الخ وقد تحدثنا عنها.

وهناك تقسيمات أخرى للآلهة حسب وظائفها أو حسب أنسابها سندرجها في الفصل القادم الخاص باساطير الآلهة الرومانية.

وبصورة عامة كان الروماني لا يعتقد بأن لآلهته صوراً تصور الآدميني مثلما كان الاغريق يتصورن، [illegible] كان يطلق عليها تمييز Mumina أي الأرواح، وكان يجرد بعضها تماماً ويحولها الى قيم معنوية مثل الصحة والشباب والحظ... الخ وكان يرى بعضها في اشباح الموتى أو فصول السنة أو مظاهر الطبيعة او حيوانات المقدسة كالحصان والخيوط الذبيح والأوز المقدس الذي كان المتقون يحتفظون فوق الكابيتول لا يناله أحد أو أرواح التناسل وغيرها.

ثانيا: المؤسسة الكهنونية (الكهنة)

لم يكن لرجال الدين في روما الملكية أيّ وجود، وكان الملوك بمثابة الزعماء الروحيين للمملكة، حيث كان الملك هو بمثابة الكاهن الأكبر للدولة، مثلما كان أب الأسرة هو كاهن الآلهة والأرواح [illegible] التي عليه أن يخدمها وخصوصاً (البينات) وهي الآلهة التي تشرف على شؤون الأسرة ورخائها.

وكان للرومان هيئة من العرافين، في العصر الملكي، لكنهم بدأو يستخدمون عرافين توسكان (ha-ruspices) منذ عهد الملك تاركوينوس (المتكبر). وكانت العرافة الاتروسكية هذه هي أصل العرافة الرومانية

كان من جملة التأثير الذي مارسه الطابع الرسمي الجاف في الديانة الرومانية، هو أن خدمتها - الكهنة لم يخرجوا عن كونهم موظفين لدى الدولة ولم تعرف روما إطلاقاً فئة كهنوتية خاصة، كما لم يلعب الكهنة أي دور مستقل. غير أنه تواجدت في روما فرق كهنوتية منذ القدم، جرى اختيار أعضائها بطرق التعيين في البداية، ومن ثم عن طريق الانتخاب(41).

وفي زمن الملكية كان الملك هو الكاهن الأول ويسمى ملك القداسة Vex Sicrosm ويمكننا أن نصنف كهنة الرومان، منذ العصر الجمهوري، إلى أربع فئات هي:

1- الهيئة العليا للكهنة (بونتفيك pontifice):

كانت هذه الهيئة تتكون من ثلاثة أشخاص، في البداية، ثم زيدت الى ستة ثم تسعة ثم خمسة عشر ثم ستة عشر. ويرأسها الحبر الأعظم (pontifex Maximus) الذي كان يراقب كل ما يتعلق بالديانة الرومانية وله صلاحيات أمنية إضافة لوظيفته الدينية.

وكانت الهيئة العليا للكهنة تتولى وضع التقويم السنوي ومتابعة الأعياد وتشخيص أيام النحس وأيام الحظ وحفظ ذكرى الحوادث التاريخية والأساطير والوقائع المأثورة ووضع نظام المقاييس والأوزان.

وكانت كلمة (pontifex) تعني حرفياً (بناء أو مهندس الجسور) وتشير الى علاقة ما تربط الكهنة بنهر التيبر، وهم الذين كانوا المهندسين الأوائل الذين نصبوا الجسور وأقاموا المراقبة عليها (42).

وعندما أنشئت الجمهورية أصبح كبير الكهنة هو الذي يحدد سنوياً أيام الأعياد الدينية وكذلك أيام إنعقاد المحاكم. ومنذ وقت لا يزال من العسير تحديده درج الكاهن الأكبر على إعداد حولية يسجل فيها الى جانب الأيام السابق ذكرها الأحداث الهامة التي تقع في أثناء العام الذي يتولى فيه مهام منصبه. ويردف ذلك في أواخر [illegible] بذكر أسماء حكام ذلك العام. وكان يشرف على تكريس المعابد وإقامة مهرجانات القواد المنتصرين وحدوث مجاعة أو وقوع حدث من الأحداث التي كانت تعتبر من الغرائب مثل كسوف الشمس وخسوف القمر(43).

وتشرف هيئة الكهنة الكبار على ثلاثة أنواع من الكهنة هم:

1. كهنة الطقوس الرسمية:

وهم كهنة الدولة الذين يشرفون على الطقوس الدينية الكبرى والأعياد وغيرها ونذكر منهم:

مخطط (3) أصناف الكهنة الرومان

كبير الكهنة (Pontifex Maximus)

هيئة الكهنة الكبار (بونتفيك pontifex)

- كهنة الطقوس الرسمية
  1. الفستال (كهنة الإلهة فستا)
     أ. فستاليون
     ب. فستالات
  2. الساكروزم (ملك السلوك القدسي)
  3. الفلامين (حارقو القرابين)
- العرّافون
  - العرافون الطبيعيون
    - عرافو الطبيعة: 1. العيافون 2. عرافو البرق
    - عرافو الأحلام (مفسرو الأحلام)
    - عرافو الوحي: 1. كهنة سيبل 2. كهنة أبولو
  - العرافون الصناعيون
    - عرافو أدوات القتال
    - عرافو الأعصاب
- كهنة الطقوس الشعبية
  1. السالي (سكاكرون) (الراقصون)
  2. الفيتالي (الزراعية)
  3. الأورال: الكهنة الإله مارس
  4. اللوبريك (أخوة الذئب) كهنة إله المواشي
  5. الهيبرني (كهنة فلورا وسورانوس)

أ- الفستال :

وهم كهنة وكاهنات الإلهة فستا Vestae وتتعدى مهمتهم القيام بطقوس هذه الإلهة بل وتتعدى مهمات الكهانة نفسها فهم «مبشرون ودعاة ، ورسل الجماعة الرومانية في علاقتها مع الجوار ،لقد كانوا يعلنون الحرب ويعقدون لواء السلم ، ويطّبقون العادات الدينية التقليدية . كما حفظوا في ذاكرتهم الاتفاقات القائمة مع الجامعات الأخرى . وبلغ عدد الفيستاليين العشرين عضواً ، اعتبر اثنان منهم رئيسيان : Verbenatius حامل الأعشاب المقدسة المأخوذة من الكابيتول ، و patratus pater المطلق الصلاحية في أمر عقد الإتفاقيات»(44) .

أما الكاهنات الفستاليات وهنّ ستة كاهنات فيتمتعن بمقام رفيع وكن من أصل عائلي معروف وهنّ عذراوات ما بين (6-10) سنوات لمدة 30 سنة أو مدى حياتهن ومنذورات للألاهة العذراء فستا وإذا خالفت إحداهنّ شرط العذرية فتعاقب بالدفن حيّة داخل الأرض ، وكانت مهمتهن الرئيسية إبقاء النار مشتعلة في معبد فستا (شكل 39) .





شكل (39) بقايا تماثيل الفستالات عند معبد الفستا في الفورم الروماني.

وترأس الفستالات كاهنة تسمى (العذراء الفستالية الكبرى) التي كان لها مقام عظيم يصل شعبياً الى حد التقديس ورسمياً الى حد العفو عن المحكومين بالموت إذا ما التقوا بها صدفة وهم في الطريق الى مكان الإعدام . كانت الوظيفة الأساسية للكاهنات الفستالات هي الحفاظ الدائم على النار المقدسة في معبد الإلهة فستا (وسط ساحة الفوروم بروما) . ويعدّ انطفاء هذه النار نذيراً بكارثة تحيق بالجمهورية وذنباً تستحق من أجله الكاهنة المسؤولة أقسى عقوبة ، يعاد بعدها إيقاد النار من أشعة الشمس .

ب) ريكس ساكروم Rex Sacrotum (ملك السلوك المقدس) :

وهو الذي يقوم بمهمة توجيه تقديم القرابين ، وكان هذا المنصب في العصر الملكي على المناصب الكنونية حيث يشغله الملك نفسه .

جـ) الفلامينيون Flamines :

وهم هيئة حارقي القرابين الذين قد يصل عددهم الى (15) يخدم ثلاثة منهم (جوبيتر ومارس وكويرنيوس) وكان هؤلاء الكهنة محاطون بالتابوهات الكثيرة ويشترط عليهم عدم ممارسة الكثير من الأعمال .

إن فلامين جوبتر لا يستطيع الخروج دون غطاء الرأس أو الاقتراب من اللحم النيء أو الماعز أو اللبلاب الشجري أو الفول ولا أن يرى الجيش ولا امتطاء حصان وكان يجب أن يتجنب التماساً مع النجاسات والموتى . أما فلامين مارس فقد كان يعمل في أضحية الحصان المقدم في 15 آذار و 15 تشرين أول أما فلامين كويرنيوس (كويرينالس) فكان يعمل خلال ثلاث حفلات ، الاوليتان منهما (كونسواليا الصيف 21/آب وروبغاليا : 25 نيسان) وكانت ذات علاقة بالحبوب .

2. العرافون (Augures):

العرافة هي التنبؤ بأحداث حصلت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، ولكن النوع الشائع من العرافة هو الذي يختص بتنبؤ المستقبل .

وكان العرافون في كل الحضارات يحتلون مكانة مرموقة بسبب ميل الحكّام والناس الى معرفة الأقدار المخبأة والمصائر .

وقد شاع في روما نوعان من العرافين هما :

أ- العرافون الطبيعيون:

وهم الذين يستلهمون تنبؤهم إما من الوحي الإلهي أو من الطبيعة أو من الأحلام .

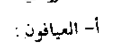
1 . عرافو الوحي الإلهي : والذي يرجعه الرومان الى تنبؤات الوحي في (دلفي) فقد كانت الكاهنة (بيثيا) تعرض نفسها للأبخرة الأرضية وتهذي بكلمات الوحي ، وكذلك عرافة (سيبيل) إلهة الوحي الفريجية المعروف .

2 . عرافو الأحلام (مفسرو الأحلام) : الذين يعود تاريخهم الى الإغريق ، وقد ظهر عرافو الأحلام منذ بداية العصر الملكي في روما ، فقد رأى تاركوين المتكبر ملك روما الإتروسكي أنه أخذ خروفين أخوين ، فذبح أحدهما ولكن الخروف الثاني قد ألقاه على الأرض وهجم عليه بقرنيه ، فرأى وهو مستلق على الأرض أن الشمس قد غيرت مجراها ، وقد أول أو فسر المفسرون حلمه هذا بأن حذروا الملك من شخص متبالد بحسبه الملك خروفاً ، وقالوا إنه قد يلقي بالملك من شاهق مركزه ، أما تغير مجرى الشمس فينبئ عن تغير الحكومة وإن كان تغيراً محمود العاقبة ، لان الشمس كانت تجري من اليسار الى اليمين(45) .

3 . عرافو الطبيعة : وهم الذين يراقبون حركات الحيوانات والطيور أو حركات الطبيعة كالبرق .



شكل (40) كاهنات روما (اليسار: كاهنة ايريس) متحف نابولي



أ- العيافون :

وهم أشهر أنواع العرافين في روما وكانوا يراقبون حركات وأحشاء الحيوانات والطيور .

ويعزى من العيافة الى (روميلوس)ولم يخدع به الجهلة بل تلقاه عن رجال موثوقين ، وقد سلموه الى ذرياتهم من بعدهم ، ولهذا فان (أنيوس) يروي القصة الآتية عن روميلوس وأخيه ريموس وقد كان كلاهما عيّافاً (ذلك أن كليهما قد احتكم الى الآلهة عند تأسيس مدينة روما ، ولكن الشواهد التي رآها روميلوس قد تغلبت على شواهد أخيه .

ب- عرافو البرق :

اشتهر العرافون التوسكان بها فقد قسموا السماء الى ستة عشر قسماً وكانوا يضعون تفسيراً لظهور البرق في كل قسم من هذه الأقسام . والأماكن التي ترمى عليها هذه البروق . ويرون أن الإله جوبتر هو الذي يرمي به من كنوز للناس .

ب) العرافون الصناعيون:

وهم العرافون الذين يستعملون الأدوات لتحقيق قراءتهم للطالع ومنها استعمال أدوات القتال واستعمال الأنصاب وهي كثيرة عند الرومان .

3- كهنة الطقوس الشعبية (الزراعية)

وهم مجموعات عامة من الكهنة يمكن أن نطلق عليهم الجماعات المغلقة أو الرفاقيات (Soda- listes) حيث تختص كل مجموعة بتقنية دينية مثل :

1. السالي (سكاكون) وهم الراقصون للسلام والرافضون لمارس وكويرينوس ، في كل مجموعة 12 عضواً يعملون في آذار وتشرين الأول عندما يوجد انتقال من السلام الى الحرب الى العكس .
2. الفتيالي (Fetiales) وهم المباركون لاعلانات الحرب ومعاهدات السلام .
3. الأورال (Atvales) وهم كهنة مارس الذين يحمون الحقول التي جنيت .
4. اللوبريك (Lupereis) وهم أخوة الذئب الذين يحتفلون في 15 شباط باللوبريكا حيث يضحون بتيس أو ذئب ويلبسون جلده ويبدأون برقصة ومسيرة حول البالاتان وهم يضربون المارة بسيورهم المجدولة من جلد التيس ، وكانت النساء تتقدم نحوهم لتنال الضرب وتحصل على

بركة الخصب وخصوصاً العاقرات أو اللاتي تأخر انجابهن . وكانت طقوسهم تطهيرية وخصبية في الوقت نفسه .

5. الهيبريني : وهم كهنة الإلهة فلورا وسورانس الذين يقومون في أعياد الربيع بممارسة طقوس الزهور والحب وغيرها .

ثالثاً: المعابد والمقابر

أحب الرومان فن العمارة وتولعوا به ولكنهم مالوا الى العمارة الدنيوية أكثر من ميلهم الى العمارة الدينية ، وفي كلا الحالين أظهروا فخامة في البناء ظهرت بوضوح في العصر الامبراطوري بشكل خاص .

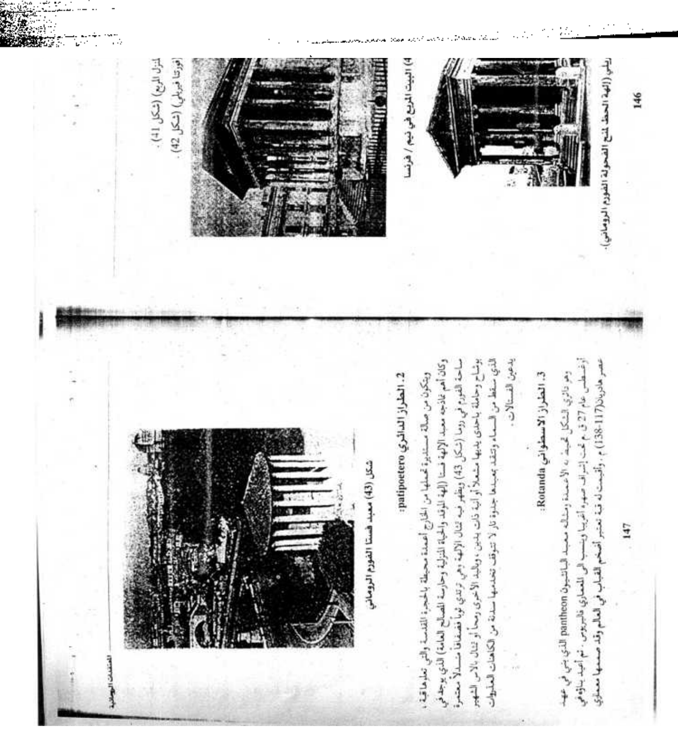
ورغم أن العمارة الرومانية استمدت أغلب عناصرها من العمارة الاغريقية لكنها احتفظت ببعض العناصر الاقليمية التي تمتد جذورها الى عمارة الاتروسك ، فقد أهمل الرومان المصطبة المدرجة الإغريقية المحيطة بالمعبد من كافة نواحيه وفضل عليها الركيزة الإتروسكية المرتفعة التي اقتصر درجها على المدخل .

وإذا كان المعبد الروماني قد احتفظ بالبهو العميق الموصل بين المدخل وبين الخلوة ، إلا انه لم يتبع القاعدة الإغريقية في بناء (الخلوة) القاضية بخلوّها من الأعمدة . فقد كان على المهندسين الرومان إدخال تعديلات عديدة على معالم العمارة الإغريقية حتى تستجيب لحاجاتهم الخاصة بهم وتتكيف معها ، وكان من ثمار ذلك أن بدا المعبد الروماني بناءً ذا طابع خاص مهجن العناصر يأخذ من هنا ومن هناك ما يتفق مع طبيعته ومتطلباته . ومن أكثر هذه العناصر شيوعاً وانتشاراً في المعابد الرومانية الأعمدة الملتصقة بالجدار التي تأخذ شكل العمود وإن كانت جزءاً من الجدار نفسه . ومع ذلك نجح مهندسو الرومان في جعل المعبد الروماني ذي التخطيط الأصيل المستقل الطابع يبدو من الخارج مشابهاً للمعبد الإغريقي ، وهو ما نراه في معبد إلهة الحظ لمنح الفحولة (فورتنا فيريلي) في روما والمعبد المعروف باسم المنزل المربع في نيم بفرنسا(46) .

وبصفة عامة تنقسم المعابد الرومانية الى ثلاث أنواع هي :

1. الطراز المستطيل:

يشبه الطراز الإغريقي الا انه يبنى على قاعدة مرتفعه podium وهو ذو رواق أمامي protique أكثر عمقاً من الرواق الإغريقي . ومن أمثلة هذا النوع من المعابد الثلاثة :



أ . معبد باخوس في بعلبك .

ب . معبد نيم في جنوب فرنسا (المنزل المربع) (شكل 41) .

حـ . معبد الهة الحظ لمنع الفحولة (فورتنا فيريلي) (شكل 42) .



شكل (41) البيت المربع في نيم / فرنسا



شكل (42) معبد فورتنا فيريلي (إلهة الحظ لمنح الفحولة الفورم الروماني).



شكل (43) معبد فستا الفورم الروماني

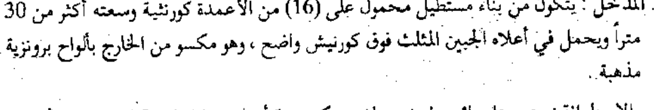
2. الطراز الدائري patipoetero:

ويتكون من صالة مستديرة تحملها من الخارج أعمدة محيطة بالحجرة المقدسة والتي تعلوها قبة ، وكان أهم نماذجه معبد الإلهة فستا (إلهة الموقد والحياة المنزلية وحارسة المصالح العامة) الذي يوجد في ساحة الفورم في روما (شكل 43) ويظهر فيه تمثال الإلهة وهي ترتدي ثوباً فضفاضاً منسدلاً معتمرة بوشاح وحاملة باحدى يديها مشعلاً أو آنية ذات يدين ، وباليد الأخرى رمحاً أو تمثال بالاس الشهير الذي سقط من السماء وتتقد بمعبدها جذوة نار لا تتوقف تخدمها سدنة من الكاهنات العذروات يدعين الفستالات .

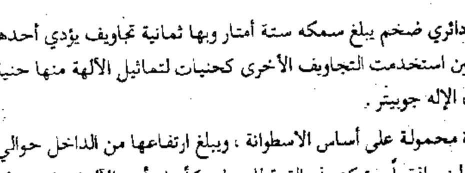
3. الطراز الاسطواني Rotanda:

وهو دائري الشكل تحيط به الأعمدة ومثاله معبد البانثيون pantheon الذي بني في عهد أوغسطس عام 27 ق .م تحت إشراف صهره أغريبا وينسب الى المعماري فالبريوس . ثم أعيد بناؤه في عصر هادريان(117-138) م . وأقيمت له قبة تعتبر أضخم القباب في العالم وقد صممها معماري

سوري . البانثيون معبد مبني على أساس فكرة دينية سياسية . . فقد تخيل الرومان آلهة الأولمب وكأنهم مجلس شيوخ (سناتو إلهي) يشرّع للأمور الكونية مثل العواصف والامطار والزلازل ومصائر الناس ، ولذلك قرروا بناء مقر شامخ لهذه الآلهة للتشاور واستقبال أخبار الرومان وتقرير مصائرهم . . ومن هنا جاء اسم البانثيون حيث كلمة pan تعني شامل و Theon تعني إلهي وهكذا يكون معنى البانثيون هو المبنى الإلهي الشامل . يتكون البانثيون من الأقسام الآتية (شكل 44 ، 45) :



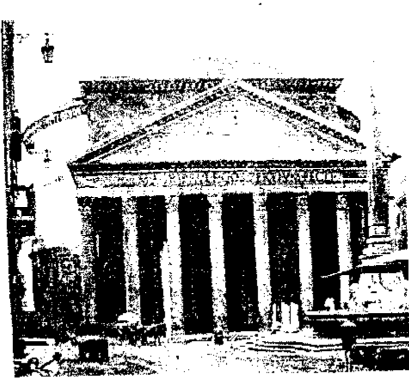
أ . المدخل : يتكون من بناء مستطيل محمول على (16) من الأعمدة كورنثية وسعته أكثر من 30 متراً ويحمل في أعلاه الجبين المثلث فوق كورنيش واضح ، وهو مكسو من الخارج بألواح برونزية مذهبة .

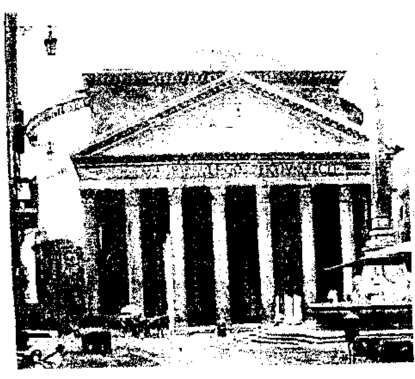


ب . الاسطوانة : وهي بناء دائري ضخم يبلغ سمكه ستة أمتار وبها ثمانية تجاويف يؤدي أحدها دور مدخل المبنى في حين استخدمت التجاويف الأخرى كحنيات لتماثيل الآلهة منها حنية (أو محراب كبير) لتمثال الإله جوبيتر .

جـ . القبة : وهي نصف كرة محمولة على أساس الاسطوانة ، ويبلغ ارتفاعها من الداخل حوالي 42 م وهي نفس اتساع المبنى افقياً ، وتركز هذه القبة للسماء وكأنها مأوى الآلهة ، ففي هذه القبة تجويفات مربعة الشكل مرصعة بنجمة من البرونز المذهب لتوحي رمزياً بالسماء .

وفي منتصف القبة كوّة مستديرة محيطها تسعة أمتار ترمز الى (عين الآلهة السماوية الساهرة والمطلعة على كل شيء) وتعمل هذه الفتحة على غمر المعبد بالضوء ، وكانت القبة والاسطوانة مزينتين بالبلاطات البرونزية المذهبة . مثلما زينت البلاطات الملونة الجدران الداخلية لهما .





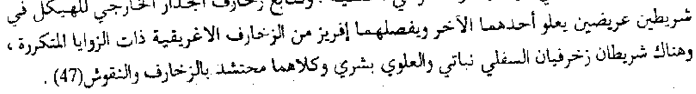
شكل (44) البانثيون من الخارج (واجهة أمامية).

شكل (45) البانثيون من الداخل.

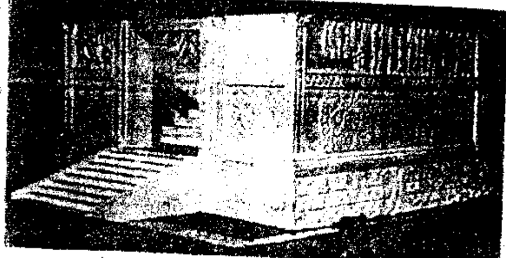
مذبح السلام:

ويسمى أيضاً هيكل السلام (آرا باتشيس أوجسطيا) الذي يمثل بداية العصر الامبراطوري (اغسطس) وقد بني وافتتح بمناسبة عودة الامبراطور منتصراً من إسبانيا وبلاد الغال إيذاناً بحلول السلام في الامبراطورية (شكل 46) .

اتخذ الهيكل نمطاً خاصاً من أنماط النصب التذكارية الزاخرة بالنقوش والزخارف والشخوص والعقود والأكاليل والأفرع النباتية والأشكال الحيوانية . وقد أقيم المبنى - هيكلاً ومذبحاً - من الرخام الناصع البياض فوق قاعدة بسيطة أشبه ما تكون بالمنصة يعلوها بناء مربع الشكل تقريبا ذو مدخلين أحدهما في الواجهة والآخر في الخلفية . وتتابع زخارف الجدار الخارجي للهيكل في شريطين عريضين يعلو أحدهما الآخر ويفصلهما إفريز من الزخارف الاغريقية ذات الزوايا المتكررة ، وهناك شريطان زخرفيان السفلي نباتي والعلوي بشري وكلاهما محتشد بالزخارف والنقوش(47) .



أما الباب الرئيسي فتزينه صور فاوستولوس (راعي وهومولوس ريموس) وإله الحرب مارس والدها . وتزين لو حتى الجانب الآخر مشاهد ربة الخصب (تيللوس) وولديها . وإينياس يقدم القرابين فوق المذبح .



شكل (46) هيكل السلام ومذبحه / الواجهة الغربية.

المقابر

مارس الرومان ، بالدرجة الأساس ، دفن الجثث كما مارسوا حرقها . ويمكننا تصنيف المقابر الى ثلاثة أنواع (48) :

1 . الكولومباريوم Colonbareum : وهي غرفة كبيرة صممت في جدرانها أنواع من الأخاديد الخاصة بالتوابيت تشبه أوكار الحمام . شكل (47)

2 . المقبرة الدائرية : لدفن الأباطرة مثل مقبرة هادريان الكبيرة والتي تسمى اليوم بـ (قلعة سانت أنجلو) في روما ويبلغ قطرها 72 متراً وترتكز على قاعدة مربعة وقد بنيت عام 139 م ودفن فيها الأباطرة حتى عهد كراكلا .

3 المقبرة الناووسية : وهي بناية على شكل تابوت من الحجر مزخرفة من الخارج منها مقابر قرب روما في ضحية فيا أبيا .

وكانت المقابر تنقش أو ترسم من داخلها بمناظر جرار الشراب وموائد الطعام لكي تعين الميت على حياة الآخرة (شكل 48) .

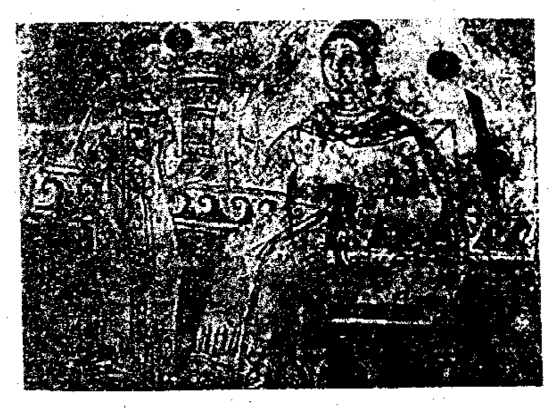


شكل (47) الكولومباريوم (أعشاش الحمام) لرقيق بيت أوغسطس



شكل (48) مائدة زاخرة بالقربان للميت

وكانت بعض المقابر تحتوي على صور الموتى وهم في أحلى زينتهم وعلى أهلهم وأقاربهم أو على بعض نسائهم . . . فقد عثر في مقبرة في كرماي على صورة لرجل ثري جالس على الكرسي وخلفه رسوم لفاكهة ولبعض الأدوات وأمامه امرأة تقدم له كأساً (شكل 49) .



شكل (49) صورة لزينة جنائزية في مقبرة كوماي

المبحث الثالث

أنواع العبادات

أولاً: بقايا العبادات السحرية

تتمثل بقايا العبادات السحرية عند الرومان في ثلاثة مظاهر هي : الفتيشية والأرواحية والطوطمية .

تعتمد الفتيشية Fetichisme على بدائية سحرية تقول بأن قوة العالم أو الكون تجتمع في شيء معين بذاته ، وأن تقديس هذا الشيء آت من كونه يحمل قوة كونية تنبع منه وتجعله متميزاً عن كل ما يحيط به من أشياء فالفتيشية تؤمن بوجود قوة داخل الشيء أو الشخص ولا تؤمن بوجود روح أو إله .

وكان الرومان يؤمنون بوجود (نيومين Neumen) يجعل الانسان أو الملك متميزاً أو حتى الآلهة ، وهكذا آمنوا بوجود قوة خارقة تحرك الآلهة والأباطرة والإنسان .

أما الارواحية Animisin فهو الاعتقاد بوجود قوة حية تحرك كل شيء وبرغم وجود قوة أرواحية سارية في الكون كله لكنها يمكن أن توجد في أشكال جزئية . إن هذه الروح (التي أصبحت بديلاً عن القوة الفتيشية) هي برغم قوتها التي تحدث تأثيراً في المادة ، غير محسوسة ولا ملموحة ، ومع ذلك فانه لا يمكن اعتبار النفس الإنسانية المتصلة بالجسد روحا لكنها حينما تنفصل عن الجسد تتحول إلى روح مقدسة تعود إلى الروح الكبرى التي تسيطر على الكون ، وعند ذاك لا يستطيع الإنسان الاتصال بها الا بمراعاة طقوس خاصة(49) .

وقد أطلق الرومان على هذه الأرواح اسم الـ (مان) وهي تناظر أرواح الآباء parenis الصالحين بشكل خاص ، ويرون أن أصلهم من أرواح الموتى من الأسلاف أو من الجنيات اليونات التي هي أرواح هائمة . وقد قسمنا في المبحث الثاني من هذا الفصل هذه الأرواح الى خمسة أنواع هي (أرواح الموتى الصالحين ، أرواح الموتى الأشرار : الأرواح الحامية المنزلية ، الأرواح الحامية العامة ، الأرواح الحامية الخاصة (الجن واليون) وتقسمت هذه إلى أنواع .

كان لكل رجل روح خاصة تعمل على حمايته (جينيا) . وللنساء رباتهن الحافظة (يونيا) اللواتي باركن لهن حياتهن الزوجة وولادتهن الأطفال . وتعود عبادة الأرواح الحامية – الجينيات واليونيات – تاريخياً كما يبدو ، الى النغوالية القديمة . وكانت ملاحظة الباحثة السوفيتية ي . م شتايرمان صحيحة تامة ، حين بينت [illegible] إنحلال العلاقات العشائرية– السلالية والمشاعية القديمة في مجرى تطور [illegible] – جينيا الشخصي– كانت الجينيات في البدء على ما يبدو ، أصل [illegible] Genius مشتقة من الفعل Genere– أي أنجب (50) .

أما الطوطمية Totemisme فهي عقيدة دينية ترى أن الانسان يرتبط مع حيوان أو نبات أو مظهر من مظاهرالطبيعة أو شيء معين، بصلة بايولوجية، وأن الإنسان منحدر في أصوله منها لتصبح مقدسة ورموزاً لديه . وأحياناً يتحول الطوطم الى رمز ويصبح الرمز مركز العبادة الطوطمية ويكون الرمز أما رسماً للطواطم أو شكلا هندسياً أو مجموعة خطوط أو جلد حيوان أو ملابس أو دروعاً أو وشماً أو مجموعة عصي . تحور الآلهة :52 وقد ظهرت بقايا الطوطمية في الديانة الرومانية بتقديس بعض الحيوانات مثل الذئبة لوبا وبومة منيرفا ودرع وصاعقة جوبتر والشوكة الثلاثية لنبتون وهناك الكثير من الأدوات والرموز التي رافقت اساطير الآلهة تدل على بقايا طوطمية معينة .

ويدلنا مسخ الكائنات وتحولها من حالة بشرية الى حيوانية ونباتية وجامدة على العودة القسرية للطواطم القديمة قبل ظهور الآلهة ، ففي اساطير مسخ الكائنات التي كتبها الشاعر الروماني أوفيد إشارات كثيرة جداً على النكوص الطوطمي وتراجع الكائنات الإلهية والبشرية الى أصول طوطمية بائدة إما عن طريق السحر أو عن طريق الأوامر الإلهية أو جاذبية الطبيعية الى الأسفل .

ثانياً: العبادة الاسروية - العشائرية

أخذت العبادة الأسروية أصولها من العبادات السحرية الآنفة الذكر فقد تحولت العبادة الخالصة للفتيشات والأرواح والطواطم الى عبادة ارتبطت بالأجداد المميزين من رؤساء العشائر الإيطالية واللاتينية بصفة خاصة .

كانت الأسرة النواة الصلبة والقوية للمجتمع الروماني القديم وكان ربّ الاسرة يصل الى حدّ التقديس ، فقد رأى الرومان القدماء أن آباء الأسر الصامدة بوجه الزمن والنسيان تحولوا الى أرواح أو أن هناك ظلٌ حاضرٌ لهؤلاء الموتى رغم موتهم البعيد . وكانوا يرون أن هذه الأرواح أو الظلال كانت محفوظة في مخزن الأغذية وفي نار الموقد وهي ترف على الأسرة وتحميها . وتبع ذلك ان العشيرة التي تتكون من عوائل مترابطة بصلة الدم كانت تحرص على تقديس الآباء المميزين لهامن أسلافها وتراهم حاضرين في كل أفعال العشيرة الجديدة .

ويمكن تفسير ثبات هذا الشكل من الديانة في القوة الحيوية الكبيرة التي تمتعت بها رواسب التنظيم العشيري بالذات القائم على القرابة بالدم ، وخاصة العائلات النبيلة . وكان لعبادة حماة العائلة – العشائرية طابع خاص ، عائلي ضيق أو عشائري ، وهذا أمر طبيعي . وكانت العائلة بقيادة رأسها تقوم بتقديس أسلافها – حماتها قرب الشعلة المنزلية . وكتب كاتون : أتعلمون ، أنهم كانوا يقدمون قرباناً للسيد فناء البيت كله(51) .

كانت العبادة الأسروية – العشـ ... تحول (النيومين والأرواح والمانات والرموز الحيوانية والنباتية والطبيعية) من العبادة ... خالصة والمباشرة الى عبادة الدولة بحيث أخذت هذه الكائنات السحرية حيزاً واسعاً وكبيراً في الدولة الملكية والجمهورية الرومانية بعد أن كانت تعشعش في أوكار ضيقة .

هكذا إذن تقّت العائلة ثم العشيرة هذه الكائنات السحرية وحولّتها الى رموز ثم الى آلهة محلية رومانية خالصة .

وهناك من يرى أن عبادة الإله (فاون) مثلاً إله المواشي مع أعياده المرحة والمليئة بالسخرية كانت تعود في البداية الى عشائر الفابيين والكونيكتيليين ... عبادة هيركوليس – الى عشائر البوتيني والبيناريين ، وعبادة منيرفا الى عشرية الناويين . . وهكذ

ولا نستبعد أن تكون الكثير من الآلهات الإناث ... انحدرت من الأصل السلالي العائلي العشائري الهابط من عصر الأمومة المنقرض أيام كانت فيه المرأة هي المهيمنة على قوى السحر والأرواح والطواطم . ويظهر هذا جلياً في اليونيات الحاميات لأرواح النساء .

أما الجينيات (الجن) Genius فهو الأرواح الحارسة التي ترعى نمو الفرد وقابلياته العقلية والخلقية وتعتبر قريناً مطلقاً له . أما طقوس عبادتها فكانت بسيطة جداً ففي اليوم الأول للولادة يقدم لها الخمر والازهار وبعدها يقام حفل راقص . وقد تم تمثيلها ، في البداية ، على شكل ثعبان وبعدها بصورة الشخص الذي هو رئيس العائلة بثوب فضفاض ، وتظهر معه أحياناً (يونو) الخاصة بالزوجة (53) .

ثالثاً: العبادة الزراعية- الرعوية

اول عتبة للإنتقال من الى ظهور الآلهة المنظمة كانت هي العبادة الزراعية الرعوية التي نرى أنها الاساس المادي الطبيعي الصلب الذي قامت عليه أركان الديانة الرومانية القديمة .

لقد شغلت المعتقدات والطقوس الزراعية مكانةً مرموقة في ديانة الرومان ويشهد على هذا واقع واحد ، وهو أن الكثير من الآلهة الهامة في البانثيون الرومانـ ... والتي عادت عليها في النهاية وظائف كثيرة التنوع ؛ انما هي من حيث المنشأ على علاقة بالعبـ ... المعتقدات الزراعية – الرعوية (54) :

لقد ظهرت آلهة الزراعة والرعي والمياة ... ـنوس وباليس واليبرباتر وسلفانوس والإلهة الأم تيلوس وكيريس وغيرهم واختـ ... ـكذا ، لكن معظم الآلهة الكبار غير هؤلاء كانوا من أصول زراعية فقد كان الإ... الرعود ، وكان الإله مارس (مامرس)

إله الزراعة والخصب وكان عيده مع بداية آذار وهي بداية الربيع ، وكان فونوس إله الرعاة وكان عيده في نهاية الشتاء في شباط . وكذلك ارتبط ساتورن بالحراثة .

وكان الإله نبتون إله ماء وكذلك الالهة جوتوران وغيرهم . وإنه لما لا شك فيه أن تلك الألهة الزراعية المنشأ حملت فيمابعد وظائف كونية ورمزية وأخلاقية عظمى بسبب قدمها وعراقتها وتعلق الناس بها فرفعت من المنشأ الزراعي البسيط الى الرتبة الكبيرة عندما سطعت روما في سماء الحضارات .

وقد بقي القسم الأكبر من الاعياد الرومانية القديمة التي حافظت على مغزاها أزماناً مريرة ، على علاقة من حيث المنشأ بالطقس الزراعي والرعوي . والى جانب أعياد ساتورنالي ولوبيركاليا ، احتفل الرومان بأعياد أخرى أيضا مثل سيريالي (عيد الحراثة الربيعية تكريساً لسيرين أو كيريس) ، وفينالي في شهري نيسان ، أبريل وآب- أغسطس مع قرابين تقديم لجوبيتر- حامي عرائش العنب ، وكونوالي - عيد الحصاد ، ويحتفل به في آب أغسطس ، وتيرمينالي في شباط - فبراير وبعض الأعياد الزراعية الأخرى (55) .

رابعاً: عبادة الأباطرة

قبل ظهورالأمبراطورية الرومانية وأباطرتها كان الإغريق الهيلنستيون قد أغوتهم فكرة تأليه الفراعنة ، فقام البطالمة بتتويج أنفسهم دينياً على أنهم آلهة واقيمت لهم المعابد وتوجب على الشعبين الاغريقي والمصري عبادتهم وهكذا غرقت علمانية الإغريق ديمقراطيتهم التي أسسوها في بلدهم في مياه الدين المصري القديم وظهروا بصفة آلهة شرقية .

ويبدو أن البطالمة هم الذين أصابوا الرومان بهذه العدوى فنصّب الأباطرة الرومان أنفسهم آلهة .

بدأت هذه العبادة مع يوليوس قيصر الذي اقيمت له المراسيم الالهية (Apotheosis) عند الوفاة ، ثم تبعه أوكتافيوس الذي حصل على لقب أغسطس اي (المقدس) وصنّف بعد وفاته في عداد الآلهة .

ومن آثار اتصال التراث الروماني مع التراث المصري في هذا المجال هو «الدورالمتعلق بالإله المتجسد ، والنموذج السابق للإله المتجسد ، هو الفرعون وقد كان الامبراطور الروماني فرعوناً ، إضافة الى كونه المدبرالأول للدولة نيابة عن مجلس الشيوخ والشعب الروماني . وهكذا فإن جميع الأباطرة على التوالي كان كلّ واحد منهم الوريث الشرعي للإله المتجسد المصري ، الى أن رفض اوريليان هذا التراث المصري ، وكانت عبادة الإله البشري الامبراطوري الإسمنت الذي كان يربط أجزاء الامبراطورية واحدها بالآخر»(56) .

تطور تأليه الامبراطور الروماني منذ عهد أورليان مستلهماً الطقوس الساسانية التي كانت تضفي على الامبراطور مسحة متعالية من الكبرياء والغطرسة وهكذا نشأ من النسيج المصري/ الساساني نمط روماني من التالية الامبراطوري ، لم تكن روما على عهد به ، فقد كأن تزليه الامبراطور في حياته وليس بعد مماته ، وظهر الامبراطور سليلاً للآلهة الرومانية الكبرى «فقد زعم دقلديانوس أنه ينحدر عن جوبتر وادعى ماكسيميان أنه من سلالة هرقل ونادى كونستانتيوس كلوروس Constantius والد قسطنطين بانحداره عن أبولو . وهكذا فقد بذل كل جهد لكي يصبح الامبراطور شيئاً مستقلاً يفوق سائر بني البشر»(57) .

وقد ظهرت نقود تشير الى تاليه بعض الأباطرة مثل (أنطونيوس بينس) مع آلهتهم وقد عثر على معبد له في فورم روما (شكل 50) .



شكل (50) عملة نقود يظهر عليها انطونيوس بينس كإله

المبحث الرابع
أشكال العبادات

أولاً: التعددية (polytheism)

كان تعدد الآلهة هو الشكل الرئيس للديانة الرومانية ، والحقيقة أن هذه التعددية كانت مركبة بشكل غريب فقد استوعبت الديانة الرومانية جذور الأرواح القديمة وعاملتها وكأنها آلهة ثم رصفت فوقها آلهة رومانية وإيطالية محلية ، ثم خلطت هذا المزيج مع الآلهة الإغريقية والشرقية الوافدة .

وقد عملنا على فرز هذه المفردات الخليطة في أكثر من مبحث وفصل ولكنها رغم ذلك أعطت للمثولوجيا الرومانية فرادة نادرة تتناسب مع اعتبار الامبراطورية الرومانية لنفسها امبراطورية رومانية لنفسها امبراطورية عالمية .

لا بد من التأكيد بوضوح على أن أصل التعددية في الديانة متأت من تعدد الأرواح وعبادة هذه الأرواح قبل تعرف الرومان على الآلهة المتعددة أيضاً . وقد عرفنا أن الأرواح لا حصر لها وهي محشورة في كل الأفعال الصغيرة والكبيرة للإنسان بالاضافة الى غياب أساطير وحضور طقوسها البسيطة (ما يؤكد نشأتها السحرية القديمة) . وكان الغرض الرئيسي من طقوس الأرواح هذه هو حثها على أداء وظائفها تجاه الانسان ، ولذلك كان الروماني كاهن نفسه ولم يكن هناك حاجة لوجود الكهنة في بادئ الأمر .

وهذه القوى الغيبية – الأرواح – لم تكن لها شخصيات معينة بالنسبة للروماني كما كان الحال عند الإغريق ، فهي في أحسن الأحوال أشياء مجردة غامضة ، لذا كانت الديانة الرومانية جافة وشكلية ولا تحتوي الا على القليل من العناصر الروحية والخلقية التي توحي بها كلمة دين ؛ وبصورة عامة فان فكرة الدين كانت توجب الطاعة لقوى تفوق البشر حتى أن كلمة religio كانت تعني التقيد أو جوب الطاعة التي كان لها أبلغ الأثر في بناء الشخصية الرومانية وفي تسيير سفينة الدولة نحو القوة والاستقرار و العظمة(58) .

انتقى الرومان بعض هذه الأرواح وحولوها الى آلهة ، ثم ورثوا الآلهة الايطالية عن (اللاتينية والسابينية والأومبيرية) ثم أدخلوا الآلهة الإغريقية والشرقية الى مجاميع آلهتهم ، لكنهم ظنوا يفتقدون الى تصور عميق عن الإله وعن ماهيته ووظائفه وشكله ومعناه ولذلك نرى فقراً مثيراً كبيراً في نسيجهم الروحي ونرى غياب المعابد في بداية حياتهم الروحية ، لكننا نرى هذا الكم الهائل من

الآلهة الذي أسبغ عليهم صفة التعددية بلا منازع . . . فهم من البراجماتية بحيث أنهم كانوا يستقبلون أي إله من أية أمة طالما كانوا يشعرون بأنه ينفعهم أو ينشّط قواهم الروحية .

وهكذا كان تعدد الألهة والأرواح صفة مهمة للغاية من صفات الديانة الرومانية وهو ما كان يجد صداه في الرقعة الشاسعة للامبراطورية الرومانية و ضمّها للكثير من الأمم والشعوب الشرقية والغربية مع الحفاظ على عبادات هذه الأمم بل وضمّ آلهتها للألهة الرومانية دون كثير من الحرج .

التفريدية(Henotheism):

ربما لعب الإله جوبيتر دور الإله المركزي الذي دارت حوله بقية الآلهة ، ولكن هذا لم يحصل إلا عندما انتصف العصر الجمهوري لروما . أما قبل ذلك فربما كان الإله (جانوس) أو الإله (مارس) هما من يمثلان الرومان بين الأمم .

كان الإله جانوس خالق الكون وإله الآلهة ولذلك اطلقوا اسمه على الشهر الأول من السنة (Janu-aries) وأصبح إله العصر الذهبي اللاتيوم ، فهو من هذه الناحية الإله القومي للاتين (مؤسسي روما) .

لكن الرومان كانو يرون أن الإله (مارس) هو والد رومولوس مؤسس روما الذي يمثل تحول الرومان من مزارعين الى محاربين ، فهو من أصل زراعي وهو إله الحرب ولكنه ليس بالإله الكوني الخالق مثل جانوس .

أما (جوبيتر) الذي كان من أصل توسكاني ولاتيني فلم يرق الى مستوى الإله القومي للرومان الا عندما طوبق مع الإله الإغريقي (زوس) وأخذ منه صفاته الكونية وأساطيره الكبرى .

ومع كل ذلك لم يصل جوبيتر الى المستوى التفريدي اللائق (شأنه شأن زوس) فقد كانت فيه عناصر دنيوية وغريزية ساذجة وقد كان يبدو كشيخ ضعيف هرم أمام الآلهة الشباب . وهكذا لا ترجح ظهور النزعة التفريدية له الا من خلال النظر اليه وهو يتوسط آلهة الأولمب (الرومانية؟) ، لكنه لم يكن كذلك على الساحة العملية لبقية الآلهة .

قد يكون الإله القومي لشعب ما هو الإله التفريدي لهم ولكن مستوى التفريد وعمقه يختلف من شعب لآخر ، كما أن صفات ذلك الإله قد تؤيد هذا التفريد أو لا تؤيده . ومعروف أن نزعة تفريد جوبيتر لم تمنع آلهة أخرين مثل مثرا أو السجابيل من أن يحلّوا محله بقوة ويتجولوا ، لاحقاً ، الى آلهة تفريدية (لاقومية) تحاول أن تأخذ لها مكاناً مركزياً واضحاً في حياة الرومان رغم أصلهما الفارسي والسوري (على التوالي) .

التوحيدية ([illegible])

لم يشهد الدين الروماني ظهور أنبياء موحدين أو ظهور نزعة توحيدية [illegible]ضحة فقد كان هذا الدين غارقاً في طبقته الحسّية وممارساته المادية التي لم تكن تسمح بظهور نزعة تجريدية من إله واحد خالق يسمو على بقية الآلهة ويصبح بديلاً عنها .

جاء التوحيد من أطراف الامبراطورية [illegible] ظهر السيد [illegible] في عصر أول امبراطور روماني (اغسطس) [illegible] من اليهودية [illegible] كانت وما زالت تضع إلهها القومي راعياً لها فقط . أما المسيحية فقد جعلت من الله إلهاً للبشر أجمعين . وقد قبل الدين المسيحي ضمن نسيج الأديان الكثيرة التي تعج بها الامبراطورية ولكنه [illegible] غريباً عن بقية الأديان لأنه الدين الموحّد الوحيد الذي كان لا يعترف بكل الآلهة وكان لا بد لهذا الدين أن يصطدم بالمؤسسة الامبراطورية قبل المؤسسة الدينية وقد حصل هذا في عصر فيرون واستشهد بطرس ولولس في روما وأصبحت المسيحية من الناحية الرسمية ديانة غير شرعية ولا يمكن السماح بها علناً فاضطرت الى الممارسات السرية والى تقبّل الاضطهاد .

ومن هنا بدأت [illegible] الفلسفية وخصوصاً [illegible] الغنوصية والهرمسية ، وقد ساعدت فلسفة فيلون والرواقية على الوصول الى نوع من التوحيد الفلسفي المتمثل بـ (أفلوطين) القريب من التوحيد الديني المسيحي آنذاك . وقد قدّمت كل هذه النزعات التوحيدية الفلسفية الأرض ليظهر عليها الدين المسيحي منتصراً .

والحقيقة أن التوحيد المسيحي [illegible] شرقي الأصل لكنه [illegible] سمته العالمية من الفكر الهيلنستي ومن أجغرافيا الرومانية الامبراطورية . ولذلك لا يمكننا الدفاع عن نزعة توحيدية في الدين الروماني فضلاً عن أن فلاسفة الرومان كانوا مقلدين لفلاسفة الإغريق [illegible] بشكل خاص ولم ينتج عنهم [illegible] فلاسفة الإغريق ، ولا يمكننا تحت أي ظرف من الظروف اعتبار أفلوطين فيلسوفاً رومانياً موحداً أو نبياً رومانيا داعياً للتوحيد فهو في أفضل أحواله امتداد نوعي للأفلاطونية بنزعتها التصوفية .

الإلحادية ([illegible]eism)

لطالما ظهر أعلام [illegible] الفلاسفة والشعر يحضرون الى الآلهة [illegible] نظرة الريبة والشك فهم الشاعر نونيت اينى (240-169) ق.م والمسرحي الكوميدي بلوت [illegible] (250-184) ق.م فقد كانوا يرون في هذه الآلهة والطقوس أمراً يستحق السخرية .

وقد بلغت حرية الفكر أوجها في إبداع تيتا لوكريسيوس كارا (99-55) ق.م وهو الشاعر والفيلسوف المادي الكبير ، وفي ملحمته الرائعة (حول طبيعة الأشياء) كان يعرض على الدوام وجهة نظر مادية عن العالم ، منكراً وجود الآلهة ومبيناً كذب وخداع الكهنة ، وتهيأ له الارتقاء حتى إدراك جذور الدين وأسباب استمراريته . وكان بلهيني سيكوند الأكبر (23-79) م من الماديين الأقل ثباتاً ، غير أنه إذ أنكر الآلهة التقليدية أقرّ بألوهية الشمس ، التي افترض أنها مركز العالم (59) .

كانت نظرية (لوكرنيتيوس) تقف بوجه الغلّو هالديني وتفسير الحياة بطريقة علمية فكان يرى أن الكون يتكون من فضاء تتحرك فيه الذرات : وأن العالم وليد صدفة ناتجة عن تحركات الذرات [illegible] الآلهة رغم وجودهم لكنهم بلا إرادة ولا قوة للتدخل في هذه العملية الآلية «وما أرواحنا [illegible] من الذرات التي سوف تتحلل في حالة الوفاة ولا يتخلف عنها شيء . وفي اللحظة التي يضع فيها البشر أيديهم على هذه الحقيقة فإنهم يستطيعون تحرير أنفسهم من الخوف من الآلهة ومن القصاص بعد الموت ، وهما أقوى مصادر للجريمة والشقاء في الحياة . وبالتالي فإن السعادة الحقة في متناول أيديهم ، فهي تكمن في الاستجابة لاحتياجات الجسد بصورة لا مغالاة فيهاوفي تسخير العقل للتأمل في عالم الطبيعة» (60) . ونرى أن الميل الحسي والمادي للرومان كان أرضاً خصبة لظهور الكثير من نزعات الإلحاد خصوصاً أن خليط الآلهة والأرواح عندهم كان يثير عندهم الكثير من السخرية والتهكم .

المبحث الخامس

العقائد الفلسفية الدينية

يصعب علينا تلمس العقائد الفلسفية الدينية الرومانية في نسيج فلسفي اختلطت فيه العقائد الهيلنستية مع العقائد الرومانية ، فقد أفلت الفلسفة الإغريقية بعقلانيتها الرفيعة ونهضت المشاعر القلبية المشحونة بأمواج الشرق القديم وظهر خليط يجمع الأدب والاسطورة بالفلسفة ، بل ويحاول العودة بها الى ما قبل طاليس (600 ق .م) حيث كانت أقرب الى الحكمة والاسطورة منها الى العلم العقلي .

ويمكننا من حيث المبدأ التمييز بين المدارس الفلسفية في العصرين الهيلنستي والروماني كما يلي :

1. التيارات الفلسفية الهيلنستية

أ . التيارات الاخلاقية .

1 . الرواقية القديمة .

2 . الأبيقورية القديمة

3 . الشكيّة القديمة

ب . التيارات الباطنية

1 . الغنوصية

2 . الهرمسية

3 . الإفلاطونية الحديثة (رغم ظهور الأفلوطينية في العصر الروماني) .

4 . الفيثاغورية الحديثة

جـ . التيارات الاكاديمية

1 . الاكاديمية الحديثة

2. التيارات الفلسفية الرومانية

التيارات الأخلاقية

1 . الرواقية الوسيطة والحديثة

2 . الأبيقورية الحديثة .

3 . الشكّية الحديثة .

واذا كنا قد تناولنا التيارات الفلسفية الهيلنستية وعقائدها المرتبطة بالدين في كتابنا عن (المعتقدات الهيلنستية) فسنتناول هنا التيارات الفلسفية الرومانية وعقائدها المرتبطة بالدين .

أولاً: الرواقية الوسيطة والحديثة

1. الرواقية الوسيطة (بناتيوس، بوزيدونوس)

تطورت الرواقية في عصر الرومان في صعود نزعتين متضادتين الأولى زيادة الاهتمام بأفلاطون وشيوع التأثيرات الأفلاطونية التي جعلت من بوزيدونوس (وهو أعظم الرواقيين في عصر روما) بمثابة المؤسس للتيار الأفلاطونية الجديدة التي شمخ فيه أفلاطون . أما النزعة الثانية فهي ضمور فكرة الاحتراق الكلي للكون وزيادة العنصر الفيزيائي في فهم خلق العالم .

بناتيوس

يمكننا ان نلخص بشدة منجزات بناتيوس واختلافه عن الرواقية القديمة التي أسسها زيتون .

1 . الاهتمام الاستثنائي بأفلاطون (الإلهي ، العظيم الحكمة ، العظيم القداسة ، هوميروس الفلاسفة) .

2 . نفي فكرة (الاحتراق الكلي) التي يبدأ بها خلق العالم .

3 . نفي فكرة (التجاذب) بين الكواكب وبالتالي نفي تأثير النجوم على الأرض ومصائر الناس .

4 . تموت النفس عندما يموت الجسد وينتقل الجزء الاثيري الى أعالي العالم التي منها انحدر .

5 . هناك ثلاث ثيولوجيات (علوم إلهية) : ثيولوجيا : الشعراء وهي باطلة تضع الآلهة دون أخيار الناس مقاماً ، وثيولوجيا الفلاسفة التي لا تتفق كثيراً مع المعتقدات الضرورية للمدن لأنها

ترى أن الآلهة اشخاص حقيقيون جرى تأليههم أو أن إله الفيلسوف لا جنس له ولا عمر ولا جسم محدود، وأخيراً الثيولوجيا المدنية : ثيولوجيا العبادة التي يؤسسها في المدن الحكماء (61).

6 . طبيعتنا الفردية هي المعيار فقد تلاشى ذلك الطموح المغالى فيه في الوصول الى حكمة فوق الانسانية ، دون أن تبيح للأنسان بحجة الطبيعية أن يذهب في أهوائه بعيداً ، إن ما يميز الانسان عن الحيوان ثلاثة أمور هي العقل واللغة ومقاومة اللذة .

7 . الانسان خلافا لما تدّعيه الرواقية الأصولية ، مزدوج ويبقى مزدوجاً فهو عقل ونوازع لاعقلانية .

وهكذا خلّص نباتيوس الرواقية من الخرفات ومال بها نحو العقل ونحو المثالية .

بوزيدوينوس

يعتبر الفيلسوف السوري (بوزيدونيوس الأفامي135-51) أهم فيلسوف رواقي بعد زينون وهو من أعظم الشخصيات الموسوعية منذ ارسطور كما أنه المؤسس الحقيقي لتيار الافلاطونية الجديدة ، وهناك من يرى أنه مفكر ديني في المقام الأول حاول التوفيق بين الرواقية والأفلاطونية وهو تلميذ بناتيوس ، فقد رأى الإله الكون كما يلي :

العناية الإلهية في خلق الكون ليست عقلاً (كما في الرواقية القديمة) بل هي عامل فيزيقي ، هو الحرارة ، يتجلى أثره بوجه خاص في النجوم ، والنار ليست عقلاً وإنما قوة عضوية (62) .

والكون منظومة من سماء ومن أرض ومن طبيعات متوزعة فيها . وفي منظومة كهذه تكون وحدة العالم ، المثبوتة في تشكيلة مرنة وثروة من الموجودات المتراتبة هرمياً هي الجانب الرئيسي . وهكذا لا يوجد ثمة احتراق كلي بل هناك عالم أبدي .

وفرق بوزيدونيوس بين زوس والطبيعة والقدر باعتبارهم حدوداً ثلاثة يتبع كل منها لسابق ، فزوس هو القوة في وحدتها ، والقدر هو القوة عينها منظوراً اليها في تعدد مظاهرها ، بينما يمكن اعتبار الطبيعة قوة منبثقة عن زوس لتربط قوى القدر المتعدد فيما بينها (63) .

لقد وضع ما أسماه أدوارد زيلر «نظاما عظيماً ينادي بألوهية الكون ، يجد فيه علم التجارب كله مكاناً له ولكن لسوء الطالع لم يكن مقصوراً على المعرفة وحدها فحسب بل تضمن أيضا كل خرافات عصره . لقد اهتم بصورة خاصة بالتوفيق بين الآراء بدلا من إخضاع اي منهاللفحص النقدي ، ومع ذلك فقد كان تأثيره في عصره عظيماً جداً . ومما هو جدير بالذكر ، أنه ربما كان ؛ فقد كان تأثيره في

عصره عظيماً جداً . ومما هو جدير بالذكر ، أنه ربما ، كان آخر فيلسوف في التراث الإغريقي البحث لم تمس روما انتاجه»(64) .

في صلب مذهبه الفلسفي يكمن ايمانه (بالانسجام) الذي يسود الكون ، وفي رأيه أنه يمكن ملاحظة هذا الانسجام أولاً : في الإنسان في صورة التجاوب القائم بين النجوم وأرواحنا التي هي أيضا أجزاء من النار المقدسة ترجع اليها الروح بعد الممات . ثانيا : في الطبيعة في صورة تأثير القمر على المد والجزر ، وهذا اكتشاف رائع توصل اليه بوزيدونيوس من مشاهداته للمحيط الأطلسي عند سواحل أفريقيا وأسبانيا(65) .

لقد تمّ تصوير بوزيدونيوس في صورة صاحب العقل المزدوج ، الذي يقف بين الشرق والغرب وينتهل منهما جميعاً ، وفي صورة الفيلسوف والعالم والمنجم والمتصوف الشرقي الى غير ذلك من نعوت ، وأنه مستحدث نظام فلسفي عظيم جمع بين جميع نزعات الزمان المتداولة ، العلم منها والخرافة وعبادة النجوم والعبادة الشعبية ، والسماء والأرض ، والناس والآلهة والشياطين ، فهو فرد التقت فيه الأشياء جميعها ومنه انطلقت لتؤثر في المستقبل(66) .

ولعل أكثر ما شغل بوزيدونيوس تتبع العلاقة بين السماء والأرض ، وبين الانسان والطبيعة . فقد حاول بطريقة أقرب الى العلم إثبات تأثيرات القمر على المد والجزر والكواكب على الانسان وغيرها .

وجرياً على تصوراته المقاربة لفكرة (وحدة الوجود) كان الله يدخل في كل جزء من أجزاء الكون ولكنه أيضاً فتح هذا الكون للشياطين التي تسكن في الهواء الأعلى وتنتشر في الكون «وإذن فان نظامه الخاص ، على علوه من بعض النواحي ، مثل أفكاره عن تداعي الكون وترابطه تحت حكم عناية إلهية ، لم يبعد كثيراً عما اسميناه روح الزمان . وكانت فكرة الكون لديه تتسع للشيء الكثير جداً ، وذلك لانه لم يميز بين ما هو موجود وبين ما يعتقد الناس أنه موجود ، ففتح الباب لعلم الشياطين ولكثير غيره»(67) .

الرواقية الحديثة

وهي الرواقية التي ظهرت في العصر الامبراطوري الروماني وكان أهم ممثليها هم :

1 . أريوس ديديموس : العرض العلمي للنظرية الرواقية ، وهو معلم الامبراطور اغسطس .

2 . أنوس سنيكا : الارشاد الروحي .

3 . موزونيوس روفوس : رياضة النفس .

4 . أبكتيتوس (50-138) .

5 . هيروكليز .

6 . الامبراطور مرقس أو ريلوس (121-280) آخر الرواقيين الكبار فحص الضمير .

أصبحت الرواقية هي فلسفة الامبراطورية الرومانية ، بينما كانت الأبيقورية فلسفة الجمهورية الرومانية ، وقد بدأ هذا التحول منذ صعود أغسطس الى منصب الامبراطور وظهور حالة من النظام والاستقرار النسبيين لم يشهدهما العالم منذ عشرات السنين وكان هناك اهتمام بالشؤون العامة والاستقامة الاخلاقية والتقليدية الدينية وبذلك صارت الرواقية ملجأ الدولة والشعب آنذاك .

ويبدو أن سقوط الرواقية بدأ منذ وفاة الامبراطور الفيلسوف ماركوس أوريليوس فقد أفسحت المجال للافلاطونية الجديدة التي كانت تحمل آخر وأقوى النبضات الهيلينية ممزوجة بالروح الشرقي القديم .

أبكتيتوس

وهو فيلسوف الارادة (ربما كان جذر شوبنهاور!!) وكان يرى أن الموائمة مع الطبيعة أو العقل هو الوضع السليم للإرادة ، ففي رأيه أن تكون سيد مصيرك عن طريق تحكم الارداة ، وعن طريق التحكم أو التخلص من كافة المشاعر أيا كانت ، لهو الهدف المنطقي الوحيد .

والإنسان شعر بقوة بالحرية الداخلية عن طريق استخدام التمثيلات في المبادرة الى الفعل ، ولكن هذا الشعور بالحرية يرتبط به شعور ديني حي ، قوامه الأول علاقة خاصة للإنسان بالله ؛ ولئن يكن الانسان حراً فلأنه جزء من أجزاء الطبيعة الرئيسية التي يرسمها خلق كل شيء آخر في الوجود ، وبما أنه جزء رئيسي فما هو كسائر الأشياء في الوجود من صنع الله ، وإنما هو بضعة من الله ، فالله أعطاه لذاته بدل أن يدعه على تبعيته ، لكن ينبغي لنا أن ندرك أن هذا التألية للإنسان ليس معطى طبيعياً بقدر ما هو مثل أعلى يتحتم تحقيقه واعتقاده هاد(68) .

ماركوس أوريليوس

الامبراطور الفيلسوف الذي تبناه الامبراطورية السابق (انطونيوس بيوس) في سن السابعة عشرة ، وكان يدرس القانون ومعجبا بابكتيتوس . يقول عنه المؤرخ جيبون بأن حياته كانت أنبل تعليق على وصايا وسنن زينون . كان قاسيا على نفسه متغاضيا عن نقائص غيره . عادلاً ومحسنا لكل البشر (69) .

له كتاب (التأملات Meditations) الذي كان موضوعه المحوري يدور حول الحياة الخلفية غير المرتبطة بتصور معين عن الآلهة والكون ، وكذلك حول الموت الذي يرى أن الكون يسترجع فيه الفرد عن طريقه ، فينتشر هذا الفرد في الكل ، وبذلك يكون الموت انعتاقاً وضمانة لنا من خطر خرف العقل .

ان الموضوعة المحورية في تأمله هي بالفعل ارتباط الفرد بالكون . فهذا الكون هو الشيء الوحيد الذي يعطي الحياة معنى ، هي المتقلبة العارضة بحد ذاتها ، وهذا التوكيد على الطبيعة الجوهرية للعالم هو شيء أكثر وأعمق من مجرد الايمان العادي بالعناية الإلهية . «حتى لو كانت الآلهة لا تبالي بي ولا تحفل بي ، فأنا أعلم أنني كائن عاقل ، وأن لي وطنين : روما ما دامت أنا ماركوس اوراليوس ، والعالم بأسره ما دمت إنساناً ، وأن الخير الأوحد هو ما كان فيه نفع لهذين الوطنين» . هكذا يظل المبدأ الديني الأساسي قائما حتى في هذه الحال ، فالفعل الخلقي أشبه بتفتح للطبيعة الكلية لدى الإنسان ، وعلى الإنسان أن ينتج ، مثلما تعطي الشجرة ثمارها ، دون أن يدري أنه ينتج (70) .

وسنقتطف هذه الشذرات من كتابه (التأملات) لنعرف مدى ورعه الأخلاقي(71) .

- لاننا قد خلقتنا جميعاً لنعمل معاً ، كأعضاء جسم واحد ، قدمان ، يدان ، حفنان أو أسنان علوية وسفلية . . وعليه فإن عمل فردٌ عملاً مضاداً لآخر ، فهو مجاف للطبيعة بل ان هذا هو نفس جوهر الغضب والكراهية .
- انت ترى كم قليلة هي الأشياء التي يحتاجها الانسان ليحيا حياة سعيدة ، حياة أشبه بحياة الآلهة ، لأنه لو راعى هذه الأمور ، لما طالبته السماء بأكثر من ذلك .
- يانفسي! أذلّي نفسك ، أذلّي نفسك ، لقد مضى الوقت الذي كنت تمجدين فيه نفسك . ليس للإنسان إلا حياة واحدة ، وقد أوشكلت هذه ان تقضيها على خير وجه . لا تبجلي نفسك ، بل احلمي في أن سعادتك كائنة في نفوس الغير! .
- ولكن لو لم يكن للإله وجود ، أو كان له وجود ولا يعير اهتماماً بالبشر ، فما الذي يجنى من العيش في كون لا إله فيه ولا نفس؟ ولكن الله موجود ، ويهتم بأمورنا ، لانه قد وضعها كلها في مقدور الإنسان ليؤكد أنه لا يتردى في شيء يعد شراً في الواقع .
- ما من مخلوق أتعس من الإنسان الذي يدور دائماً في دائرة بحثاً عما يطلق عليه (بندار) أمور العوالم السفلية ، يكافح دائما من أجل قراءة الغاز روح إنسان غيره ، دائما أعمى عن رؤية ما يكفي للدلالة على الألوهية داخل نفسه ، دائما عاجز عن تكريس نفسه وفاءً لخدمتها .

- أن يموت وقد استكمل سنوات حياته ، ومن مات في شرخ شبابه هما خاسران بنفس الدرجة . الحاضر وحده هو الذي ينتزعه الموت منا ، لأن الحاضر هو كلّ مالنا بمعنى آخر هو كل ما يمكن أن نفقده .

- مقياس حياة الإنسان هدف ، جوهر ، مد وجزر مستمران ، إدراك حسيّ غامض ومبهم ، بناء جسمه كله قابل للفساد ، والنفس تتجاوز ما اكتشفته بعد البحث ، والقدر دوامة والشهرة القرار اللاعقلي ، . باختصار أشياء الجسم لا استقرار لها كالماء ، وأشياء النفس أحلام وأبخرة ، والحياة ذاتها حرب أو إقامة مؤقتة في بلد غريب . إذن من سيكون دليلنا ورفيقنا وحامينا؟ شيء واحد ، وواحد فقط - الفلسفة . والفلسفة ورفيقنا وحامينا؟ شيء واحد ، وواحد فقط - الفلسفة ، والفلسفة الحقة هي ملاحظة الجانب القدسي داخل أنفسنا .

ثانياً: الابيقورية الحديثة

نعني بها الابيقورية التي ظهرت منذ القرن الثاني قبل الميلاد وما تلاه ، فقد شهد القرن الثالث ق .م ظهور أبيقور وتلاميذه الذين وضعوا الأسس العملية والعقلية لمبدأ اللذة البراجماتي . وقد كانت الأبيقورية الأولى تعارض الرواقية الاولى بنبذها كل ما كان أساسيا في الحياة الخلقية الرواقية مثل : العناية الإلهية ، نفس العالم ، وحدانية الكون والتجاذب بين أجزائه ، القدر ، العرافة بقراءة النذور ، الجدل . . الخ .

ويبدو أن أول من حاول تطوير الابيقورية هو (بولستراطس) الذي حاول ان يستعمل الجدل الرواقي في الابيقورية وقد قاد تياراً أبيقورياً حديثاً كان من أهم سماته الوقوف«موقف العداء من العمليات بملء معنى الكلمة ، أي من تصور شامل للكون هو موضوع ايمان يقيني ، علي أساسه تنهض الحياة الخلقية . هذه الوثوقية يعارضها هذا التيار الفلسفي بضرب من نزعة انسانية ترتد باستمرار بالعقل من الاشياء الخارجية التي لا منفذ لنا اليها الى التأمل في الشروط الانسانية للنشاط العقلي والأخلاقي» .(72).

وهكذا بدأت الأبيقورية تكيّف نفسها لتكون فلسفة العصر الجمهوري الروماني السريع التحولات والنزّاع الى حياة أخلاقية عملية تسودها اللذّة الحسية أو العقلية .

وفي القرن الأول قبل الميلاد ظهر (فيلودامس) الذي أغنى مفاهيم العلامات والخطابة والموسيقى والغضب وينفر فيلودامس من كثرة الجدل والدخول في نزعات التعميم ويضع الحقائق البسيطة بديلا عن الهياكل النظرية فهو يقول في مربعه العلاجي الشهير «الله لا يرهب ، والموت لا يخيف ، والخير سهل الاقتناء ، والخطر يسير تحمله»(73) .

إن هذا يشير إلى أن الابيقورية أصبحت تبسط مفاهيمها ولم تعد مرجعياتها النظرية القديمة راسخة كل الرسوخ فقد بدأت تختلط بغيرها من التيارات كالرواقية والأكاديمية وهو ما ينعكس بوضوح في مطولة الأبيقوري (لوكراسيوي) (في الطبيعة) التي تتغنى بالسكينة والعاطفة وأفول العالم وفناء النفس وخلود الموت .

ثالثاً: الشكّية الحديثة

سيطرت على الشكّية(SCEPTICISM) القديمة مدرستان هما الشكلية الخلقية لبيرون والشكلية الاحتمالية لاركسيلاوس) فيما ظهرت الشكلية الحديثة في القرنين الاول والثاني والميلاديين مدرستان جديدتان هما الشكلية الجدلية لأنا سيداموس وأغريبا والشكلية التجريبية لسكستوس أمبريقوس . وهما مدرستان أكثر علمية ورصانة من المدرستين القديمتين .

إناسيداموس

وضع أنا سيداموس الشك على أسس علمية من الحجج الجدلية التي كلما كثرت ذهبت بالشكيه نحو السفسطائية .

وقد حاول اناسيداموس وضع الشك في منطقة متعادلة لأنه رأى أن الشكية لا تحاول أن توجب أو تسلب أساساً وأنها تحاول أن تكون مدرسة السعادة والطمأنينة ان الشكية عند إناسيداموس تؤدي الى الهيرقليطية وقد حاول خلق نظرية كونية تبدأ من الهواء وتتطور وتتغير وفق نوعين من التغير الكيفي والمكاني ، وأن الحواس تصل الى الحقيقة وتؤدي الى العقل .

سكستوس

أعاد سكستوس تحويل الشك من علم الخافن ، وجعله تجريبياً بعد أن كان جدلياً على يد إناسيداموس ، ويؤكد سكستوس على الملاحظة والعلامة والتجربة أكثر من تأكيده على العلوم التي تفحص هذه الظواهر ، إن منهجه يتلخص في كونه منهج خبرة لا منهج علم«هكذا يطفو على مرأى منا على سطح الفلسفة شيء من تلك الطرائق التقنية ، العملية ، الوضعية ، التي تعتمدها الفنون المستقلة أتم الاستقلال عن الفلسفة ، وهذه الفنون المنعتقة تسوغ نفسها بنفسها دون أن يجري تعريفها ، كما الحال لدى الرواقيين ، على أنها درجة دنيا من علم مزعوم لاحق له إطلاقا في الوجود»(74) .

رابعاً: الاكاديمية الحديثة

كانت الفلسفة المدرسية المنحدرة من عصر الاغريق تجد لنفسها مكاناً راسخاً في الاكاديمية القديمة ثم الحديثة ، لكن الاكاديمية الحديثة امتازت عن سابقتها في التخلي عن النزعة الشمولية وعن الوثوقيات (اليقينيات) الجديدة التي اقترحتها الرواقية بشكل خاص فقد قادت ردة فعل قوية «على تلك التصورات الشاملة للكون التي ادعت انها شرط الحكمة ، وعلى اليقينيات المزعومة التي تحددت منها هذه التصورات . فليس الاكاديمي ، خلافاً للفلاسفة الذين تكلمنا عنهم ، رجلاً انكفأ على نفسه في عزلة متعالية وفي اللامبالاة ، وانما هو رجل كفاح : فهو يهاجم الخصم ويلاحقه ، وبدلاً من أن ينفض يده من الجدل ، يصطنع سلاحاً للاطاحة بالوثوقية»(75) .

إركاسيلاس

يمثل إركاسيلاس أقوى ردود الفعل على الوثوقية والهياكل النظرية الشاملة . وقد وضعه أرسطون فقال (من الأمام أفلاطون ومن الوراء بيرون وفيالسوط ديودوس) فأسلوبه هو أسلوب أفلاطون المتطلق والمصطنع لخفة الظل ، وخاتمته هي خاتمة بيرون القائلة إن على الحكيم أن يعلق حكمه ، بيد أن منهجه هو منهج ديودورس الميغاري ، أي الجدل (76) .

قرنيادس

وضع قرنيادس نوعاً من منهج التحليل والتركيب بدلاً من الرؤية المباشرة التي اتصف بها اركاسيلاس ، وقد تصدى للوثوقية الرواقية في مجال الإلهيات حيث أثبت أن الإله الرواقي قابل للفساد لان له حياةً وأحاسيسَ وشعوراً بالشر ، لقد تصدى لنزعتهم في التشبيه ومهد للعودة الى أفلاطون . وله نظريات أخلاقية مفصلة .

خامسا: التيارات الباطنية

ناقشنا منفصلا هذه التيارات في كتابنا عن (الروح الهيلنستي) . وسنجمل الصورة التي رسمناها لها خصوصا بعد أن وجدت لها طريقا الى الرومان .

لقد ظهرت التيارات الغنوصية والهرمسية والفيثاغورية والافلاطونية الحديثة لتشكل منظومة باطنية مضادة للتيارات الظاهرية : الرواقية والأبيقورية والشكلية والأكاديمية . ولم تكن هذه التيارات ، في

البداية تحفل برواج روماني شعبي لكنها كانت ذات بريق تجتذب اليها النخبة الذوقية بسبب من طبيعتها التي تؤكد على التأويل والخلاص .

كانت التيارات الباطنية اقرب الى الدين أو الاديان التي ظهرت في الامبراطورية الرومانية ، في حين كانت التيارات الظاهرية أقرب الى السياسة والحياة العامة رغم ظهور وجهات نظر ثيولوجية خاصة بها .

وكانت مشكلة الحياة الروحية عند الرومان تتفاقم يوماً بعد آخر فقد أصبحت الديانات الوثنية لا تلبي حاجة الناس الروحية ، وصعد هاجس البحث عن الخلاص في الدنيا وفي الأخرة ، وكانت التيارات الباطنية تلبي مثل هذه الحاجات ، وهكذا انتشر الدين المسيحي عند الرومان لأنه كان قريباً من هذه التيارات الباطنية من ناحية (الخلاص ، الإله الواحد ، الآخرة) وقريبا من الناس من ناحية أخرى (لأنه كان ديناً وليس تياراً فلسفياً أو فكريا) .

قبل أن تسقط الامبراطورية الرومانية سقطت الرواقية وأصبح المكان شاغراً لظهور الأفلاطونية الحديثة التي كانت استمراراً للغنوص الوثني لكنها كانت من ناحية أخرى الأرض المحروثة للمسيحية وهكذا ظهرت الافلاطونية الحديثة نخبوياً والمسيحية شعبياً وانتصرت التيارات الباطنية على الظاهرية ودفن تاريخ الفلسفة القديمة (الاغريقية) تماما . ورغم أن الأفلاطونية الحديثة استمرت مع الغنوصية والهرمسية والفيثاغورية لكن المسيحية وضعت نفسها بمواجهة هذه التيارات فيما بعد وحاولت الاجهاز عليها بذات الدعوى الشمولية الفارغة وهي الخروج على العقيدة الحق .

إن الذي يتأمل الجانب الديني في العقائد الفلسفية التى ظهرت في العصرين الجمهوري والامبراطوري الروماني يشعر اولا بأن العقائد الهيلنستية هربت الى الباطن بينما ظلت العقائد الاغريقية الظاهرية تنمو بطريقة جديدة على سطح الحياة الرومانية وتتفكك الكثير من آلياتها الاغريقية المعقدة فقد تدحرجت الابيقورية والرواقية والشكلية والأكاديمية من المركب الى البسيط ، من المثالية الى الحسية ، من الهيكلية الى الاجرائية ، من الشمولية الى الواقعية ، من الوثوقية الى الافتراضية والتجريبية ، من المنهجية الى الجدلية ، من العلمية الى الفنية .

وكان هذا التطور مؤشراً على أمرين أساسيّيْن أولهما العودة بالفلسفة الى الحياة والى البساطة والى الواقع والذي يتضمن سيادة النزعة الحسية المباشرة للرومان إزاء النزعة الحسية المباشرة للرومان إزاء النزعة المثالية المتعالية للإغريق ، وثانيهما الايذان بأفول الفلسفة القديمة الاغريقية المنشأ وترك المجال لأديان التوحيد الشرقية المنشأ لتلعب الدور القادم في توجيه البشرية نحو الحقيقية وهو ما سيستغرقه العصر الوسيط .

المبحث السادس
العقائد السرية

كات روما تكفل حرية العقائد والأديان فيها وخصوصاً تلك التي لا تتقاطع سياسياً ودينياً مع الدولة الرسمية . والحقيقة أن العقائد السرية نشأت لا بسبب منع سريتها واختفائها بل لأنهاعقائد أسرار غامضة وهي أقرب الى الممارسات الخاصة منها الى العامة .

ولم تنبت داخل روما ، من الرومان انفسهم ، بذور العقائد السرية ، بسبب من قلة العطش الروحي والروماني وغلبة الاستهلاك الحسي للحياة ، بل جاءتها من الخارج ويمكننا أن نقسم هذه العقائد الوافدة الى منشئين أساسيّين هما المنشأ الإغريقي والمنشأ الشرقي :

أولاً: العقائد السرية الإغريقية المنشأ

كان تأثير هذا النوع من العقائد أكثر بكثير من الفلسفة الإغريقية الوافدة الى روما ، فقد كانت هذه الاخيرة مقتصرة على النخبة المثقفة ، أما العقائد السرية فقد كانت واسعة الانتشار بين الناس وخصوصاً في زمن الاهوال التي كابدتها الجمهورية الرومانية في أواخر وقتها فقد أقبل الناس على الممارسات الدينية الخاصة مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد بعد أن وفدت اليها من المدن اليونانية جنوب ايطاليا . وأهم هذه العقائد هي :

1 . الاليوسيسية:

في كتابنا عن (المعتقدات الاغريقية) تناولنا بالتفصيل عبادة ديمتر وأساطيره وتحولها الى ديانة سرّية . وخلاصة قولنا أن هذه العبادة كانت تمنح الناس الأمل في حياة أخرى بعد الموت تكون فيه شفيعتهم إلهة الأرض والقمح (ديمتر) التي كان اسمها (سيريس) بالرومانية .

نفضل العودة الى اسطورة ديميتر الاغريقية لفهم عناء ديمتر الأم لانقاذ ابنتها بيرسفوني من العالم لأسفل ويبدو أنها تمكنت من ذلك جزئيا حيث تعيش بيرسفوني ثلاثة أشهر الشتاء في العالم لاسفل وتقضي تسعة أشهر (الصيف والربيع والخريف) على وجه الأرض .

وقد اتخذ العابدون ديمتر وأسطورتها للتعبير عن الموت والبعث الدائمين في أعياد منتظمة مثل ثيسموفوري) و (ايليوسينا أو أعياد اليوسيس) . وكانت ديميتر قد توحدت مع سيريس الرومانية وأقيم ها أول معبد في روما عام493ق .م عقب موسم قحط ومجاعة . وقد حاول الامبراطور كلوديوس -45)

(41 م نقل عبادة الاسرار من اليوسيس الى روما . وكانت ديمتر ترمز أيضا للحضارة والازدهار الاقتصادي والزراعي .

يذكر أحد الكتاب المسيحيين شيئاً عن طقوسها فيقول أن هناك احتفال (التكريس الأول) الذي يحضره ذوي القداسة والطهارة بعد أن يؤدوا طقوس الذبح اليها عبر عدة مزارات والصيام أثناء ذلك ، أما (التكريس الثاني) فلا يحضره الا قلة قليلة من العابدين ويصل الى ذروته عندما يرفع الكاهن سنبلة القمح (77) .

كانت طقوسها تتضمن (الزواج المقدس) و (ميلاد الطفل الإلهي) وكان لها قوة نافذة على المشاهدين والعابدين ووعد بالخلاص .

الباخوسية

انتقلت عبادة ديونسيوس الاغريقي (إله المتعة والخمر والواعد بالخلاص) الى روما ، في بداية القرن الثاني قبل الميلاد وكان لها انتشارها الشعبي الكبير . وكان باخوس هو اسم الإله الروماني المقابل لديونسيوس «ويبدو أن محاولة الشيوخ للقضاء على المظاهر الصاخبة التي تصاحب عبادة باخوس في عام 186 ق .م لم تؤثر جدياً فـ (فيلا الطقوس الدينية الغامضة) و (فيلا أيتم) في بومبي تعرض لوحات مائية رائعة شهيرة تمثل باخوس يرجع تاريخها الى السنوات الأولى قبل الميلاد ، وليس هناك في روما شيء مشابه لهذا قبل أوائل عصر الجمهورية غير أن رموز أسرار عبادة باخوس تتكرر بكثرة على أواني (أرتينيوم الفخارية) وعلى الأعمال الفنية الأخرى ، كما أن الكتب الأدبية التي تشير الى باخوس تزداد أهميتها»(78) . وقد شرحنا اسطورة ديونسينوس الاغريقي وولادته من أمه سميلي ثم اضطرار زوس لأن يخفيه في فخده ويخيطه ليولد بعد وفاة أمه ، فهي ولادة عجيبة ، أما اسطورة ولادته الثانية فهي الأشد عجبا وهي مصدر عبادته الباطنية حيث كان اسمه زاجروس (من زوس وبيرسفوني) قتلوه تيتانات أشرار ومزقوا جسده قطعاً والتهموه ؛ فصعقهم زوس بصاعقته واستخرج من بقايا قلب زاجروس وأكله ، ثم أن زوس أنجب ابنه هذا من سميلي مرة أخرى واسماه ديونسيوس (باخوس) .

وتمضي الاسطورة فتقول ان البشر صنعوا من بقايا هولاء التيتانات الأشرار المحترقين ولذلك يحمل البشر الشر لأنهم من رماد تيتانات مخطئة . ولكن بما أن التيتانات قد أكلوا جسد الطفل الإلهي ، فقد أصبحت أجسادهم تحتوي على جزء من الإله ، وانتقلت كمية من هذا الجزء الإلهي الى أبناء البشر الذين نشأوا من رمادهم ، وسيقوم العابدون ، الذين تعلموا طريق الرشاد ، بتنمية هذا الأثر الإلهي ، ووقايته والمحافظة عليه ، والاستعداد للعودة الى السماء بالزهد والتقشف والعفة وقمع الشهوات(79) .

ومعروف أن الأعياد الباخوسية كانت أكثر الأعياد تميزاً بالهرج والمرج والعربدة في محاولة لأداء طقوس تطهرية توصلهم بباخوس من أجل الشفاعة في عالم أسفل أملاً في الخلاص والفوز بحياة خالية .

الأورفية:

انتقلت هذه العبادة من الإغريق إلى الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت الأورفية قد تبنت أسطورة ديونسيوس التي ذكرناها (زاجروس) وتسميه (زاجري- ديونيس) وهو اسم مركب يجمع الأسمين معاً . وترى أن خلق الإنسان تمّ من رماد التيتان .

أما أورفيوس فيبدو أنه كان بطلاً من تراقيا وكان ماهراً في العزف على القيثارة حتى أن الوحوش الكاسرة كانت تأتي لتستمتع إليه والأشجار كانت تتبعه والصخور كانت تتحرك لعزفه وغنائه ، وكانت أسطورته الشهيرة مع يوريدس معروفة أدت إلى النزول إلى العالم الأسفل ومحاولة إنقاذه لها لكنه فشل وعندما عاد إلى الأرض مزقته نساء تراقيا .

ويبدو أن لأروفيوس أناشيد وأغاني ، سبقت قصائد هوميروس وكانت الطائفة الأورفية تتخذ من قصة أوليوس وأشعاره وأسطورة زاجروس مرجعيات أساسية في تشكيل العقيدة الأورفية التي شغلها خلاص الإنسان في الدنيا بشكل خاص عن طريق الزهد والتقشف على العكس من العقيدة الباخوسية التي تمارس التهتك الجسدي والخمر والجنس سبيلاً للنشوة والاتحاد بالإله باخوس الذي سيشفع لهم في الآخرة . فقد التزمت النحلة الأورفية سلوكاً صوفياً ، وكان لها شعائر سرية لتلقين مريديها وإعدادهم تتضمن طرد الشياطين وأعمال السحر التي يقوم بها الكهنة الأورفيون ، وكان الحصول على السعادة الأبدية غاية تقوم بها هذه الطقوس ومعها التقشف والعذاب والاعتقاد بتناسخ الأرواح .



شكل (51)
أورفيوس مع الحيوانات
(صبراتة / متحف الآثار)

ولا شك أن الأورفية لم تكن واسعة الانتشار في العصر الجمهوري في روما ، لكنها ربما انتشرت في العصر الإمبراطوري مع شيوع نزعات التقشف والورع والاعتقاد بالخلاص .

لقد ظهرت الحركة الأورفية في اليونان حوالي القرن السادس قبل الميلاد وكانت مراكز انتشارها في المستعمرات القبرصية والإيطالية - الإغريقية وكذلك (أتيكا) ، ولا شك أن هناك عقائد وفلسفات شرقية ساهمت في نموها ، لكن المدهش هو لقاؤها بالنحلة الفيثاغورية التي نمت في ساموس وفي الألادة العظمى وقد تناغمت أفكار النحلتين الصوفية والتناسخية والتقشفية بشكل واضح . ولا شك أن ظهور الفيثاغورية الجديدة في روما كان له صلة بالأورفية التي انتعشت فيها .

إن ما يجمع هذه العبادات الثلاث احتفاؤها بالأسرار والطقوس الغامضة غير التقليدية والتي تؤثر على وجدان المتعبدين والمشاركين فيها إلاّ أن التأثير كان يجري وفق طريق مختلفة فطقوس اليوسيس (ديميتر) كانت تتضمن الحج والصوم والاغتسال وكذلك طقوس الزواج المقدس والولادة الإلهية أي أنها كانت تجمع بين الطهر والزهد والإيمان بدور الجنس في الخصوبة ولكن ممارساتها لم تكن ماجنة تهتكية ولم تكن تقشفية تصوفية ، بل كانت معتدلة ولكنها مؤثرة . أما طقوس (ديونسيوس) فكانت ماجنة تهتكية يلجأ فيها العابدون إلى ممارسات عنيفة راقصة وخمرية وجنسية تؤدي إلى اتحادهم بالإله الخليع (ديونسيوس) كنوع من طلب شفاعة . في حين كانت الطقوس الأورفية تقشفية صوفية تؤمن بالزهد والوصول للاتحاد بالإله (الذي اتخذو من ديونسيوس واسطورة عذابه في شكل زاجروس) هي الأساس الذي قامت عليه .

وهناك أمر آخر اجتمعت عليه هذه العبادات الثلاث وهو إيمانها بوجود عالم النعيم في ما بعد الموت ، حيث تستند هذه العبادات على الأساطير المرجعية لها فالإلوسيسية كانت ترى في عقاب ديميتر وابنتها برسفوني في العالم الأسفل ما يكفل وجود عالم ما بعد الموت حيث تكفل الإلهتان عابديها عندما يؤدون طقوسها وتشفعان لهما بعد الوفاة . أما الباخوسية فترى في عذاب زاجروس - ديونسيوس ملهماً لاستعادة الجزء الإلهي فيهم للاتحاد به وحصول النشوة الراهنة الدنيوية كرصيد للآخرة والنعيم مع هذا الإله . وكذلك ترى الأورفية في هذه الأسطورة وجهاً آخر وهو الزهد والتقشف كسبيل للاتحاد بالإله آخذين بالاعتبار زهد وتقشف وتبتل أورفيوس والعذاب الذي لاقاه في حياته ونهايته المأساوية .

العبادات الثلاث تؤمن بوجود الآخرة وما بعد الموت من خلال المرجعيات الأسطورية للعالم الأسف ولكن طريقة الخلاص والنظر إليه هي التي تختلف .

ثانياً: العقائد السريَة الشرقيَة المنشأ

إذا كانت العقائد الإغريقية قد انتشرت عند الرومان في العصر الجمهوري فإن العقائد السرية الشرقية قد انتشرت عندهم منذ احتكاكهم الواضح بالشرق مع نهاية العصر الجمهوري وعلى امتداد العصر الإمبراطوري . فقد اجتذبت هذه العقائد الرومان كما احتذبت الإغريق في العصر الهيلنستي ، رغم أن كبار رجال الدولة الرومان كانوا ينفرون منها في البداية لكن بعض الأباطرة وقعوا في سحرها .

1. الإلهة الأناضولية:

كانت الإلهة الفريجية الأم (سيبيل . .Cibyl) تجسد الكهوف وقد عبدت فوق الجبال ولها السلطة على الحيوانات المتوحشة التي تكوّن حاشيتها وكانت تمثل الخصوبة والأمومة ، وقد انتقلت عبادتها إلى بلاد اليونان ثم إلى بلاد الرومان وتوحّدت مع ريًا ، وقد احتاج الرومان لإدخالها خلال الحرب البونية الثانية بعد أن استشاروا المدونات السيبيلية التي أظهرت لهم أن جلب (سيبيل) من فريجيا إلى روما سيعمل على طرد هانيبال فأرسل مجلس الشيوخ سفراء إلى ملك أتالوس الذين تسلموا منه حجر النيزك الأسود والذي يفترض أنه عرش الآلهة ، وتسلم المادة المقدسة عند أوستيا ، سيبيو فاسيكا (أفضل مواطن في روما) ثم حملته القيمان إلى البالاتين ووضعنه في هيكل النصر . اندحر هانيبال عند رأما من قبل سيبيو الأغريقي ، فتمّ تشييد هيكل لسيبيل على قمة البالاتين ونظمت الألعاب على شرقها ، وقد استعادت عبادة سيبيل أهميتها الكاملة في بداية العصر الإمبراطوري(80) . كانت سيبيل تشارك جوبيتر في السيطرة على التكاثر عند الآلهة والبشر والحيوان والنبات . والأساطير التي تتعلق بها قليلة ومنها قصة حبها لآتيس التي كانت بداية طقوس أسرار البعث في الديانتين الأوجية والأورفية . ولها تماثيل متعددة تصورها جالسة على عرشه تحفّ به الأسود أو على عربة تجرها الأسود وعلى رأسها تاج بهيئة الأبراج وبيدها مفتاح رمز إلى كنوز الأرض . وقد تحمل صولجاناً أو غصناً من الغار أو قرن الوفرة(81) .

كانت تمسك أحياناً بسوط مزخرف بعظام السلاميات ، إن هذا الرمز هو شعار القوة ، وهو الآلة التي جلد بها السكالى ، كاهنات سيبيل ، أنفسهن وكانت السكالى جماعة غريبة : تحتفل بعبادة آلهتها بالرقص المتشنج وعلى أنغام الناي والطبول والصنج ، وبينما يقرعن تروسهن بسيوفهن ، وفي خلال تصفهن وعربتهن العتيقة ، وقد يشوهن أنفسهن أحياناً ، وعرفوا في بلاد الإغريق باسم كوريبانتس ، ويقال أنهن من نتاج أحد الكوريباس أبناء سيبيلي(82) .

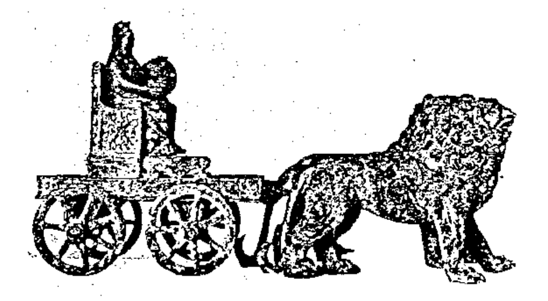
وقد قرنت سيبيل مع الإله آتيس ولها معه أسطورة عندما أحبته وجعلت منه كاهناً لها شرط أن لا يخونها ، وعندما تزوج ابنه النهر سانكاريوس ضربته سيبيل بنوبة من الجنون كان خلالها يشوه جسده ، وعندما شفي من جنونه كاد يقتل نفسه فحولته إلى شجرة صنوبر ، ويبدو أن صدى هذه الأسطورة موجود في طقوس الكالي حيث تحول آتيس الخصي إلى عالم النساء وصارت كاهنات الغالي رفيقاته .

وكان الرومان – يجافون هذه الطقوس العنيفة وكهنة سبيل الخصيان ، وكان هؤلاء الكهنة يقومون في معبدهم فوق تل البلاتين إقامة تامة ولا يغادرونه إلاّ في الاحتفال السنوي الذي تحمل فيه صورة الإلهة كي تغسل في مياه نهر (أنبو) أما طقوس (ميجا ليسيا Megalesia) وهي الاحتفالات الدينية التي كانت روما تفي فيها بدينها لـ (الأم العظمى) فقد كانت تنظم على أسس رومانية صرفة(83) .

وتعني هذه الطقوس : فيما تعنيه ، أنها كانت تمثل محاولة الخلاص الدنيوي والنشوة الروحية عن طريق الرقص والدروشة لكهنة سيبيل والتي تعد تؤدي إلى أذى الكهنة وربما إخصاء الكهنة الذكور. وهو بذلك يقترب من طقوس باخوس رغم أنه أكثر عنفاً مع سيبيل .

وكانت الآلهة سيبيل تسمى في روما ماغنا ماتر (Magna Mater) شكل (52) أما عبادةالإلهة الكبادوكية (ما Ma) فقد كانت مشابهة لعبادة سيبيل وقد دخلت إلى روما مع حكم كلوديوس عندما جلب جنود إسلام معهم عبادتها من كبادوكيا وكانت طقوسها تتضمن الرقص الجماعي والدروشة وإراقة الدماء .

ويبدو أن عبادة إله فريجي آخر هو (فراكيسكو) كانت تؤدي بطقوس عنيفة وغريبة إضافة إلى طقوس (آتيس) زوج سيبيل .



(شكل 52) سيبيل عند الرومان (ماغنا ماتر) وهي على عربة يجرها أسدان

2. الإلهة السورية

كانت السورية هي أترغاتس الفينيقية التي جمعت في شخصيتها الأنوثة المؤلهة ، وكانت عبادتها تتم في العصور الهيلنسفية والرومانية في مدينة هيرابوليس أي مدينة الإلهة هيرا زوجة زوس وتقابلها جونو الرومانية إلهة الأسرة والزواج زوجة جوبتر ، وتقع هيرابوليس اليوم (أو بامبيس أو منبج) شمال شرق حلب .

كان أصل الآلهة السورية هو عشتار البابلية وربما (عتر) الآرامية تحديداً زوجة لإله حدد ، وهي بشكل عام إله خصب وإزالته ، وهذا يعني تحولها من إلهة عذراء إلى إلهة أم .

لقد توجت إلهة الخصب هذه إلى جانب الإلهة الفينيقية عشتروت ، ثم أخذ الناس يخلطون بينهما وقد رأى اليونان فيها أفروديت– عشتروت . ولم تكن هذه الإلهة خاصة بهيربوليس فقط . ففي كافة معابد سوريا الكبيرة كان ثمة عشتروت . وكانت تلك هي الألوهة نفسها ، إنما تذكر بأسماء مختلفة ، أو تمثل بأشكال كثيرة . كتب بيرار (إن الإلهة كانت واحدة ، إنما كانت تبدو عدة آلهة من خلال تعدد أسمائها وتعدد أشكالها)(84) .

وتقابل أترغاتس الإلهة أفرديت بشكلها السماوي الأمومي وتقابل كذلك الإلهة سيبيل الفريجية . وقد عبدها الأنباط كإلهة أم شاملة للخصب .

وتظهر في معبد التنور (النبطي) في تسعة أدوار ، فهي ربة الحياة النباتية ، وربة القمح ، وربة الولافين ، وربة الحظ (تايكي) ، وربة بروج وغير ذلك ، وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفهومات دينية مختلفة أيضاً ، ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق تغطي كثيراً من أجزاء جسمها ووجهها وعنقها وصدرها وأحياناً يظهر التين والرمان مقترنين بها(85) .

ويبدو أن طقوسها السرية الخاصة كانت تمارس في هليوبوليس وهي طقوس مشابهة لطقوس سيبيل ، حيث يتحدث لوقيانوس السمساطي عنها فيقول عن كهنتها المسحون (غال) أنهم يقيمون مع الأشخاص المقدسين الطقوس الهيكلية ، في أيام محددة قرب معبد الإلهة السورية ، فتشابك سواعدهم ويأخذ كل منهم بالضرب على ظهر الآخر ، ويقف إلى قربهم عدد كبير من الموسيقيين الذين يعزفون على الثاني ، وعدداً لا يقل عنهم من ضاربي الطبول . وينشد آخرون التراتيل المستلهمة والمقدسة ويضيف لوقيانوس في حديثه عن ترسيم الغال حيث يقوم الفتى الذي يريد أن يصبح من الغال في مثل هذه الاحتفالات المعربدة بخلع ثيابه ويتقدم وهو يطلق صرخة كبيرة إلى وسط الحشد وقد انتضى خنجراً خصص منذ أعوام على ما أعتقد لهذا الاستخدام فإذا كان الأمر قد تملكه تماماً

خصي بنفسه في الساحة ، ثم أخذ يركض عبر المدينة حاملاً بيديه ما قطع من جسمه . وكان على المنزل الذي يلقي فيهما حرم نفسه منه أن يهبه ملابس نهائية . تلكم هي الطقوس السائدة عن الإخصاء(86) .

إن هذه الممارسات تدل على محاولة الشخص الذي يريد أن يصبح من أتباع الإلهة السورية (الغال) أن يتحول إلى شخص فاقد للذكورة ومشابه لجوهر أنوثة الإله ليدل بذلك على أنه وهب نفسه أو سلم نفسه للإلهة ويعود بنا هذا إلى الإلهة سيبيل وكهنتها وأسطورتها مع أتيس .

ويرى كومون بأن كافة البراهين المفرطة أو المحطة لعبادة مبالغة ، لا يجب أن تجعلنا نتجاهل سمو الشعور الذي كان ينمها . ففي هذه الماسة المقدسة ، وفي عمليات الإخصاء الإدارية هذه ، وفي هذه الآلام التي تطلب بحدة ، يتجلى توق عظيم لتجاوز العبودية للغرائز الجنسية ، ولتحرير النفوس من روابط المادة(87) .

لقد انتشرت عبادة هذه الإلهة ذات الجذور الرافدينية العريقة في أصقاع مختلفة من الإمبراطورية الرومانية ومورست طقوسها هناك ، فقد انتشرت من بلاد الرافدين إلى ديلوس ، ومن روما وحتى بروتوني والتخوم الشمالية للإمبراطورية الرومانية .

فقد كتب جوزيف بليسي Joseph plessis في كتابة (دراسة حول النصوص المتعلقة بعشتار – عشترون ص 179) . انتشرت عبادة عشتروت الفنيقية على سواحل المتوسط التي بلغها بحارة صور وصيدون . ونحن نجدها في قبرص وتكريت وديلوس وصقلية وسرديتا ومصر وقرطاجة . ويضيف بليسيس أن عشتروت الجيدة لم تبق بانتشارها هي تماماً عشتروت بلاد كنعان القديمة . فقد دخلت نسبة كبيرة من الدم الغريب في عروقها . وخلقت شخصية جديدة أثر ذلك ، وقد اختلفت بمظاهرها بحسب المناطق . فمستعمرو مفيس طابقوها مع إيزيس المصرية . وبالمقابل فإن ديمتر وأتيس وجيونو السماوية juno celestis وإيزيس أيضاً أعطوها صفاتها . ولم يحفظ القادمون الجدد منها سوى ذكرى ممتزجة بعناصر أجنبية ، ومن جهة أخرى ، فإن الأسماء التي انتقلت ، في حين كانت التقاليد تتطور والديانة تتغير بدرجة معينة ، تظل شاهداً على العصور القديمة(88) .

إن الاكتشافات الحديثة في هيبرابوليس أثبتت أن عبدة الآلهة السورية كانوا يتصورون أنه بعد الموت ، كان ثمة نسر يحمل نفوسهم نحو الشمس ، وهي المصدر الإلهي لكل حياة كما يقول فرانز كومون(89) .

وما زالت عقائد ما بعد الموت الخاصة بالإلهة السورية غير معروفة تماماً رغم أن شفاعتها للموتى كانت واردة ، لكن الخلاص أثناء الحياة كان بالنسبة لها هو الانقطاع عن شهوات الجسد والانصراف للاتحاد بها في لحظة نشوة العبادة والطقوس .

3. الإلهة المصرية

كانت الإلهة (إيزيس) تمثل الإلهة الأم الكبرى للمصريين وأصبحت كذلك في العصر الهيلنستي بالنسبة للبطالمة بشكل خاص ، لكن زوجها المصري القديم لم يعبد من قبل الإغريق ولذلك قام بطاليموس الأول بمساعدة الكاهن المصري منيو والكاهن الإغريقي الأليوزيني تميوثوس بابتكار إله جديد هو (سرابيس) الذي كان يضم الإلهين أوزويس وأبيس في هيئة بشرية لكن سرابيس لم يحتل مكانة الإله الأب الذكر الشامل للإغريق أو الرومان فيما بعد في حين احتلت إيزيس دولة الإلهة الأم الكبرى بجدارة .

لا نريد أن نخوض في أساطير وطقوس إيزيس لأنها معروفة فقد كانت تودي بطقوس غامضة لها علاقة بالسحر وتؤكد على هيامها وبحثها الدائم عن زوجها المغيب في العالم الأسفل . وقد قابلها الرومان والإغريق بإلهة الفجر أيو (شكل 53) .



شكل (53) (إيو) تصافح (إيزيس) حين وصلت إلى أرض مصر (الاثنتان إلهتا الفجر) وهذا تطابق شكلي بينهما لوحة من بومبي

وقد أصبحت إيزيس بعد الاحتلام الإغريقي الروماني تختصر الإلهات الإناث في شخصيتها ، فقد جرت العادة على تخيل بينها وبين حاتحور وغيرها من الإلهات ، وبذلك أصبحت شخصية مبهمة غير واضحة ، بحيث يمكن أن يقال تقريباً أنها غدت الإلهة بصفة عامة ، وقد سميت فعلاً في إحدى المرات (الجوهر الجميل للآلهة جميعاً) وفي نشيد العصر الروماني أصبحت تعتبر بصفة عامة إلهة كل مدينة ، وأصبح على كل من نيت وباستت وبوتو وغيرها أن تقتنع بأن تصير إيزيس(90) .

ولم تكتف إيزيس بذلك بل امتصت الإلهات الأجنبيات الأخريات فقد كانت تقوم بدور حاتور-أفروديت وتظهر عارية ، وإيزيس- تيش ، وإيزيس- أثينيا ، وإيزيس - أرتيمس ، وإيزيس عشترتي إلخ .

بدأت عبادتها تنتشر بين اليونان في العصر الهيلنسي ثم اتسعت في الإمبراطورية الرومانية وأنشئ لها معبد في ساحة مارس بروما . وكانت عبادتها تقوم على الأسرار إذ تمثل طقوسها أحزان إيزيس لمصرع زوجها وبحثها عنه ثم أفراحها عندما يعود إلى الحياة ، فالتشابه واضح بين أسطورتها وأسطورة كل من ديمترو سيبيل الأولى في بحثها عن ابنتيها برسفونة والثانية في بحثها عن حبيبها أتيس . وقد وحدها اليونان أحياناً بأيو حبيبته روس(91) .

انتشرت عبادة إيزيس مع بداية الإمبراطورية الرومانية فقد اقام كاليجولا الإمبراطور معبداً كبيراً لها ، ثم جاء الإمبراطور دومتيان وازاد فيه ، وبهذا التكريم من قبل الأباطرة زال كل رجس عن الإلهة المصرية ، وبعد مائة عام أصبحت إيزيس وسرابيس تسميان (الإلهان المصريان قديماً والرومانيان الآن) ، وبذلك سادت الديانة المصرية العالم . وقد ساهم حكم هادريان كثيراً في هذا التطور ، فقد زار مصر ومعه الإمبراطورة ورجال البلاط ، وكان من المتحمسين لهذه البلاد ولآلهتها .

كانت عبادة إيزيس شديدة الإغواء لأنها كانت تقدم لعبادها العزاء والأمل وتمنحهم في مملكة أخرى يكون فيها شفيعهم أوزوريس زوج إيزيس ويدخلهم في مملكته الأخرون التي هي بمثابة فردوس العالم الآخر .

والحقيقة إن إيزيس تقدم للعامة طقوس الخلاص والشفاعة وتقدم للعامة فهماً عميقاً للتصوف والوصول إلى الاتصال بالقوة العليا ، بل إنها واسطة لبلوغ نوع من التوحيد الشامل الذي هو غاية كل الآلهة (ولا شيء أمتع لها من الطموح إلى الحقيقة والمعرفة الصحيحة لكل ما هو مقدّس ، إنها تشجع لتعاليم المقدسة على حين يحاد بها يتفوق (ست) . فمن يخدمها في معبدها في جدّ ونظام واعتدال وعفاف ، فإنه يصل إلى معرفة الكائن الأول الأولي ، الذي يمكن إدراكه ، إنها لتدلنا إلى ذلك عن طريق معبدها»(93) .

ويبدو أن طقوس إيزيس كانت تمارس بهدوء واعتدال وكانت تقتصر على نوع من التعاليم السرّية والتصوف والطواف ومواكب العزاء، والحزن الجماعي حيث يصور الكتاب الرومان أعيادها (الصغير في نوفمبر والكبير في مارس) فالعيد الصغير لها يستمر ثلاثة أيام يمثل فيها موت أوزيريس والبحث عن جثته ثم العثور عليها (وإلى هذا العيد يرجع التصوف العجيب الذي يذهب إلى أن الآلهة المصريين تجد مسرّتها في أناشيد البكاء والنديب. لا في الرقص المرح مما كان تؤثره آلهة الإغريق، ومن الجليّ أن هذا العيد كان يحتفل به أمام الشعب كافة، ومع ذلك ربما كانت شعائره السرّية وقد احتفظ بها لدائرة ضيقة للغاية من الإيزيسيين، أولئك المؤمنون حقاً، الذي كانوا يؤلفون إخوة صالحة، وكانت لهم مدرستهم بجوار العبد(94).

أما عيد مارس الكبير الربيعي فكان أكثر فرحاً وغبطة، وتقترب طقوسها من طقوس ديميتر الهادئة الحزينة.

4. الإله الفارسي (مثرا)

إذا كان ظهور الآلهة الأمومية الشرقية (سيبيل وعشتروت وإيزيس) في روما امتداداً للجذور الحصين القديمة التي تمثل الزراعة فيها أهم مظاهرها فإن الظهور الشرقي للإله الذكري الشمسي كان ممثلاً بالإله (مثرا) الفارسي الأصل.

ورغم أن مثرا يمثل الانقلاب الذكوري خير تمثيل لكنه يعود إلى جذور أمومية قديمة فمرافقة الثور له (رغم أنه يذبحه) واسمه مثرا أو مترا الذي يدل على الأمومة كلها تشير إلى ماضٍ أنثوي لهذا الإله.

كان الإله مثرا إله النور ثم إله الشمس في أناشيد الفيدا الهندية وفي كتاب الأفستا الفارسي وعند المزدليين، وكان يشير رمزياً إلى الخير في مقابل الشر الذي كان يخوض معه معركة دورية.

والغريب في عبادة هذا الإله أن كل عابديه من الرجال ويمنع عبادته من قبل النساء، وربما أشار هذا إلى التطرف الشمسي المفتعل لهذا الإله وتعمد إهمال جذوره الأنثوية.

وتشير أسطورته الأصلية إلى أنه ولد من صخرة وحين شبّ قدمه رعاة وقدموا له القرابين، وأصبح إلهاً للشمس حين قتل ثوراً وسكب دمه فخرجت من دمه النباتات والحيوانات، حاول أهريمان (إله الشر والظلام) فناء العالم عن طريق الجفاف والطوفان والحريق لكن مثرا تصدى له فأطلق سهماً على صخرة وأخرج منها الماء فذهب الجفاف وصنع سفينة لرجل وأنجاه من الطوفان وأطفأ النار، ويقال أنه بعد الطوفان ترك الأرض وصعد إلى السماء وأصبح مثرا وسيطاً بين هرمز (أهورامزدا) والعالم فكان يحتفظ بمفتاحين أحدهما يفتح به مدخل السماء والثاني مخرجها.

كان يومه المقدس هو الأحد (يوم الشمس) وميلاده عند الاعتدال الشتوي في 25 كانون الأ (ديسمبر)، وكان صعوده إلى السماء عند الاعتدال الربيعي (في حدود 21 آذار).

وكانت العقيدة المثرائية تقوم على أساس أن الحياة في الأصل عبارة عن شرارة أنفصلت عن النا المقدسة ونزلت من السماء العليا وحلّت في الأجساد الغليظة، فهي لا تنفك في صراع دائم للتغلب على قوى الشر في العالم. ويجب هنا أن نلحظ الشبه بين مثرا والمسيح(95).

أصبحت عقيدة مثرا عقيدة خلاص في العصر الهيلنستي، على الأرجح، متأثرة بالمناخ العام لهذا العصر. ويبدو أن مثرا كان هو المخلص الذي تتناول طقوسه أمر الإتصال الروحي به أو انتظار عودته من السماء.

كان هذا الإله قديماً قبل مجي زرادشت وقد صار إليها ثانوياً في حاشية أهورا مزدا مع زرادشت لكنه تمتع بالتمجيد الكبير بعد ذلك وخصوصاً في عصر أحشويرس الثاني (362-405) ق م، وقد أدخلها الرومان منذ العصر الهيلنستي إلى روما ولكنها انتشرت بصورة واسعة في ظل الإمبراطورية الرومانية وانتشرت في الغرب وأوروبا. وصار إله الجنود.

نشرت الكتائب الرومانية معابده في كل مكان وقد وجد له في روما حتى الآن ثلاثة عشر معبداً. وكانت عبادته في الأصل ذات طقوس سرّية ثم اتجهت تدريجياً نحو الأسلوب التوفيقي، وقد نافست المسيحية الوليدة منافسة شديدة، وبلغت أقصى عنفوانها في القرن الثالث الميلادي (96).

يقول بلوتارخ أن العبيد والأسرى هم الذين نقلوا العبادة المثرائية إلى روما ثم اعتنقها أفراد الجيش وأصحاب التجارة ثم الحكام والقواد، حتى أصبحت في زمن الإمبراطور أوريليان (275-270) الديانة الرسمية. ثم انتشرت في فرنسا وبريطانيا، وكانت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين من أوسع الديانات انتشاراً في الغرب، ولا سيما في روما نفسها وفي إيطاليا عامة، حتى كان لها حظ كبير في أن تصبح ديانة عالمية(97).

شاعت عبادة مثرا في أوروبا لأنها أعطت ملوك أوروبا امتيازاً بأن يرفع هؤلاء الملوك إلى السماء لأن عروشهم الأرضية رمز لعرش السماء.

ورأى الإمبراطور الروماني وقلديانوس أن مثرا يرفع من شأن الملكية فاتخذه إلهاً وأمر بعبادته وفرضه على الإمبراطورية، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي ولكنه لم ينجح في قهر الديانة المسيحية. وفي أواخر القرن الثالث وقفت المثرائية والمسيحية وجهاً لوجه، ولكن المسيحية انتصرت لأن ديانة مثرا تختص بالذكور دون الإناث اللواتي تخرجن من رحابها. وبعد أن تعرض

المسيحية لاضطهاد رهيب على يد جوليان المتحمسة للمثرائية والخلصّ لمثرا الذي هزي بقسطنطين لأنه أعتنق المسيحية لكن المسيحية انتصرت ومات جوليان على المثرائية(98) .



شكل (54) الإله مثيرا يذبح الثور ويظهر جامعا للكثير من العقائد فهناك دائرة البروج حوله والثعبان، تمثال من المرمر في القرن الثالث الميلادي

وكانت المعتقدات المثرائية تقترب من عقائد الخلاص والفكرة الجوهرية للغنوصية حيث ترى أن النفس هبطت من مكان علوي هي خالدة لكي تمتحن وتجرب فتنزل إلى مستوياتها المادية في الجسد لكنها سرعان ما تتطهر وتعود إلى الأعلى ، وفي ذلك تمثيل الأسطورة مثرا الذي صعد إلى السماء وهبط منها بصورة مخلّص للنفوس والأجساد .

ومن طقوس هذه العبادة في يوم عيدها في 25 كانون الأول (وهو ميلاد مثرا) تقديم القرابين كفارة وتناول الخمر والنبيذ والماء والإيمان بالبعث وفي عالم ما بعد الموت بشفاعة مثرا .

ولم تكن طقوسها تتضمن عنفاً أو سفكاً للدماء اللهم إلاّ ذبح الثور الذي كان يقدّم كفارةً لأنه يذكّر بالثور الذي ذبحه مثرا في بداية الخليقة ليخرج من دمه الحيوان والنبات . وهكذا تصوره الآثار كشاب أمرد وهو يذبح الثور يحيط به الشمس والقمر ، ويظهر أحياناً محاطاً الرأس بأشعة شمسية على شكل هالة .

5. التنجيم البابلي:

دخل السحر الشرقي إلى روما عن طريقين هما بابل ومصر ولكن التنجيم البابلي كان له الأثر الأكبر في المعتقدات الرومانية فقد كانت بابل خلال العصر الهيلنستي مركز التنجيم والفلك في العالم القديم .

ورغم أن التنجيم البابلي كان قد أقيم على أسس علمية فكان علم الفلك رياضياً عملياً ورصدياً لكن الجانب الشعبي فيه هو الذي طغى وانتشر وعرف به . إن علم التنجيم البابلي لا ينطوي بأكمله على عناصر سحرية بل هو نسيج سحري / علمي أو عرافي/ إرصادي أو تحكمه قوانين خاصة تستوجب الدرس العميق بسبب من تداخل عناصره وكثافتها وغزارتها .

والحقيقة إننا نظلم الفلك البابلي عندما نصفه بالتنجيم فقد كان هناك علم دقيق هو الفلك وعلم سحري هو التنجيم . ولا شك أن الفلك والتنجيم دخلا إلى الإغريق والرومان ، ولكن غلبة إغراء التنجيم كانت تعطي جاذبية أشدّ وأقوى له .

وكان شيشرون يرى أن الكلدانيين (البابليين) ، يعتقدون بأن نصيب المرء في الحياة يتأثر بحالة القمر وقت ميلاده ، ولهذا فهم يسجلون مايجرون من شاهدات على النجوم التي تبدو على اتصال بالقمر يوم الميلاد ، ومن ثم يعتمدون في أحكامهم على حاسة البصر وهي أقل الحواس موضعاً للثقة ، بينما ينبغي أن يستندوا إلى العقل والمنطق(99) .

وصحيح أنه قد تسنى لشيشرون نقد التنجيم البابلي لكن هذا التنجيم كان يلعب دوراً حاسماً في حياة الناس وتنبؤاتهم للمستقبل . لقد كان نوعاً من الدين العرافي .

ويبدو أن جوهر فلسفة التنجيم تستند على أساس أن الكون في بداية الخليقة كان مكوناً من السماء والأرض المتطابقين وغير المفصولين وأن ما تقرر في السماء لا بد أن تكون الأرض مرآة له لأنه سيحصل حتماً في الأرض . وهذا يعني أن عالم النجوم يحوي أسرار عالم الأرض وخصوصاً الأرض (وذلك لأن الإنسان إنما هو (كون مصغر) فهو الشقيق المكمل للعالم الكبير) ، وروحه شرارة من تلك النار السماوية التي تتوهج في صفعة النجوم . ومن هنا نشأ مذهب من أفظع المذاهب التي عذبت الإنسانية على مرّ الزمان ، وهو المذهب البابلي المسمى (القضاء المحتوم Heimarmene) الذي كان يتحكم على السواء في النجوم والأرض والناس ، فحركات هذه الكائنات جميعاً ثابتة بفضل قوة باقية لا تتبدل ، وهي قوة لا علاقة لها بالأخلاق ، قوة لا تحب ولا تكره ، ولكنها تواظب في مسارها بطريقة لا هوادة فيها مواظبة النجوم في مسارها عبر القبة الزرقاء(100) .

ولا شك أن المذهب الرواقي هو الذي ساهم بإشاعة التنجيم والعقائد الخاصة بمعبودات الكواكب السبع وبعلامات منطقة البروج الإثني عشر وتأثيرها والقدرية التي تنشأ عن الإيمان بهذه المعتقدات وخصوصاً عند بوزيدونيوس يقول (على الجغرافي الجيد أن يرى إلى الأشياء الأرضية في علاقتها بالأشياء السماوية)(102) .

وقد وضع بوزيدونيوس خمس كتب في العرافة استوحاها شيشرون في تصنيفه (في العرافة) فالعرافة يمكن أن تأتي إما من الله ، حينما ينطق الله بالغيب بلسان متنبئة ملهمة ، وإما من القدر في حالة التنجيم المبينة ، قواعده على الرصد ، وإما من الطبيعة حينما تشاهد النفس ، مثلاً ، عند انعتاقها من الجسم في أثناء النوم . منامات تتكهن بالغيب . للنفس إذن علائق مباشرة بالله من خلال الوجد الصوفي ، بينما يشتمل القدر على قوانين هي مجرد موضوع للرصد كما تشتمل الطبيعة على مبدأ الحوادث طرأ(103) .

ويرى إجمالاً أن التنجيم يحمل إغواء الخلاص والجذب الصوفي الباطني لما يتضمنه من قراءة المصير والقدر في السماء فهو يعطي انطباعاً بالاتصال بالسماء وبإله السماء وآلهتها النجومية وبذلك يحمل التنجيم جوهر الجذب الصوفي في اتصال نفس المنجم بالآلهة وصعودها إلى هناك وقراءة أسرار القدر وهو بذلك يحمل نوعاً من الخلاص الأرضي ووعداً بالخلاص الآخروي ، كما يجعل الناس يشعرون بأنهم مربوطون بخيوط سماوية تنزل لهم النصيب والحظ كما تقدرها هي .

وهكذا نرى أن التفرق بين الديانات الباطنية الإغريقية والشرقية تظافرت مع الجو الذي أشاعته المدارس الفلسفية الباطنية في خلق جوّ من انتظار عقيدة خلاص شاملة تفوز بالدين والفلسفة معاً . وهكذا تقدمت المسيحية من ينابيع باطنية ومن قدرة على تفسير العالم والإله والإنسان وعلاقتها ببعض وسادت المسيحية واستطاعت أن تقهر آخر الفلسفات والأديان القديمة . يرى فرانز تومون أن الديانات الشرقية في العالم الروماني كانت تغري الإنسان أولاً بالسحر الفتان لأسرارها والطقوس التي تتتالى فيها تمريضات الهلع ثم إيقاظ الأمل كما أنها تبهره بأبهة أعيادها وبسطوع مواكبها وإنها تسحره بأغانيها الرتيبة وبألحانها المسكرة . وهي تعلم بشكل خاص الطرق التي تغيب معها النفس في الإنخطاف وقد تحررت من عبودية الجسد وتخطت الألم . كذا فإنها تحرض النشوة ، إما بالجهد العصبي

الذي ينتج عن التقشفات الطويلة وعن التأمل الورع . أو من خلال وسائل أخرى أكثر مادية كما عند (غال) الأم الكبرى ، وباحتداد الرقصات المدوّخة والموسيقى المسكرة ، أو حتى بشرب الخمور بعد طول إمساك(104) .

ويبدو أن مجتمعات الشرق الأدنى والمجتمعات الغربية كانت تتوق إلى الخلاص الروحي قبيل القرن الميلادي الأول وما بعده ، وكان الأساس الذي يوفر هذا الخلاص (إله ذو طبيعة بشرية لاقى التعذيب والأذى ليكون قريباً من النفوس البشرية الجريحة . وهكذا حفلت الديانات السرّية بتقديم هذا النموذج الخلاصي لكنها وقتذاك كانت فرقاً سرّية باطنية شبه محظورة ، وما أن توفرت الفرصة لظهور المسيحية على السطح حتى التهمت هذه الفرق السرّية ومثلتها كنموذج بديل أمام الناس فدخلوا فيها .

المبحث السابع
عقائد ما بعد الموت

العقائد الجنائزية

أولاً: العالم الآخر عند الرومان

ورث الرومان عن الإغريق صورة العالم الآخر، وفي (مسخ الكائنات) لأوفيد ترد إشارة إلى مكان العالم الآخر عندهم فبعد أن يمر إيبنياس ببعض الجزر ويخلف عن يمين أسوار بارثينوبي (نابولي) وعن يساره ضريح مسينيوس، نافخ البوق الرنان الذي كان إبناً لإلوسيس (عند شواطئ كمبانيا)، رسا على شاطئ كوماي بمستنقعاته ذات المياه الراكدة وهناك سعى إلى المغارة التي تأوى إليها (سيبيلا) المثقلة بالسنين حيث العالم الأسفل الذي يضم الأفيرونوس (عالم الجحيم) والإليزيوم (عالم الفردوس).

مملكة افيرنوس (الجحيم)

يحكمها (أورك) أو (أوركوس) ربّ الأهوال، (ومن أسمه هذا اشتافت فلة غول ogre) ويعمل على التهام جثة الميت أما بلوتو فكان يجهز عليه قبله بضربه بمطرقة على رأسه، وفي هذه المملكة كل رأيه أرواح الموتى وحاكم المملكة والأنهار والهاوية وغيرها، وكما هو حال بيت هاديس الإغريق تتكون من:

1 . طبقة إيريبوس: حيث تتجمع أرواح الموتى ويعيش الكلب سيربيوس (حارس بوابة الجحيم) ثم سهل الزنبق البري الذي تعيش فيه أرواح الموتى خالدة ثم ربات الانتقام التي تعاقب الأرواح الآثمة ثم مكان إله الموت (أورك).

2 . طبقة بلوتو: حيث يعيش رب الجحيم الإله بلوتو على عرشه مع زوجته برسفوني، وكذلك يعيش معه قضاة العالم الأسفل وأرواح العالم الأسفل مثل المانات، اللارات، الليمورات، اللارفات، مانيا وهي أرواح كانت لها أعياد منتظمة وكان أصلها آلهة الرومان القديمة لكن اللاهوت الروماني الإغريقي الجديد دفنها ووضعها في العالم الأسفل واعطى لكلّ منها مهمة.

3 . طبقة بحيرات الكبريت وأنهار العالم الأسفل العفنة والساخنة منها الأوقيانوس وأخيرون (الحزن) ونهر النار (بيرفليجثون) ونهر الكراهية (ستيتس) ونهر الكوتيتوس وهو (نهر التأوهات).

4 . طبقة التارتاروس وهي الهوة السحيقة الهائلة الظلام التي تقع في قاع الجحيم ويعاقب فيها البشر الأشرار والخطاة الأبديوس.

ثانياً: نزول جونو إلى العالم الأسفل:

خطر للإلهة الحامية للرومان (جونو) زوجة جوبتر أن تزور العالم الأسفل بعد أن ضاق صدرها من مارأته من إينو وأتاماس اللذين ربيا باخوس الأبن البشري لزوجها جوبتر والنشط والقوي.

كانت أرواح الموتى تغادر أجسادها بعد الموت وتسلك طريقاً يؤدي إلى نهر ستيكس الراكد الذي يعلوه الضباب، وكانت الكآبة والبرودة يخيمان في هذه المنطقة المقفرة التي تصل فيها الأرواح حين تأتي للمرة الأولى إلى عالم الأموات.

كانت مدينة الأموات فسيحة ذات ألف طريق وذات الأبواب المفتوحة في جميع الجهات تستقبل الموتى من كل الشعوب، حيث أرواح الموتى عبارة عن أطياف تهيم في الأسواق أو عند قصر (بلوتو) أو عند الحرف التي كانت تمارسها أما الأرواح الخاطئة. فكانت تذوق العذاب مباشرة.

حاولت الإلهة جونو النزول إلى هذا العالم ففتحت بوابته حيث رفع كيربروس (كلب الجحيم) رؤوسه الثلاثة ونبح ثلاثة نبحات، فنادت جونو ربات الانتقام (بنات الليل) اللواتي كنّ يصففن شعورهن الثعبانية فوقفن إجلالاً لها ورأت جونو في مكان الديار الآثمة (مقر الأشرار) تيتيوس الضخم وهو يسلم أحشاءه للنسور، ورأت تنتالوس العطشان والذي لا ينال أبداً، ورأت سيزيف الذي يرفع الصخرة إلى رأس الجبل فتعود إليه، ورأت إيكسيون (الذي أحبها ذات يوم، فعاقبه جوبتر ووضعه على عجلة تدور حول نفسها كأن بعضه يهتم بأن يلحق بعضه الآخر فلا يكاد يبلغه، ورأت خويدان بيلوس الاغتراف من ماء لا يستطعن الاحتفاظ به عقاباً لهن على تدبير اغتيال أزواجهن أبناء عمومهن.

ويبدو أن (جونو) نزلت إلى العالم الأسفل لتشاهد سيزيف الذي كان أخاً لـ (أثاماس) المتغطرس زوج إينو، فطلبت تدمير قصر كادموس وتحريض ربات الانتقام على دفع أثاماس إلى ارتكاب الجريمة وكلفت بذلك (تسيفوني) ذات الرأس الأشيب المدمج بالأفاعي.

وعندما خرجت جونو من العالم الأسفل قامت تسيفوني بالذهاب إلى قصر كادموس الذي يسكن فيه أثاماس وزوجته ورمت عليهما سمّا فتاكاً أفقدهما عقلهما فقتلا ولديهما وتحولت الزوجة وولدها إلى أفراد في حاشية إله البحر نبتون. وتجمدت وصيفاتها وتحولن نساء طيبة إلى طيور تحوّم فوق

البركة . وأدرك كادموس (قدموس) بن أجينور أن سلالته تحطمت وتحول هو وزوجته إلى ثعبان وأفعى يسعيان في الغابات(105) .

وقد نقلت لنا لوحة رومانية نزول أوديسيوس إلى عالم الموتى (هاديس) صورة هذا العالم (شكل 55) هكذا كان العالم الأسفل موئلا للشر إذا مسّ أحداً من العالم الأعلى فأنه سيدمره ، وهكذا نزلت إليه الآلهة (جونو) دون أن تدفع ثمناً لذلك بديلاً عنها .



شكل (55) نزول أوديسيوس إلى عالم الموتى (هاديس)

ثالثاً: الإليزيوم (الفردوس)

وهو ذات الفردوس الإغريقي (الإليزيون) الذي يوجد تحت الأرض عند الرومان وفي أقصى الغرب ويفصله عن الجحيم نهر من أنهار العالم الأسفل . لقد تحدث فرجيل الشاعر الروماني عن هذا المكان الذي رأى أنه مسكن المباركين من الفلاسفة والشعراء والكهنة ، ولذلك احتار دانتي في الكوميديا الإلهية فرجيل مرافقاً له ليدله على مكان هذا الفردوس والجحيم ، ويبدو أن الأمطار والثلوج لا تنقطع عن الفردوس مثلما الأفاعي والنار لا تنقطع عن الجحيم .

رابعاً: عقائد ما بعد الموت

كانت التقاليد الرومانية القديمة تقضي بأن يكون موكب جنازة المتوفي مهيباً تتخلله أناشيد وصراخات الندب والعويل والرثاء وقد أفرطت هذه الظاهرة حتى قيدتها قوانين الألواح الاثني عشر فألزم أهل الميت بوجود أثني عشر من الزمارين ويحضر مظاهر قلع الشعور من الرأس وغيرها (شكل 56) .



شكل (56) صورة مسرحية تمثل الاحتفالات الجنائزية في عهد الإمبراطورية

ثم يقوم الجنائزيون بعرض متميز يلبسون فيه أقنعة الموت أو وجوهاً من الشمع في صور آباء الميت الذين شغلوا مناصب ذات شأن في الدولة . وتوضع جثة الميت على نعش يحتوي على أغطية مطرزة بالأرجواني الذهبي وحولها الأسلحة والدروع التي غنمها . ويسير خلف النعش أبناء المتوفي وعليهم أثواب وأقنعة سوداء ، وبناته سافرات ، وأقرباؤه وأبناء عشيرته وأصدقاؤه ومواليه وعبيده ، فإذا وصلت الجنازة إلى السوق العامة وقفت ورثى الميت أحد أبنائه أو أقربائه .

كانت هناك طريقتان للتعامل مع جثة الميت أولهما الحرق وهي طريق منحدرة من تقاليد الجماعات الهند أوربية التي انحدرت إلى أوربا وظلت العائلات المحافظة متمسكة بها ، أما الطريقة الثانية فهي الدفن ، وكان القبر أو المدفن يختلف في شكله فهناك المقابر الدائرية والناووسية ، وهناك القبول الشقية أو الأرضية . ويوضع أمام الميت غصن شجرة الصنوبر أو السرو ليحذر الناس من العدوى . ثم يودع الميت ويعود المشيعون إلى بيوتهم ويقضي ذوو الميت فترة حداد أمدها تسعة أيام يقدّم في نهايتها الطعام عند قبر الميت (شكل 58) .



شكل (58) امرأة تحمل قرباناً من مقبرة في بابستوم (متحف نابولي القومي).

وكان الرومان، رغم اعتقادهم بالجحيم والنعيم في ما بعد الموت، يرون أنها مساكن الأشباح النصف مجردة التي كانت في حياتها رجالاً لا يمتاز بعضهم عن بعض بثواب وعقاب بل يعانون كلهم على السواء عذاب الظلام الأبدي والنسيان النهائي، وهناك، كما يقول لوسيان Lucian (يجد الانسان في أخر الأمر الديمقراطية المنشودة)(107).

المبحث الثامن

الصفات الخاصة للدين الروماني

في هذا المبحث سنجمل الصفات المميزة والخاصة للدين والمعتقدات الدينية الرومانية، من خلال ما بحثناه سابقاً أو ما نرى ضرورة تثبيته والنظر إليه جدياً عند الشروع بتحليل هذا الدين:

1. الدين الروماني خليط غير متجانس من عناصر ظلت إلى نهاية الإمبراطورية الرومانية متباينة وغير مهضومة كلياً في شكل نهائي واحد. ففي جذور هذا الدين تكمن العبادات السحرية النازحة من العصر الحجري الحديث مثل الفتيشية والأرواحية والطوطمية، ثم هناك العبادة الأسروية – العشائرية التي تحولت فيها الأرواح القديمة إلى عبادة أسرة وقبيلة، ناهيك عن الجذور الهندو أوروبية التي ألقت بظلالها عليها، ثم الجذور اللاتينية السابينية والأومبيرية، ثم التراث التوسكاني وظلال العبادات الأمورية. ثم التأثير الإغريقي ثم العبادات الشرقية اللاحقة.

2. يرى ديموزيل أن الدين الروماني في مثلثه الأول (جوبتر، مارس، كويرينوس) جمع النموذج المثالي للتقسيم الطبقي الثلاثي للمجتمعات الهندو أوربية القديمة (كهنة، محاربون، مربو حيوانات- مزارعون) وهي على التوالي وظيفة السيادة السحرية والقانونية (جوبتر، فارومانا وميتر، أوذين) عند الرومان والهنود والاسكندفايين (وهي مجتمعات هندو أوربية متباعدة) ثم وظيفة القوة الحربية (مارس، اندرا، تهور) ثم وظيفة الخصب والوفرة الاقتصادية (كويرنيوس، التوأمان نازاتيا، فريتير).

بل أن ديموزيل يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يقرر أن الممثلين الإلهيين للوظائف الثلاثة مسخوا في (شخصيات تاريخية)، وبدقة في سلسلة ملوك الرومان الأوائل، وأن الصيغة التراتبية الأصلية – التثليث الإلهي – قد عبر عنها بمصطلحات مؤقتة، كإرث تاريخي للأشخاص(108) وتشير نتائج أبحاث ديموزيل بأن الأيديولوجيات الهند – أوربية كانت مؤثرة في عصر تكون الشعب الروماني وطقوسه وديانته.

3. الديانة الرومانية الأصلية هي ديانة الأرواح فلم تكن هناك آلهة ولا هذه الأرواح تشبه الآلهة فقد كان الروماني يسميها صراحة الأرواح Numina وكان منشؤها العبادة العائلية الخاصة، حيث كان البيت هو مقرها ولذلك تخلو الديانة الرومانية القديمة من المعابد أو التماثيل.

وكان مرسيا إلياد يسمي هذه الأرواح الواسعة الانتشار الهويات entites التي تستحضر لأمر خاص وفي مكان خاص فمثلاً كان يجري استدعاء فاتيكانوس وفابولينوس لمساعدة الطفل الوليد

ليصرخ ، وليتكلم وكان يجري استدعاء إيدوكا وبولينا لمساعدته كي يأكل ويشرب وأبيونا ليعلمه المشي وهكذا دواليك ، غير أن الهويات الما فوق طبيعية كانت تستحضر فقط لعلاقاتها بالأعمال الزراعية والعبادة الخاصة ، وهي تفتقد شخصية واقعية وقدرتها لا تتجاوز المنطقة المحددة لعملها . وهذه الهويات لا تشارك مورفولوجيا في شرط الآلهة(109) .

4 . دخلت فكرة الآلهة وتجسيداتها الوثنية ومعابدها لاحقاً وبتأثير الاتصال بالأقوام الوافدة أو أقوام الجوار ، وتشكلت سلالة آلهة رومانية مرتبكة نوعا وهجينة في أغلب الأحوال . . حتى حلت محلها أنظمة الهيكل الإغريقي الذي أعاد ترتيبها لصالح الهوية الإغريقية فمسخ أصول الآلهة والأرواح الرومانية .

5 . يكمن تحت المعتقدات الدينية الكبرى للرومان حشد من العقائد الشعبية المتعددة الأشكال ، من عبادة الطبيعة ، والديكاتيرية Feteshism ، والطوطمية ، والإيمان بالسحر والمعجزات والرقي والخرافات والمحرمات ومعظمها عقائد باقية من أيام سكان إيطاليا فيما قبل التاريخ ، ولعلها باقية من أيام أسلافهم الهندو أوربيين جاءوا بها من موطنهم القديم في قارة آسيا . وكان الكثير من الأشياء والأماكن مقدساً Sacer محرماً مسّه أو تدنيه ، ومن هؤلاء الأشخاص الأطفال الحديثو الولادة ، والنساء في وقت الحيض ، والمجرمون إذا أدينوا(110) .

6 . إن التصور الميثولوجي الضعيف للرومان وعدم مبالاتهم تجاه الميتافيزيك ، هما متوازنان ، وسنرى هذا من اهتمامهم الشغوف بالمحسوس ، والخاص والمباشر . وإن العبقرية الدينية الرومانية تتميز بالبراغماتية ، وبالبحث عن الفاعلية ، وبخاصة التقديس للجماعات العضوية : أسرة ، شعب ، وطن . وإن الانتظام discipline الروماني الشهير ، الوفاء بالارتباطات (فايديس fides) والإخلاص للدولة ، والاحترام الديني للقانون ، تترجم بانتقاص الشخصية الإنسانية : الفرد يحتسب في المعيار الذي كان ينتمي فيه لجماعته . وليس إلاّ بعد زمن متأخر وتحت تأثير الفلسفة الإغريقية والمعتقدات الشرقية للخلاص ، أن اكتشف الرومان الأهمية الدينية للشخص ، ولكن هذا الاكتشاف الذي ستكون له نتائج بارزة قد مسّ بخاصة السكان المدنيين (111) .

7 . إن شجرة الآلهة الرومانية التي تكونت منذ دخول الآلهة الإغريقية وحتى نهاية روما ، هي شجرة مزيفة فهي تحتذي هيكلاً إغريقياً متماسكاً نشأ في بيئة أخرى . ولذلك يتوهم الباحث والدارس للديانة الرومانية أن هذه الصيغة هي الأكثر معقولية في شكل المثولوجيا الرومانية في حين هي الأكثر مسخاً لأنها ألغت تاريخاً محلياً للمثولوجيا الرومانية التي كونتها أجيال محلية متناوبة وحلت محلها .

ولذلك يبدو لنا أوفيد ، مثلاً ، وهو يسوّق مسخ الكائنات على أنه كتاب روماني مثل مراهق الأدب الذي يقلد الروايات العالمية لأن هذا الكتاب لا يمثل المثولوجيا الرومانية بل المثولوجيا الرومانية التي مسختها المثولوجيا الإغريقية .

8 . كانت إلهات روما أقل قوة من آلهتها ولكنهن كنّ أحب إلى قلوب الشعب من الآلهة الذكور . وكان من هذه الإلهات يونو رجينا ملكة السماء وحامية الأنوثة والزواج والأمومة ومنيرفاإلهة الحكمة أو الذاكرة وفينوس إلهة الشهوة والحب والمنشأ الغرامي لجميع الكائنات الحية ، وديانا إلهة القمر والنساء والولادة والصبح . .الخ .

9 . الطبيعة الاجتماعية للدين الروماني تقوم على أساس الـ (بيتاس pietas) التي تعني حرفياً (المراقبة المتشكلة للطقوس ، واحترام العلاقات الطبيعية بين الكائنات البشرية) فهناك :

بيتاس العائلة : وجوب إطاعة الولد لوالده ، وعكس ذلك يعتبر تصوفاً ضد الطبيعة قد يكون تكفيره موت الولد

وهناك بيتاس الآلهة ، بيتاس المدينة ، بيتاس الجماعة ، بيتاس الإنسانية ، إن حق الشعوب كان يفرض الواجبات حتى تجاه الغرباء ، وهذا المفهوم يتفتح كلياً تحت تأثير الفلسفة الهيلينية عندما انتشر بوضوح مفهوم الإنسانية . أي الفكرة بأن واقعة الانتماء وحدها للجنس البشري كانت تشكل قرابة حقيقية مشابهة للقرابة التي كانت تصل أعضاء شعب واحد أو مدينة واحدة منشئة واجبات التضامن والمحبة أو الاحترام(112) .

10 . كان الدين يخلقُ صلة قوية بين الناس وبين قوى الطبيعة الخفية ، ورغبة أكيدة في أن يكون الناس على وفاق مع هذه القوى جميعها . أما دين الدولة فكان على النقيض من هذا فقد كان شكلياً جامداً لا يعدو أن يكون نوعاً من العلاقة القانونية التعاقدية بين الحكومة والآلهة . ولما تسربت إلى البلاد أديان جديدة من الشرق المغلوب كان أول ما تضعضع في الدولة الرومانية هو هذا الدين الرسمي ، أما الإيمان العميق ذو المظاهر الجميلة الجذابة والطقوس المنتشرة في الريف ، فقد ظلت تقاوم الأغلال في صبر وعناد طويلين . ولما تغلب الدين المسيحي في آخر الأمر استسلم بعض الاستسلام إلى هذا الإيمان الريفي القديم فأخذ عنه كثيراً من عقائده وطقوسه ، وكان ذلك الأخذ عن حكمة وأصالة رأي ولا تزال هذه الطقوس باقية في العالم المسيحي إلى هذه الأيام وإن تشكلت بأشكال جديدة وعبر عنها بألفاظ غير الألفاظ القديمة (113) .

11 . كان الدين الروماني القديم (دين الأرواح) لا يعطي للقوى الغيبية التي أسميناها الأرواح

شخصيات معينة بالنسبة للروماني كما كان الحال عند الإغريق ، فهي في أحسن الأحوال أشياء مجردة غامضة ، لذا كانت الديانة الرومانية جافة وشكلية ولا تحتوي إلاّ على القليل من العناصر الروحية والخلقية التي توحي بها كلمة الدين ، وبصورة عامة فإن فكرة الدين كانت توجب الطاعة لقوى تفوق البشر حتى أن كلمة religio كانت تعني التقيد أو وجوب الطاعة التي كان لها أبلغ الأثر في بناء الشخصية الرومانية وفي تسيير دفة الدولة نحو القوة والاستقرار والعظمة(114) .

12 . نرى أن بنية الدين الروماني هي بنية متصدعة منذ بدايتها فقد كان هناك عدم تلاحم وانسجام بين المكونات الرئيسية لهذا الدين وهي المعتقدات والأساطير والطقوس إذ أن المعتقدات الدينية كانت غير واضحة والأساطير ضعيفة والطقوس شكلية ولم تكن بينها صلة قوية . وقد كانت المكونات الثانوية للدين الروماني (الأخلاق والشرائع) في طريقها إلى الانفصال كلياً عن الدين خصوصاً بعد ظهور الألواح الاثني عشر والقوانين المدينة . وقد سارت مكونات الدين الرئيسية والثانوية نحو التفكك في عصر الامبراطورية ، فقد خضعت المعتقدات للابيقورية والرواقية وحلّت الأساطير الاغريقية محل الرومانية وأصبحت الشعائر أعياداً جماعية حسّية الطابع ، في حين أن الأخلاق لم تكن مثالية وأصبح القانون الروماني عملياً لأبعد حد . وكان هذا التفكك يمثل أرضية صالحة لظهور جنين جديد في أحشاء الامبراطورية الرومانية وقد كان الدين المسيحي القادم من الشرق هو هذا الجنين .

13 . مع تواتر الزمن انقسم الرومان إلى فئتين : فئة رسمية محافظة متمسكة بالدين الروماني القديم ويسمون (الباتريسيون) الذين كانوا ينظرون باحتفاء لكل الآلهة الوافدة مع البرابرة إلى روما ولكل المستجدات في ديانتهم ، والفئة الشعبية التي تمثل أغلبية الرومان الذين كانوا يرحبون بالآلهة الأجنبية المفعمة بروح التصوف وعالم ما بعد الموت والآخرة والتي كانت تنتج لهم ظهور احتفالات وأعياد تهتكية أو سرّية . وهذا التصدع الآخر ساهم في زيادة تفكك الدين الروماني .

14 .سيادة مبدأ التوفيقية (السنكريتية Syncretism) الذي يقوم بالتوفيق بين العقائد المختلفة وبين الآلهة المختلفة المنشأ والمتشابهة الوظيفة في روما والأمم التي حولها . فبالإضافة إلى امتزاج عبادة روما مع العبادات الإغريقية والشرقية فقد امتزجت المظاهر الدينية الكلتية والرومانية واليونانية في عبادة الإلهين نودنس (إله البحر الإيرلندي) وسلفانوس (إله الغابات الروماني) .

15 . أظهر الرومان سياسة التسامح الديني مع الأمم التي غلبوها واحتلوها بل أنهم سمحوا بالتفاعل

مع ديانتها وآلهتها كما ذكرنا ، لكنهم كانوا يستولون على معابد هذه الأمم بدافع اقتصادي ، ولكي لا يجابهوا بتمرد من قبل كهنة تلك الأمم فإنهم كانوا يقدمون الإعانات المادية لهم بين فترة و أخرى . ولم تظهر الدولة الرومانية أي أعداء لهذه الأديان إلا بحجة منافاتها للمبادئ الأخلاقية أو تعارضها مع السياسة العامة .

أما في حالة المسيحية التي اضطهدت أتباعها فقد كان المسيحيون في نظر السلطات مواطنين أشرار وعنصراً خطراً في المجتمع لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ، ولا يقدسون صور الأباطرة ولا يشتركون في عبادة روما المؤلهة أو (الروح الحارسة) للإمبراطور وكان في تضامنهم وخلوتهم وقت التعبد ما يوحي بأنهم جماعة سرية غير أنه كان دائماً بين الوثنيين من كانوا مستعدين للتستر على أصدقائهم المسيحيين كما كان حكام الولايات يحجمون أشد الإحجام ، في معظم الأحيان ، عن تطبيق قانون العقــــوبات عليهم ، ولم يكن الاضطهاد عاماً إلاّ عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبي (115) .

مراجع الفصل الثاني

1- ميرز ، ج .ل : الإتروون والقرطاجيون (أصلهم وتكاثرهم) ، تاريخ العالم المجلد الثاني ، الفصل 38 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت ص 464 .

2- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982 ، ص 207 .

3- ميرز ، ج .ل . المرجع السابق .

4- نصحي ، ابراهيم : تاريخ الرومان (من أقدم العصور حتى عام 133 ق .م) ، ط1 ،ط2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة 1988 ، ص 54 .

5- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص 295 .

6- Guirand , F and A. V . Pierre : Roman mythology , New Latousse Enyclopedia of Mythology , Translated. by Richard Aldington and Delano Ames, Londin 1959 P220.

7- نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ص425 .

8- المرجع نفسه .

9- المرجع نفسه .

10- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر ، المرجع السابق ، ص367 .

11- نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ، ص95 .

12- المرجع نفسه ، ص94 .

13- المرجع نفسه ، ص425 .

14- أبو ريان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1999 ، ص231 .

15- ديورانت ، ول . قصة الحضارة ، ج2 من المجلد 3 ، رقم (10) قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1988 ، ص 172 .

16- أبو ريان ، علي وحربي عباس عطيتو ، المرجع السابق ، ص220 .

17- المرجع نفسه ، ص226 .

18- نصحي ، ابراهيم : المرجع السابق ، ج2 ، ص809 .

19- شيشرون : علم الغيب في العالم القديم ، ترجمة الدكتور توفيق الطويل ، دار يوسف ، بيروت ، 1946 ، ص 185-186 .

20- توكاريف ، سيرغي . أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 ، ص 459 .

21- أنج ، و ر : (الأديان المتنافسة) تاريخ العالم للسير جون أ . هامرتون ، المجلد 4 ، الفصل 64 ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت ص 66 .

22- توكاريف ، سيرغي ، أ : المرجع السابق ، ص448 .

23- أنج ، و .ر : المرجع السابق ، ص 64 .

24- توكاريف ، سيرغيأ : المرجع السابق ص 459 .

25- أنج ، و .ر : المرجع السابق ، ص79 .

26- المرجع نفسه ، ص 170 .

27- حسين ، حسن عبد الوهاب . معالم التاريخ البيزنطي (السياسي والحضاري) دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2001 ، ص 16 .

28- فشر ، هـ أ .ل : تاريخ أوربا في العصور القديمة ، ترجمة د . إبراهيم نصحي بك و د . محمد عواد حسين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1950 ، ص 136 .

29- توفيق ، عمر كمال : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2000 ، ص52 .

30- المرجع نفسه ، ص 53 .

31- Guirand. F and A. V . Pierre: op cit, p 217.

32- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص 388- 389 .

33- Guirand . F and A. V . Pierre : op cit p217.

34- عثمان ، سهيل عبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص205 .

35- المرجع نفسه ، ص 369 .

36- نصحي ، ابراهيم : المرجع السابق ، ط1 ، ص 92 .

37- توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ، ص 448 .

38- المرجع نفسه ، ص 446 .

39- المرجع نفسه .

40- المرجع نفسه ، ص447 .

41- المرجع نفسه ، ص 453 .

42- المرجع نفسه .

43- نصحي ، إبراهيم : المرجع السابق ، ط1 ، ص 106 .

44- توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ، ص 453 .

45- شيشرون : المرجع السابق ، ص 66 .

46- عكاشة ، ثروت : الفن الروماني (تاريخ الفن ط1 ، مجلد1 ، النحت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ت ، ص 162 .

47- المرجع نفسه ، ص 250-251 .

48- بهنسي ، عفيف : موسوعة تاريخ الفن والعمارة ، المجلد الأول : الفنون القديمة ، دار الرائد العربي ودار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1982 ، ص 25 .

49- الماجدي ، خزعل : بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1998 ص 49 .

50- توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ، ص 447 .

51- المرجع نفسه ، ص 442-441

52 -المرجع نفسه ص441 .

53- Guirand , F . and A. V . Pierre op . cit p 217.

54- توغاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ص 444 .

55- المرجع نفسه ص 445 .

56- توينبي ، أرنولد : تاريخ البشرية ط1 ، ترجمة د . نقولا زيادة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 ، ص 292 .

57- دولي ، دونالد . ر . حضارة روما ، ترجمة جميل يواقيم الذهبي ، وفاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979 ، ص 345 .

58- بتري ، أ : مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم ، ترجمة يوئيل عزيز ، الموصل ، 1977 ، ص 94 .

59- توغاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ص 460 .

60- دولي ، دونالد . ر : المرجع السابق ، ص 188 .

61- برهيين ، أميل : الفلسفة الهلنستية والرومانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1982 ، ص 175 .

62- المرجع نفسه ، ص 182 .

63- المرجع نفسه ، ص 183 .

64- وورنر ، ريكس : فلاسفة الإغريق ، ترجمة عبد الحميد سليم ،

65- ددلي ، دونالد . ر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985 ، ص 211 .

66- تارن ، وليم وود تورب : الحضارة الهيلنستية ، ترجمة زكي علي ، القاهرة ، 1966 ، ص 372 .

67- المرجع نفسه ، ص 373 .

68- برهييه ، أميل : المرجع السابق ، ص 284 .

69- وورنر ، ريكس : المرجع السابق ص 225 .

70- برهييه أميل : المرجع السابق ، ص 216 .

71- وورنر ، ريكس : المرجع السابق ، ص 242-228 .

72- برهيية ، أميل : المرجع نفسه ، ص 131 .

73- المرجع نفسه ، ص 190 .

74- المرجع نفسه ، ص 224-223 .

75- المرجع نفسه ، ص 149 .

76- المرجع نفسه ، ص 151 .

77- برن ، اندرو روبرت : تاريخ اليونان ، ترجمة محمد توفيق حسين ، منشورات جامعة بغداد ، بغداد ، 1989 ، ص 150 .

78- دولي ، دونالد : المرجع السابق ، ص 181-180 .

79- برن ، أندرو روبرت : المرجع السابق ، ص 152 .

80- الخوري ، لطفي : معجم الأساطير ، ج2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 ، ص 89 .

81- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر ، المرجع السابق ، ص 295 .

82- الخوري ، لطفي : المرجع السابق ، ص 90 .

83 -دولي ، دونالدر : المرجع السابق ، ص 181 .

84- موليه ، ماريو : الإلهة السورية للوقيانوس السميساطي ، ترجمة موسما ديب الخوري ، سلسلة الأبجدية 7 ، دار الأبجدية للنشر ، دمشق ، 1992 ، ص64 (هامش رقم2) .

85- عباس ، إحسان : تاريخ حملة الأنباط ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1987 ، ص 32 .

86- مونيه ، ماريو : المرجع السابق ، ص 53 .

87- المرجع نفسه ، ص:110 ويراجع كتاب فرانز كومون : الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية ، الطبعة السابقة ، ص 14 .

88- المرجع نفسه ، ص 60-61 (هامش المقدمة رقم 11) .

89- المرجع نفسه ، ص 62 (هامش المقدمة رقم 14) ويراجع الكتاب السابق لفرانز كومون .

90- إرمان ، أدولف : ديانة مصر القديمة ، ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ود . محمد أنور شكري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 ، ص 512 .

91- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، 138-137 .

92- إرمان ، أدولف : المرجع السابق ، ص 554

93- المرجع نفسه ، ص 558 .

94- المرجع نفسه ، ص 567-566 .

95- الكرمي ، حسن سعيد : الثنوية في التفكير (المقالة الأولى) الناشرون البحيري إخوان ودار الأحد ، بيروت ، 1977 ، ص 41 .

96- عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص 395 .

97- الكرمي ، حسن سعيد : المرجع السابق .

98- الزوبي ، ممدوح : الموسوعة الدينية الميَسرة ، مراجعة د . لينة الحمصي ، منشورات دار الرشيد ، د . ت . ص 412 .

99- شيشرون : المرجع السابق ، ص 185 .

100- تارن ، وليم وود توب : الحضارة الهينستية ، ترجمة زكي علي ، القاهرة ، ص 366 .

101- ددلي ، دونالد .ر : المرجع السابق ، ص 183 .

102- برهيه ، أميل : المرجع السابق ، ص 184 .

103- المرجع نفسة ، ص183 .

104- مونيه ، ماريو : المرجع السابق ، ص 61 (هامش رقم 11)

105- أوفيد ، ب : مسخ الكائنات (ميتامورفوسس) ترجمة د . ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984 ، ص 102 .

106- ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، ترجمة محمد بدران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2001 ، ص 176 .

107- المرجع نفسه ص 177 .

108- إلياد ، مرسيا : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج2 ، ترجمة عبد الهادي عباس الخاسي ، دار دمشق ، دمشق 1987 ، ص 122 .

109- المرجع نفسه ص 125 .

110- ديورانت ، ول : المرجع السابق ، ص 125 .

111- إلياد ، مرسيا : المرجع السابق ، ص 126 .

112- المرجع نفسه .

113- ديورانت ، ول : المرجع السابق ، ص 134 .

114- عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : اليونان والرومان ، دراسة في . . . والحضارة ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1993 ، ص 359-358 .

115- الروبي ، أمال محمد : مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني ، سلسلة المكتبة الثقافية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 75 ، ص 60 .

الفصل الثالث

المثولوجيا الرومانية

(دراسة في الآلهة والأساطير الرومانية وتطورها)



ديوكاليون وبيرا
بريشة بيكاسو

المبحث الأول

تصنيف الآلهة الرومانية

الأساطير هي قصص الآلهة التي تكون نوعاً من التاريخ المقدس لشعب من الشعوب ، حيث يدور هذا التاريخ المقدس في مناطق الأصول والبحوث عن العلل والأسباب الكونية .

والرومان كغيرهم من الأقوام القديمة تعبدوا الكثير من الآلهة كانوا يرددون قصصها ويقدسونها إيماناً منهم أنها مفاتيح أسرار العالم وكيفية ظهوره بهذا الشكل أو ذاك .

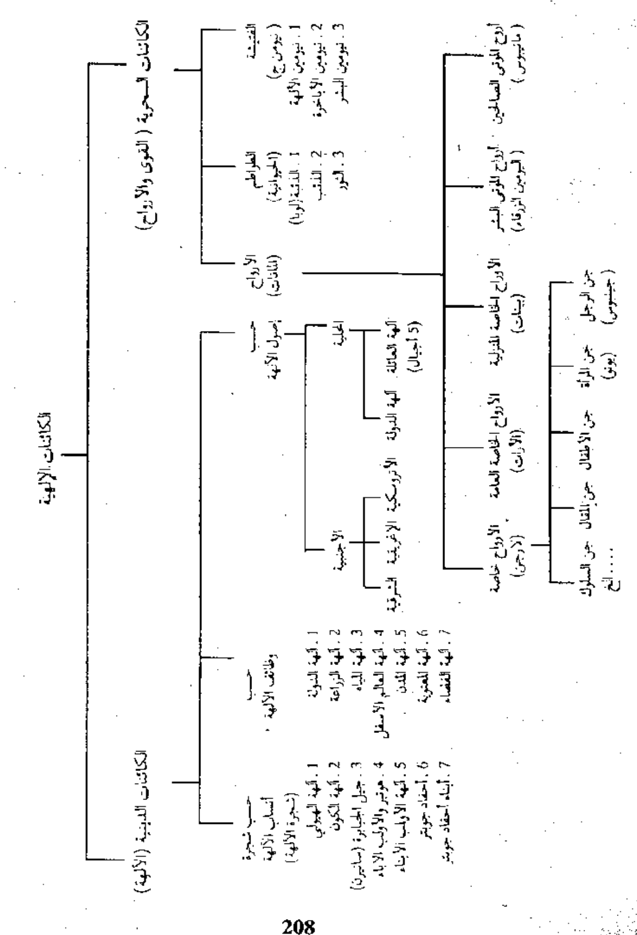
ولكننا حين نريد تناول هذه الآلهة (ومن ثم أساطيرها) نقع في إرباك شديد فهي تبدو مرة كثيرة ومرة ذات أصول مختلفة ومرة بدائية ومرة متطورة تشبه آلهة الإغريق وتقابلها ومرة شرقية مرة تتجسد الآلهة في الأباطرة ومرة ذات فئات وصفات خاصة وهكذا . . .

إن ما تمتاز به الآلهة الرومانية عن غيرها من آلهة العالم القديم ، واليونانية بشكل خاص ، هو كثرة أصولها ووظائفها وأنسابها وأنواعها لدرجة أنه يستحيل علينا تناولها دفعة واحدة ، ولكننا توصلنا إلى تصنيف معقول لها يضعها في أطوار موجات واضحة وقد تمكنا من خلال هذا التصنيف أن نسرد الأساطير الخاصة بها .

أول شروط هذا التصنيف هو أن نسميها ب (الكائنات الإلهية) إذ ليس كل ما تحتويه لائحة التصنيف هذه من الآلهة الخالصة بل سنلاحظ بوضوح شديد أن هناك كائنات من أصول سحرية قديمة ارتبطت بالديانات والعقائد البدائية لشعوب إيطاليا القديمة وهي عبادات أسروية وعشائرية وسلالية لم تكن تعرف معنى كلمة (إله) .

ثم إننا عندما أردنا تصنيف الآلهة عدنا إلى ذكر ثلاثة أوجه لهذا التصنيف المرتبط بالأصول والوظائف والأنساب وهو تصنيف شامل لهذه الكائنات الإلهية وكما يلي :

جدول (4) الكائنات الإلهية الرومانية (الأرواح والآلهة)



أولاً: الكائنات السحرية

ناقشنا في الفصل السابق وفي هذه المؤسسة الإلهية هذه الكائنات مفصلاً ، ونود التصنيف هنا أننا أطلقنا مصطلح الكائنات الإلهية theo ĕteatins على جميع أنواع الأرواح والآلهة وأشباه الآلهة التي عبدها الرومان أما مصطلح الكائنات السحرية Magic cevntions فقد أطلقناه على الكائنات التي ظهرت من عبادات سحرية قديمة هي فتيشية والطوطية والأرواحية) .

لم يتبق من القوى الفتيشية إلا قوة النيومين التي أصبحت تجسد خارقية الإلهية والأباطرة والإنسان ، فقد تحولت إلى دلالة على عظمة وقوة من تحل به فيعزى لها الصفات الألوهية عند الحركة والأباطرة والصفات الخارقية السحرية عند المتميزين من البشر من كهنة وأبطال ومغامرين .

أما العبادات الطوطية القديمة فقد ظهرت بشكل خاص في الرموز التي تشير إلى الآلهة . فالإله مارس أصبح رمزه الذئب لأن الذئب اعتبر ذات يوم طموحاً أو عبد باعتباره حارس القطعان والحقول لأن بداية الإله مارس كانت زراعية ، وربما كان الذئب أو الذئبة من أكثر الحيوانات حضوراً في الميثولوجيا الرومانية .

أما عبادة الأرواح فيصطلح عليها بأنيمر وقد تترجم إلى الحيوية فهي الاعتقاد بوجود عنصر مادي ، أرواح أو حياة تسكن في كل الكائنات وكل الأشياء مرئية كانت أم غير مرئية .

ولا يمكننا تخمين طرق عبادة الارواح القديمة لكننا نستدل من اسمها (مان mane) بأنها خيرة تنتسب للآباء Parents ، وقد تكون هذه الارواح شريرة إذا ما تعلق الأمر بأرواح الموتى الأشرار . ولذلك نرى أن عبادة الأرواح تتضمن عبادة الموتى وعبادة الإسلاف .

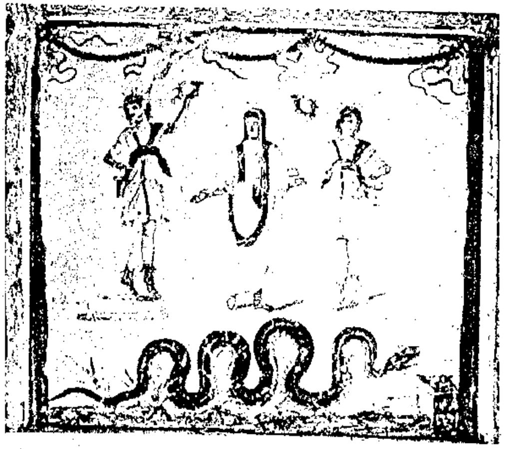
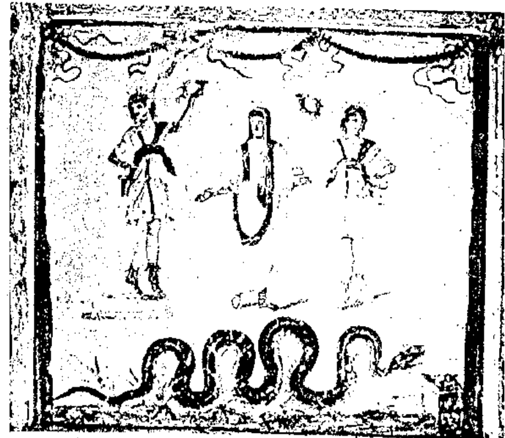
أرواح الموتى إما أن تكون سيئة مثل الليمور واللارفا أو أن تكون أرواح ساحرات مثل (ألمانا) .

أما الأرواح الحامية فهي إما منزلية (بينات) شكل 58 وإما عامة لارات وإما خاصة وهي الجن شكل 59 .

وقد تنحدر التفاصيل إلى أدق الأماكن والأشياء ، فالأرواح الصغيرة تنتشر في كل مكان ولا بد من عبادتها والخوف منها وإقامة الطقوس لها لتبقى راضية عن الإنسان وتعينه في حياته اليومية .



شكل (58) إينياس يعرض تقدمه للبنيات

شكل (59) الجينات اللارات

إن الفرق بين الأرواح والآلهة واضح من الوظائف المحدودة والصغيرة ومن المكانة المتواضعة لهذه الأرواح قياساً للآلهة التي هي كائنات أكبر وأهم وأكثر تخصصاً ولها استقلالية تامة في مجتمعها الإلهي .

كانت (الجن) وهي أرواح حامية للرجال والنساء والأطفال والأمكنة وهي أقرب إلى الأرواح التابعة للرجل جينيا وللمرأة (يونوني) وللأمكنة على (جينلي) وللدولة والمقاطعات والمدن .

ونفضل العودة إلى الفصل الثاني المبحث الثاني والثالث للتعرف على الأرواح وأصنافها .

ثانياً: الآلهة

قد تكون بعض الأرواح الرومانية قد تطورت إلى آلهة رومانية لكن هذا لا ينطبق على جميع الارواح ، فقد ظلت هذه الأرواح تعبد جنباً إلى جنب مع الآلهة حتى آخر الإمبراطورية الرومانية .

ويبدو أن وجود هذه الأرواح بغزارة حجب عن الرومان وضوح تصورهم عن الآلهة فقد كانت هذه معبودات خاصة لا جنس ولا شكل ولا مكان لها وبالتالي لا قصة لها أو لا أسطورة توضح أصلها ووظيفتها وهذا ما يفسر فقر المثولوجيا الرومانية وغياب أساطيرها .

وكانت الآلهة الرومانية إما تطويراً لبعض الأرواح القديمة أو نقلاً من الأتروسك أو اللاتين أو السابين والأومبير . أو من الإغريق مع محاولة مطابقة مع آلهة محلية .

ويعطينا هذا الخليط صورة عن مدى تفكك المكونات الفاعلة في صورة البانثيون والروماني الذي لا يمكن تصوره متجانساً مرهفاً متسلسلاً .

وعند رسوخ عبادة الآلهة كان لا بد من ظهور الأرواح بصيغة مناسبة لترتيب وحجم ووظائف الألهة ولذلك سميت هذه الأرواح بالألهة الصغيرة .

لقد نظرنا طويلاً في هذا الكم الهائل من الآلهة ووجدنا أن هناك ثلاث طرق لتصنيف هذه الآلهة وهي :

1 . حسب أصول الآلهة : حيث نأخذ بنظر الاعتبار المكان الذي ظهرت فيه هذه الآلهة وكيف اخذت مكانها في مجمع الآلهة الروماني ، وتنقسم الآلهة حسب هذا الوصف إلى :

أ . الآلهة المحلية : وهي الآلهة اللاتينية والسابينية والإومبيرية وقد كانت أغلب هذه الآلهة أرواحاً ثم تحولت إلى آلهة ، وتنقسم إلى آلهة العائلة وآلهة الدولة ومثل هذه الآلهة (جانونس ، جوبتر ، مراس ، فستيا ، ساتورن ، نبتنون ، فولكان . . . . الخ) .

ب . الآلهة الأجنبية : وهي الآلهة التي وفدت إلى الرومان من خارج مملكة روما القديمة وتنقسم إلى :

1 . الآلهة الاتروكسية : مثل ميركور ، منيرفا ، جونسون ، تينا .

2 . الآلهة الإغريقية : مثل أبولو وأفروديت وبوزيدون .

3 . الآلهة الشرقية : مثل أنارجاتس وإيزيس وسيبيل . . . . الخ .

2 . حسب وظائف الآلهة : وهو التصنيف الذي يغض النظر عن أصول الآلهة ويركز على وظيفتها ومهماتها ، وبذلك تجتمع في خانة واحدة آلهة واحدة ذات وظيفة واحدة ولكنها من عدة أصول وهو التصنيف الذي سنأخذ به في عرض الآلهة وأساطيرها ومن هذه الوظائف (آلهة الدولة ، الزراعة ، المياه ، العالم الأسفل ، المدينة المحليةن وأسمائها الرومانية لكي نتعبد من الآلهة الوافدة من خارج روما) .

3 . حسب شجرة الانساب الإلهية : وهو التصنيف الذي يرتب الآلهة الرومانية حسب التسلسل العام لشجرة الأنساب الإلهية الإغريقية مع الأخذ بالاعتبار خصوصية الآلهة الرومانية في بعض فقرات شجرة الانساب ، ولكننا بشكل عام نتبع التسلسل العام الذي تفرضه سياقات الظهور المتدرجة للآلهة العتيقة ثم القديمة ثم الجديدة ثم الآلهة الأخيرة التي تمثل الثمار النهائية لهذه الشجرة .

المبحث الثاني

الآلهة الرومانية حسب وظائفها

يعتبر تصنيف الآلهة الرومانية حسب وظائفها دقيقاً من الناحية السلالية فلم يكن هناك تصنيف سلالي دقيق يحكم هذه الوظائف ، أما ما سنراه من شجرة سلالية فهو مقترح بسيط اعتمد على قراءة محتملة لبعض أنساب الآلهة ، والأساس في هذه الشجرة هي الوظائف لا السلالية فقد وضعنا الآلهة ذات الطبيعة الواحدة في خانات محددة ، أما آلهة الدولة الرومانية فقد اقترحنا لها نسباً سلالية قد لا يكون دقيقاً تماماً ولكنه يلقي بعض الضوء على وظائف وأصول الآلهة الرومانية .

من حيث المبدأ نشأت الآلهة الرومانية القديمة من الأرواح الرومانية المنزلية والعامة ، فقد تحولت هذه الأرواح بفعل مؤثرات أتروسكية وسابينية ولاتينية إلى آلهة يمكن تصنيفها إلى سبعة أنواع (الموت ، المياه ، الزراعة ، الدولة ، المدينة ، الفضاء ، المعنوية) لكن آلهة الدولة هي أقوى الآلهة ولذلك وضعنا فيها الآلهة وفق تصور سلالي مقترح فرأينا أن أقدم آلهين هما (يانوس) و (تلوس) . وقد كان (يانوس) و(تلوس) . وقد كان (يانوس) هو الإله الهيولي الذي نشأت منه كل الآلهة فهو إله البدايات ونرى إنه في الأساس إله السماء ، أما (تلوس) المتزوجة من (تلونا) فهي الأخرى أقدم الإلهات الرومانيات ومنها ظهرت سلالات الآلهة ولذلك وضعناها معاً قبل جيل (ساتيرن وأوبس) ومعهما فولكان وفستا .

وقد ظهر من ذلك الجيل القديم جيل جديد هو جيل جوبتر ونبتون ومارس الذي ظهر بعده جيل الأبناء من سلالة جوبتر وجونو ، وتكون أبولو ومنيرفا وميركوري أما باخوس فقد أتى من الخارج وتطابق مع الإله ليبير .

ونرى في نهاية سلالة آلهة الدولة أن هؤلاء الآلهة مثل أبولو قد أنجبوا مؤسسي روما من البشر ، وميركوري مؤسس بلاتيوم من البشر ، وفاونوس مؤسس سلالة اللاتين .

وهكذا يغلب الطابع الوظيفي على هذه الآلهة أكثر من الطابع السلالي وهو ما أردناه .

مخطط (5) شجرة الآلهة الرومانية الأصلية

آلهة العائلة الرومانية

أرواح منزلية وعامة + آلهة محلية أتروسكية وسابينية ولاتينية

آلهة الموت — آلهة المياه — آلهة الزراعة — آلهة المدينة — آلهة الفضاء — الآلهة المعنوية (الأخلاقية)

آلهة الدولة الرومانية

يانوس + تلوس

إله البدايات والأبواب — الآلهة الأم الأولى

فولكان (تيبر ، بورتونس إله النهر والمعادن)

أوبس الإلهة الأم الثانية (الخصب)

ساتيرن (إله الوفرة والكروم والسماء)

فستا (النار ، والأمومة)

كوريكيلس + توأم البالكيان

الهواء

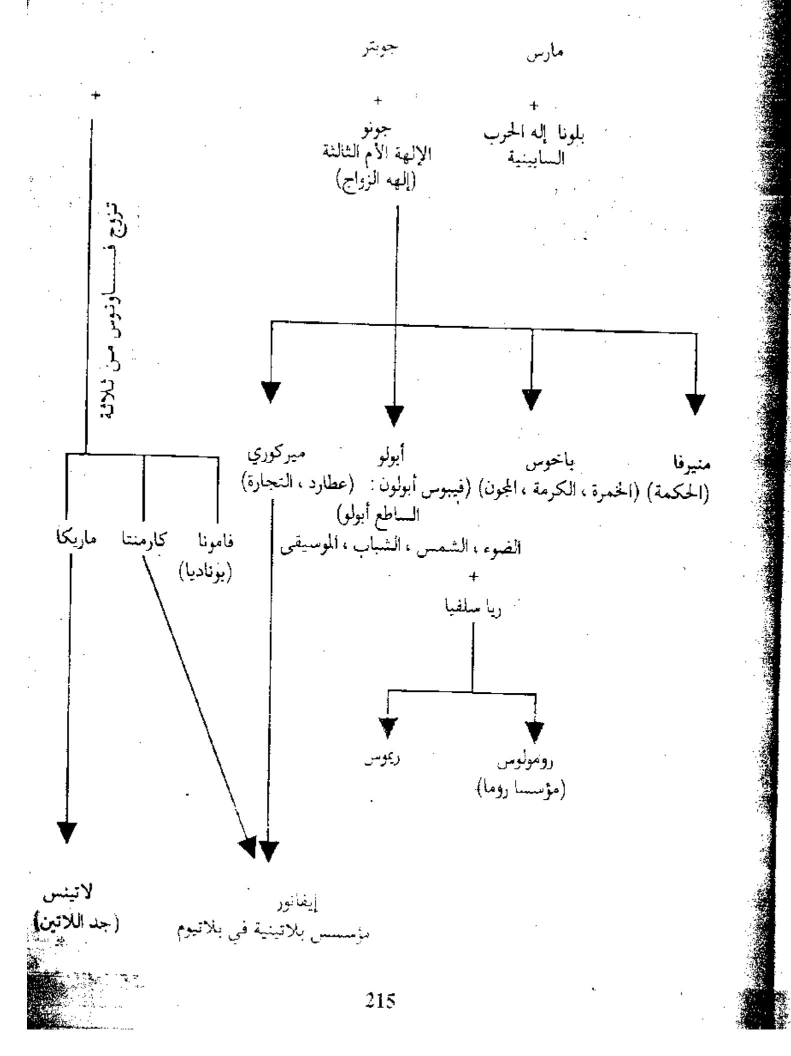
نبتون (البحر) — مامرس — جوبتر — بيكوس

مارس (إله الزراعة والخصب والحرب)

(تينيا الإتروسكي) إله الضوء والبرق والصاعقة

+ كانيت

فاونوس



مخطط (6) جدول الآلهة الرومانية الأصلية حسب وظائفها

آلهة الموت (العالم الأسفل)

1 . أدي (إيتا) : أكبر آلهة العالم الأسفل زوج بيرسبني
2 . تافاس (تاجيس) : أصله إتروكسي .
3 . اوركوس : حامل الأموات .
4 . بلوتو (ديسباتر) : أبو الثروة إله باطن الأرض .
5 . فيبريوس : المقابل الأتروسكي ديسباتر ربما كان مانكوس
6 . لبتينا (ليبتنازي) إلهة المآتم القديمة
7 . أرواح العالم الأسفل وهي الأرواح الرومانية التي تحولت إلى العالم الأسفل وأصبحت آلهة فيه :
أ . مانيا : إلهة الجنون
ب . لارا : إلهة الصمت
ج . الليمورات : أشباح الموتى الشريرة .
د . اللارفات : أرواح الموتى العائدة .
هـ . ألمانات : حارسات الخنادق .
و . البينات : أرواح المنزل .

آلهة المدن :

1 . روما : آلهة مدينة روما
2 . روميولوس كيرينوس
3 . إيتالوس

آلهة المياه

1 . جوتوران : إلهة المياه الساكنة والانهار
2 . نبتون : إله البحار
3 . تيبر : إله نهر روما
4 . النيمفات : حوريات الماء (أيجيريا ، كاميناي ، كارمنتا ، كارنا) .

آلهة الفضاء

5 . يوروس (أيروس) : الريح الشرقية
6 . بورياس : الريح الشمالية

7 . نوتس : الريح الجنوبية
8 . ماجستيا : نجوم الثريا (البليادات)
9 . الهيادات : نجوم برج الثور (الممطرات)
10 . الهورات : الفصول
11 . أستراليوس : زوج أيوس وأب الرياح الأربعة
12 . إيجيريا : إلهة الليل

آلهة القيم المعنوية (الأخلاقية)

أ- القيم الإيجابية

1 . فورتنا : إلهة الحظ
2 . فكتوريا : آلهة النصر
3 . باكس : آلهة السلام
4 . أمور : إله الحب
5 . كيوبيد : إله الحب
6 . بسيشه : آلهة النفس
7 . فيليكيت : آلهة السعادة
8 . أميتية : آلهة الصداقة
9 . تالاسيو : إله الزواج
10 . هو (هورتا) : إلهة الشجاعة
11 . كاميناي : إلهات الإلهام (الشعر والفن والعلم) 9 ميوزيات
12 . آلهة النزاهة (فيدس ، فيديوس ، سيمو سازكوس)
13 . بوناس إيفنتوس : إله نجاح المشاريع
14 . كونكورد : آلهة الوفاق
15 . سبيس : آلهة الأمل
16 . جوستينا : إلهة العدل
17 . جوفانتس : إلهة الشباب
18 . إلهة الحذر (برودنيس)
19 . أنغيتا : الطب والتعاويذ
20 . كبير : آلهة الخصب
21 . الخارتيات : ربات الحسن (النعم)
22 . مونيتا : إلهة الثروة

آلهة القيم السلبية :

1 . فاما : إلهة الفضائح

2 . فاميس : إلهة الجوع

3 . بارك (فاتوم) : آلهات القدر (نوتا ، ديسميا ، مورتا)

4 . موموس : إلهة السخرية

5 . اندفيديا : إلهة الحسد

نرى أن التصنيف الأفضل للآلهة الرومانية هو تصنيفها حسب وظائفها لأن تصنيفها حسب أصولها قديم جداً وقد طرأت عليه تغييرات كثيرة أبعدت تلك الآلهة عن أصولها ، أما تصنيفها وفق أنسابها فقد جرى على ضوء شجرة الأنساب الإغريقية ووفق هندستها وهو حديث جداً ، لكنّ تصنيفها حسب وظائفها يجمع بين الاثنين من ناحية ، ويعطينا صفاتها الحقيقية من ناحية أخرى .

وسنعمل على الأخذ بالتصنيفين الأصولي والسلالي ونحن نتحدث عن التصنيف الوظيفي لها .

أولاً: آلهة الدولة

وهي الآلهة الرئيسية للرومان في عصورهم الملكية والجمهورية والإمبراطورية ، فبالرغم من ظهور عبادة الأرواح السحرية (والأرواحية بشكل خاص) في بداية العصر الملكي وبالرغم من ظهور الآلهة الإغريقية ومتطابقاتها الرومانية في العصر الإمبراطوري إلاّ أن الآلهة الرئيسية وللرومان ظلت هي آلهة الدولة التي قلنا أنها نشأت من رمح بعض الآلهة أو الأرواح التي كانت تتعبدها الأسرة . وجعلها آلهة جماعية تتبناها الدولة (انظر الفصل الثاني / المبحث الأول) وسنتناول هذه الآلهة حسب تسلسل النسب اللاحق الذي وضعها في البانثيون أو شجرة الأنساب الإلهية .

1. يانوس Janus

أصله :

وهو إله إيطالي روماني أصيل ويعتبر أكبر الآلهة الرومانية قبل ظهور جوبيتر ، فقد اعتبره الرومان أب الآلهة بل هو الخواء (الكاؤوس Choas) من وجهة نظر الرومان أي المادة الهيولية الأولى للكون والآلهة قبل أن تتميز وتتحول إلى مادة وآلهة العناصر الأربعة . وقد جاء هذا الاعتبار من كونه إله البدايات ، والكاؤوس هو بداية الكون والخليقة .

اشتقاق الإسم :

من الفعل غضب ire أو الجذر سماوي أو مقدس (diverdare) وأن شكل اسمه الأول كان ديفانوس Divanus وهو يعني أصله إلهي divinc .







شكل (60) الأعلى: الإله يانوس على عجلة رومانية
الاسفل: يانوس بوجهين وجوبتر يعبر جبلاً على عربة تجرها أربعة جياد

شكل (61) يانوس ذو الوجهين على عجلة معدنية (القرن الرابع ق.م.)

2) من كلمة إلهي divine div, وتعني سماوي ومقدس .

3) من كلمة يانا Jana التي تشير أحياناً إلى ديانا Diana ومنها dius وdium وهي ما توحي بفكر السماء المنير ، وهو ما يؤكد الأصل الشمسي للإله يانوس فقد كان جذره (dium-dius) .

4) ونرى أن اسم هذه الإله له علاقة باسم إله السماء السومري (آن) والأكدي (البابلي والآشوري) أنو ، ونرى أنه قد أضيف له حرف (s) للتعريف عند الاغريق والرومان وأصبح أنوس أو يانوس ، وهذا يعني أن الأقوام الرافدية القديمة (العراقية القديمة) نقلته إلى بلاد إيطاليا من وهو أعلى إله عند السومريين والأكديين وله قدسية خاصة .

وظائفه :

1 . إله المداخل والمخارج : سواء كانت البوابات العامة (Jani) والتي من خلالها تمتد الطرق وكذلك الأبواب الخاصة ، لذا كانت رموزه (المفتاح) ، الذي يفتح ويغلق الأبواب ، و(العصا) التي يستخدمها البوابون في طرح من ليس لهم الحق بالدخول ، وليانوس وجهان (bilroas Janus) يسمحان له بمراقبة كل من يدخل ويخرج البيت والنبايات العامة كذلك وقد صور على النقود بهذين الوجهين(1) .

2 . إله الرحيل والعودة : وهو إله وسائل الاتصال ، وكان إلهاً للموانيء ويعبد تحت اسم Janus portnus وكذلك يعتبر إلهاً للملاحة .

3 . إله البدايات : اعتبر إله كلّ بداية من بداية الكون والخليقة (Chaos) وبداية طلوع الفجر (Matutinus pater) وبداية اليوم ، وبداية كل مشروع بشري وبداية الآلهة ، وبداية العام وبداية الشهر وبداية اليوم .

4 . إله الفصول الأربعة : ولأنه يسيطر على بداية السنة فهو يسيطر على الفصول الأربعة ولذلك صوّر بأربعة وجوه

5 . الإله الناصر أو الحامي لروما : ولذلك كان معبده عبارة عن ممر يغلق أثناء السلم ويفتح أثناء الحرب ليمّر من المقاتلون وينصرون روما .

كان يانوس إله البدايات وبصفته إلهاً شمسياً فقد كان تشرف على الفجر ، وسرعان ما اعتبر منشئاً لجميع المبادرات الأولية ، وبصورة عامة ، وضع على رأس جميع المشاريع البشرية ، ولهذا السبب فقد عهد له الرومانيون بوظيفة أساسية في خلق العالم . ويروي أوفيد أن يانوس أو جانوس كان يسمى (الهيولي) في زمن كان فيه الهواء والنار والماء والتراب جميعاً كتلة لا شكل لها ، وعندما انفصلت العناصر ، اتخذ الهيولي شكل جانوس . إن وجهيه يمثلان فوضى حالته الأصلية(2) .

اسطورته : يظهر يانوس كأصل للخواء (الكاؤوس) الروماني ثم تنفصل منه العناصر الأربعة (التراب ، والهواء ، الماء ، النار) ويتكون الكون الأول والآلهة الأولى ، ثم يصبح ملكاً للعصر الذهبي الذي مّر به العالم ومقره في (لاتيوم) ، ويقال أنه رحب بالإله (ساتورن) عندما طرده جوبتر إبان الثورة عليه ، فما كان من ساتورن إلاّ وأن سلمه علم الماضي والمستقبل ولذا يصور يانوس بوجهين .

كذلك يقال بأنه جاء إلى (لاتيوم) على رأس أسطول واستقر هناك وحكم وأسس مدينة تسمى (يانيكول Janicule) .

رموزه : المفتاح ، العصا (فيركا Virga)

عيده : في شهر كانون الأول الذي حمل اسمه Januarius

معبده : أقيم معبد يانوس على الأرض التي انبثقت منها المياه عندما تقدم تاتيوس السابيني لغزو روما بعد أن رشا امرأة لكي ترشده من مكان خفي داخل الحصن ، فما كان من يانوس إلاّ وفتح قنوات مياه الينابيع (وهي إحدى وظائفه) وأوقف الماء الساخن تقدم تاتيوس ويمر المقاتلون من معبده أثناء الحرب .

صوره : صّور على قطع النقود برأس ذي وجهين أحدهما أمرد والثاني ملتح دلالة على الشمس والفجر ، وفيما بعد أصبح الوجهان ملتحين . وظهر رسمه على بعض قطع النقود بأربعة وجوه ، وفي بعض الصور يبدو حاملاً بيده اليمنى مفتاح روما (3) .

ومن المعروف أن إله المصباح والنور السومري المسمى (إيسمود) يظهر في الصور بوجهين أيضاً وهو مساعد الإله إنكي إبن آن .

وتظهر صورته على المطارق النحاسية الموضوعة على أبواب المعابد الرومانية القديمة .

2- ساتيرن Saturn

أصله : إله زراعي قديم من أصل لاتيني وروماني يحتل نفس المرتبة التي يحتلها يانوس وجوبتر ، ومن المحتمل أن اسمه يرتبط بكلمة Satur (يشبع ، يفرط ، يحشو) أو بكلمة Sator (الزراع) وفي كلا الحالين فهو مرادف للوفرة والغزارة(4) .

لكننا نرى أن لهذا الإله علاقة بعيدة بالإله ساتران السومري وهو إله القضاء في مدينة دير شمال سومر وهو أحد الآلهة الذين نزلوا إلى العالم الأسفل فله أسطورة مفقودة يعتقد أنها تشبه أسطورة دموزي وربما كان أصله ، على هذا الاساس زراعياً وله علاقة بالخصب والوفرة أيضاً ولذلك نرى أن للإله الروماني – ساتيرن علاقة بالإله السومري ساتارن أو (ساترن) .

أسماؤه : (لايتوم) بعد أن طرده جوبيتر

وظائفه :

1 . إله الوفرة والبركة والخير والازدهار

2 . إله الكروم Vistisator

3 . إله تسميد الحقول Stercutius

4 . إله الكوكب (زحل)

5 . إله الزمن

أساطيره :

كان ساتيرن أحد الجبابرة (التيتان Titans) الذين أنجبهم يورانوس وجيا ، وكان يحكم العالم وجبل الأولب كل من التيتان (أوفيون ويورينوما) وعندما شبّ ساتيرن طردهما من الأولب وحكم هو ، مقلد جاء أن حكمة أمتاز بالخير حتى سمي بالعصر الذهبي لكنه من جهة أخرى يوصف بأنه كان يلتهم صغاره خوفاً من تولي أحدهم الحكم بعده . كان يشبه ويقابل (كرونوس) اليوناني فهو إله الزمن ، فإذا كان يانوس إله البدايات فإن ساتيرن إله النهايات حيث ينتهي كل شيء فيه وقد تزوج ساتيرن من Opeses وانجبا عدة أولاد التهمهم جميعاً ساتيرن لكن جوبيتر نجا من ذلك بحيلة دبرها أو بس حيث لفت حجراً بقماشة وأعطته له على أنه جوبيتر ، ولما كبر جوبيتر وتزوج من ميتس إلهة الحكمة والحذر أعدت جرعة من الأعشاب واعطتها لساتيرن فلفظهم جميعاً ، ثم تمرد جوبيتر وأشقائه وشقيقاته على والدهم وأخوة والدهم من التيتان فنشبت حربٌ كبيرة انتصر فيها جوبيتر وقام بسجن التيتان في الجحيم (تارتاروس) وعاقب الآخرين وحكم على أطلس أن يحمل السماوات على كتفيه . . أما والده ساتيرون فقد قام بطرده من جبل الأولب فاستقبله يانوس وأكرمه في روما وأعطاه علم الماضي والمستقبل (العِرافة) ، وكان ساتيرن قد حمل إلى روما الزراعة والكرمة والازدهار والخصب حتى أصبح عصره هو العصر الذهبي .

رموزه : المنجل وسنابل القمح وكوز الذرة

عيده : يسمى عيد الساتورنالي Saturnalia في 3-17 ، كانون الأول ديسمبر من كل سنة . (راجع طقوس الأعياد ، الفصل الرابع)

معبده : قرب الكابيتول حيث تحفظ خزانة الدولة في المعبد كما تحفظ رايات الفرق العسكرية التي لا تقوم بالحملات ، وقد ربط تمثال الإله بأشرطة صوفية لتمنعه من مغادرة الأراضي الرومانية ، وتحل هذه الأربطة خلال احتفالات الساتورناليا(5) .

صوره : ظهر في لوحة من بومبي نظهرهُ واقفاً وصدره نصف عارٍ وهو يحمل منجلاً في يده ، أما في النقود المعدنية فيظهر حاملاً منجلاً أو سنابل قمح .

زوجته : اوبس Ops وهي إلهة الخصب والقوى الخلاّقة في الطبيعة . وتشبه دورها إلى حد بعيد .

دور سيبيل وريا عند اليونان ، فهي إلهة الخصب والثروة والوفرة بشكل عام وإلهة الحصاد والبذار وتعد أختاً لساتيرن وزوجة له ولها أعياد تسمى الأوباليا (راجع الفصل الرابع / طقوس الأعياد) (6) .

ويقال أن زعيم السابنين تيتوس تانيوس أدخلها إلى مجمع الآلهة الرومانية وكانت تمثل في العصر المتأخر على شكل أم تمد يدها اليمنى بالمساعدة وباليسرى توزع الخبز .

3. جوبيتر Jupiter

أصله : هو أب الآلهة الرومانية الذي أصبح ملكاً لها . وهو إله أتروسكي الأصل انتقل الى اللاتين . ويلفظ أيضاً (يوبتر) كان عند الإتروسك يسمى تينيا Tinia وكانت وظيفته عندهم هي تحذير الرجال ومعاقبتهم أحياناً ، ولهذا الغرض كانت صواعقه الثلاثة فكان له أن يقذف بالأولى [illegible] ولكن القذف بالثانية ، وهي تحذيرية أيضاً ، كان يتطلب منه الحصول على إذن من إثني عشر إلهة بالموافقة أو المشاركة ، أما الثالثة فهي التي تقوم بالعقاب ولا يتم إطلاقها إلاّ بموافقة الآلهة العليا أو الآلهة الخفية ، ويمكن معادلة هذه الصورة الأولية له بالإله (سومانوس Summanus) وهو إله آخر للرعد عند الأتروسكين والذي كان يهمين على السماء في الليل(7) .

أما جوبتر اللاتيني فكان في البدء إله النور (الشمس والقمر) والظواهر الكونية مثل الرياح والمطر والرعد والعواصف والبرق ولهذا كان دوره مهماً جداً للسكان العاملين بالزراعة .

اشتقاق اسمه : يرى بعض الباحثين أن اسمه مشتق من اللغة الآرية وأن جذره هو (ديوس باتر Dius Pater) أو (ديس بيتر Dies Pter) ، ونجد ذلك بالسنسكرتية أيضاً . على اعتبار أن (باتر) هو الأب وهو جذر كلمة (father) ويمكن العثور على جذر di div والذي يشير إلى القدسية والبزوغ والضياء الكوني . وتشير قمم الجبال إلى مكانة قبل معابده لاقترابها من السماء والشمس . ونحن نرى أنه يمكن العثور على جذر أب من (يوب) أما كلمة أله فتشير إلى الضوء أو الضياء أو (ضي) وهو ما شرحناه تفصيلياً في الإشارة إلى اشتقاق زوس من و)(8) .

لذلك نقول أن (يو) أو (دو) تعني الضوء حتى في اللغات السامية والسومرية التي نرى أنها مصدر التسمية ، فـ(دوباتر) أو (أوباتر) هي الأب الضوء أو إله الضوء والمقصود به البرق وضوء السماء وهو ما يعنيه معنى زوس (الضوء) المشتق من الإله (زو) السومري البابلي . وقد تعززت صفات جوبتر الرعدية والبرقية من خلال تأثره بالإله (تينا) الإتروسكي . وكان الرومان يرون في جوبتر إلهاً حافظاً لعريشة العنب مقرنين إياه بـ (ليبر) كتقليد لـ (زوس اليوناني) إلهاً مدافعاً عن كرم الضيافة ، وعن الأخلا

والحياة العائلية ، وتقول الأسطورة أن ملك (تاركوينا) الاتروسكي الأصل جهّز لجوبتر فوق هضبة الكابيتول معبداً ، وبهذا أصبح جوبتر يعتبر حافظ المدينة ، ثم تحول في وقت لاحق إلى حام أعلى لكل الدولة وإله وطني للشعب الروماني(9) .

كانت وظيفة جوبتر الاتروسكاني تسمى (تينيا) ، هي تنبيه البشر ، وفي حالات أخرى معاقبتهم ، ولهذا كان يمتلك ثلاث صواعق ، بإمكانه قذف الأولى للتحذير عنما تسمى الحاجة ، إلاّ إنه عندما يريد قذف الصاعقة الثانية التي هي بمثابة إنذار أولي ، عليه أن يحصل على إذن من الآلهة الاثني عشر ، أما الصاعقة الثالثة التي تعاقب ، فلا يمكن إطلاقها إلاّ بعد موافقة الآلهة الكبرى أو الإلهة المخفية ويمكن مقارنة هذا الجوبتر الأولي بـ(سمانوس) وهو إله عاصفة اتروسكاني آخر كان يشرف على السماء الليلية(10) .

وقد مّر بتطورات كثيرة من كونه إله العرافة إلى الإله الزراعي إلى الإله الحامي لروما إلى إله الدولة الكبير إلى الإله المحارب إلى حارس الأفلاك إلى حارس قوة الأمبراطور كما كان يطلق عليه لقب (الخباز) عندما نصح الروما ، بعد حصار الكابيتول ، بأن يرمو خبزاً من فوق الأسوار ليري الأعداء بأنهم لا يخافون من الجوع(11) .

وظائفه وأسماؤه : رأى بعض العلماء القدماء أن جوبتر هو إسم إله آري (هندو أوري) قديم وعام . وقد استخدم اسمه بصفة مجازية ، مجرد فكرة تشير إلى السماء Sub-Jove ولا تعني شيئاً سوى تحت السماء المكشوفة Sub jave frigido أي في الهواء البارد .

ومن أسمائه الأولى :

1 . Jove الذي ربما يعني الهواء الأعالي أو المرح .

2 . جوبتر لوسيتسي J.Luvetius إله الضوء .

3 . جوبتر فولميناتور J.Volmentator إله البرق .

4 . جوبتر فيناليا J.Vinalia إله العرائش (الكروم) .

5 . أير :Aer وهو الإسم الذي كان الإغريق يسمون جوبتر به والذي هو الريح والسحب والرطوبة والبرد وهو الهواء ولذلك كان يبث الحياة في جميع البشر والمدن والحيوانات(12) .

6 . جوبتر تونيتريالوس : إله الرعد .

7 . جوبتر إليكيوس :J.Elicius إله الأمطار الشديدة .

8 . جوبتر ليبر :J.Libre إله القوة الخالقة .

9 . جوبتر دابالس :J.Dapalis إله البذار والحراثة

10 . جوبتر تيرمينس :J.Termenis إله الحدود الحجرية للحقول .

كانت الصفات والأسماء السابقة زراعية ريفية فقدها جوبتر عندما أصبح الإله الأكبر للمدينة والدولة وأصبحت له ألقاب جديدة :

11 . جوبتر ماكسيموس :J.Mazimus إله العظمة .

12 . جوبتر ستيتور :J.stator الصامد .

13 . جوبتر فريتيرس:J.Feretrius الضارب

14 . جوبتر فيكتور :J.Victor المنتصر

ثم أضيفت له ألقاب الفضائل والعدالة والإيمان والشرف .

15 . جوبتر أوبتيمس ماكسيمس Maximus: J.Optimus الطيب

16 . جوبتر كونسرفيتور أوربس J.Convervator Orbis

17 . جوبتر أوغسطورم J.Augustorum

18 . جوبتر بروبوغناتور : J.Propugnater

19 . جوبتر بستور :Pistor الخباز حين نصح أهل روما المحاصرين في العاصمة من قبل جالوس بأن يرموا خبزهم وراء الأنوار لكي يبينو للأعداء أنهم لا يخافون الجوع .

20 . جوبتر دابوليس J.Dapolis .

21 . جوبتر الأكبر J.Capitolinos .

22 . جوبتر أولمبوس J.Olompos .

اساطيره وتاريخ عبادته:

ربما كانت أسطورة جوبتر الروماني القديم الزراعي الملامح لها علاقة بالمطر والشمس والطبيعة وله علاقة بزراعة الكروم والكرم والضيافة ، ولكن الأسطورة التي ظهرت من تطابقه مع (زوس) الإغريقي غطت على أساطيره القديمة وهكذا ظهرت نسخة من أسطورة زوس التي ألحنا لها والتي شرحناها مفصلاً في كتابنا عن المعتقدات الإغريقية(13) .

ويمثل جوبتر وحدة الدولة الرومانية القوية وقائد جيوشها نحو النصر وحامي قانونها . وفي أتساع الإمبراطورية عندما لمعت أسماء آلهة أخرى بجانبه مثل (آمون) المصري لم تؤثر على مركزه وقوته في العصر الملكي : كان جوبتر إله الكروم والعرائش ولذلك كان يحتفل بعيده أيام ظهور الأعناب في شهر نيسان ، وكانت الوظائف التي نسبت إليه ، في الغالب ، محلية ويظهر لنا متملكاً لقليل من الأمور التي من شأنها شحذ الأفكار والتخيل إن لم يكن غير متملك لأي شيء . ولم يصبح كذلك إلاّ في عصر قادم عندما أصبحت عبادته وصار إرضاؤه الأمر الرئيسي في الدين(14) .

ويبدو أن جوبتر كان إله فأل وعرافة عندما ظهر رومولوس ، قبل تأسيس روما ، فحين حلت الهزيمة برومولوس أمام السابيين نصح جوبتر رومولوس بفأل قادمة إلى الانتصار وبناء روما ، وكنتيجة لهذا العمل حصل الإله جوبتر على اسم المنقذ وشيّد رومولوس معبده على الكابيتول(15) .

ومع تتويج نوما بومبيليوس بعد وفاة رومولوس ظهر العرافون (كهنة الفأل) . الذين أصبحوا يكرسون الملك الروماني باسم جوبتر وهو ما يؤشر المراحل الأولى من نشوء طقس الدولة أو المملكة الرومانية .

وقد شيّد لجوبتر معبد آخر على جبل تاربيان (تارب) في حدود عام 509 ق .م وفاءً لنذر قطعة الملك تراكونيوس برسكوس منذ روما الخامس بعد مئتي سنة من الحروب م الفولسكي وبعد وفاة الملك بسبعين سنة .

في العصر الجمهوري : حصل جوبتر على لقب حامي روما بعد محاولة العبيد حرق روما ومعبده في الكابيتول . وازدادت مكانة روما وجوبتر وظهرت استعراضات النصر لجوبتر في النصف الأول من العصر الجمهوري .

أما في النصف الثاني منه فقد انفصلت الشرائع الرومانية عن الدين وقامت الرواقية بالترويج للعقل ونقد الدين ورغم أنهم جعلوا من جوبتر رمزاً للوحدانية إلاّ أن مكانته ضعفت أمام ظهور الآلهة الجديدة .

في هذه المرحلة قام الاتروكسيون بمطابقة جوبتر مع إلههم المشهور تينيا وبعدها بقليل قام الإغريق والرومان بمطابقة زوس مع جوبتر ، وبذلك دبت دماء جديدة انعشت جوبتر ، وقد حصل هذا التطابق وتكرس في الفترة ما بين (30-175)ق .م وهو العصر الأخير من الجمهورية تحديداً عندما أصدر مجلس السناتو قراراً بدخول الألعاب الأولمبية إلى روما وأن يتم إرضاء الإله جوبتر بالضحايا والقرابين والدعاء لمدة عشرة أيام .

ويبدو أن تقديم الضحايا شمل الحيوانات كاملة النمو ومحاصيل السنة الزراعية وكان لا بد من

تقديم الخمور واللحم المقلي وغيرها . والحقيقة أن هذه الألعاب الأولمبية كانت تقام لزوس الإغريقي وبهذا بدأت مطابقة جوبتر (بل وكل الآلهة الرومانية) مع الآلهة الأغريقية وهو ما شوّه وغيرّ وظائف وأساطير أنساب الآلهة الرومانية العريقة .

ولكن هذا الإجراء أنعش من ناحية أخرى هذه الآلهة ، ولو لفترة وجيزة ، وارتفعت مكانة جوبتر بقوة وأصبح مركز طقس الدولة الرئيسي لكن هذا كان يبعده شيئاً فشيئاً عن الجماهير المتعطشة لفكرة الخلاص الروحي ، وهنا تأتي المفارقة حيث أن جوبتر بعد مطابقته بزوس أصبح إلهاً داعراً شهوانياً يضاجع الإلهات القديمات والجديدات والنساء ويركض بخفّة وراء شهواته الحسّية وهو كان يثير الحنق والسخرية عند الناس ورغم ما كان يحاوله أدباء وشعراء الرومان ، في هذه الفترة ، من رفع مكانة جوبتر إلاّ أنه كان يزداد انحطاطاً .

ورغم أن البانثيون الروماني الاثني عشري تشكل من أرومة أتروسكية- لاتينية لكن إطاره وأساطيره كانت تجري في أنهار إغريقية قديمة ومع دخول التفاصيل الإغريقية تزايد عدد الأرباب الرومانية وتمّ تدريجياً انتزاع وظائف جوبتر وإحالتها لآلهة آخرين (وكان الرومان يتوقون إلى الحقيقة والثواب الأبدي ولا يهمهم مطلقاً إن كانوا قد يذنبون في طريقهم إليهما ولا يهتمون إن كان الإله جوف (جوبتر) يرسل عليهم صواعق نتيجة غضبه عليهم . فها قد أصبح الإله جوبتر هنا لا يشخص فكرة ولا قيمة كبيرة لرغباته وتأتي إرادته ثانوية(16) .

ولا بد من التنويه أن أسطورة زوس منذ ولادته وحتى شيخوخته عند الإغريق قد أصبحت تروى بمسميات رومانية في هذه المرحلة وبذلك صرنا أمام جوبتر جديد بعيد عن جوبتر اللاتيني أوتينا الإتروسكي .

والأسطورة الجديدة التي وضعت لجوبتر هي ولادته كإبن أصغر لساتورن بعد أن كان هذا قد أطلع على نبأ نهايته على يد أحد أبنائه فما كان منه إلاّ ابتلاعهم جميعاً حتى قامت (يونو) بتخليصهم بعد أن قذف بهم من بطنه وقام جوبتر بأسر ساتورن فألقى به في ظلام تارتاروس وانفرد هو بحكم العالم ، وكانت هذه بداية العصر الفضي ونهاية العصر الذهبي للعالم ، ثم تبدأ أساطيره الكثيرة مع الإلهات والنساء البشريات والتي تنصح بالعودة إليها من أصلها الإغريقي مع ملاحظة الأسماء الرومانية الجديدة لها ، وهو ما كرّسه أوفيد في كتابه (مسخ الكائنات) .

في العصر الامبراطوري : استولى الأباطرة على صفات جوبتر وكادوا يحلّون بدائل عنه ، وبذلك تضاءلت مكانة جوبتر ، وتعرض جوبتر للاستهزاء والاستخفاف وخرق قدسيته ، ويخبرنا أوفيد بأن جوبتر مثل البشر يخضع إلى الرشوة ويرغب فيها :

(إن الرشوة ، صدقني ، تشتري كلاً من الأرباب والبشر ، فالإله جوبتر ترضيه نذور العطايا)(17) .

وتستمر انتكاسة جوبتر مع دخول الآلهة الشرقية إلى روما فرغم المحاولة البائسة لمطابقة جوبتر مع بعل السوري إلاّ أن هذا كان يميل إلى إله الشمس الروماني (سول) ولذلك تمّ نحت جوبتر تلفيقي هو جوبتر سولياتاريس J.Solutaris ولا شك أن جوبتر سيتوارى أمام الإله مثرا إله الشمس الفارسي .

وتميز القرنين الثالث والرابع بالتحول الملحوظ إلى المسيحية ، فعندما يتكلم أو سونيوس (Ausonius) (310-365) عن جوبتر فإنه قصد نجمة المشتري (خامس الكواكب السيارة في البعد عن الشمس) في الكون الذي خلقه ويديره الله (18) .

رموزه : النسر (رسول جوبتر) ، البرق (صولجان جوبتر) .

عيده : الألعاب اللودية السنوية (Ludi romani) المقابلة للألعاب الأولمبية الإغريقية ، وكان التاركوين القدماء قد وضعوها وتتألف من مسابقات رياضية وخاصة سباق العربات .

معبده : معبد الكابيتول ويعبد مع يونو ومنيرفا في ثالوث يدعى الثالوث الكابيتولي على جبل الكابتيول وهنا حمل جوبتر اسم (جوبتر الأعظم ، ثم ارتبطت به يونو ، ثم منيرفا ، وأصبح ثالوثاً .

كانت تقدم الأغنام البيضاء كأضاحٍ له وله معبد في بعلبك مع باخوس (شكل 64) .

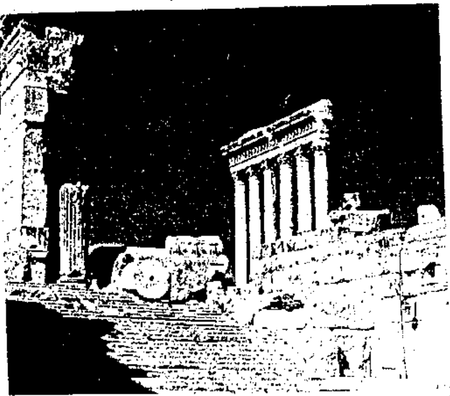


شكل (62) رصيعة النسر

رمز الإمبراطورية الرومانية ورمز جوبتر (الفن الروماني - ثروت عكاشة ص 269).



شكل (63) جويتر تينا وجونو سويرا الأصل التوسكاني برونز في متحف اللوفر



شكل (64) معبد جوبتر وباخوس في بعلبك



شكل (65) جوبيتر كبير آلهة الرومان

4. جونو Juno

أصلها : نرى أن أصل جونو (يونو) كان من الأرواح الحامية للمرأة التي تسمى (يونا) حيث لكل امرأة (يونا) خاصة بها ، ثم أصبحت الروح أو الجنية (يونا) إحدى إلهات الأسرة . ثم رفعت إلى مستوى إلهة من إلهات الدولة عندما أصبحت زوجة جوبتر .

ولا شك أنها إحدى الإلهات الإيطاليات الأصيلات فقد وجدت عند السابنيين والأوسكانيين واللاتين والأومبريانيين والأتروسكان ، هناك ما يشير إلى أصلها أيضاً في كونها الرمز الانثوي للضياء الكوني فلقبها القديم Lucetia و Lucina يدل على ذلك في مقابل الرمز الذكري للضوء الذي يمثله جوبيتر ، ولذلك نستطيع القول أنها تمثل (النور) الانثوي الصادر عن القمر ولذلك فهي إلهة القمر ، في حيث يمثل زوجها جوبتر (الضوء) الذكري الصادر عن الشمس .

وهناك من يرى أن أصلها أتروسكي وكانت تسمى يوني Uni .

اشتقاق اسمها : يوحي لنا الاسم القديم لها (يونانا) بمقاربة تبدو غريبة ، فمقطع (يو) يعني الضوء وقد يعني إله أو إلهة أما (نانا) فهو إله القمر عند السومريين ، وهكذا نرى أن أصل يونو مأخوذ من اسم

إله القمر السومري (نانا) وهو ما يفسر كونها إلهة للقمر وبذلك يكون معنى أسمها الكامل (ضوء القمر) أو (نور القمر) وهو ما يطابق حقيقتها الرومانية ووظائفها :

أ) الوظائف الضوئية والطقسية :

1 . Lucetia و Lucina إلهة النور(العنصر الانثوي للضياء السماوي)

ب) الوظائف الانثوية (رمز ليونو بالحرف J)

1 . الإلهة الأم : ما تروناليس وإلهة الأمومة J. Lucina

2 . الإله العذراء : فيرجيرناس J. Verginalis

3 . إلهة الزواج : غاليس J. galis

J.pronub راعية الزواج التي تراقب تحضيرات الزواج

J.Domiduca : التي توصل العروس إلى بيت زوجها .

J.Nuxia : التي تضمخ الأبواب بالعطر

J.Cinxia : التي تحل عقدة حزام العروس

4 . إلهة الولادة

J.Lucina : التي تحمي الزوجة الحامل

J.Ossipago : التي تقوي عظام المولود

J.Rumina : التي تضخ حليب الأم في جسدها

J.Sospita : المسؤولة عن توليد الطفل (وهي التي تدعو لها الأم قبل الولادة) .

J.Martialis : إلهة الخصوبة والولادة

ج) الوظائف السياسية :

1. J.populonia : المسؤولة عن تكاثر الشعب الروماني

2. J.Caprotina : حامية ومخصبة الشعب الروماني

3. J.Moneta : محذرة الشعب (ناصحة الشعب الروماني ، وحامية خزائن الدولة إلهة النقود)

4 . J.Sospita : مساعدة الشعب .

أسطورتها : لها أساطير كثيرة منها ما هو روماني أصيل ومنها ما هو إغريقي الأصل بعد أن توحدت بـ (هيرا) زوجة زوس ، والحقيقية أنها أقل أهمية من هير وأكثر إنسانية منها .

ومن أساطيرها الرومانية تلك المرتبطة باسمها J . Coprotina حيث تروي غزو القبائل المجاورة لمدينة روما بقيادة بوستيموس ليفيس الذي طالب روما بتسليم جميع النسوة والفتيات ، فأرسل الرومان لهم النساء الإماء متنكرات كنسوة حرائر ، ثم قمن باعطاء إشارة من أعلى شجرة التين (Caprificus) عندما كان الأعداء نائمين فأسرع الرومان وقتلوهم ، وتم تحرير الإماء وخلد عملهن البطولي بذكرى سنوية تقام في 7 يوليو عرف باسم (عيد التين) .

واسطورة الإوزات اللائي حذرن الرومان من غزو الغاليين وكانت الأوزة طيريونو .

أما أساطيرها الإغريقية المنشأ فكثيرة جداً ونفضل العودة إلى كتابنا عن المعتقدات الإغريقية وتتبع أساطير هيرا نظيرتها اليونانية وكان أغلبها يدور حول غيرة هيرا (يونو) من الإلهات والحوريات والنساء البشريات على زوجها (زوس ، جوبتر) .



شكل (66) جونو قرينة جوبتر

وقد عدّت جونو (جونون) المسؤولة عن الثروة عند اقتسام الآلهة للعالم ، وأصبحت وظيفتها حماية المبادلات التجارية وسموها (مونيتا) وكان الرومان يقيمون لها معبداً حيث يسكون نقودهم منذ القرن الثالث ق .م .

لكننا ونحن نفحص أساطير جوبتر ويونو نصل إلى استنتاج غريب وهو أن يونو لا تنجب من جوبتر إلهاً مهماً رغم أنها زوجته الرسمية أما نسب مارس لجوبتر فمشكوك فيه إذ أن يونو تنجبه من شمّ زهرة ربيعية لا من الاتصال بجوبتر .

أما نسب فولكان لهما فغير موجود مطلقاً في الأساطير الرومانية القديمة وهو نسب يعتمد على علاقة زوس بهيرا نظيرهما الأغريقيين وكذلك نسب جومانتيس وجانيدوس (الشباب والشراب) فهو من المؤثرات الإغريقية وهما إلهان ثانويان .

وهذا يعني أن صلة جوبتر بيونا صلة ضعيفة أصلاً رغم أن مثولوجيا أوفيد تضج بها على خلفية يونانية لا رومانية .

رموزها :

1 . الصولجان الذهبي Patera

2 . الصاعقة

3 . الأوزة

4 . الحمار

5 . الطاووس

عيدها : العيد الرئيس لـ J.Lucina في الأول من آذار .

عيد التين J.Capritina في 7 /تموز .

معبدها : كان لها معبدان في روما ، وتشترك مع جوبتر ومنيرفا في معبد الكابتول .

ولها معبد في لافنيوم تحرسه أفعى ويقدم لها الكعك كل سنة من فتاة عذراء فإذا قبل فسيكون دليلاً على عذرية الفتاة ورخاء السنة ، أما إذا رفض فيكون نذير شؤم لسنة مجدبة .

أقيم هيكل لجونو لوسينا على الإسكولين عام 735 ق .م أي بعد بضع سنوات من تشييد روما . وكان لقب جونو في الهيكل الكابيتوليني الثلاثي الذي شيده التاركوين هو ريجينا . وهناك كانت

تحمل الصولجان وآنية النذور والصاعقة ، ثم قامت بدور الزوجة العظمى لجوبتر وحامية الشعب الروماني . وانتشرت عبادتها في جميع أنحاء الإمبراطورية(19) .

5. فستا Vesta

أصلها : إلهة النار والموقد عند الرومان

اشتق اسمها (مثل اسم هسيتا Histia مقابلتها الإغريقية) من الجذر السنكريتي Vas والذي يعبر عن الضياء ، وجعل اللاتينيون من فستا إلهة تجسد الأرض والنار بينما أبقى الرومان على القسم الثاني فقط من هذا التجسيد ، فلم تكن فستا إلهة للنار بمعناها العام فقط بل أيضاً للنار المستخدمة في العمليات المنزلية أو الطقوس الدينية(20) .

لكننا نرى أن اشتقاق اسم فستا وأصلها له علاقة بالجذر السامي (أس) و (أست) الذي يدل على الضوء أو النار السماوية بصيغتها المؤنثة ، ولذلك نرى أن أصل فستا البعيد جداً هو بابلي وربما نقله الأموريون والكنعانيون إلى الإغريق والرومان .

وظائفها :

1 . أم الوظائف المنزلية : في البداية كانت فستا إحدى أهم الأرواح التي كانت تعبدها الأسرة وكانت تحتل مكانة بارزة في المنزل مع اللارات والبينات . وكان استمرار ايقاد الموقد من أهم وظائفها ، فهي نار المنزل وهي المسؤولة بطبيعة الحال عن تحضير الطعام والشراب للعائلة .

2 . المسؤولة عن إعداد الوجبات العامة مع جوبتر دابالس J.Dapalis وكان يهدى لها أول طعام وشراب .

3 . الأمومة : رغم أنها عذراء لكنها ارتبطت بالأمومة المثالية بسبب ديمومة النار ، وقد تجسد هذا في ارتباطها بالإله (يانوس) الذي كان بمثابة الأب وكانت تسمى Tellus Mater .

4 . راعية الحقول المبذور : بسبب طبيعتها الأمومية والخصبية .

أسطورتها :

يروى أن روميلوس وروموس ولدا من ريّا سيلفيا الكاهنة الفستالية وإن بومبيلوس الملك الثاني لروما أسس معبدها في أسفل البلاتين على شكل كوخ مستدير محاط بالقصب والآجر ، ولعل أصل عبادتها يعود إلى تقديس النار عند البدائيين وإلى المراحل الأولى التي كان يعهد فيها للفتيات بأن يعتنين بها(21) .

أما أساطيرها الإغريقية الأصل المنبعثة من (هسيتا) فقليلة أصلاً ونرجو مراجعتها في المرجع المذكور .

رموزها : النار المقدسة

معبدها : أول معابدها هو الكوخ المستدير الذي بناه بومبيلوس الثاني الذي تهدم وأعيد بناؤه عدة مرات . وقد بنى معبدها الحالي زوجة الامبراطور سبتيموس سيفيروس وبقيت نارها مشتعلة حتى عام 393م وكان تجدد في الأول من آذار . وكانت كاهناتها هن الفيستالات أو الفيستات (راجع مبحث الكهنة في الفصل الثاني)(شكل 67) .

صورها : أشهر صورها هي فستا جوستنيان في روما وقد مُثّلت على هيئة امرأة عابسة مغطاة الرأس مرتدية ألبسة سابغة تضع يدها اليمنى على خصرها وتحمل في اليسرى صولجاناً .

وظهرت صورها على العملة النقدية وهي تقليد للفن الإغريقي وترتدي الخمار دائماً على رأسها ..



شكل (67) عذراء فيستا

6. مارس Mars

أصله: أصله من إله الحرب السابيلي (مامرس) وكان إله زراعة ثم أصبح إله حرب وبذلك أتفق مع حالة مواطني روما المتعاقبين الذين كانوا مزارعين أصلاً ومن ثمّ فاتحين. وقد جعلوا منه الأب الحقيقي لرومولوس وريمس اللذين أسسا روما.

اشتقاق أسمه: بعضهم رأى أنه من (مار Mar) أو (ماس Mas) اللتين تعبران عن (القوة الخالقة) أو من (مار) بمعنى يضيء أو يشرق وهو ما يشير إلى أصله الشمسي، وأول صيغ اسمه كانت (ماريوس Marus) (مارفوس Marvos) (التي اختصرت إلى الشكل المعتاد مارس، وظهرت صيغ أخرى بإضافة كلمة باتر (أب) مثل Marspater , Maspater (22).

ولكننا نرى، أيضاً، أن مارس مشتق من إسم الإله الأموري (مار) أو (مر) وهو الإله القومي للأموريين الذي كان إلهاً للسماء في بداية الأمر ثم أصبح (مارتو) إله الطقس والحرب والدمار عندهم (23).

ونلاحظ أن اسم (مار) الذي يعني أيضاً الإبن والعجل (في الأمورية) قريب جداً من (مارس) حيث تضاف (س) للتعريف. كما أنه يحمل صفات شمسية صحراوية، ونرى أن الأموريين نقلوه إلى الإغريق والرومان.

وظائفه:

1. الإله الحامي للزراعة والرعي
2. إله الربيع والإخصاب.
3. إله القطعان Silvanus
4. إله الذرة Robigus
5. إله نمو الأشجار M.Gradirus

(1–5) قديماً وله عيد زراعي في الأول من آذار

6. إله الحرب حيث كان يوصف في زحفة كمارس غراديفس لارتباط الفعل gradi بالزحف والسير ثم بعد النصر يرافق فيتولا Vitula و إلهة النصر Victoria.

أسطورته:

يعتقد اللاتينيون أن مارس هو ابن (يونو) ليس عن طريق جوبتر زوجها بل عن طريق اتحاد غامض مع زهرة رائعة الجمال، ويبدو أن هذا الرأي كان سائداً قبل اتحاده بأريس إله الحرب الإغريقي وابن زوس. ويناسب هذا الأصل طبيعته الزراعية وقد ارتبطت قدسيته ببعض النباتات مثل الذرة والتين والبلوط والغار والفاصولياء وببعض الحيوانات مثل نقار الخشب والحصان والذئب.

ولعل أهم أساطيره القديمة هو علاقته بالفستالية ريا سلفيا حفيدة إينياس حيث رآها شبه عارية على ساحل البحر فضاجعها وتزوجها فأنجبت له (رمولوس) (وريمس) اللذين اختفيا عند أحد الرعاة وضعتهما الذئبة لوبا.

ثم اكتسب الصفات الحربية حيث تقدم له القرابين قبل أية معركة ويظهر في المعركة ومعه إلهات الحرب بيلونا زوجته فيما بعد، فاكونا، بافور، وبالور إلهتا الحرب، هونوس وفيرتوس اللذان يرسخان الشجاعة والشرف الروماني (24).

عبده الأمبرويون والأبتوريون وربطه السابينيون بالإله نيرو Nerio وعبده الأسوكان واللاتين وشيدت له معابد كثيرة.

أما أساطيره بعد اندماجه بالإله الإغريقي إريس فقد انسحبت من المثولوجيا الإغريقية إلى الرومانية بوضوح ويمكن مراجعتها في مراجعها الإغريقية لقد فسر بعض العلماء المحدثين للأساطير هذا الإزدواج (الزراعي- الحربي) في شخصية مارس بين ربيع النبات وألوهية الحرب بأن الربيع هو الفصل الذي تستيقظ فيه جميع القوى من زراعية وتجارية وحربية، ومنه يحمل الجنود أسلحتهم بعد أن قضوا شتائهم بعيدين عنها(25).

ونرى أن هذا الرأي خاطئ لأن تفسير ذلك أن الجذور الزراعية الرومانية للإله مارس كانت قديمة ثم أضيفت له الصفات الحربية عندما أصبح الإله القومي الأول لروما المحاربة والدولة الملكية والجمهوريّة ولكن صفاته الزراعية لم تختف بل أصبحت تحت طبقة الصفات الحربية. وينسحب هذا على أغلب آلهة الدولة الرومانية.

وتكونت طبقة ثالثة لشخصية مارس هي الطبقة الإغريقية التي نسخ فيها صفات أريس الإغريقي فأصبحت يونا أمه وأبوه جوبتير وتكونت له علاقة حب مارقة مع فينوس وأنجب منها آلهة الحب (كيوبيد وزمرته وهكذا).

رموزه :

1 . الذئب

2 . المعول

أعياده : كان عيده الرئيس في بداية آذار (مراس) وهو عيد زراعي .

معبده : عبد على الكابيتول مع جوبتر وكيرينوس قبل أن يتكون الثالوث الكابيتولي الثاني المؤلف من جوبتر ويونو ومنيرفا . وفي روما أيضاً كان يعبد على أنه مارس وكويرينس وكان لديه ضريح على تل بلاتين في روما حيث كانت هناك رماح الإله المقدسة والاثنى عشر درعاً (الانجيليا Ancillia) التي كانت أدوات طقوس عبادته(26) .

كهنته هم السالي salii أو الساليون الذين كانوا يمارسون الرقص والقفز وقرع التروس وكانت موجهة بالأساس نحو حماية نمو النباتات وهو ما يذكرنا بأصله الزراعي القديم .

وكان مارس يظهر في أناشيد الأرفال Arvales وهن طائفة من الراهبات كانت مسؤولة عن عبادة (دي ديا Dea Dia) وهي إلهة ريفية ترتبط بشكل وثيق بكيريس(27) .

لقد خصصت لمارس أماكن عبادة عديدة في روما منها المعبد الذي أقامه أغسطس باسم (مارس المنتقم) وقد وضعت حراب في مركز روما تنسب إليه ويدل اهتزازها على دنو الحرب ، وكان قادة الجيوش يحركون هذه الحراب قبل ان يسيروا على رأس جيوشهم قائلين (استيقظ يا مارس)(28) .

صوره : أغلب صورة تمثله كما صوره الإغريق شكل (68، 69) .



شكل (68) مارس على وجه العملة الرومانية



شكل (69) مارس تمثال من المرمر

زوجته : هي بلّونا Bellona وتوصف كأخت وكابنة وكمرضعة له أحياناً وهي من أصل سابيني ، وكانت ترافقه في الحرب وتقود عربته وتضع الخوذة على رأسها وتحمل الرمح بيدها . بنى لها الرومان معبداً على الكابيتول احترق عام 48 ق .م وقد اتحدت بيلونا بالإلهة اليونانية إينيو(29) .

وكان معبدها الشهير هذا قرب كارمنيتا وهو مكان الستاتو وكان أمامه (عمود الحرب) الذي رماه فيتالس برمحه عندما أعلنت الحرب ، وكان لبلّونا كهنة يتم اختيارهم من المجالدين (30) .

7. فولكان Vulcan

أصله : كان أسمه القديم فولكانوس Vulcanus وقد سبق جوبتر ومارس في الظهور ، وكان أول رعاة إنشاء روما . وقد ارتبط قديماً بآلهة الأرض (يونو ، مايا ، فستا) ولم يرتبط مطلقاً بفينوس التي كان دورها هامشياً في الميثولوجيا الرومانية القديمة(31) .

وأكثر ما يعرف عنه قديماً هو أنه كان إلهاً لنهر التيبر حيث كان اسم Volturnus أحد الأسماء المقدسة للنهر ، وفي السابع عشر من آب (أغسطس) يقام احتفال الـ(بورتوناليا Portunalia) والذي كان مخصصاً لنهر التيبر ؛ ومن المحتمل أنه في الأزمنة القديمة كانت تقدم أضحيات بشرية لـ (فولكان) (32) .

اشتقاق أسمه : لا نعرف بالضبط كيف اشتق اسم فولكان وفق المرجعيات العلمية ، ولكننا سنطرح رأياً يبدو في غرابته أقرب إلى المستحيل أو إلى الشطح ، وسنعتمد في ذلك على بعض القرائن اللغوية القديمة .

نرى أن الإسم القديم لفولكان هو بورتون portun فقد كان إله نهر التيبر قياساً على احتفال البورتيناليا الذي ذكرناه . ونرى أن اسم التيبر والبورتون مشتق من اسم الفرات القديم بالسومرية (ابزيتانو) وتظهر في كتابة اسم الفرات علامة بار السومرية [علامة] التي تدل على الشمس وهذا ما يفسر علاقة فولكان بالشمس واعتباره إلهاً شمسياً قديماً عند الأتروسك والرومان .

هذا من ناحية أما الناحية الأخرى والأهم فهو أن (تيبر) الذي هو اسم فولكان القديم كما هو اسم نهر روما القديم مشتق من إله سومري شمسي هو تيبال أوتابيرا وهو إله المعادن الذي ظهر في مدينة بادتيبرا السومرية . ونرى جازمين أن العلاقة التي أقيمت بين الإله فولكان الذي له عدة وجوه زراعية وشمسية ومعدنية كانت من تلك الجذور الرافدينية العراقية القديمة التي لا شك أنها تعبر عن هجرة عابرة من هجرات السومريين أو الأموريين إلى حوض البحر المتوسط وجنوب أوروبا .

وظائفه :

1 . إله نهر التيبر .
2 . إله المعادن حيث طوبق مع الإله الإغريقي هيفايستوس
3 . إله الصواعق
4 . إله الشمس
5 . إله النار
6 . إله المواقد الذي يغذي الحياة ويمنح الدفء .
7 . إله الحرب قبل مارس .

أسطورته :

يشوب الغموض أساطير فولكانوس القديمة ويعتقد أن أصله أتروسكي وقد كانت أساطيره الأولى عن نهر التيبر ثم أصبح إله الصواعق ودارت حوله أساطير تشبه أساطير جوبتر ثم أصبح إله الشمس ثم اصبح إله النار .

ويبدو أن اساطيره المائية تُقرنه بثلاثة من الإلهات الرومانيات القديمات هن يونو وماجستيا (مايا الإغريقية فيما بعد) وفستا وكن من إلهات الأرض دلالة على ارتباط النهر بالأرض .

ومن الأساطير النارية لفولكان هي أسطورة ولده (كاكوس Cacus) أو كويكيلس Caeculus) حيث كانت إحدى عذراوات منطقة قريبة من (بارينيست) جالسة قرب النار عندما سقطت عليها شرارة من النار وبعد شهور أنجبت ولداً تركته في الغابة حيث وجدته مجموعة فتيات وقربه نار متوقدة واعتبر لهذا السبب إبناً لـ(فولكان) ونظراً لصغر عينيه فقد سمي كويكليس ، وعندما كبر بنى مدينة بارينيست وأقيمت احتفالات بهذه المناسبة ولكن بعض الحاضرين شككوا في أصله لذا استشار والده فولكان وفجأة كان الجمع بأكمله محاصراً بالنار(33) .

وكان الملك سيفريوس تاليّوس ينسب نفسه إلى فلوكان وقد يتطابق كاتونيس وقد توّحد أو دمج الإله بورتونس Portunus مع إله النهر تيبرونوس (إله التيبر) وهكذا نجد ثلاثة آلهة مندمجة في إله واحد اشتهر باسم فولكان .

وكان بورتونس أحد آلهة روما القدماء وعرف بحمايته للأبواب ومفاتيحها والطرق وعنابر القمح ثم أصبح يحمي المرافئ ولا سيما ميناء روما.وعلى التيبر وكان الرومان يعتبرونه مثل باليمون عند اليونان ، كما وحّدوا أمه مارماتوتا مع لوكثيا أم باليمون وله عيد في 17 آب وله بعض المعابد بالقرب من ميناء روما ، وكان يمثل عادة كرجل بيده مفتاح(34) .

ومن أساطير فولكان اللاتينية أن جبل إتينا (Etna) هو مقر فولكان وفيه يصنع صواعق جوبتر وأسلحة الأبطال بمساعدة المردة السيكلوبات (ذوي العين الواحدة) . وإيتنا هو البركان الشهير الموجود في صقيلة والمطلّ على مدينة كاتان وقد سمي كذلك بإسم الحورية (إيتنا) بنت أورانوس وغايا (إلها السماء والأرض) .

وفي الأساطير أن فولكان تزوج من إيتنا وأنجبا توأما هما (الباليكيان) نسبة إلى منطقة (باليكيا) ، الصقلية ، حيث دفنا في باطن الأرض وشبّا من الأرض فلما شاهدهما الناس ينبتان من الأرض عبدوهما كآلهة من العالم الأسفل وقد أقام اليونان معبداً لهما قرب بحيرة بركانية ذات مياه كبريتيّة ساخنة كانوا يلقون فيها بألواح يكتبون عليها طلباتهم ويعتقدون ان قبولها ورفضها متعلق بطفو هذه الألواح على مياه البحيرة أوغوصها فيهما .

كان من أقدم آلهة اللاتين ويسبق حتى جوبتر نفسه ، وتحت أسم فولكانوس كان أول جوبتر لروما الذي حمى تأسيسها ، وبمظهره كجوبتر ، كوّن ثنائياً مع جونو ، وكان مرتبطاً مع مايا أيضاً ، وهي تجسيد

للأرض الأم ، وكذلك مع فيستا التي تعتبر آلهة الأرض ، ولم تكن له علاقة مع فينوس التي كانت ما تزال تقوم بدور صغير في ذلك الزمن البعيد في الميثولوجيا الرومانية (35) ولذلك تعتبر أساطيره مع فينوس هي صدى لأساطير نظيرهما الإغريقيين (هيفايستوس وأفرديت) .

رموزه :

1 . المطرقة .

2 . السندان .

3 . الملقط .

وهي رموز إغريقية خاصة بشبيهه الإغريقية هيفايستوس

عيده :

1) في 23 و 27 آب (أغسطس) ويسمى عيد الفولكاناليا Vulcanalia .

2) عيد البورتيوناليا Portunalia وهو عيد نهر التيبر الذي يعتبر فولكان إلهة في 17 آب .

3) ارتبطت عبادته بعبادة (ماجستا) (مايا الإغريقية) التي تلقب بالإلهة الطيبة . وهي حورية من بنات أطلس وبليونة ولدت من جوبتر الإله ميركوري (عطارد) وكان عيدها في الأول من مايس .

معابده :

الفولكانال : هو مذبح فولكان .

صوره : يمثله الرومان ملتحياً مع تشويه طفيف في الوجه يعبر بلا شك عن طبيعة ضعفه ويلاحظ إلى جانبه مطرقة وسنداناً وملقطاً وهي رموزه المستوردة من الإغريق وملابسه عبارة عن قبعة وسترة تكشف عن ذراعه وكتفه الأيمن(37) .

8. ميركوري Mercury

أصله : إله روماني متأخر نسبياً ظهر عند الرومان في القرن الخامس قبل الميلاد وكان إلهاً متخصصاً بتجارة الحبوب ثم أصبح إله التجارة ونقل البضائع بشكل عام . وأنشئ له معبد في روما منذ عام 495 ق.م .

اشتقاق أسمه : مشتق من جذر (ميركس Merx) بمعنى (يتاجر) و (ميركاري Mercari) بمعنى (يقايض ، يجري صفقة) وقد ظهرت الحاجة إليه متأخرة لأن المزارعين في روما لم يكونوا بحاجة إلى إله للتجارة

وهناك من يرى بأنه إله أتروسكي مشتق من اسم القبيلة الأتروسيكية Merku .

وظائفه :

1 . إله التجارة .

2 . إله الرسائل .

3 . رسول الآلهة .

4 . إله كوكب عطارد .

5 . إله اللصوص .

6 . إله الحرف اليدوية .

7 . إله الخطابة والفصاحة .

8 . إله الرياح .

9 . إله الرياضيين .

أسطورته :

تعتبره بعض الروايات ولداً للأرات الذين يحمون الطرق ، كما يعّد أباً (إيفاندر) مؤسس أحدى المدن عند سفح جبل البلاتين . وبعد الإنصهار الثقافي اليوناني والروماني اندمج ميركور بالإله الإغريقي هرمس وأخذ كل أساطيره وأدواره ، وقد أدخله الروائي الروماني بلوتس في مسرحيته (أمفتيريون) وصوّره رسولاً للغرام عند زوس(36) .

لم تكن له أهمية كبيرة في حياة الرومان القدماء وكان يعد أحد الآلهة التي ترعى شؤون التجار مثل آلهة قليلة الشأن مثله وهي (بيكونيا ، اسكلونيوس ، أرجنتينس) .

أما أساطيره الإغريقية الأصل فتعود إلى مطابقته مع هرمس وخصوصاً في اليوم الأول من ولادته وهي :

1 . سرقة قطيع أبولو .

2 . اختراع القيثارة .

3 . صنع الأحذية الجنحة (تالاريا) .

4 . إضرام النار بحك العصا مع بعضها .

5 . تحضير أول طعام من اللحم مع قطيع أبولو .

أما وظائفه كرسول فهي :

1 . إيصال أرواح الموتى لمقرهم الأخير .

2 . أخذ الآلهات الثلاث إلى محاكمة باريس .

3 . مرافقة جوبتر في زيارته بانكي وفيلمون .

4 . قتل أرجوس ذي المائة عين .

5 . تحرير آرس من سجنه الطويل .

6 . تبرئة (تطهير) دانيد .

7 . تقييد أكسوف إلى العجلة .

8 . تحذير إينوس بالإسراع إلى إيطاليا .

9 . أمر كالبسو بإبعاد أوديسون .

10 . بيع هرقل إلى أو مغال .

11 . أساطيره مع الآلهة وصولجانه وقبعته وحذائه المجنحة .

رموزه :

1 . كيس النقود

2 . الصولجان المجنح الملتف عليه ثعبانان وهو رمز هرمس الإغريقي .

3 . الأجنحة وهي رموز هرمس .

صوره : له تمثال أتروسكي بروما يصوره كفتى عارٍ ذي ابتسامة حزينة رقيقة ويعتمر قبعة وبيده اليمنى صولجان مجنّح يلتفّ عليه ثعبانان وقد صوره الرومانُ بصورة رجل يلبس رداءً فضفاضاً

وقبعةً وله حذاء مجنحٌ ، ويخرج من المعبد وفي يده اليمنى كيس نقودٍ كأنما يتأهب لدفع مكافأة الصنّاع (37) .

ويبدو أن صورة ميركوري لا تتطابق كثيراً مع ما عهدناه من صورة هرمس الهرامسة الذي يعد الشكل الباطني العميق للإله هرمس من أصوله السرّية الشرقية والخاصة به كمخلصّ هرمسي غنوصي ، فقد كانت هذه الصورة هيلنستية في إطارها العام ولم ينتبه الرومان لها ولم يجتهدوا كثيراً في تبني هذه الفكرة .

ولنا رأي خاص في أصل ميركوري فنحنُ نرى أن علاقته بالعالم الأسفل يمكن أن يفسرها أسمه وهو (مر- كور) ويعني بالأمورية أو البابلية (إله السماء- إله الأسفل) . وهذا يعني الإله الذي كان في السماء وهبط إلى العالم الأسفل وهي صورة هرمس الحقيقية في أصولها الشرقية وهو ما يشجعنا على طرح فكرة أصله الأموري البابلي قبل أي أصل آخر .

9. منيرفا Minerva

أصلها : إتروسكية كانت إلهة للعقل والعلم والحكمة والأدب والفن ، ومن المحتمل أن جذورها الأولى كانت تشير إلى أنها كانت إلهة للصواعق ظهرت في البداية في أتروريا بأسماء مثل منرفا ، منرلا ، منيروفا

اشتقاق أسمها : يرتبط اسمها بالجذر (manas) أو (mens) .

لكننا نرى أن أسمها يرتبط بالـ (رف rav) والـ(رشف) والرف هي الرفائيم أو الرفوم وهي كائنات إلهية كنعانية لها علاقة بالشفاء والطب والإخصاب ، أما رشف فهي آلهة النار عند الكنعانيين والتي لها علاقة بالطب . أما مقطع (من men) فيعني روح ، ولذلك تكون عندنا منيرفا روح الشفاء والنار ، ولذلك كانت هي إلهة الصواعق لارتباطها بالنار ثم إلهة الشفاء لأن من وظائف منيرفا الطب . ولذلك فهي إلهة كنعانية أمورية الأصل أما وظيفتها الحربية فتنطلق أيضاً من الوجد السلبي للنار .

وظائفها :

1 . إلهة الصواعق .

2 . إلهة العقل والحكمة والأدب والفن .

3 . إلهة الطب .

4 . إلهة الحرب .

5 . إلهة التجارة والصناعة والمدارس .

6 . حامية أشغال الإبرة .

أسطورتها :

أسطورتها الضائعة أتروسكية وقد دمجت مع أثينا الإغريقية لتلاقي بعض صفاتهما ولذلك تكون هي أقل الآلهة إيطالية ، قد ظهرت روحها الإيطالية وعبادتها منذ عام 241 ق .م في فاليري عندما احتل الرومان هذه المدينة وبنوا لها معبداً أسفل جبل توليوس وأسموها (منيرفا كابتا) ثم أصبحت تشكل مع جوبتر ويونو الثالوث الأعلى في روما .

كانت تقدس في جميع أنحاء الإمبراطورية وكانت تتم عبادتها بشكل خاص من قبل الحرفيين وعازفي الناي والأطباء ، أساطيرها الإغريقية جاءت لها من أثينا ولا علاقة لها بها عندما كانت أتروسكية أو رومانية .

رموزها : البومة (وهو طير أثينا)

معبدها : أهم معابدها في روما على الأفنتين

عيدها :عيد منيرفا في 19 آذار (مارس) وتقترن مع مارس في احتفال الكونيكوارتس الذي يستمر خمسة أيام في وقت الاعتدال الربيعي .

صورها : لها تماثيل أتروسكية ذات أجنحة تحمل في يدها البوم (شكل 70) أما عند الرومان فلم يعثر على تمثال خاص لها (شكل 71 ، 72 ، 73) .



شكل (70)

الأصل التوسكاني لمنيرفا

القرن السادس قبل الميلاد

شكل (71) تمثال الرخام للإلهة منيرفا القرن الثاني للميلاد / لبده العظمى - ليبيا

شكل (72) منيرفا إلهة الحكمة والفنون الرومانية



شكل (73) منيرفا على عملة نقدية

خلاصة واستنتاجات حول آلهة الدولة الرومانية:

بعد عرضنا ما تيسر من معلومات وما تمكناه من تحليلات حول آلهة الدولة الرومانية ، وهي الآلهة التي أصبحت أكبر الآلهة الرومانية في العهود الملكية والجمهورية والإمبراطورية . يمكننا وضع الاستنتاجات الآتية :

1- إن جميع هذه الآلهة ذات جذور رافدينية (سومرية/ أمورية) وأن هذا يضعنا أمام فرضية جديدة هي أن الأقوام العراقية القديمة سواء كانت سومرية أم أكدية أم أمورية أم بابلية قد هاجرت ، بطريقة أو بأخرى ، عن طريق البحر أو البر إلى إيطاليا وأنها تركت إرثا دينيا قديماً وآلهة قديمة جرى تحوير أسمائها مع الزمن ، رغم بقاء ما يدل عليها في أسمائها ووظائفها ورموزها ، ثم جرى تمثلها وهضمها في التراث الروحي لأقوام إيطالية أتروسكية أو سابينية أو أومبيرية أو لاتينية . ثم انتقلت إلى الرومان وأصبحت أساس عبادتهم الأسروية ثم الرسمية .

وقد تقودنا هذه الفرضية إلى استنتاج جديد وهو أن الإتروسك أو الإتروريين أو التوسكان الذين تعارفنا على وصفهم بالمهاجرين إلى بلاد إيطاليا من آسيا الصغرى ، على الأغلب ، هم في حقيقة الأمر أقوام رافدينية سلكت واحداً من طريقين أمّا برياً عبر آسيا الصغرى ثم إلى إيطاليا أو بحرياً عبر المتوسط وجزره وإما سلكت الطريقين معاً فتعددت مشاربها والتقت في إيطاليا .

وإنه لما يشجعنا على المضي في ترصين هذه الفرضية هو أن الأموريين خرجوا من العراق في هجرات كبيرة وقديمة لعلها الأقدم والأوسع في تاريخ الهجرات السامية وغمروا بلاد الشام ثم غمروا جزر وسواحل البحر المتوسط الأوروبية والأفريقية والآسيوية ، وسيعثر المتتبع الحاذق ، لهذه الهجرة

الواسعة وآثارها الموغلة في القدم والتي تعود إلى حوالي (200-400) ق.م ، على الكثير من الشواهد التي تدلّ على وجودهم وحضارتهم .

لقد تتبعنا في كتابنا (المعتقدات الإغريقية) الجذور الرافدينية للكثير من الآلهة الإغريقية ودحضنا فكرة أصلها الآري (الهندوأوربي) وقد قادنا ذلك إلى استنتاج مشابه حول الهجرة الأمورية المبكرة التي حملت المعتقدات والآلهة العراقية القديمة إلى أوربا وبشكل خاص إلى بلاد اليونان وإيطاليا القديمتين .

ولقد تفحصنا ملياً اسم إله الأموريين الأول وهو الإله (مر) ووجدنا أن أحد أسمائه (مارتو) ولكنه كان يسمى أيضاً ، في ماري مثلاً ، بـ (إترومير) وهو اسم لا يخرج عن الفضاء اللغوي لاسمه المعروف ويحتمل أن يكون الثور هو الرمز الأساس للإله (مارتو)(38) .

ونرى أن اسم إترومير أو إترومر قد تطور إلى أترور (حيث مر السماء تقابل إر الأرض عند الأموريين) وهذا يعني أن إترور هي التي شكلت الاسم الحقيقي للإتروريين أو اتروريا التي هي مكان سكن الإتروسكيين أو التوسكان .

ويجعلنا هذا الاستنتاج في مواجهة حل اللغز الذي طرحناه سابقاً وهو لماذا كانت أسماء أغلب الآلهة الإترورية ذات جذور عراقية قديمة .

وهكذا تتكشف لنا صفحة غامضة من صفحات التاريخ القديم حيث يظهر الإتروريون كموجة من الموجات الأمورية المهاجرة من بلاد وادي الرافدين براً و/ أو بحراً إلى إيطاليا وهي التي منحت الأقوام الإيطالية المحلية تراثها وحضاراتها القديمة .

لنتتبع ذلك على مستوى أصول الآلهة فالإله الأموري الأعظم (مر) تحول عند الإتروريين إلى (مرمر) أو (مارمار) الذي كان إله الطقس ثم الزراعة والذي تحول لاحقاً إلى الإله (مارس) .

وطير الصاعقة الذي هو إله الريح المعبر عن الإلهة الأمورية الأم (إم) والذي أسماه البابليون (زو) تحول إلى (زوس) عند الإغريق و (جوبتر) عند الإتروريين فهو (دو - أب) الذي صار (يوبتر) وهو الإله (تينا ، تنّا) الإتروسكي إله الطقس والنور .

ونقل الأموريون الإله السومري ساتران وهو أحد آلهة الخصب الذين ينزلون إلى العالم الأسفل وتحول عند اللاتين إلى ساتيرن إله الحراثة والفلاحة ثم الوفرة والكروم .

أما إله السماء (آن) الذي هو (مر) عند الأموريين فقد صار يانوس عند اللاتين (يانا) ثم تولى رعاية الفصول الأربعة والعين المراقبة الساهرة على البوابات .. وتحولت (نانا) إلهة القمر السومرية والأمورية

الإتروسكية لتصير الإلهة الأم والزوجة ، أم شعلة النار السماوية (أش) و (أست) عند
إلى (يونو) تحولت إلى (فستا) إلهة النار والموقد والأموته . وتحول إله نهر الفرات (ابريتانو) مندمجاً
الأموريين السومري (تابيرا) إلى إله نهر التيبر وإلى فولكان الذي كان أسمه (تيبر) وليدل على
مع إله المعادن النهر والمعادن معاً .

وتحول كائن الرفائيم إلى روح (مين) للرفأ أو الشفاء الناري وتجسد في منيرفا إلهة الصواعق والطب .

وهكذا تحولت وتحورت الآلهة الأمورية السومرية القديمة وأصبحت آلهة إيطالية قديمة أما إتروسكية (أترورية) أو سابينية أو لاتينية ولتشكل ، فيما بعد ، جذور الآلهة الرومانية الكبرى .

2- أن هذه الآلهة أتسع مفهومها ونطاقها ووظائفها عند ظهور الدولة الرومانية ورفع هذه الآلهة من مستوى آلهة عائلية إلى مستوى آلهة دولية . فقد أصبح يانوس إله البدايات كلها والحامي لروما وأصبح ساتيرن الأب القديم للآلهة الرومانية وأصبح جوبتر إله روما الأعظم ويونو حامية الشعب الروماني والمسؤولة عن تكاثره وفستا النار المقدسة لكل روما ومارس إله الحرب الروماني الذي حارب به روما والذي يعد الأب الإلهي لمؤسس روما . وفلوكان إله المعادن والحرب أيضاً وميركوري إله التجارة والرسائل وهو رسول الآلهة ومنيرفا إلهة كل العلوم والفنون والطب فهي إلهة الحكمة .

3- عندما جرت عملية التطابق بين هذه الآلهة وبين نظرائها في الآلهة الإغريقية جرى توسيع صلاحياتها ونسب الأساطير الإغريقية لها وجرى تعديل أنسابها وفق أنساب الآلهة الإغريقية . وهكذا تغير وانحرفت عن حقيقتها .

ويظن الكثير من العلماء أنه قد جرت عملية رومنة Romanization/ للآلهة الإغريقية بعد أن سيطر الرومان على الأغريق وعلى إرثهم الحضاري والحقيقة أنه قد جرت عملية أغرقة أو هلينة Hellenization للتراث الروماني الأصيل الذي حمل لنا هذا العدد الهائل من الآلهة (وسنرى آلهة المياه والزراعة وغيرها) الذي جاء من العمق الروماني الإيطالي ، وجرى تشويهه حضارياً فقد اندثرت الأساطير الأصلية لهذه الآلهة الرومانية ولم يذكر منها إلا شذرات قليلة وأبحنا أن ننسب لجوبتر (مثلاً) كل ما مرّ به (زوس) الإغريقي وهو ما لم يحصل مطلقاً . . وهكذا تمّ تزييف التراث الديني الروماني الأصيل بتراث إغريقي لا علاقة للروما به . وقد جرى هذا وفق سياق سياسي للهيمنة على كل التراث الكلاسيكي وجعل الرومان أسياده الحقيقيين .

وإذا كان الرومان في بدايتهم بحاجة إلى أصول أتروسكية استندت إلى جذور رافدينية فما حاجتهم إلى مطابقة آلهتهم مع الإغريق وهم في طور جمهورية قوية أو إمبراطورية مترامية الأطراف

وهو ما لا نستطيع تفسيره إلاّ إذا عرفنا أن نزعة الرومان لم تكن دينية بالمعنى العميق لهذه الكلمة بل هي سياسية دنيوية وأن صبغ الآلهة بالهيلينية ما هو إلاّ إجراء سياسي للاستحواذ على الإرث الحضاري الإغريقي .

إن الخواء الروحي لدى الرومان هو الذي أسقط امبراطوريتهم المادية الحسية القوية والواسعة وهكذا استطاعت الأديان الشرقية التسلق بسهولة إلى روما بل واستطاع دين شرقي مثل المسيحية شطر الإمبراطورية إلى قسمين (شرقي وغربي) واستطاع أن يمدّ بعوامل البقاء بالإمبراطورية الشرقية البيزنطية طيلة ألف عام أخرى وهو العمر السابق للحضارة الرومانية الواحدة .

إذن كان الرومان بأمسّ الحاجة لعقيدة روحية وديانة أصيلة تضاف إلى حبهم للدنيا ونزعتهم المادية ولكنهم لم ينتبهوا لذلك وقاموا ، بكل بساطة ، بسرقة كلّ البانثيون وشجرة أنساب الآلهة الإغريقية بما يوازيها ، في الوظيفة ، من الأسماء الرومانية ، ثم بدأوا يتسلون بقصص الإغريق الإلهية (الأساطير) على أنها أساطير رومانية . . وهكذا سقطوا

وفيما يلي جدول مبسط يعرض آلهة الدولة الرومانية مع أصولها وتطورها ومسخها الإغريقي .

جدول (9) آلهة الدولة الرومانية (جذورها، أصولها، تشكلها، مطابقتها الإغريقية).

اسم الإله	الجذور [illegible]	الأصل الإيطالي القديم ([illegible])	التشكل الروماني الرسمي	مطابقته الإغريقية
1. يانوس	ان، انو: إله السماء	لاتيني (يانا): الطقس، الفصول الأربعة	إله البدايات حامي روما	كاؤوس (الخواء) أورانوس (السماء)
2. [illegible]	[illegible]: إله الخصب [illegible] المدينة (ذيب)	لاتيني (سسايتسرن) الحراثة والفلاحة والوفرة والكروم	أب الآلهة القديمة	كسرونوس (الزمن) (زحل)
3. جوبيتر	رو: إله العاصفة والضوء	أتروسكي (ديبا) الطقس والنور	الإله القومي الروماني	زوس (المشتري)
4. [illegible]	[illegible]: إله القمر	أتروسكي (يوني) الأم، الزوجة	حامية الشعب الروماني	هيرا (الزواج)
5. فستا	أش، أست: نار السماء	لاتيني (فستا) الأمومة، النار	راعية النار المقدسة	هستيا (النار)
6. مارس	مر: إله السماء والطقس	سابيني (مارمار) الزراعة	الحرب	أريس (الحرب)
7. فولكان	تابيرا: المعادن	إتروسكي (تيبر) النهر، المعادن	المعادن	هيفايستوس (المعادن)
8. ميركوري	مر- كور: إله السماء - الأسفل	إتروسكي (ميركو) تجارة الحبوب	رسول الآلهة والتجارة	هرمس (عطارد)
	رفائيم، راف: النار والطب	إتروسكي (منيرفا) الصواعق، الطب	الحكمة	

ثانياً: آلهة الريف والزراعة

إذا كانت آلهة الدولة قد نشأت من أصول زراعية واضحة ثم تطورت إلى وظائف رسمية في الدولة الرومانية، فإن هذه الآلهة الزراعية الريفية ظلت في إطارها الزراعي المعني بالخصب والفلاحة وشؤون الأرض حتى عندما تطورت الدولة الرومانية، ولعل أهم هذه الآلهة هي (فاونوس، كو نسيس، باليس، ليبر باتر، سلفانوس، فلورا . .

1. فاونوس Faunus

أصله : هو إبن بيكوس Picus وكانينت Canente التي ذوت حزناً لموت زوجها حتى تلاشت ولم يبق منها شيء . وهو حفيد ساتورن رومانياً ويقابل فانوس الإله (بان) الإغريقي وهو إله الرعاة الذي كانت له قرون وأرجل الماعز .

اشتقاق اسمه : نرى أن فاونوس وبان هما اسم واحد فقد عرف حرف ف الى ب أو بالعكس وأضيفت (وس) في نهايتها وبان تعني الإله الشامل أو الشمولي أو الكوني (الكل) .

وظائفه :

1 . إله الخصوبة .

2 . إله التنبؤ .

3 . الإله الذئب بسبب اسمه لوبيركوس lupercus .

4 . إله الرعاة .

5 . إله التيوس .

اسطورته : هو حفيد الإله ساتورن وابن بيبلوس وهو أب الملك لاتينوس واسمه لوبيركوس يطابق اسم الكهف الذي ارضعت فيه الذئبة (لوبا) كلاً من ريمس و ردولس ولذلك فإن أساطيره كثيرة .

وكان إلهاً قديماً وله صلة كبيرة بالزرع والخصب وله وحي يعبر عن حفيف الأشجار في الغابات وتحمي زوجته مونا النساء من العقم ولذلك تشبه أحياناً بالآلهة (بوناديا) ويذكر فيرجيل أن أسماءه تختلف بحسب مهامه وعندما تم دمج الآلهة الوثانية والرومانية أصبح نظيراً للاله بان وأخذ كثيراً من صفاته فله، مثلاً، قرون في جبهته وأقدام تيس ولحية شعر كالماعز ويحمل بيده عصا الراعي أو قرن الوفرة(39) .

وتوصلنا الحقائق المتعلقة بفاونوس إلى أنه اتحد مع إله آخر قديم جداً اسمه لوبيركوس (lupercus) كان حامياً للقطعان من الذئاب والمرعاة ، وكان مكان القديم كهف (لوبيركال) في أسفل جبل البالاتان في روما حيث بني معبده هناك . وكان له عيد تهتكي اسمه لوبيركاليا .

يظن أنه كان أحد أوائل ملوك لاتيوم . لقد شرّع القوانين للقبائل التي كانت ما تزال بربرية ، واخترع الشوم (وهي آلة موسيقية خشبية) أو المزمار الريفي . وأله أباه بيكوس وأمه كانينت التي أصيبت بالهزال حزناً بعد وفاة زوجها . كان فونوس احد أوائل المعبودات الريفية الرومانية وإله الخصوبة قبل كل شيء . وكانت لديه ملكة التنبؤ ويجعل الأصوات تسمع في المناطق الريفية إلا أنه يجب تقييده إن أريد الحصول منه على معلومات تنبؤية(40) .

شكل (74) الإله فاون يحمل طفلاً على ذراعه

ويبدو أن كائنات ال (فاون faune) لها علاقة بفونوس فهي تقابل السنطور اليوناني الذي انحدر من كرونوس (سارتون) ، وتختص بالغابات وتعتبر مثل نصف إله لأن الموت مصيرها بعد عمر طويل ، لكنها تتبع ايضاً الإله باخوس إله الخمر والمتعة .

رموزه :

1 . عصا الراعي

2 . قرن الوفرة

عبده : لوبركاليا lupercatia في 15 كانون الثاني

معبده : لوبر كال lupercal في البلاتتاين .

صوره : يشبه الإله بات .

زوجته : ارتبط الإله فونوس بمجموعة من الإلهات هي :

1 . فاونا :Fauna وهي زوجته وأحيانا ابنته وتسمى أيضاً (بونا ديا) dea bana وتعني (الإلهة الطيبة) وهي إلهة

الخصب والطهارة عند الرومان ، وربما اعتبرت ابنته التي دافعت عن نفسها حين ... اغتصابها ، وكانت تحمل بيدها قرن الوفرة دلالة الخصب ومعها الأفعى دلالة الشفاء ولها عيد في بداية كانون الأول (ديسمبر) .

2 . أوبس :ops وهي الإلهة السابينية القديمة التي عدت فيما بعد زوجة ساتورن ، وهي تجسد الخصوبة .

3 . ماجستيا :magesta وهي تقابل الإلهة (مايا) الإغريقية وهي الثريا المرتبطة بفولكان ، والتي ترمز إلى خصوبة الأرض في الربيع .

4 . ماريكا marica وهي إلهة لاتيوم التي أحبها فاونوس وولدت منه الملك لاتينس وهكذا يعتبر فاونوس جد اللاتين .

2. كونسس consus

أصله : إله القمح المحصود والمخزون وكان إلهاً عاماً للبذار في روما القديمة وربما كان إلهاً في العالم الأسفل . وترتبط الأرواح المسماة ب (لار) به .

وظائفه :

1 . إله البذار .

2 . إله القمح

أسطورته : ربما كانت لكونسس أسطورة خاصة مع إلهة الأرض والخصوبة أوبس ولكنها مفقودة وربما كانت أسطورة نزول إلى العالم الأسفل .

رموزه : ؟

عيده : كونسواليا الاول consualia 1 في 21/ آب عيد الحصاد .

كونسواليا الثاني consulia 2 في 12/15 عيد البذار .

وسنشرحهما في طقوس الأعياد .

معبده : له معبد ومذبح تحت سطح الأرض قرب السيرك الكبير الذي تجري فيه احتفالات الكونسواليا ، ويغطى هذا المعبد بالتراب على مدار السنة لتجسيد فكرة البذار ، وكان التراب يزال في احتفالات الكونسواليا .

3. باليس : plaes

إله ذكر ارتبط بشخص الإله جوبتر لكنه اكتسب صفات أنثوية ، بعد ذلك ، وأصبحت باليس حامية أو راعية القطعان ، وكانت باليس تغذي الذكور بالقوة والإناث بالخصوبة ، وقد اعطت اسمها لوادي البلاتين Palatine الذي اقيمت عليه روما الرباعية(41) .

وكان لباليس عيد اسمه الـ(بليليا Palilia) يقام في 21 نيسان ويصادف يوم تأسيس روما . شرحناه في الطقوس والأعياد .

4. ليبر باتر Pater Liber

إله خصوبة الحقول والناس ثم أصبح إله زراعة الكروم عندما تماهى مع الإله إياكوس ديونسيوس .

وله عيد اسمه ليبراليا Liberalia في 17/ مارس يشير إلى نضج الصبيان وتحولهم إلى رجال أي أنه كان إله شعيرة العبور . له زوجة أسمها ليبيراLIBERA وهي إلهة إيطالية قديمة . ويبدو أنه كان إلهاً أبوياً قديماً بحيث سمي الأب ليبر .

5. تلّوس ماتر (Tellus Mater)

وهي إلهة أمومية قديمة تسمى الأم تلّوس التي تعنى بالخصوبة وكان زوجها هو الإله تلّونو Tellu-no ، ولكنها قرنت فيما بعد بالإله جوبتر ، وكانت إلهة الأمومة والزواج وتهيئة إنجاب الأطفال فقد كان على العروس أن تقدّم لها أضحية عند دخولها بيت زوجها ، وكان لها دور في الـ (بوركابرا يسيدنيو cidaneo Porcapra) وهو البذار المكرّس لـ (كيريس) قبل الحصاد . وكونها إلهة زراعة فقد كانت ترعى خصوبة التربة وكل الحالات التي تمّر بها البذرة عندما تغرس في الأرض(42) .

ونرى أن تلوس تناظر (جيا) الإغريقية .

6. كيريس Cexes

وتلفظ أيضاً سيريس وهي إلهة النبات والحصاد عند الرومان ، وقد اختلطت عبادتها قديماً بعبادة تلّوس إلهة الأرض ، وقد صارت كيريس فيما بعد إلهة للحضارة والازدهار الاقتصادي والاجتماعي .

انحدرت كيريس من كامبانيا وكانت إلهة إيطالية قديمة وأصبح لها معبد في روما إلاّ أن طقوسها ، كما معبدها ، كانت إغريقية .

توحدت مع ديمتر اليونانية وأقيم لها معبد في روما عام 493 ق .م عقب موسم قحط ومجاعة . وكانت النساء اليونانيات يمارسن في معبدها جميع طقوس عبادة ديمتر ، ثم حاول الإمبراطور كلوديوس (41-45 م) نقل عبادة الأسرار من إيلوزيس إلى روما . أما أعياد كيريس فكانت تجري بين 19-12/ نيسان (ابريل) في كل عام(43) .

ومن الضروري تفريق كيريس عن الكيريات (Keres) وهن جنيات الموت من بنات الليل ذوات الهيئات المخيفة والأجنحة السوداء والثياب الملطخة بالدماء وكان من عادتهن التحويم فوق ميادين القتال فإذا ما سقط صريع هبطت عليه وغرسن مخالبهن في جسمه وامتصصن دمه وقد شبهن بآلهات القدر (بارك) الرومانيات إذ يمثلن المصائر المختلفة التي يترتب على الإنسان أو البطل أن يختار واحداً منها (44) .

وقد لعبت كيريس دوراً هاماً في العبادات السرّية التي انتقلت من الإغريق إلى الرومان وخصوصاً العبادة الإيلوزية التي كانت مخصصة للطقوس السرية لديميتر



شكل (75) كيريس (سيريس)

7. سلفانوس Silvanus

إله الغابات اللاتيني القديم ثم أصبح إله المراعي وحامي القطعان والحدود ، وكان يختلط في وظيفته مع فونوس بحيث يشاكس المسافرين والمنفردين من النساء والأطفال لكنه لم يكن مؤذياً بل مداعباً ومونساً .

ويقال بأنه ابن راعي أغنام لـ(Sybaris) وكانت فتاته تسمى فاليريا توسكولاناريا ، وكانت مهمته الرئيسية مراقبة العمل في تنظيف الأراضي وتكوين السماد في الريف المليء بالغابات ثم توسعت هذه المهمة لتشمل عمليات البستنة كلها بالإضافة إلى رعاية القطعان وتنظيم تربة الأرض(45) .

وكانت تقدم له ، عادة ، بواكير الثمار وبعض الأضاحي من حيوانات الحظائر ولا يشارك النسوة في أعياده وطقوسه وتحجب تماثيله عنهن . ويمثل على هيئة شيخ مرح مكلل باللبلاب وفي يده أداة لقطع الأغصان والثمار (46) .

وكان مقدّساً ، بصورة أكبر ، من قبل الأطفال والنساء الحوامل .



شكل (76) صورة سلفانوس



شكل (77) الإلهه فلورا إلهة الربيع .

8. فلورا Flora

إلهة الزهر والربيع والحبوب والفاكهة والكروم والبراعم . وتقابل الإلهة (كلوريس) عند الإغريق ، ولذلك فهي تقرن بإنه الريح الغربية فافونوس الذي يقابله (زفيروس) الإغريقي .

وقد منحها فافونوس الشباب وجعلها أم الربيع وملكة الزهور ومنحها النضارة الدائمة ، ويروى في الأساطير أنها قدمت إلى جونون (يوناون) زهرة تجعل المرأة حاملاً إذا لمستها ، وبذلك حملت جونون بمارس دون مشاركة من جوبتر ، وتخليداً لهذه الذكرى أطلق اليونان اسم (مارس) على أول شهور الربيع(47) .

وكان من مهماتها مع روبيغوس Robigus (روبيغو) حماية الحنطة من العفن ، ومع بومونا رعاية أشجار الفاكهة .

كان لها معبد في الكوبرينال وآخر قرب المحفل الكبير ، وكانت احتفالاتها تقام في 21/ نيسان ولغاية 3/ حزيران تسمى فلوراليا Floralia) لها عيد آخر اسمه احتفال الوردة يقام في 23/ حزيران .

ولها عيد آخر اسمه احتفال الوردة يقام في 23/ حزيران

أما صورها فتظهر على بعض النقود ولها تمثال في حمامات كراكلا الساخنة

9. فيرونيا Feronia

وهي إلهة من أصل أتروسكي وتعد من آلهة الغابات والخصب ، وفي روما القديمة عبدت كآلهة للأزهار الربيعية ومحاصيل الخضار ، ومن المحتمل أنها كانت من آلهة العالم الأسفل . عبدت ، بشكل خاص ، في مدينة كابينا الواقعة في أسفل جبل سقراط . وكانت هذه الإلهة محررة العبيد حتى أن العبد يستطيع أن يتحرر إذا دخل معبدها في تيراسينا وجلس في مكان معين مقدس(48) .

ومن المحتمل إنها عبدت من السابينين أيضاً واقترنت بالإله السابيني (سورانوس Soranus) والذي كان أحد آلهة العالم الأسفل ثم صار إلهاً شمسياً .

كان سكان الجبال يقدمون أضحياتهم على جبل سقراط حتى تظهر الذئاب لتقتنص تلك الأضحيات ثم يلجأون إلى كهف يحتمون فهي من الغازات السامة ، وحسب الكهنة فإن هذه الذئاب كانت تحت حماية الإله سورانوس وأن على سكان الجبال العيش بالسلب والنهب كما تفعل الذئاب ، ومن هنا جاء الاسم هربي سوراني Hirpi (المتسلقون) الذي أطلق على الكهنة ، وقد قدس هذا الاسم لذي العائلة الرومانية وكرس بالأخص لعبادة سورانوس وفيرونا(49) .

وكان اسم (المتسلقون) يطلق على عائلة رومانية مكرسة لعبادة الإلهين ، ويقوم أفراد هذه العائلة خلال مهرجانات فيرونيا بالسير حفاة فوق جمر الفحم الملتهب دون أن تحترق أقدامهم (50) .

10. بومانا Pomane

إلهة أتروسكية للأزهار والثمار ، وقد اجتذبت الكثير من آلهة الريف مثل بيكوس وسليفانوس وفيرتومن الذي تزوجها .

كان شبابها يتجدد باستمرار ، بسبب وفائها الدائم ، مع تجدد الفصول وعودة مواسم الأزهار والثمار .

أما زوجها الإتروسكي (فيرتومن Vertumne) فقد كان اسمه مشتقاً من فرتر Verter وتعني (التغير) . وتروي الأساطير الرومانية أنه أحب بومانا ، وكان يتخذ أشكالاً مختلفة ليحصل عليها فمرة على هيئة فلاح ومرة على هيئة حصّاد أو كرّام وأخيراً تمثل لها بشكل شاب في غاية الجمال فأحبته (51) .

وكان البستانيون يقدمون له قرابين من براعم الأزهار وبواكير الثمار .

وكان يصور على هيئة شاب مكلل بالسنابل أو الأغصان وأحياناً على هيئة شيخ ملتح ومن لوازمه قرن الوفرة ، أما زوجته فكانت تصور واقفة أو جالسة قرب سلة مملؤة بالزهر والثمر ومكلّله بأغصان العنب وفي يدها تفاحة وغصن بينما تمسك باليد الأخرى قرب الوفرة وتسكب من شتى أنواع الثمار (52) .

إن صفات فيرتومن (فيرتيمس) المتغيرة جعلته إلهاً للتبدل ، وقد قرن بـ (سلفانوس) الذي كان إلهاً للتبير الذي من المعتقد أنه هو الذي يميّز مساره ، وترينا الروايات التقليدية كيف كان يدور في مجمع الآلهة مغيراً شكله باستمرار .

شكل (78) بومانا إلهة الفاكهة

11. ديانا Diana

وهي العذراء إلهة الغابات تحيط بها حاشية من الحوريات ، واعتبرت لذلك إلهة للنور والجبال ثم أصبحت إلهة القمر عند الرومان . وربما كان أصلها إغريقياً . وقد اندمجت مع أرتميس اليونانية فأصبحت ابنة جوبيتر واستعارت الكثير من أساطيرها . لكنها ليست مشهورة بالصيد ، مثل أرتميس ، رغم أنها كانت تملك القوس والسهام لكنها اشتهرت بأنها أخت أبولو .

وقد اشتهرت اسطورتها الكهنونية المرتبطة بمعبدها في (ارتيسيا) القديمة على شاطئ بحيرة (نيمي) حيث يقوم على حراسته كاهن ، يحملُ اسماً متميزاً بشكل خاص هو (ملك الغابة remoten- Rex sis) وكان هذا الملك من أتعس المخلوقات إذ كان مباحاً لأي كان قتله ، ممن يرغب في شغل مكانه ، ولم يكن على الطامح في ارتكاب هذه الفعلة سوى الدخول في الأجمة المقدسة وكسر (غصن ذهبي) من إحدى الأشجار ، ليتمكن بعدها من الانقضاض على (ملك الغابة) وقتله بالسيف .

وهذا هو السبب في دوام حراسة (الملك) الكاهن للأشجار والسيف مشهر في يده ، دون أن يعرف طعماً للراحة في أي ساعة من ساعات الليل أو النهار . ومن الواضح أن الراغبين في أشغال هذه الوظيفة المحترمة ، إنما الخطـــرة ، كانوا أقوياء من العبـــيد الفارين ، ممن ليس لديهم ما يخشون خسرانه(53) .

ويقال أن الملك الأسطوري الروماني سرفيوس تولّوس هو الذي أدخلها إلى روما وكانت مثل أرتيمس تقدم لها الضحايا البشرية حتى أن الكاهن كان يقتل سلفه ليحل محله في خيمتها ، ويقال بأن أورست سرق تمثالها المنصوب في توريد وأخذه إلى ينمي .

وتذكر إحدى الأساطير إن أسكولاب (إله الطب) أحيا هيبوليت ابن ثيوس (عشيق الجيدرا) فاختطفته ديانا وجعلته كاهناً لها في نيميا باسم (فيربيوس) وكانت ديانا معبودة الطبقات الشعبية وحامية العبيد وراعية الحلف القائم بين المدن اللاتينية . وتمثل ديانا عادة بصورة فتاة صيّادة تمسك القدس بيدها وترتدي ثوباً قصيراً إلى جانبها وعل(54) .

تحليل أسطورة الغصن الذهبي:

يمكننا أن نقدم قراءة تحليلية من خلال عرض السير جيمس فريزر لأسطورة الغصن الذهبي حيث نرى أن جوهر هذا الطقس يقوم على أربعة أركان أساسية هي :

1 . إن عبادة ديانا في نيمي وضع أسسها أورستيس الذي تمكن بعد أن قتل ثوءاس Thoas ملك كرسونيس الطورية (القرم) من أن يهرب مع أخته إلى إيطاليا حاملاً معه تمثال ديانا الطورية بعد أن أخفاه داخل حزمة من العصي وحتى وصل إلى نيمي وأقام معبد ديانا ، ويبدو أن طقوس ديانا الطورية هناك كانت تتضمن قتل أي شخص غريب تطأ قدماه ذلك الشاطئ حيث كان يذبح ويقدم قرباناً لها (55) .

2 . استبدلت هذه الشعائر الدموية بشعائر أخرى في إيطاليا ، فقد كانت توجد في هيكل نيمي شجرة معينة كان يحرم على الناس كسر فروعها ، لكن العبد الهارب كان بإمكانه فعل ذلك

على أن يتنازل الكاهن حارس الشجرة في مبارزة مزدية ، فإذا تمكن من قتله تولى شؤون الحكم بدلاً منه وحمل بالتالي لقب (ملك الغابة Nemorensis Rex) ويبدو أن هروب العبد يرمز إلى هروب أورستيس نفسه وأن مبارزته مع الكاهن ترمز إلى القرابين والأضحيات البشرية التي كانت تقدم إلى ديانا الطورية (56) .

3 . كان غصن الشجرة الذي يكسر محدداً ، فهو غصن ذهبي اللون بسبب نبات الدبق (العليق) المتطفل على الشجرة والذي يشاهد ملتفاً حول شجرة البلوط وكان هذا الغصن يجسد روح النبات ، و[illegible] ديانا هي هذه الشجرة بينما الغصن الذهبي ونبات الدبق تحديداً على علاقة بروح الكاهن . فانتزاع غصن دبق (ذهبي) يكون بمثابة مقدمة للسيطرة على روح حارسه الكاهن ، ولهذا ليس من الصعب قتله بعدئذ ، إن عملية الإماتة بحد ذاتها ، هي بقايا القرابين البشرية القديمة المرتبطة بالعبادة الزراعية والخصوبة (57) .

4 . كان الحصول على الغصن الذهبي يرمز أو يشير إلى الأسطورة التي تتحدث إلى اينياس الجد الأعلى (مؤسس روما) الذي يذهب إلى العالم الأسفل برفقة كاهنة الإلهة سيبيل بعد أن تشير عليه بكسر الغصن الذهبي المتألق في الغابة المخصصة لجونو الإفيرنية ربة العالم الأسفل . وما أن يكسره حتى يقع بصره على المملكة العظمى التي يحكمها أوركوس رب الأهوال .

5 . يوجد في الغابة المقدسة في نيمي وتحديداً في هيكل ديانا إلهان يشاركان ديانا معبدها وهما الإلهة إيجيريا حورية الماء الصافي والليل والولادة حيث تقدم لها القرابين تسهيل الولادة (وهي وظيفة تقوم بها ديانا أيضاً) والإله الثاني هو فيربيوس الذي كان في الأصل هيبوليت بعد أن قتلته الجياد المائية لبوزيدون (نبتون) وذهب إلى العالم الأسفل فقامت ديانا بالتدخل عند إله الشفاء (إيسكلابيوس) وأعادته تحت اسم جديد هو فيربيوس ونفته بعيداً عن عيون الآلهة التي تكرهه في غابة نيمي .

أما الآلهة الحاضرة الغائبة الثالثة فهي (فيستا) حيث تقوم كاهناتها الفيستالات على خدمة هذا المعبد وإنارته بالمشاعل ، ومعروف أن الإلهة فيستا هي إلهة النار والمواقد .

والحقيقة أن فريزر وضع يده على السّر الخفي لأسطورة الغصن الذهبي لكنه لم يقدم تحليلاً وافياً لكل عناصر هذه الأسطورة وسنقدم هنا ما نراه مناسباً من تحليل لكافة عناصرها يكمل الصورة التي قام فريزر برسمها لما تحمله من دلالات .

تقوم أسطورة الغصن الذهبي على حضور العناصر الأربعة (الماء ، النار والتراب والهواء) وعلى التفاعل بين هذه العناصر في كون مصغر هو غابة نيمي .

تعبر ديانا الصيادة عن الأرض (التراب) فهي إلهة خصوبة وولادة وترعى حيوانات البرية . وتعبر إيجيريا عن الماء فهي ألهة الماء والولادة والليل . ويعبر فيربيوس (هيبوليت) عن الإلة الذكري الهوائي الذي تربطه بديانا علاقة مقدسة فهو يمثل عنصر الهواء ، أما الكاهنات الفستيات فيعبرن عن حضور النار من خلال فيستا .

وتتصل ديانا بالعناصر الثلاثة الأخرى صلة قوية من خلال طبيعتها ووظائفها فهي تشترك مع إيجيريا بوظيفة رعاية الولادة ، ومع فيربيوس في كونها محبوبته ، وتذكرنا هذه العلاقة بين إنسان وإلهة بالكثير من علاقات الإلهات القديمات في هذا المجال (فينوس وأدونيس) ولكنها علاقة مطرودة من المركز ومتجهة إلى الهامش والعزل بسبب لعنة فينوس لها وبسبب عذرية ديانا وعدم إمكانية اتصالها بذكر ، ويتجسد حضور ديانا وهيبوليت رمزياً في شجرة البلوط والكاهن الحارس لها المسمى (ملك الغابة) ، أما علاقة ديانا بالكاهنات الفستيات فتأتي من كون ديانا من أصل ضوئي (أمها لاتونا إلهة الضوء) ولذلك مثلت هذه العلاقة بحضور الكاهنات وليس الإلهة فيستا ، والمدهش في الأمر أن (إيجيريا وهيبوليت وفستا) يحملون أساطير تربط كل واحد منهم علاقة غير كاملة أو مستحيلة مع نظائر لهم ، كما هو حاصل مع ديانا وفيربيوس .

إن إيجيريا ترتبط مع ملك روما (نوما) ، الذي بنى لها سراً معبدها في غابة نيمي وأنها كانت ملهمته في حياة الملك والتشريع تمكن العلاقة تبدو وكأنها مستحيلة لأنها بين إلهة وملك .

وكذلك هيبوليت (الذي أصبح فيربيوس) الذي كان على علاقة حرام مع زوجة أبيه (فيدرا) . وهو ما جعله يدفع الثمن ويذهب إلى العالم الأسفل ثم يعود بفضل ديانا بصيغة فيربيوس الذي تشوب علاقته مع ديانا علامات الاستفهام أيضاً .

أما فيستا فعلاقتها بالملك الروماني الثاني بومبيلوس تثير الشكوك أيضاً وتوحي بالاستحالة .

والملاحظ أن جميع الإلهات عذروات وأن هناك حاجزاً بينهنّ وبين عشاقهن من الذكور .

أما الأسطورة المركزية ذات الطابع الطقسي والتي تقضي بكسر الغصن الذهبي وقتل الكاهن الحارس فلها علاقة بالتنشيط الدوري لقوى الخصب في الطبيعة وتحديداً في هذا المكان الذي يشكل كوناً متكاملاً من العناصر الطبيعية الأربعة .

يرمز كسر الغصن الذهبي إلى كسر روح الكاهن المثلة بنبات العليق والحقيقة أن هذا يشير إلى نوع من السحر التماثلي الذي يستند إلى قاعدة تقول أن إحداث تأثير على الشبيه سيؤدي إلى تأثير مشابه على الأصل . حيث أن كسر الغصن ونبتة العليق ستؤدي (سحرياً) إلى كسر وقتل كاهن

وحارس الشجرة ، وفي هذا تنشيط لقوى الطبيعة حيث سيقوم الملك الجديد للغابة بدور أكثر نشاطاً في حراسة الشجرة التي تمثل ديانا .

واستناداً إلى أسطورة سيبيل وإيدياس فيبدو أن كسر الغصن الذهبي هو بطاقة دخول إلى العالم الأسفل (الموت) وهو ما يحصل بالضبط مع غابة نيمي حيث يقوم العبد الهارب بالدخول في جحيم الموت من خلال مبارزة الحارس الكاهن التي هي إطلالة رمزية على عالم الموت .

هذا من ناحية ؛ أما من الناحية الأخرى فيبدو أن خروج هيبوليت من العالم الأسفل حياً وهو إنسان لا إله أمرٌ لا تقبله نواميس العالم الأسفل تماماً ، فالألهة يخرجون بشروط فكيف البشر؟



ولذلك نرى أن هيبوليت (فيربيوس) خرج حياً لكنه يجب أن يتعرض للموت دائماً ، بمعنى أن الحارس الكاهن الذي يمثل هيبوليت يجب أن يقتل ويستبدل بغيره دائماً وأن لا يذوق طعم الراحة لأنه أساساً محكوم عليه بالموت وما فسحة خروجه إلى الحياة إلاّ فسحة مشوبة ويدل عليها هذا التوتر والقلق الدائم في انتظار من سيقتله ويحل محله . . وهو نوع من العذاب الذي نراه عند بعض من حكم عليهم في العالم الأسفل مثل سيزيف أو تنتالوس وغيرهم .

شكل (79) ديانا غابي إلهة الجبال والغابات والنساء والأطفال.

12. فينوس Venus

احتلت فينوس موقعاً متواضعاً ، بل وثانوياً جداً ، بين الآلهة الرومانية ، وكانت فيرونا وفلورا ترمز للربيع والخصوبة وأصبحت إلهة الخضار والزهور والثمر .

في القرن الثاني قبل الميلاد اتحدت بالإلهة اليونانية أفروديت واستعارت صفاتها وأساطيرها .. وفي القرن الأول قبل الميلاد أعلى يوليوس قيصر من شأنها لأنه عاد بنسب عائلته إلى البطل إينياس بن أنخيس فينوس وأصبحت لها مكانتها في احتفالات الـ (فلوراليا) ما بين 28/ أبريل - 3 مايو وفي الاحتفالات الـ (فيناليا ريستيكا) في 9 آب .

ويبدو أن فينوس ارتقت في أهميتها بعد أن اتحدت بالإلهة الإغريقية (أفروديت) حيث استولت على أساطيرها العريقة مع كبار آلهة اللأولمب .

كانت فينـــوس تسمى (سيدة كيثيرا) حيث ولدت هناك من محارة (صدفة) وخرجت كاملة (شكل ..)

أشهر أساطير فينوس كانت مع مارس (إله الحرب) الذي كانت مغرمةً به رغم أنها متزوجة من فولكان (إله الحدادة والنار) وقد قام إله الشمس (هيليوس) بكشف سر العشيقين عند فولكان الذي نصب لهما فخاً وأوثقهما وهما متعانقان ودعا الآلهة للدخول ورؤية العشيقين الخاطئين فلما رأوهما ضحكوا وتندروا . لكن فينوس قررت معاقبة هيليوس وإيقاعه في فضيحة مشابهة مع عشيقته ليوكوثري وفضح علاقتهما وتدمير عشيقته كليلتيه فتحولت الأولى إلى شجرة بدور والثانية إلى زهرة عباد الشمس .

ولعل أسطورتها الأشهر مع (أدونيس) الفينيقي الأصل والذي أنجبته (مورها) (مورا) من علاقة خاطئة مع والدها سينيراس بعد أن مسخت شجرة حور ، فقد أحبت فينوس هذا الفتى الجميل وأصبحت ترافقه حيثما ذهب لكنها جنَّدته من وحوش الغابة عندما تغادره وتذهب إلى مقرها ، لكن الخنزير الوحشي خرج الأدونيس وعضه في فخذه فمات أدونيس وسال دمه فعادت فينوس وحولت دمه إلى زهور حمراء هي زهور شقائق النعمان .

شكل (80 ، 81، 82) .



شكل (80) فينوس تعلو محارتها في طريقها إلى كيثيرا



شكل (81) فينوس إلهة الجمال الأنثوي من روما



شكل (82) فينوس تلاعب الدولفين وأمور (إله الحب)
(من فيلا قرب ناربون - لوفر باريس)

13. برياب Priape

وصلت عبادة هذا الإله إلى إيطاليا من اليونان، فقد ولدته أفروديت من ديونسيوس وشوهتُه هيرا الغيور منذ ولادته فنبذته أمه في العراء حتى لا تعير به، وقد انتشرت عبادته في منطقة لامساكي حيث عبد كإله خصب نباتي وحيواني.

وعُدّ على هذا الأساس إبناً لفينوس وباخوس وأصبح إلهاً للبساتين في روما وكان يرمز إليه بأحجار الحدود الكبيرة التي تغرس بين البساتين وباعتباره إلهاً للزراعة والخصب كانت تقدم له القرابين من بواكير الفاكهة وكان برياب يصوّر بهيئة رجل ملتح يرتدي قميصاً طويلاً ويحمل غرسه بيده اليمنى، وقد عثر على الكثير من صوره في النقود والأحجار وجداريات الفريسكو.

وقد عشق برياب حورية اسمها (لوتس) كان يلاحقها وقد ساعدها حمار القمر (سيلين، لونا) بنهيقه على النجاة من مفاجئته لها ثم وقعت بين يديه فتحولت إلى شجيرة لوتس.

ويبدو هذا الإله وكأنه نظير الإله بان وأنه ظهر أولاً في ميشيا وهي مقاطعة في آسيا الصغرى وعبد في لامباكوس.

وقيل أن هيرا جعلته يولد مشوها ببشاعة، وقد اشتق اسمه من شكله هذا، وذلك حسداً من أفروديت، وتخلت عنه أمه فأخذه بعض الرعاة. وأشرف برايابوس على إنتاج الحقول والمواشي وعلى تربية النحل وعلى إنتاج الخمور وعلى صيد الأسماك، وحمى الكروم والحدائق حيث أقيم فيها شكل آلته الجنسية، ومن الواضح أن إدخاله ضمن حاشية ديونسيوس جاء عمل طريق أسيا(58).

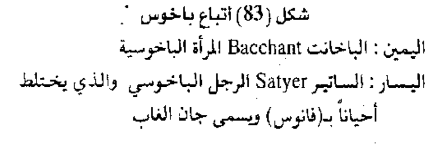
14. باخوس Bacchus

هو إله الخمر والكروم والمجون والإباحية عند الرومان وقد طوبق مع الإله ليبيرا الذي يشاركه هذه الصفات، وهو يقابل ديونسيوس عند الإغريق وكان إلهاً سرياً باطنياً تمارس طقوسه نخبٌ تؤمن بعقيدة الخلاص المشوّبة باللذة الحسية حيث كانت ترافق طقوس عبادته أعمال المجون والجنس حتى أن مجلس الشيوخ الروماني اضطر إلى منعها ومعاقبة ممارسيها.

ولباخوس نوعان من الأتباع فالنساء الباخوسيات (من غير الكاهنات) كنّ يسمين الباخانات Bachant (اللائي يقابلن الميناد Macnod) أي الرهبيات الإغريقيات) ويظهرن بلباس جلد الأسد عاريات الصدور وبأيديهن رماح محاطة باللبلاب وأغصان الكرمة ويرقصن بعنف يصل بهنّ إلى النشوة الصوفية يلهمن الشعر بقوة ويطرحن تابعيهن وعشاقهن وراءهن (شكل 83).



أما أتباع باخوس من الرجال فيسمون ساتير Satyre وهم كائنات بين الآلهة والبشر والحيوانات يمتازون بالتهتك لكنهم عند الرومان أصبحوا يشبهون الباخانات في تهتكم وضراوتهم (شكل 83).



شكل (83) أتباع باخوس
اليمين : الباخانات Bacchant المرأة الباخوسية
اليسار : الساتير Satyer الرجل الباخوسي والذي يختلط أحياناً بـ(فانوس) ويسمى جان الغاب

ثالثاً: آلهة المياه

كان الرومان يقدّسون أغلب أشكال المياه في الطبيعة كالأنهار والينابيع والبحار وعيون المياه وغيرها .

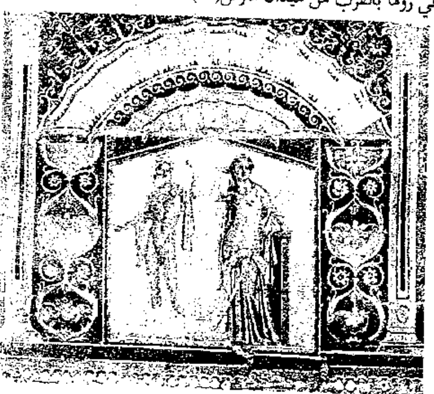
1. جوتوران Juturan

وتسمى أيضاً Diuturna ديوتورنا وهي إلهة المياه . الساكنة والأنهار وهي المملكة التي وهبها لها جوبتر مكافأة على حبها له . وهي من لاتيوم . وتقام لها احتفالات خاصة بها (جوتوناليا) في 11 / كانون الثاني من قبل طائفة الفونتاني وهم أصحاب الحرف المتعلقة بالينابيع وقنوات المياه (59) .

2. نبتون Neptune

إله الندى والرطوبة وهو الإله الحامي ضد الجفاف . وكانت أعياده تسمى الـ (نبتوناليا Neptu-nalia) التي تقام في 23 تموز في أكواخ من ورق الشجر ندية الظل يجد فيها عابدوه أنفاسهم .

وقد اتحد مبكراً بالإله الإغريقي بوزيدون وأخذ أساطيره وصفاته رغم أنه ليس بالإله البحري ، ولكنه لم يرتفع شأناً مثل بوزيدون عند اليونان ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الرومان كانوا يهتمون بالزراعة بخلاف اليونان الذين كانوا يعتمدون على المواصلات التجارية البحرية ، وأبرز خصائص نبتون حفظه للخيل وميادينها ومنذ عام 399 ق . م ضُمّ إلى زمرة أبولون وديانا وميركوري وكان معبده الوحيد في روما بالقرب من ميدان مارس(60) .



شكل (84) نبتون وفينوس فسيفساء مدينة هرقلانيوم

3. تيبر Tibre

ويسمى تيبرنيوس ، وهو اسم النهر الشهير الذي يمر بروما واسم إله هذا النهر . وهناك من يرى أن هذا الإسم من اسم (تيبيرنوس) ملك ألب لالونجا الذي غرق في هذا النهر .

عبده سكان روما وأقاموا على شرفه أعياد تيبريناليا (في 17آب) وحين وصل البطل الطروادي إينياس وأصحابه إلى إيطاليا ساعدهم إله النهر هذا حين ساروا في مجراه . وظهر لإينياس فنصحه بأن يذهب إلى أعالي واديه ليصل إلى إيفاندر ملك روما القديمة المتواضعة . ويعتقد الرومان أن التيبر أنقذ حياة بطليهم رمس وروملوس حين ألقيا في سلة إلى مياهه(61) .

كان للإله تيبر زوجة بشرية هي النبيّة (مانتو) التي انجبت له بيانور الذي أسس مدينة مانتوا وكان أول ملوكها .

وقد اتحد تيبر مع الإله سلفانوس وفيرتيمس وكان قبل ذلك قد اتحد مع الإله فولكان وتماهى معه في أسم فولتورنوس الذي هو أحد الأسماء المقدسة لنهر التيبر ومع الإله بورتون الذي رأيناه يمثل نهر الفرات الرافدي في صورته الأتروسكية .

كان الرومان يصورون (تيبر) بهيئة شيخ ذي لحية خضراء وملامح طيبة وله تمثال في اللوفر كذلك يصوره متكئاً على إحدى يديه وفي يده الميزان (رمز التجارة والتجار) وفي اليد الثانية قرن الوفرة رمز قوة العطاء الموجودة في مياهه وإلى جانبه الذئبة وهي ترضع ريموس وروملوس مؤسسي روما(62) .

ولمنح التيبر من الفيضان تقوم الكاهنات الفستاليات في 15/ مايو من كل سنة برمي تمثال من أغصان الأشجار الصغيرة من على الجسر . وبعد يومين يحلّ عيد الصيادين والغواصين .

أما عيد النهر تبريناليا Tiberinalia فيحلّ في 17/ آب .

4. حوريات الماء Nymphs

النيمفات أو حوريات الماء وهنّ إلهات ثانويات للطبيعة يعتبرن من بنات جوبتر والسماء ويقترن بعبادة إله أعلى مثل جوبتر أو ديانا أو كيريس . ويقال أن المطر الذي يتغلغل في الأرض يلدهن عن طريق الينابيع . وكان لكل مكان في الطبيعة حورياته فهناك حوريات البحار والأنهار والينابيع والغابات

والجبال والوديان والكهوف . وكنّ جميعاً ذوات هيئات أنثوية فتآنة عاريات أو شبه عاريات . وقد يتزوجهن بعض الآلهة أو البشر ، ويعتبرن أمهات الأبطال وأنصاف الآلهة وأسلاف البشر الأوائل ، وكن يساعدن على إخصاب الطبيعة وتنمية الغذاء بإمتزاجهن بالهواء والماء والأشجار . ويمتلكن القدرة على التنبؤ وتقديم المشورة عن طريق شرب مياه بعض الينابيع ، وقد يشفين من بعض الأمراض وكنّ يعبدن حيث يعتقد بوجودهن(63) .

وقد عبد الرومان هذه النيمفات وأنشأوا لهن المعابد قرب الينابيع وزينوها بالأعمدة والتماثيل والنافورات ومن أشهرها في لايتوم قرب بوابة كابينا للحورية إيجيريا .

أ. إيجيريا Egeria

وهي في الأصل إحدى ربات الليل عند الرومان ،وكانت زوجة ومستشارة لملك روما الثاني (نوما بومبيلوس) حيث يأتي إليها للتشاور والتأمل خلال الليل . وقد تحولت بعد موته أو موتها إلى الغابات في وادي إيريشيا حيث حولتها ديانا إلى نبع هناك . وقد عبدها الرومان باعتبارها الإلهة المسؤولة عن الولادة ، فقد كان لها القدرة على التنبؤ بمصير الأطفال الحديثي الولادة .

ب. كاميناي Camenae

وهن حوريات الينابيع والغابات اللائي يتنبئن عن طريق الشعر ولذلك اندمجن مع ربات الشعر اليونانيات ، ومن أهم الكامينات ثلاثة :

1. انتيفورتا Antevorta المتنبئة بالماضي .
2. بوستفورتا Postvorta المتنبئة بالمستقبل .
3. كارمنتا Carmenta أو كامينتا Camenta .

وهي حورية الينابيع وبنت إله النهر لادون ، وكانت حامية النساء الحوامل عندما يلدن ولذلك أصبحت إلهة القابلات الرومانيات ، وكانت تعد أول من سكن أركاديا في الأساطير الإغريقية إذ كانت تسمى (نيكوستراتا) وعندما اندمجت بهذه الإلهة الإغريقية أصبحت تلقائياً عشيقة وزوجة هرمس (نبتون) وأنشأت مدينة بالانتيوم في اللاتيوم حيث تزوجت هناك وانجبت (إيفاندر) البطل

الإغريقي الروماني (بعض الأساطير تعده زوجاً لها) وبفضل حكمة ايفاندر وكارمينتا وغيرا الحروف الإغريقية الخمسة عشر التي جاء بها ايفاندر إلى الحروف الرومانية . . وعلّموا السكان الأصليين القوانين الجديدة أيضاً وعبادة الآلهة وقد كان ايفاندر صديقاً لهرقل وإينياس وأصبح بعد وفاته ، خالداً .

واعتبرت كارمانتا ، بعد موتها إحدى آلهة الرومان وكانت لها قدرة على التنبؤ وعاشت حتى بلغت المائة والعاشرة من العمر ، وبعد موتها كانت تقام الاحتفالات لتكريمها . وكانت تصوره بهيئة فتاة ملكة بأغصان الفول وهو الغذاء الرئيسي للعالم السفلي وحاملة معزفاً اشارة إلى موهبتها التنبئية الشعرية .

ج. كارناCarna أو كارديا Cardea

وهي حورية كانت تعيش على ضفاف التيبر ، وقد نذرت نفسها للطهارة إلاّ إن الإله جانوس غلبها على أمرها وعوضها على عفتها بأن أعطاها السلطة على الأبواب ، وقد أصبحت تعد إلهة التفتح الجسدي لحماية المواليد والمنزل والأسرة ، واعتبرها المحدثون من آلهة العالم السفلي لأن الرومان كانوا يقدمون لها الفول(64) .

رابعاً : آلهة العالم الأسفل

لا شك أن أرواح الموتى القديمة كانت هي أساس آلهة العالم الأسفل ولكننا نرى أن آلهة الموت الرومانية قد تطورت بفعل آلهة الموت الإتروسكية فقد اقتبس الرومان فكرة المناطق السفلية وسكانها أساساً من أتروريا القديمة ، ففي العالم السفلي الإتروسكي تختلط الصور الساذجة والمخيفة والتي هي شائعة في كل الأديان البدائية مع المفاهيم المجردة للنظم الأكثر تطوراً ، وكلاهما كانا بتأثير المفاهيم الإغريقية رغم أنها احتفظت بميزاتها الإقليمية(65) .

وفي العهود الأولى للرومان كانت الآلهة الحقيقية للعالم الأسفل هي الأرواح (مانات) ثم ظهرت الآلهة المتخصصة مثل :

1. آدي Ade

ويسمى أيضاً Eita ويقابل هاديس (Hades) الإغريقي ، ولا شك أنه من أصل أتروسكي أقتبسه الإغريق أيضاً .

وتسمى مملكة العالم الأسفل مملكة الموتى بأحد الأسماء الرومانية الآتية :

1 . أوركوس .

2 . تارتار (وهو من أصل إغريقي) .

3 . أفيرن .

وكان (أدي) هو ملك مملكة الموتى جالساً على عرشه وإلى جانبه زوجته (بيرسبيني) وهي تقابل (برسيفوني) الإغريقية . ويحمل أدي بيده الصولجان ليحكم به رعاياه من الموتى وقد يحمل أيضاً قرن الوفرة لأنه كان يعتبر إله الوفرة وعند ذاك يسمى (بلوتو) أي (الثروة) ويسميه الرومان أيضاً (ديس باتر) أي (أب الثروات) أو (موزع الثروات) على اعتبار أن باطن الأرض هو موطن الثروة .

وقد يقابل الإله الإغريقي القتيل (زاغروس) الذي يسمى (ديونسيوس الأول) الذي مزقته التيتان فأحياه زوس من بقايا قلبه النابض .

يشير اسم ديس باتر Dis pater إلى أنه أغنى الآلهة (حيث ديس dis اختصار لـditis أي غني) ولم تكن الكثير من التماثيل عند الرومان .

أما بلوتو Pluto(plouton و ploutos) فهو إله إغريقي قديم يعد إبن الإلهة هيرا من يازيون وقد حملت به في حقل حرث ثلاث مرات فكان بلوتو رمزاً للثروة والوفرة وتعني كلمة بلوتوس في اليونانية الغني وقد جعله زوس أعمى لكي يوزع حظوظ الثروة عشوائياً بدون قوانين وأحقية ويمثل بصبي يحمل قرن الوفرة أو سلة السنابل ، ويبدو أن اسم بلوتون هو اسم للإله الكبير الذي كان طفلاً اسمه بلوتوس .

وقد اعتبر أدي وبلوتون عند الرومان إلهاً واحداً واكتسب صفات مخيفة .

وهناك صور أتروسكية للإله آدي يظهر فيها متربعاً على عرشه ملتحفاً جلد أسد وقد اتخذ من رأس الأسد خوذة له .

وأما صورة الرومانية فتظهره على أنه شيخ طويل الشعر واللحية وبيده العصا يقف عليها نسر أو قرن الوفرة .

وكان الرومان يقدمون له الضحايا الحيوانية ذات اللون الأسود والضحايا البشرية مثل محكومين بالإعدام ليهدأ غضبه .

2. بلوتو Plotu

ربما كان أصله إغريقياً ومن أسمائه ديسباتر أي أبو الثروة ، واشتق اسمه من بلوتوس أي الثروة . وهو إله باطن الأرض ، وقد ظهر وكأنه أكبر آلهة العالم الأسفل واكتسب عند الرومان صفات مخيفة وأخذوا يقدمون له الضحايا الحيوانية ذات اللون الأسود واختلط مع الإله آدي .



شكل (85) آدي منظر من فريسكو مقبرة لإله العالم الأسفل وهو يجلس على عرشه مع زوجته بيرسبيني



شكل (86) اختطاف بيرسبني من قبل آدي أويلوتو

3. تاغاس Tagas

وهو الإله الإتروسكي تاغاس أو تاجيس الذي ظهر لأحد الغلامين نابتاً من أحد الأتلام التي شعتها ذلك الفلاح في هيئة طفل حكيم حفيداً لجوبتر ، وعلّم الإتروسك العرافة وقراءة الطالع عن طريق تفسير العلامات وخصوصاً في أحشاء الحيوان المقرب من الآلهة ، ثم اختفى تاغاس بعد ذلك .

تلقف الرومان هذا الإله على أنه أحد آلهة العالم الأسفل لأنه ظهر من باطن الأرض وعلى أنه إله العرافة عن طريق فحص أحشاء الحيوانات ومراقبة البرق .

يظهر تاغاس بهيئة طفل أمام عامل أسمه تارخون Tarchon ويكشف له الصيغ السحرية التي جمعت في الكتب فيما بعد .

4. أوركوس Orcus

أحد آلهة الموت ، وقد يختلط مع بلوتو ، وكانت وظيفته القبض على الناس (الذين سيموتون) ونقلهم بالقوة إلى العالم الأسفل ، وربما كان هو الذي يظهر على بعض الجداريات الإتروسكية .

ويقوم بالدرجة الأساس بالتهام جثث الموتى داخل القبور .

5. فيبريوس Februs

من المحتمل أن فيبريوس هو المقابل الأتروسكي لـ (ديس باتر) الروماني وربما كان شهر فبراير (شباط) شهره المقدس فهو شهر الموتى وفي إتروريا كان هناك إله لا شك أنه صورة أخرى من ديس باتر يدى مانكوس Mancus (66) .

6. لبتينا Libitina

وهي إلهة رومانية قديمة ويحتمل أن يكون إلهة زراعية أصلاً ثم أصبحت إلهة من آلهات العالم السفلي وتحديداً كانت إلهة ترعى المآتم ، وتودع في معابدها الأدوات الجنائزية ، وليس لها أساطير خاصة ، وكان البعض يربطها بـ (بروسربينا) زوجة آدي ، وعند موت أي شخص تقدم قطعة نقود في معبدها وكان حفارو القبور يدعونها (لبتناري) وبسبب تلابس لفظي ، فيما بعد ، اعتبر اسمها مشتقاً من اللبيدو (ومعناه الأصلي الهوى) ، وبذلك أصبحت من أعوان فينوس إلهة الحب(67) .

7. أرواح العالم الأسفل

أ. مانيا Mania

وهي الإلهة التي تدلّ على ذلك الحشد الكبير من الأرواح الرومانية القديمة التي بدأت بالانقراض والتحول إلى آلهة في عصر الدولة ، فقد تحولت المانات من أرواح الموتى الذين أُلهوا إلى آلهة منفصلة ، وبقي أكثرها في حشد آلهة العالم الأسفل .

ومانيا هي أم هذه المانات ، وفي وقت لاحق ، وأصبحت تدل على الجنون فهي إلهة الجنون .

ظلّ الرومان يعبدون المانات لتخفيف غضبهن وصرف أذاهن ولذلك أسموهنّ (الراعيات الساهرات) .

وكانت أعياد المانات تقام في شهر الموت الذي هو شهر فيبريوس أي فبروري (شباط) ضمن أعياد البارانتاليس .



شكل (87) أرواح سفلية تقود روح الشخص الميت (في الوسط) إلى العالم الأسفل.

ب. لارا Lara

كما أن الحشد الكبير من اللارات وهن الأرواح العامة الحاميات للطرق والحقول والسكان بقي أثرهن واضحاً في أمهنّ، فيما بعد، التي هي لارا وهي إلهة الصمت، التي أصبحت نوعاً من الغولة التي يخيفون بها الأطفال وسميت موتاMuta أو تاكيتا Tacita .

ووضعت لها أسطورة تفسر وظيفتها هذه فيقال أنها كانت حورية أحد الينابيع التي وشت إلى جونون عن حبيبة جوبتر جوتورن التي أرسلت له من عالم الموتى، فقام جوبتر بقطع لسان لارا وأرسلها إلى الجحيم بصحبة ميركوري. وفي الطريق أغواها فولدت منه اللاراتُ هكذا أصبحت هي أم اللارات بينما العكس هو الصحيح فهي إما إحداهن أو أنها تفسر وجودهن في العالم الأسفل حيث أصبحت هي إلهة الموت لأنه الصمت الأبدي.

ج. الليمورات Lemures

مثلما دفنت المانات واللارات في العالم الأسفل باعتبارهن ذكرى مزعجة من ماض روحي قديم هو ماضي الديانات الأرواحية السحرية كذلك دفنت الليمورات التي هي أشباح الموتى الشريرة الخبيثة التي كانت تخرج من عالم الموت لتعذيب الأحياء.

وكانت الليمورات أرواح الموتى الخبيثة التي كانت تظهر للأحياء فتعذبهم وتخيفهم ولذلك أقاموا لها عيداً في 9، 11، 13 من مايس يقدمون لها القرابين من الفول الأسود حيث تغلق المعابد ويوقف الزواج ويقرع الناس على الأواني النحاسية طوال الليل لكي تهرب هذه الأرواح(68).

وقد بدأت هذه الاحتفالات منذ عهد رومولدس الذي أقامها تكفيراً عن مقتل أخيه ريمس الذي ظهر بعد موته للراعي فاوستيلوس ولأكا لارينتا مطالبة بالتعويض وقد أسماها ريميريا ثم تحول اسمها إلى ليموريا.

د. اللارفات Larvae

وهي أرواح شريرة فهي أما أرواح الموتى الذين لم تقدم لهم الشعائر الجنائزية أو أرواح المجرمين الذين اقترفوا جرائم فاحشة لا تغتفر. وكانت هذه الأرواح تقود إلى الأرض وتظهر للأحياء على شكل أشباح أو هياكل عظمية وتخيفهم(69).

هـ. المانات Manes

وهي بقايا الأرواح القديمة التي دفنت أيضاً في العالم الأسفل واعتبرت جزءاً من كائناته. أصبحت حارسة خنادق وأساسات المدن، وتدل عليها أحياناً (حجرة الأرواح Lapis Manalis) تمثل بوابة العالم السفلي ويزاح هذا العجز في 25 آب و 5/تشرين أول و 8/ تشرين الثاني ليسمح المانات وكان الهدف من عبادتهم تهدئة غضبهم وكانت تقدم لهم اضحيات دم ويعتقد أن صراعات المجالدين اقيمت تكريماً لهم.

وكان يحتفل بأعيادهم في البارانتاليا والفيراليا في كانون الثاني حيث تتوقف الأعمال وتغ المعابد في الفترة من 26-13 كانون الثاني وتزين المعابد بالبنفسج والآس والليلك وتوضع فيها أطع مختلفة(70).

وهكذا نرى أن بعض الأرواح (المانات) القديمة التي كانت ذات يوم أصل الآلهة الرومانية تحولت بعد ظهور الدولة الرومانية، إلى أرواح شريرة تقبع في العالم الأسفل، وقد حبسها اللاهوت الجديد في ذلك المنفى بعيداً عن مسرح الآلهة العلوي.

وهذا شأن أغلب الأصول القديمة القديمة التي تتحول إلى شريرة أو سفلية بعد ظهور آلهة جديد نشطة، وخصوصاً تلك الأرواح التي كانت تعبر عن الموتى والأرواح الزراعية التي لها علاقة بالجذور حيث العالم الأسفل.

د- البينات Penates

وهي (أرواح المنزل) أي التي ترعى المنزل وكان عددهم إثنان يحملون الرماح وتتم رعاية أدوات عبادتهم من قبل الفستال والأحبار، وكانت تصور على شكل تماثيل وتشكل مع (الفستا واللارا) ثالوثاً متلازماً، ويمثلان كشابين جالسين في كل ركن من البيت وتقدم لهما القرابين، ثم أصبح لكل قرية ومدينة بينات خاصة بها حتى أن دولة روما بدأت ترعى هذه الأرواح كآلهة، ولم تكن تعد دائماً كآلهة للعالم الأسفل.

خامساً: آلهة المدن

أصبح لكل مدينة في الدولة الرومانية إلهاً أو إلهة خاصة بعضها من تلك الآلهة التي ناقشناها . وسنخص أكثر هنا الآلهة الخاصة بروما باعتبارها مركز وعاصمة الدولة الرومانية ، ورغم أن أغلب الإلهة الرومانية كان مقرها هو روما ، ولكن روما كان لها آلهة خاصة بها .

1. روما Roma

تروي الأساطير والأخبار ثلاث روايات شبه تاريخية حول تأسيس مدينة روما وتشوب هذه الروايات مسحة أسطورية ، وهذه الروايات حسب تسلسلها التاريخي هي :

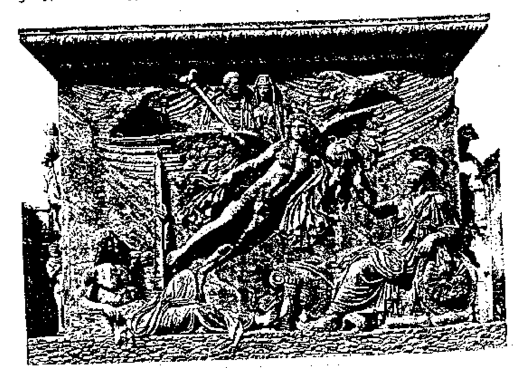
1 . الرواية التي ظهرت بعد هوميروس والتي تقول أن البطل أوديسيوس (عوليس) الذي عاد إلى بلاده بعد حرب طروادة ، كان قد عاشر الساحرة كيركة فأنجبت له عدداً من الأولاد كان من بينهم (روموس) الذي سميت المدينة باسمه .

2 . الرواية التي ظهرت أثناء رحلتي عوليس وإينياس ، فقد نصحتهما أسيرة اسمها (روما) بأن يقيما في البالاتاين ، وعندما أقام إينياس في البالاتاين قدّس (روما) هذه وأطلقها على أسم مدينته وعبرت كإلهة .

3 . الرواية التقليدية والشهيرة التي تقول بأن حفيدة إينياس (ريا سلفيا) انجبت من الإله مارس ولديها التوأمين (رومولس) و(ريمس) اللذين أسسا روما وسميت بإسم رومولوس .

وأيا كانت هذه الروايات أقرب إلى الدقة فإن الإلهة (روما) كانت إلهة مدينة روما الخاصة بها وقد مثلت هذه الإلهة بشكل امرأة ذات خوذة مجنحة وتحمل بيدها حربةً ولها قرن الوفرة الذي يفيض منه الخير على العالم الخاضع لها(71) .

ولروما منحوتات وصور عديدة منها تلك التي تؤله فيها ماركوس أوريليوس شكل (88) .



شكل (88) الإلهة روما تؤله الإمبراطور ماركوس أوريليوس آخر أباطرة مرحلة الذروة الإمبراطورية.

2. رومولوس Romulus

عبد رومولوس بعد وفاته كإله تحت اسم (كيرينيوس) وهناك رواية تقول أن الإله مارس الذي هو الأب الحقيقي لروميولوس من أمه (ريا سلفيا) رفعه إليه في عاصفة وأنه ظهر بعد ذلك لأحد أعضاء مجلس الشيوخ وأوصاه بأن يعبده الرومان تحت اسم (كيرينيوس) ، الذي هو إله الخصب والأرض والفلاحة .

وسواء كان روميولوس أم أخوة ريموس هما أصل كلمة مدينة ورما فقد كان هذا الاسم أي روما يعني (حلمة الثدي) وهو يشير إلى ثدي الذئبة لوبا التي أرضعتها بعد أن عثرت عليهما في صندوق الخشب .

وهناك من يرى أن مجموعةً من البيلاسجيين (سكان اليونان الأوائل) استوطنت هناك بعد التنقل في جميع أرجاء العالم الآهل بالسكان ، وهزموا معظم البشر ثم أطلقوا اسم (قوة السلاح) التي تعني rhome على تلك المدينة(72) .

3. إيتالوس Italos

تذكر إحدى الروايات أن تيليفونس كان ثمرة العلاقة بين يولسيس والساحرة كيركة (سيرسه) وقد قتل تيليغوموس والده بولسيس دون قصد منه وتزوج أرملة أبيه بينلوب فولدهما (إتيالوس) الذي سميت ايطاليا باسمه لانه أصبح ملكاً على شعبها القديم ، وتقول رواية أخرى أنه بطل ايطالي أصيل (73) .



شكل (89) عملة إيطالية منقوش عليها وجه انثوي وكلمة إيطاليا

سادساً: الآلهة المعنوية (الأخلاقية)

كان للدولة الرومانية وللمدينة الرومانية قيمهما الخاصة بهما، وكان لا بد من تجسيد هذه القيم المعنوية - الأخلاقية في صورة معبودة ولذلك ظهرت مجموعة كبيرة من الآلهة التي ترمز إلى هذه القيم وتجسدها في الوقت نفسه، وفيما يلي استعراض للآلهة نوعين من هذه القيم.

أ. آلهة القيم الإيجابية

1. فورتنا Fortuna الحظ:

أصلها واشتقاق اسمها: اشتق اسمها من كلمة Fero وهي إلهة قديمة جداً كانت تقدس في العديد من المناطق الإيطالية، فهي إلهة إيطالية أصيلة لكنها بعد اندماج الآلهة الرومانية والإغريقية دمجت بإلهة الحظ الإغريقية تايكي Tyche أو توشه Tuche.

وكانت تسير مغمضة العينين أو مقنعة الوجه فتمنح الناس الغنى والسلطة أو توقعهم في الفقر والعبودية اعتباطاً. وكان الرومان يخشونها ويلقبونها بألقاب عديدة. وكانت الإلهة هورا كويريني (أي التابعة لكويرينوس) توصف بأنها الربة فورتنا السابينية الأصل.

وظائفها:

1. القدر بكل عوامله المجهولة.
2. الحظ والصدفة.

أسماؤها وألقابها:

1. بريمجينا Primgena: أول مولود لجوبتر وكانت تعتبر، بترتيب غير منطقي، حاضنة وابنة جوبتر في الوقت نفسه.
2. فورتنا الجمهورية الشعبية F. publica populr roman
3. فورتنا موليبرس F.Muliebris راعية الامهات.
4. فورتنا يونيفيرا F.Univirae التي تزوجت مرة واحدة فقط.
5. فورتنا ريجا F.Regia إلهة حظ القياصرة (قدر الحكم).
6. فورتنا فيريليس F.Viriles وهي إلهة النساء من حيث حظهن مع الرجال.

7. فورتنا ريدوكس F.Redux: التي يبتهل إليها من أجل عودة المسافر.
8. فورتنا باربارا F.Barbara إلهة الجنس المذكر التي ترف على انتقال الرجل من فترة الطفولة إلى سن البلوغ ومرحلة الرجولة (إلهة شعيرة العبور)
9. فورتنا فيركو F.Virgo إلهة الفتيات اللواتي ينذرن لها ثيابهن أما في سن البلوغ أو في أيام الزواج.
10. فورتنا موسا F.Mammosa: الإلهة ذات الثديين الليتين المتهدلتين، وكانت تعتبر سيئة نساء عامة الشعب.
11. فورتنا الجمعيات: إلهة نقابية تشرف على الرابطات المهنية والتجارية وتحميها.
12. فورتنا فيلكس: F.Felix إلهة الخصب السعيد.
13. فورتنا إيكويستريز: F.Equistris ربة الفرسان.
14. فورتنا أوبسكوينز F.Obsequens: التي تنقذ المرء من الخطوات السيئة وهي أيضاً إلهة السلام والصحة.
15. فورتنا مالا F.Mala تمثل أمراض الحميات وتجسد معنى الخصم.
16. فورتنا دويتوس F.Douteuse إحدى مظاهر الحظ المعاكس.

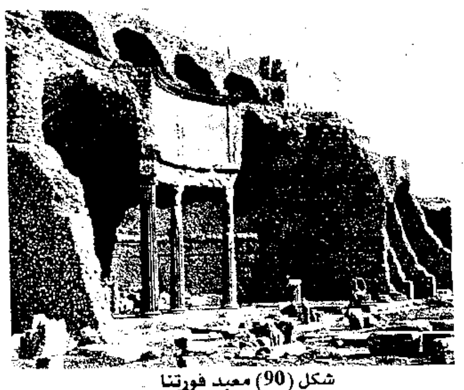
وظائفها:

رغم أن أسماء فورتنا السابقة تعكس وظائفها لكننا يمكن القول أن فورتنا تجسد بالدرجة الأولى ساعة الحظ الملائم والصدفة المناسبة في التجارة والحروب والمباريات والحب والزواج، ولأنها تجسد الحظ المعاكس الفردي والجماعي في الوقت نفسه، وكانت تصور أحياناً في صورة امرأة عمياء لكي ترمز لقيامها بمنح السعادة بشكل اعتباطي وفجائي.

ولأن علاقة هذه الإلهة قوية بالقدر فهي مرتبطة بدولاب الأفلاك والأبراج وهي التي تساهم بوضع أقدار الناس الهالكين، فهي إلهة هامة لأن كل إنسان يحلم بأن يحظى برضاها لدعم موقعه وكان الناس يشربون نخبها ونخب الحظ الذي تمثله.

وقد تصاعدت مهمة فورتنا من الحظ المحدود لتكون مؤسسة وحامية المدن ومعينة الأبطال على النصر ولتتحصل على وظائف سياسية شاملة مثل رعاية الجمعيات والجمهورية الرومانية كلها ولتصبح المسؤولة عن الصحة والسعادة والسلام وغيرها. لكننا يجب أن لا ننسى الجذور الزراعية لهذه الإلهة وعلاقتها بالخصب والفواكة (قرب الخصب) والأرياف والفلاحين والخشخاش والمياه والبذور.

أساطيرها عرفت أسطورتها الرئيسية مع الملك سيرفيس توليوس وهو العبد الذي أصبح ملكاً حيث جعلت أماً له أو عشيقة له وكانت تتسلل من السماء لتزوره ليلاً .



شكل (90) معبد فورتنا

وعرفت فورتنا بإقناعها لكوريولانوس برفع الحصار عن روما استجابة لتضرعات أمه والزوجات الرومانيات .

وكان الأباطرة الرومان يصنعون تمثالاً صغيراً لفورتنا في قاعات نومهم . وكذلك كانت فورتنا لدى المواطنين المميزين بحسن أو سوء الحظ ، ويذكر أنه عندما ضربت عاصفة سفينة قيصر ، قال للملاح المذعور " ما الذي يخيفك فأنت تحمل قيصر وفورتنا الخاصة به" .

رموزها :

1 . عجلة القيادة (قيادة البشر) .

2 . غصن التخيل (النصر) .

3 . الأجنحة (الطواف) .

4 . الكأس (خمرة الارتواء) .

5 . السلام والتجارة .

6 . مقدم السفينة (التقدم) .

7 . قرن الوفرة (الخصب) .

8 . الدولاب (يرمز للحركة وعدم الثبات) .

9 . الصولجان (الحكم) .

10 . الإكليل (الفوز) .

11 . الذمة (السير) .

12 . الكرة (الشمول) .

13 . الأبراج الإثنا عشر (الخط) .

صورها : تمثال لإمرأة ناضجة تمسك ببعض هذه الرموز .

وكان أصل قرن الوفرة التي اشتهرت به يرمز إلى الثروة ويقال أن إله النهر أخيلوس حول نفسه إلى ثور لينافس هرقل على الحسناء ديجانير ، فغلبه هرقل واقتلع أحد قرنين فاستعاده منه الإله المغلوب على أن يعطيه بدلاً منه أحد قرني العنزة أمالتيه مرضعة الإله زوس ويقال أن زوس نفسه هو الذي اقتلع أحد قرني مرضعته ولكي يواسيها وعدها بأن يجعله رمزاً للثروة والغنى(75) .

معابدها : أشهر معابد فورتنا هو معبدها في برينست (باليسترينا حالياً) في لاتيم .

2. فكتوريا :Victoria النصر

وهي إله النصر التي كانت تبدو مرافقة لإله الحظ فورتنا ، وهي شبيهة نايكي nike اليونانية ولذلك فهي شقيقة الحماسة والسلطة والقوة وهي إلهات معنوية أو مجازية أخرى من بنات بالاس وسيتكس إله النهر الموجود في العالم الأسفل التي هي من أبناء الأوقيانوس .

وكانت فكتوريا تقود خطى الآلهة والأبطال في ساحة النصر ، وقد أقيم لها معبد على جبل البالاتان بروما . وتصورها الفنانون على هيئة فتاة مجنحة تحمل سعفة نخل وإكليلاً وتبدو مسرعة (شكل(92)) .

ومن المحتمل أن تكون هذه الإلهة اللاتينية هي ذاتها الإلهه السابينية فاكونا Vacuna وبعد أن كانت فكتوريا راعية للحقول والغابات أصبحت مسؤولة عن نجاح الرومان في مجال السلام ، وقد اعتبروها واحدة من أقدم آلهتهم ، وكانت تقرن مع الإلهتين .

1 . فيكا بوتا Vicapota

2 . فيتولا Vitula (أو فيتليا Vitellia) .

وكانت مسؤولتان أيضـ عن احتفالات النصر

أما نسبها بعد أن أتحدث بـ (نايكي) فهو كما يلي :

ستيكس (نهر الجحيم)
إلهة حربية بنت أوفيانوس
وثيتس واخت تايكي وميتيس
+
بالاس
(والد أثينا)

زيلوس (الحماسة) الغيرة — نايكي (النصر) — بيا (العنفة) — كراتوس (القوة)

وقد اعتبرت ستيكس (إلهة الكراهية) أما لهؤلاء .



شكل (92) الإلهة فكتوريا

3. باكس Pax السلام

وهي إلهة السلام الذي يعقب النصر ، ولم تكن عبادتها قديمة أو واسعة وكان لها معبد في روما أقيم عام 75م .

وتوحدت مع إيرينا إلهة السلام اليونانية . وتظهر في التماثيل على شكل أنثى جميلة تحمل بيدها قرن الوفرة وغصن الزيتون ، وتختلط وظيفتها مع اختها كونكورد إلهة الوفاق .

4. آمور Amour الحب:

وهو إله الحب وكان على شكل ملاك صغير مجنح ، وكان آمو يظهر بشكل مجموعة من الأمورات المجنحة التي ترافق فينوس وتساعدها على إتمام زينتها وتعزف لها الألحان وتمارس بعض الهوايات العنيفة كالصيد وصنع السلاح .

وترمز الأمورات لفصول السنة أيضاً فتظهر بشكل الفلاحين وجامعي الأثمار . ويختلط آمور مع كيوبيد Cupiden الذي اندمج مع ايروس اليوناني ليعبّر عن الحب .

5. كيوبيد Cupid الحب:

إله الحب عند الرومان وابن فينوس ، وله قصص عديدة أشهرها قصة حبه لبسيته . ولعب دوراً في قصة حب ديدون (إليسا) وإينياس كثرت صورة في العصر الروماني مرافقاً لفينوس وغيرها وكان يمثل بأجنحة .

6. بسيشة Psyche النفس :

وهي إلهة النفس أو الروح التي تنال التطهير عن طريق الحب السامي والألم والتي اقترنت بإله الحب (كيوبيد) وفق الأسطورة الإغريقية المعروفة عنها ، وقد تناولت آخر الأمر ، طعام الخلود امبروزيا وظلت متزوجة من إله الحب إلى الأبد ويرمز هذا خلود النفس واتصافها بالحب .

وتظهر بسيشه على الآنية الرومانية أحياناً على شكل ديك أو فراشة وغالباً ما تظهر على شكل فتاة جميلة صغيرة مجنحة .

7. فيليكيت Felicite السعادة :

وهي إلهة السعادة التي تصور على شكل امرأة بدينة تحمل رمز الصحة الذي هو رمز الطب (العصا المجنحة ذات الثعابين) وقرن الوفرة وهما قطبا السعادة (الصحة والوفرة) .

8. أميتييه Amitie الصداقة :

وهي إلهة الصداقة التي ظهرت على شكل فتاة ترتدي ثوباً مشبوكاً عند الخصر ومتوجه بالأزهار أو بأغصان الآس وتحمل في يدها سلّة عنب .

9. تالاسيو Talassio الزواج :

هو إله الزواج عند الإتروسك ثم الرومان ، وكانت مراسيم الزواج تقضي بأن يرفع المحتفلون له الدعاء حين تقاد العروس إلى بيتها ويصيحون حين تصل وهذا الإله قديم جداً ويظهر في الحملة التي سبى فيها رومولوس السابنيين .

10. هورا أو هورتا Hora الشجاعة:

وهي في الأساس امرأة شجاعة أسمها هرسيليا أوقفت الحرب بين الرومان والسابيين وتزوجت من رومولوس وانجبت منه ولداً وبنتاً ثم قتلتها صاعقة من صواعق جوبتر فرفعت إلى السماء وتحولت إلى إلهة يقدسها الشباب كرمز للشجاعة(76) .

وتختلط أحياناً بإلهة الحظ السابيينة الأصل (فورتنا السابينية) وأحياناً أخرى كان يخلط بين الإلهة هورتا (الارتوسكية الأصل) والإلهة مويريني ، وقد أقام الرومان لهورتا معبداً مفتوح الأبواب . ويبدو أن أصل هورا هو (هرسيليا) زوجة رومولوس التي أشعلت شعرها نجمة واتحدت بها وعرجت للسماء .

11. كاميناي Camenes الإلهام

وهن إلهات الشعر والفن والعلم وكنّ إلهة واحدة ثم أصبحن ثلاثة وقد عبدهن الإغريق على انهم بنات زوس من منيموزين (الذاكرة) وربما بنات أورانوس من غايا ، وهن تسعة إلهات يسمين بالإغريقية الميوزيات Muses :

الاسم الاغريقي	الإسم الروماني	الوظيفة
1- كيلو		التاريخ
2- أوترب		الموسيقا
3- ثاليا		الكوميديا
4- ملبومين		التراجيديا
5- تيربسيشور		الرقص
6- إيراتو		الشعر الغزلي
7- بوليمنيا		التراتيل
8- أورانيا		الفلك
9- كاليوبه		الشعر الملحمي والبلاغة

12. آلهة النزاهة Fedis :

وهي ثلاثة من الآلهة المترابطة تجسد النزاهة في المعاملات الخاصة والعامة وهي :-

1 . فيدس Fides من أصل سابيني يجسد الوعود الصادقة في المعاملات الشفهية .
2 . ديوس فيديوس Deus Fidius من أصل سابيني وهو راعي أصول الضيافة
3 . سيمو سانكوس Semo Sancus من أصل لاتيني يجسد الإيمان والقسمة(77) .

13. بوناس إيفنتوس Bonus Evantus نجاح المشاريع :

كان في البداية إلهاً ريفياً مسؤولاً عن الحصاد ثم اتسعت مهماته فأصبح رمزاً للتفاؤل والنجاح في المشاريع .

وكان له معبد في روما وتمثال في الكابيتول .

14. كونكورد Concorde الوفاق :

هي إلهة الوفاق بين الأسر والمواطنين والأزواج ، أقيم معبدها في مركز روما عام 367 ق .م عقب الاتفاق الذي أنهى الصراع بين الباتريسيين والبيلبيين وتمتزج صفاتها بصفات أختها إلهة السلام . وتنسب إليها أدواتها مثل الرمانة رمز الزواج الودود الولود وغصن الزيتون رمز السلام الذي يتم الاتفاق تحت لوائه وفي ظله(78) .

15. سبيس Sapies الأمل :

عبدها الرومان وصوروها بصفة فتاة ترفع ذيل ثوبها بأحدى يديها وتحمل باليد الأخرى برعماً .

وقد وحّدها الرومان بآلهة الأمل الإغريقية إيلبس Elpis والتي كانت تشير ، بشكل أو بآخر ، إلى آخر ما تبقى في علبة باندورا (حواء الإغريقية) التي فتحتها فضولاً فطارت منها كل الشرور وانتشرت في العالم ولم يبقى في قاعها إلاّ الأمل .

16. جوستيتيا Justitia العدالة :

إلهة تجمع بين القسوة والرحمة ، وكانت في العصر الذهبي للإنسان تعيش على الأرض أيام كانت العدالة تنتشر بين الناس ، لكنها انسحبت إلى السماء عندما ازدادت الشرور وكونّت مع تابعاتها المجموعة النجمية التي تسمى بـ (العذراء) .

وقد عدت ، بعد توحد الآلهة الرومانية والإغريقية ، زوجة جوبتر وهي من التيتانات الجبارات القديمات بنات ساتورن ، وتوحدت مع ثيميس اليونانية وانجبت من جوبتر ربّات القدر (بارك) وربات الفصول والهوريات .

17. جوفانتس Juvantus الشباب:

إلهة الفتوة والشباب التي كان من وظائفها تهيئة الفتيان المراهقين الذين كانوا يعبدونها لدخول سن الرشد ، وتقابلها عند الإغريق الإلهة هيبي ساقية زوس وإبنة هيراوزوس .

18. إلهة الحذر (برودينس Pruudence) :

وهي إلهة رومانية مجازية تقابل إلهة الذكاء والعقل الإغريقية (ميتس Metis) التي تزوجها زوس (جوبتر) وجعلته يتقيأ أولادهم الذين ابتلعهم عن طريق شراب سحري ، وحين تنبأت غايا بأن أبنها سيتفوق على والده وسيجرده من سلطانه قام زوس بالتهامها حتى لا تضع هذا الغلام لكن هذا الغلام تحول داخل زوس إلى أثينا التي خرجت من رأسه .

لكن إلهة الحذر الرومانية قديمة وصورت على شكل امرأة ذات وجهين ينظر أحدهما إلى الماضي والآخر إلى المستقبل .

19. أنغيتا (Anguitia) الطب والتعاويذ

هي إلهة الأفاعي عند الطليان ، عبدت في وسط إيطاليا ، وهي تتمتع بمواهب عديدة منها صنع السم وتحضير الترياق وترويض الأفاعي وتلاوة الرقى التي تطرد الشياطين وتشبه إلى حد بعيد كيركه (سيرسه) وميديا في الأساطير اليونانية(97) .

20. كبير (كبيرسس أو كابرس Cabires)

إلهة شرقية الأصل وربما كانت من حشد الإلهات الأموريات ويدل اسمها عليها (كبيرة) دخلت إلى الرومان بعد أن كانت ضمن آلهة الأسرار اليونانية ، وقد اعتبر هيفايستوس إله النار والمعادن والدها الذي أعطاها أسرار صنعته .

عبدت كآلهة خصب وحماية من الأخطاء كالغرق ، عبدت في بيوتاً وساموثراس (كانت جزءاً من العبادة السرية الساموثراثية عند اليونان) وتوحدت عند اليونان مع الأخوين ديوسكور ومع الكوريبانت

، ووحدها الرومان مع البينات Penates . عثر لها على صورة رومانية في مدالية من عصر تراجان وهي تلبس قبعة مخروطية وتحمل بيدها غصن سرو إشارة إلى العالم الآخر .

21. الخاريتات: ربات الحسن، ربات النعم Charites , Graces

وهن ربات الحسن الثلاثة من زواج ليثيه (ربة الشقاق) بزوس (جوبتر) وجمالهن الخارق يجعلهن يجذبن شعاع الشمس إلى الأرض ، ويدفئن قلوب البشر ويبعثن فيها البهجة ويوجهن الناس إلى طلاوة الحديث وإقامة العلاقات الاجتماعية الطيبة .

ويقال انهن نبات جوبتر من فينوس أو من أورينوما أجمل بنات أوقيانوس . . وكن يحببن الشعر ويعشن في الأولمب قرب ربات الشعر والموسيقى ، يمثلن في النحت والتصوير بثلاث نسوة جميلات عاريات اثنان إلى الأمام والثالثة الوسطى إلى الخلف وقد تمسك إحداهن وردة أو نرداً أو غصن آس .

22. مونيتا Moneta الثروة

هذه الإلهة تابعة للإلهة جونو المسؤولة عن ممالك الثروة . وأصبحت وظيفة مونيتا حماية المبادلات التجارية ، وكان معبدها عند الرومان مكاناً لسك النقود التي كانت تحمل ، منذ العصر الإمبراطوري ، على وجهها صورة أحد الآلهة بينما يحمل الآخر صورة الإمبراطور .

ب. آلهة القيم السلبية

1. فاما fama الفضائح

وهي إلهة تتطفل على خصوصيات الناس وأسرارهم وتنشرها بينهم فيه إلهة لها القدرة على النفاذ إلى الأسرار العميقة ، وعبدها الرومان بخوف واحترام وكان من أصحابها وضيوفها الدائمين آلهة الخطيئة والخطأ والصخب .

وعبدها الإغريق كإلهة مجنحة ذات عيون عديدة وافواه عديدة(80) .

2. فاميس Fanes الجوع

إبنة الحقول التي تصيب الحقول بالجدب ، وضعها فرجيل على أبواب الجحيم ووضعها أوفيد من البلاد المتجمدة وصوره في أشعاره بهيئة عجوز جاثية في حقل مجدب تقتلع منه أعشاباً عجافاً وقد كان البعض التسالي أيسيختون ضحاياها(81) .

بارك Park

3. فاتوم Fatum القدر

فاتوم أو بارك اسم يلقب إلهات القدر الثلاث بنات جوستينا وجوبتر ويعبرن عن إرادة الآلهة التي لا تتبدل ويقابلهن (مار) أو (مورات) في الإغريقية وكن في الأصل يدللن على المصير والمستقبل والوحي . والإلهات الثلاث عند الرومان هن :

أ . نونا : إلهة الولادة .

ب . ديسميا : إلهة الزواج .

ج . مورتا : إلهة الموت .

ويسمين أيضاً (تيا فاتا) أي الأقدار الثلاثة وكن يحملن عادة مغازلهن ويحتفظ متحف اللوفر بنقش على قبر روماني يصورهن بهيئة توحي بالرهبة إذ ترتفع على رأس أولاهن ريشات تدل على عمر الإنسان وتمسك الثانية صحيفة ملفوفة إشارة إلى القدر المكتوب المغيّب بينما تمسك الثالثة كرة الكون تقرأ عليها خطوط طالع الإنسان وتسميتهن الرومانية الباركات في مقابل الموارات الإغريقية(82) .

4. موموس (Momos) : السخرية:

هي إلهة السخرية والنقد اللاذع وكانت ترافق إله المآدب كوموس ولعل أشهر أساطيرها نقدها للإنسان الذي صنعه فولكان ناسياً فتحه الأسرار في صدره ولها عدة أساطير أخرى .

5. أنديفيديا Andividia الحسد .

وهي إلهة الحسد الرومانية التي تقابلها عند الإغريق الإلهة (فتونس) وهي إلهة العين الحاسدة الشريرة ، وهي ذات روح شريرة وقلب تأكله الأفاعي ولها جسد نحيل بسبب الغيظ والحسد والرغبات التي لا تنتهي

سابعاً: آلهة الفضاء:

1. سول Sol: الشمس

إله الشمس عند الرومان يقابله هيلوس عند الاغريق وقد كانت عبادته بسيطة مألوفة وتقدم له الاضاحي في التاسع من آب ، لكن الاهتمام به أصبح متزايداً عندما وفدت الى روما عبادة اله الشمس السوري الحمصي اليجابيل التي جلبها الكاهن والامبراطور بنفس الاسم وهو زمن الامبراطورات السوريات الاصل في القرن الثالث الميلادي ، وازدادت أهميته بشكل يفوق التصور مع عبادة الإله مثيرا الفارس الذي يمثل الشمس أيضا .

2. لونا Luna: القمر

هي الهة القمر اليونانية وزوجة سول (الشمس) وتقابلها في الاغريقية سليني التي كانت اخت هيلوس (إله الشمس الاغريقي) . وقد اتحدث في العصور المتأخرة مع الإلهة ديانا وكان لها معبد على جبل آفنتان في روما دمره حريق نيرون .

3. لوسيفر Lucifer: نجم الصباح

إله الضوء ونجم الصباح أوهياسبروس ويقابل عند الاغريق فوسفوروس وهو الإله الذي يعلن عن قدوم الفجر .

والإله الضوء هذا ولدان هما سيليكس وديداليون ، كما أنه يعد أباً للشعر والحرية .

4. فافونيوس Favonius: الريح الغربية

ومعنى اسمه بالرومانية (المحسن) لانه يحمل المطر ويبشر بالربيع وهو يقابل عند الاغريق زفيريوس ، وقد تزوج من كلوريس (إلهة الخضار الجديدة) فانجبت له (كارويوس) إله الثمر ، وكذلك تزوج من (فلورا) . وفي الاساطير الاغريقية له قصة مع أبولون .

6. بورياس : الريح الشمالية

وهي الريح التي تزوجت من أوثيا ولها ولدان (زيتيس ، كلايس) .

7. نوتس : الريح الجنوبية

وتسمى أيضاً اوستير

8. ماجستيا نجوم الثريا (البليادات)

هنّ بنات الإله أطلس السبع من أمهن بليونة تحولن إلى مجموعة نجميّة وتروي الأساطير الإغريقية أن زوس أراد أن يخلصهن من ملاحقات أورويون فحولهن إلى حمائم ثم إلى نجوم ، وتروي أخرى أنهن انتحرن حزناً على أبيهن الذي أوقع عليه زوس عقاباً فصرن في عداد النجوم ، وتزعم رواية ثالثة أن انتحارهن كان حزناً على موت اخواتهن (الهيادات) وتسمى نجوم الثريا بـ (البليادات) وظهورهن في مارس يبشر البحارة بفصل مناسب للملاحة أما غيابهن في الخريف فينذرهم بفصل العواصف .

9. الهيادات Hyades

وهن نجوم برج الثور بنات أطلس وبليونة أو ايترا ، وكنّ أخوات الثريا ، والهيادات هن الحوريات اللواتي أرضعن ، ديونزيوس (باخوس) ونشأنه فكافأهن زوس (جوبتر) برفعهن إلى السماء وحولهن إلى نجوم في برج الثور ، ويقال بأنهن أثرن شفقة زوس بكثرة بكائهن على أخيهن هياس الذي قتل في ليبيا فحولهن إلى نجوم ولكنهن ثابرن على ذرف الدموع ، ويعتبر ظهورهن في الأفق مع شروق الشمس أو غروبها دليلاً على قدوم المطر حتى أن اسمهن يعني الممطرات(83) .

10. الهورات : الفصول

وهو بنات زوس (جوبتر) وثيمس (جوستيتا) وعددهن ثلاثة (ثالو ، كاربو ،أوكسو) ويرمزن للفصول الثلاثة (الربيع ، الصيف ، الشتاء) وأصبحن فيما بعد أربعة ، ثم أصبحن اثني عشر بعدد ساعات النهار ، ويظهرن بشكل عام كفتيات جميلات يرقصن بصحبة الموسيقى .

11. استرايوس

هو أحد المردة وزوج (أيوس ، الفجر) وهو والد الرياح الأربع التي ذكرناها ووالد استرايا (نجمة العذراء) التي اختفت من الأرض بعد العصر الذهبي عندما طغى الشر وصعدت إلى السماء كنجمة تسمى العذراء .

12. ايجيريا

إحدى ربات الليل عند الرومان . كانت زوجة ومستشارة لنوما بومبيلوس ثاني ملوك روما وقد تحولت بعد موتها إلى ينبوع يجري قرب أريسيا في اللاتيوم ، وقد عبدها الرومان باعتبارها الإلهة المهيمنة على الولادات(84) .

ولها علاقة بأسطورة الغصن الذهبي حيث تشارك الإلهة ديانا معبدها في غابة نيما مع فيربيوس (هيبوليت) .

المبحث الثالث
الآلهة الرومانية حسب أصولها

ستبدو مادة هذا التصنيف موزعة في تضاعيف المباحث والفصول السابقة ولذلك سنلجأ إلى وضع شكله وتعداد آلهته وسندع التفاصيل تؤخذ من ما ذكرناه سابقاً عن هذه الآلهة :

1. الآلهة المحلية:

علينا أن نعود إلى المبحث الثاني من الفصل الثاني لنرى أن المقصود من هذه الآلهة تلك التي ظهرت في إيطاليا قبل ظهور روما وبعدها ويمكننا أن نقسمها كما يلي :

أ . الآلهة اللاتينية .

ب . الآلهة السابينية .

ج . الآلهة الأومبيرية .

وأغلب هذه الآلهة عبارة عن أرواح بدائية لا شكل ولا معابد لها لكنها تبدأ بالاندماج والانصهار داخل بعضها فتتكون منها نوعين من الآلهة الأكثر تطوراً وهي :

أ . إلهة العائلة : وتنقسم إلى خمسة أنواع .

ب . إلهة الدولة : وتنقسم إلى خمسة أجيال .

والحقيقة أن هذا النشوء المحلي للآلهة الإيطالية عموماً يدعونا للتأمل فيبدو أن هذه الأرواح السحرية مرت بثلاث مراحل حتى ظهرت منها الآلهة ذات الشخصية الكاملة ، فقد بدت الأرواح وكأنها ومضات وشغل صغيرة تتحكم بالظواهر البسيطة لحياة الفلاح الإيطالي ثم الروماني . ثم تطورت إلى آلهة عائلية ومن هذه الآلهة العائلية ظهرت آلهة الدولة التي أصبحت آلهة مملكة روما أولاً ثم آلهة جمهورية لزمن ما .

2. الآلهة الأجنبية

أ . الآلهة الاتروسكية (التوسكانية) .

ب . الآلهة الإغريقية (الهيلينية) .

ج . الآلهة الشرقية :

1 . السورية (أترغاتس ، اليجابيل ، عزيز) .

2 . المصرية (إيزيس ، أوزوريس ، حورس) .

3 . الفريجية (سيبيل ، ما) .

4 . الفارسية (ميثرا) .

5 . الأوروبية القديمة (السلتية ، الجرمانية ، الغالية . . . الخ)

وإذا كانت معظم هذه الآلهة قد نشطت الآلهة الرومانية المحلية وأضافت لها دماً جديداً فإن الآلهة الإغريقية وحدها هي التي أعادت صياغة هذه الآلهة المحلية وفق هيكلها وأساطيرها وسببت طمساً حقيقياً للأصول الثيولوجية الرومانية القديمة ، وقد عالجنا هذا الموضوع في أكثر من مكان رغم أننا نعذر من أخذ هذا التوافق بين الآلهة الإغريقية والرومانية على أنه الصيغة الدقيقة لشكل وجداول الآلهة الرومانية ونؤكد على هذا الشكل قبل حصول إعادة الصياغة الإغريقية .

ويقينا أننا أطلقنا على هذا التقسيم مبحثاً من أجل اتباع خطة البحث ، ولكنه في حقيقة الأمر لا يرقى إلى مستوى المبحث حجماً ومادة وشفيعنا أننا شرحنا مادته في أماكن أخرى مع اعتذارنا للقارئ الكريم .

المبحث الرابع
الآلهة الرومانية حسب شجرة الآلهة الإغريقية

ويمكننا إجمالاً تقسيم هذه الشجرة إلى مستويات أو طبقات متدرجة هي :

1 . آلهة الهيولي .

2 . آلهة الكون (العناصر الأربعة) .

3 . جيل الجبابرة (ساتيرن وأخوته)

4 . آلهة الأولمب الآباء الستة (جوبتر وأخوته) .

5 . آلهة الأولمب الأبناء الستة (أبناء جوبتر) .

6 . أحفاد جوبتر .

7 . أبناء أحفاد جوبتر .

والحقيقة أن هذه الشجرة ليست من الدقة بحيث يمكن أن تكون ثابتة راسخة بل هي مقترحة واحتمالية بسبب الخلط الكبير بين أنساب وأصول وأبناء الآلهة الرومانية والمتأرجح بين أصول رومانية وسلالة نسب إغريقية . وقد جهدنا في تنظيم هذه الشجرة رغم الصعوبات التي تحف بهذا العمل . وقسمناها إلى سبعة أجيال لكنها في حقيقة الأمر ، شجرة واحدة متصلة .

وعلينا ملاحظة أن سياق هذه الشجرة لا يأخذ مصداقيته إلا حين دخلت الآلهة الإغريقية واستبدلت أسماؤها بما يماثلها رومانياً وقد حصل هذا في نهاية العصر الجمهوري وبداية العصر الإمبراطوري بشكل خاص .

1. آلهة الهيولى

ليس هناك مصادر قديمة توضح نشوء الآلهة العتيقة سوى ما كتبه أوفيد في مس الكائنات وفرحيل في كتاب فن الفلاحة وسنستعين بهما ولكننا سننظر بعين الاعتبار لما أسنده الرومان من وظائف جديدة لآلهة أو لأرواح قديمة لا يرد ذكرها في هذين الكتابين .

تنقسم مرحلة الهيولى إلى ثلاثة فترات أساسية هي :

1 . الخواء الساكن : حيث كان الخواء كاؤوس Chaos هو الموجود في حالة ساكنة وكان كتلة مضطربة لا شكل لها وجماداً لا حياة فيها . ويرى الرومان أنه الإله يانوس هو الإله الهيولي أي أنه أول الآلهة فهو إله البدايات .

2 . الخواء العفيف والثقيل : تدب حركة في الخواء وينفصل إلى قسمين العلوي هو الخواء الخفيف والسفلي هو الخواء الثقيل .

3 . ينفصل الخواء الخفيف إلى الضوء الخفيف العالي والنور الثقيل الواطئ ويكونان في السماء (يانوس) ويتحول الخواء الثقيل إلى التراب ويكون الأرض التي تنقسم إلى قشرة الأرض وقرصها وهي الإلهة تلوس (Tellus) وباطن الأرض وأعماقه وهو الجحيم تارتاروس (Tartarus) . وهكذا تكون البذور الأولى للكون قد تكونت فهناك السماء والارض ، ويمكننا أن نلمح (بسبع) حالات أو آلهة هيولية بدائية .

2. آلهة الكون (العناصر الأربعة)

تتحول الأرض (تلوس) إلى الإلهة الأم الأولى المحورية في الكون والخلق وهكذا تقوم بالزواج من السماء ومن الجحيم وتنجب أبناء من جسدها دون زواج وكما يلي :

1 . خلق آلهة الهواء الأولى : تتزوج تلوس من السماء (يانوس) وتنجب منه ستة أنواع من الآلهة ثلاثة عن طريق الاتصال الجنسي وثلاثة من دم يانوس .

أ . الجبابرة التيتان (Titans) وهي آلهة الهواء المنتصرة التسعة التي تنقسم إلى أربعة فئات حسب العناصر الأربعة وهي :

1 . الترابية : يابت ، كريوس ، جوستيسيا (إلهة العدالة ، منيموسين (الذكاء) .

2 . المائية : أوفيانوس الذي هو النهر المحيط .

3 . الهوائية : ساتورن وهو زحل وإله الزمن .

4 . النارية : كليمينة وهيبريون وكويوس .

كان يحكم العالم آلهة الجحيم أوفيون ويورينيما لكن سارتون الإبن الهوائي البطل طردهما من اجلى الأولمب وحكم هو فيه وتخلص من والده إله السماء (يانوس) بأن رفعه إلى الأعالي ، وكان ساتيرن أساساً إله الزراعة والخصب .

ب . الصقالية (السيكلوب cyclop) وهم ذو العين الواحدة وهم ترابيون .

جـ . الذراعيون (هيكاتون خيريس) وهم ذوو المائة ذراع وهم ناريون .

فيبدو أن ساتورن ابعد إله السماء والده (يانوس) بعد أن قطع عضوه الذكري ورماه في البحر فظهر من اختلاط دم السماء ما يلي :

أ- فينوس : من دم عضو يانوس في البحر وهي إلهة المطر .

ب- الأيرينات (المنتقمات) من دم السماء على التراب .

جـ - الجيجانت (العمالقة) من دم السماء في أعماق الأرض .

2 . خلق آلهة النار الأولى : تتزوج تلوس من إله الجحيم الأول (تارتاروس) وتنجب آلهة النار الاولى وهي :

1 . ثاناتوس (الموت) : وهو إله ترابي .

2 . نسر جوبتر : إله هوائي .

3 . أفيون (تيني البراكيني) إله ناري الذي يستولي على جبل الأولمب مع زوجته يورينيما ويزيحهما عنه ساتورن .

3 . **خلق آلهة الماء الأولى** : تنجب تلوس دون مضاجعة هذه الآلهة بالإضافة إلى ظهور الجبال والوديان فهناك الحوريات وزبد البحر والبحر الأسود (بونتوس) .



شكل (93) الإلهة تلوس مع آلهة الماء والهواء الأولى وترعى ولادة البشر والحيوانات حوالي (13-9) ق.م

3. جيل الجبارة (ساتيرن واخوته)

ويتزوج ساتورن أيضاً من أمه (تلوس) الأرض العميقة لينجب منها آلهة لظلام (كير) ويتزوج من را (بنت أوفيانوس) لينجب منها خيرون (الفليري) وهو قنطور برأس إنسان وجسد حصان .

أما أخوة ساتورن فيدينا سلون أيضاً وفق ضوابط داخلية عميقة لها علاقة ببنية العناصر الأربعة وهو كشفنا عنه تفصيلياً في كتابنا (المعتقدات الإغريقية) .

1 . زواج يابت من كليمنين (النارية النزعة) وإنجاب أبيميثيوس (الإله الرجل) وبروميثيوس (حامل النار) اللذين يتزوجان من بانرورا بالنسبة لأبيثوس فينجب دوكاليون الذي هو نوح الإغريقي . وينجبان (يابت وكليمين) الإله مينوتيوس والإله أطلس الذي ينجب الثريا والقلاص .

2 . زواج كريوس من أوريبين .

3 . زواج جوستيسيا (العدالة) ومنيموسين (الذكاء) من جوبيتر .

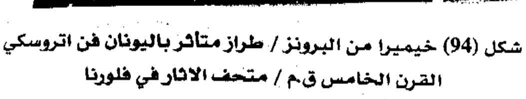
4 . زواج أوفيانوس (النهر المحيط) من تيثيس (البحر) وإنجاب الأوقيانادات الحوريات ومجموعة من الآلهة مثل إليا خوس وفورتنا (الحظ) وستايكس (نهرالجحيم) ومتيس (الفطنة) وهؤلاء يتزوجون بدورهم (انظر الجدول) .

5 . زواج هيبريون (اللهب الكويتي) من تيا وإنجابهما للشمس (سول) والقمر (لونا) والفجر (إيوس) وهؤلاء يتزوجون أيضاً (انظر الجدول) .

6 . زواج كويوس وفويبين (النور) وإنجابهما ل (ليتو) إلهة الضوء واستريا الإلهة النجمة والتي ستنجب من زواجها الفجر جميع النعوم والرياح الأربعة .

وهكذا نرى أن الكون يتشكل بسمائه وأرضه وبحاره وعالمه الأسفل ومن ناحية أخرى سيقوم بونتوس ابن تلوس بالزواج من أمه وإنجاب نيروس . (إله بحر أبجه) وسيتو وفورسيس اللذين يتزوجان فينبغيان الغورغونات (ميدوزا ، أورياله ، ستينو) والغيلانات .

أما أوفيون (ابن تلوس وترتاروس) وهو تبني البراكين فيتزوج من يورينما (أفعى النار ، وينجبان في العالم الأسفل أروفوس (أورثوكلي وهو الكلب الوحشي ذو الرأسين الذي سيتزوج إيفدينا وينجب منها السفنكس (العنقاء) والنيمس (الأسد) . وثاني أبناء أوفيون هوالخيمر (خيمرا) وهو كائن يشبه الأسد وذيله أفعى وعدو . بيلفرون (المياه السامة) وسيربروس (كلب الجحيم) وكل هؤلاء يشكلون آلهة العالم الأسفل أو الجحيم .



شكل (94) خيميرا من البرونز / طراز متأثر باليونان فن اتروسكي القرن الخامس ق.م / متحف الاثار في فلورنا

4. جيل جوبتر (آلهة الأولمب الآباء)

يتكون جيل جديد من كل آلهة العناصر الأربعة السابقة ولكن المسيطرة على الكون تبقى من نصيب آلهة الهواء حيث يسيطر أبناء ساتورن على الكون .

ويتزوج الآلهة السابقون وينجبون أجيالاً جديدة .

أما الإله الأساسي ساتورن فيتزوج من أوبس ops وهي الآلهة الأم الثانية وينجب منها ستة آلهة أساسيين هم :

1 . آلهة التراب : جونو (إله الزواج) وكيريس (إله الخصب والحبوب) وتبقى كيريس عذراء وتتزوج جونوس من جوبتر .

2 . آلهة الماء : نبتون إله البحر الذي يتزوج من عدة زوجات وينجب عدداً كبيراً من الآلهة .

3 . آلهة النار : فستا (إله الموقد) ، بلوتو (ديس) إله الجحيم .

4 . إله الهواء : جوبتر (جوف) وهو إله الصاعقة والطقس وله عدد هائل من الزوجات والأبناء ، وهو الإبن الأصغر لسارتون .

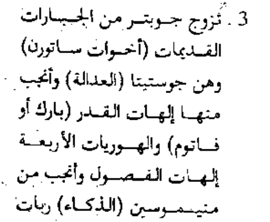
ويقود جوبتر التمرد ضد سارتون الذي يبلغ أبناءه بناء على فأل يقول له بأن أحد أولاده سينتزع العرش منه ويقوم بقتله فيلجأ ساتورن إلى أبيه إلى السماء الذي يأويه رغم أنه نفاه .

5. آلهة الأولمب الأبناء الستة (أبناء جوبتر)

لعل أبناء جوبتر هم الآلهة الشباب الأكثر نشاطاً والذين سيطروا على العالم الجديد بعد جوبتر وخصوصاً بعد أن أصبح إلهاً عجوزاً معزولاً ، وإذا كان أبناء جوبتر الرئيسيين الستة قد أصبحوا آلهة الأولمب وكان منهم عشرات الآلهة من نسل جوبتر وهم :

1 . تزوج جوبتر من إلهة ديدونا القديمة (ديدوني) وهي آلهة خصب قديمة فأنجب منها (فينوس) إلهة الحب والجمال التي طوبقت مع فينوس إلهة المطر وحلت محلها .

2 . تزوج جوبتر من الساتورنيات (بنات ساتورن) أخواته فأنجب من يونو فولكان (النار) ومارس (الحرب) وجوفانتس (الشباب) وجانيمدوس ومن كيريس أنجب بروسربينا وهي برسفونا إلهة العالم الأسفل .



شكل (95) مذبح الارباب الإثني عشر الرومانية وقد نقشت على حافة الدائرة علامات الابراج الفلكية الاثنى عشر

3 . تزوج جوبتر من الجبارات القديمات (أخوات ساتورن) وهن جوستيتا (العدالة) وأنجب منها إلهات القدر (بارك أو فاتوم) والهوريات الأربعة إلهات الفصول وأنجب من منيموسين (الذكاء) ربات الفنون التسعة (كاماني) .

4 . تزوج جوبتر من بنات الجبابرة لاتون (الضوء) وأنجب منها أبولو (الفنون والضوء) وديانا (الصيد) وتزوج من ماجيستا (الثريا) وأنجب ميرتوري رسول الآلهة وتزوج من ليثين (الشقاق) وأنجب ربات الحسن الثلاثة .

5 . تزوج جوبتر من الحوريات كاليستو وأنجب أركاس وتزوج من إيجينا وأنجب إياكوس أب قضاة العالم الأسفل .

6 . تزوج جوبتر من النساء البشريات وأنجب من سميلي الإله باخوس إله كنر ومن إيو الإن أبيافوس ومن أوروبا مينوس ومن الكميني أنجب هيركليوس (البطولة) .

7 . أصبح كل من فينوس ومارس وأبولو وديانا وميركوري وهيركليوس آلهة الأولمب مع والدهم وأعمامهم الستة وكان يضاف لهم أحياناً فولكان وباخوس .

6. أحفاد جوبتر

1 . أنجبت فينوس بعشقها من مارس آلهة الحب (كيوبيد ، أنتيروس ، هارومنيا وإيموس ، فوبوس ، وأنجبت من اتصالها بالإله ميركوري رسول الآلهة هرومفرودتيوس الذي أنجب (سالماكيس) الذي أنجب هيرموفروديت) ولم تنجب من فولكان . واتصلت كذلك بالإله (نيريتس) ابن اله

البحر نيروس . أما اتصالها بالبشر فقد أنجبت منه أدونيس وأنغيس وبجماليون .

شكل (96)
مارس وفينوس متحف نابولي القومي

. أنجبت الإله مارس من عشقه لفينوس ما ذكرناه أعلاه لكن مارس تزوج من إلهة الحرب بلّونا وهي أينو الإغريقية) .

. أنجب الإله أبولو من زوجاته المائيات كاليوبي (الشعر) كلاً من أورفيوس (إله الغناء) . ومن دافني (الغار) شجرة الغار ومن قوريني (الصيد) أرستايوس (النحل) وأدمون (استيريا) . أما من نسائه الناريات فأنجب من كليمينه (زوجة يابت) وهي تيتانة قديمة فأنجب فايتون (سائق قيادة مركبة النصر) . وأنجب من النساء البشريات (ماربيسا) أنجب زهرة عباد الشمس ، ومن كاسندرا أنجب العرافة ومن كورونيس أنجب الإله إيسكولاب (إله الطب) وتزوج من كوبيلي . وكان لأبولو غلامان هما هياكنثوس (الزنبقة) وسيبارسيوس (السروة) .



شكل (97) أبولو فيني

4 . أنجب الإله (ميركوري) رسول الآلهة من فينوس كلاً من بريابوس ، وهرموفروتيوس ، وأنجب من الحورية كانينت الإله فاونوس (اله الرعاة) ومن حورية أخرى الإله دافنيس (الأعمرا) .

5 . أنجب هركليلوس .

شكل (98)
ميركوري على عملة رومانية

7. أبناء أحفاد جوبتر

تزوج أحفاد جوبتر (الجيل الأول) وهم أبناء آلهة الأولمب الأبناء الستة ، تزوجوا من بعض الآلهة وأنجبوا عدداً قليلاً من الآلهة تغلب عليهم صفة الخنوثة والعقم وكانوا ينتجون أشجاراً ومزامير وغير ذلك .

ويلاحظ ذلك منذ الجيل الأول حيث بدأ الآلهة بالنضوب جنسياً ويتجلى ذلك الآن بصورة أوضح ويعد هذا الجيل الثاني من أحفاد جوبتر آخر أجيال الآلهة الرومانية وهم :

1 . أنجب هرموفروديتوس (ابن فينوس وميركوري) سالماكيس الذي تحول إلى هيرموفروديت الإله الخنثى .

شكل (99) الاله أبو لو- إله الموسيقى والشباب حمامات ادريانوس/ القرن الثاني الميلادي- لبدة العظمى / ليبيا



شكل (100)
الإله أبو لو مع الإله إسكلابيوس والمنظور خيرون (متحف نابولي القومي)

2 . تزوج أورفيوس (ابن أبولو وكاليوبي) من يوريديكي وذهبت إلى العالم الأسفل أما هو فتبعها وفشل في إخراجها ثم تمزق جسده على يد النساء .

3 . تزوج إيكولاب (ابن ابولووكورنيس) وهو إله الطب وأنجب ثلاث إناث من هيجيايا (الصحة) وياسو (الشفاء) وبناكايا (العلاج) وثلاثة ذكور هم بوداليروس ومخاؤون وتليسفوروس آلهة الطب .

4 . تزوج فاونوس (ابن ميركوري وكانينت) من فاونا (بونايا) وأنجب الحورية سيرنكس التي تحولت إلى مزمار فاون وحورية شجرة الصنوبر (بيتيبس) التي تحولت إلى شجرة الصنوبر والحورية إيكو (الصدى) والحورية ماريكا التي أنجبت لاتينس . وهكذا نجد أنه بنهاية الجيل الثاني من أحفاد جوبتر انتهى نسل الآلهة بمواجهة نهاية صماء فأغلب ما أنتجت عنه سلالة الآلهة هو مظاهر الطبيعة وحالات عقم وعوق وحتى آلهة الطب هم آلهة عالم أسفل .

وقد ينبئ هذا عن ذبول النشاط في نسل الآلهة ونهايته الفجائعية المدمرة أنه لا بد من ديانة جديدة ، وقد ظهرت ملامح هذه الديانة في الآلهة الممزقة والذاهبة إلى العالم الأسفل مثل أورميوس وقبله باخوس وإيسكولاب وأدونيمس وغيرهم الذين شكلوا مادة الآلهة الباطنية السرية كآلهة للخلاص والذين استفاد من إرثهم الدين المسيحي وأعلن المسيح كمخلص أعظم .

وسنقدم فيما يلي أجيال شجرة الآلهة الرومانية المتأغرقة أي التي اندمجت بالآلهة الإغريقية وأخذت شكل البانثيون والشجرة والسلالة الإغريقية :

مخطط 7

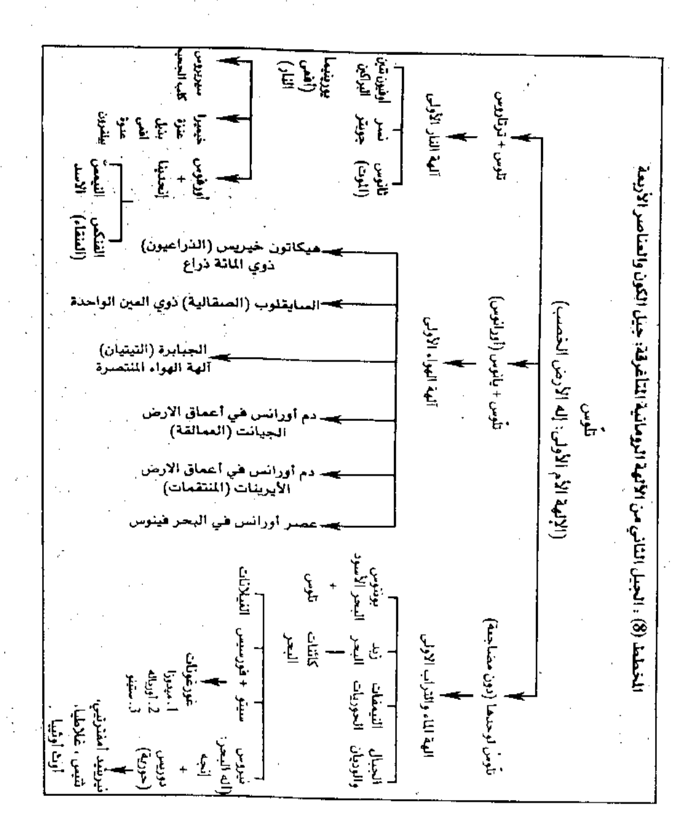
الجيل الأول من شجرة الآلهة الرومانية المتأغرقة (آلهة الهيولي)

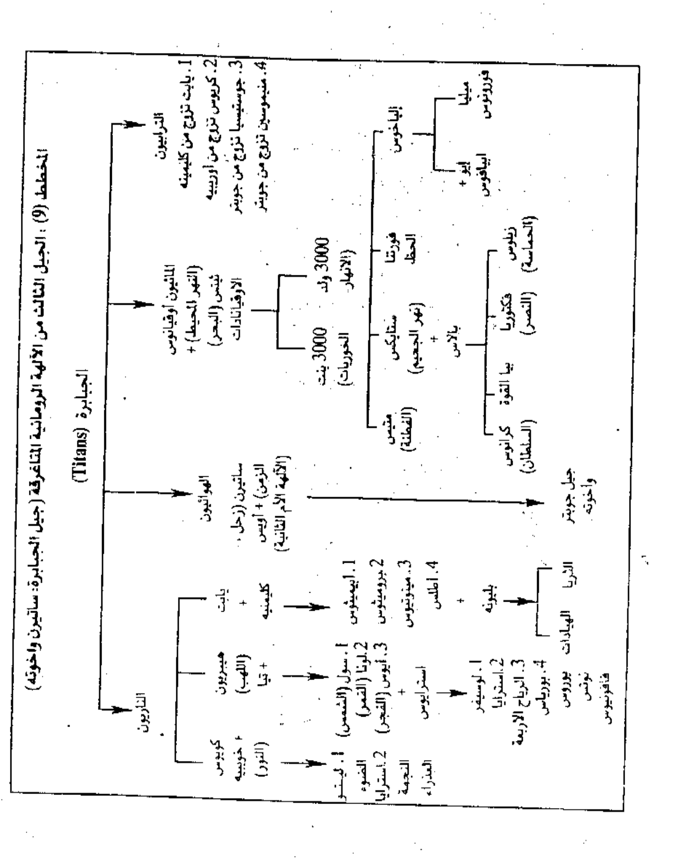
الخواء
(يانوس)

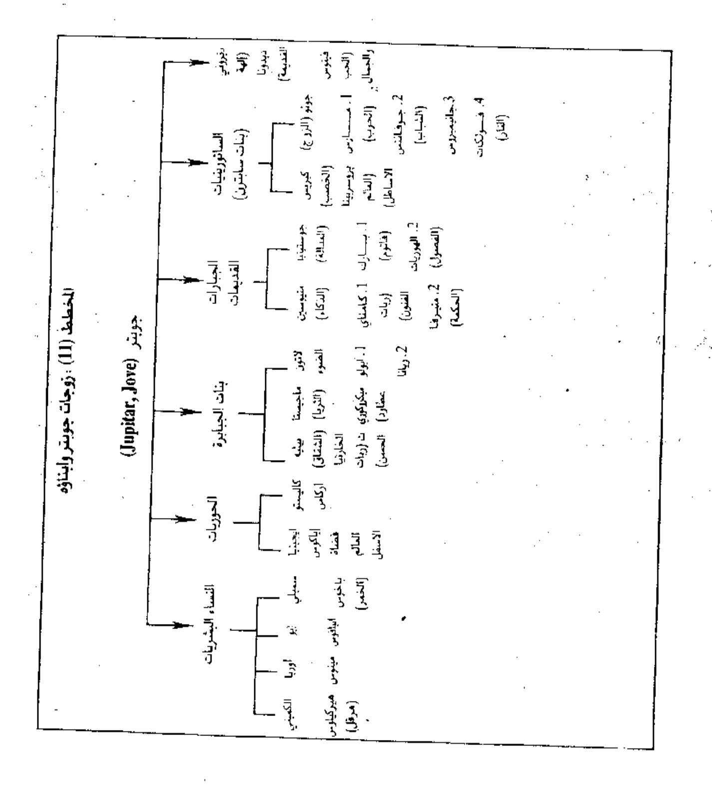
الخواء الخفيف
الخواء الثقيل

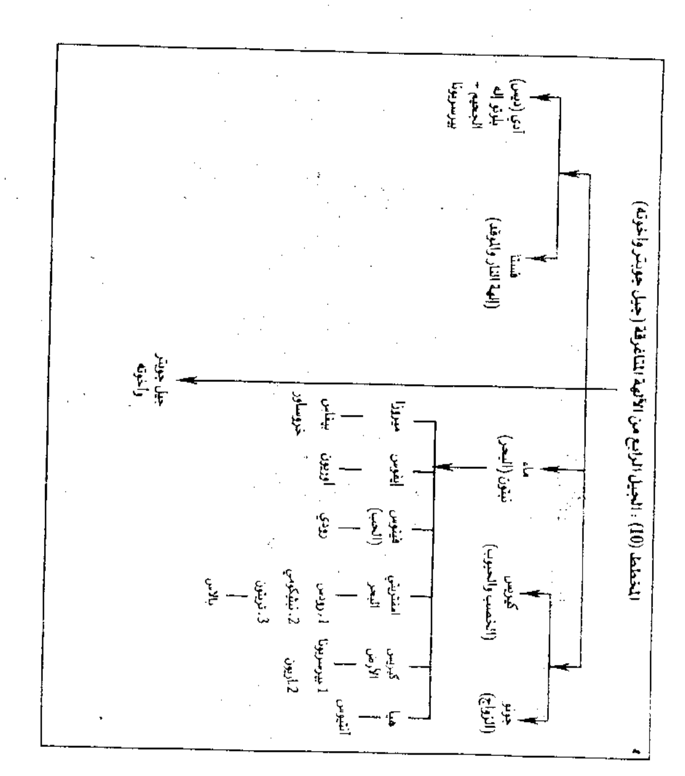
الضوء
(النهار)
النور
(أثير)
كيوبيد
(الحب الذي يربط نصفي الكرة)
سطح الأرض
(تلوس)
جوف الأرض
(ترتاروس)

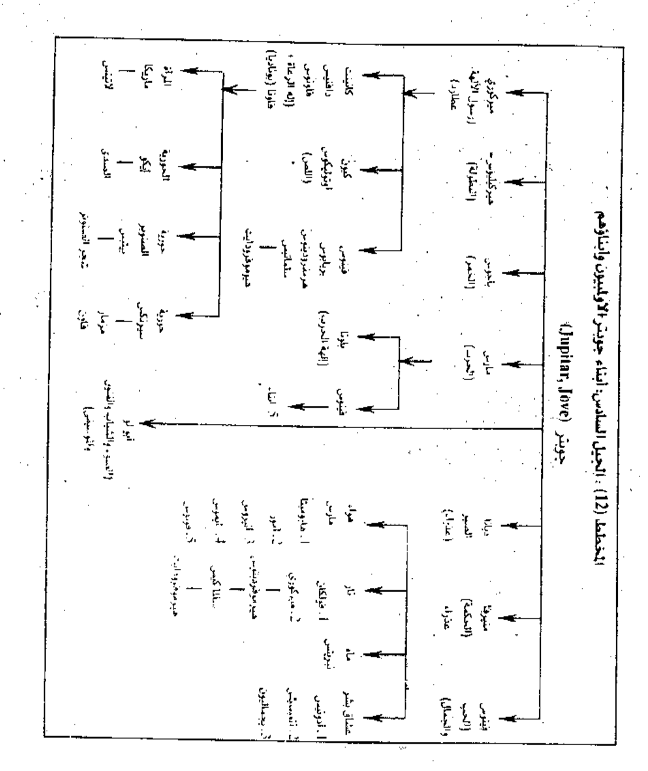
قبة الفضاء العليا
قبة الفضاء السفلى

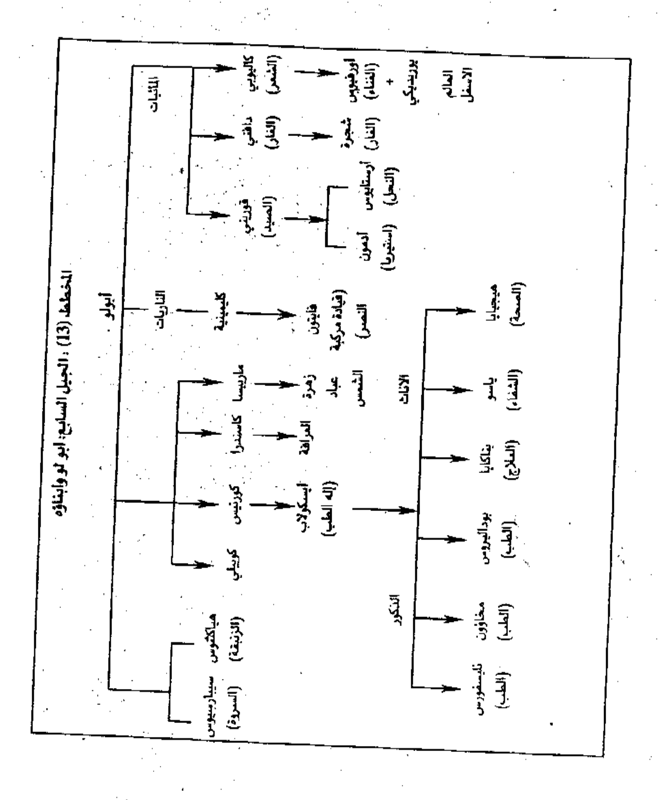




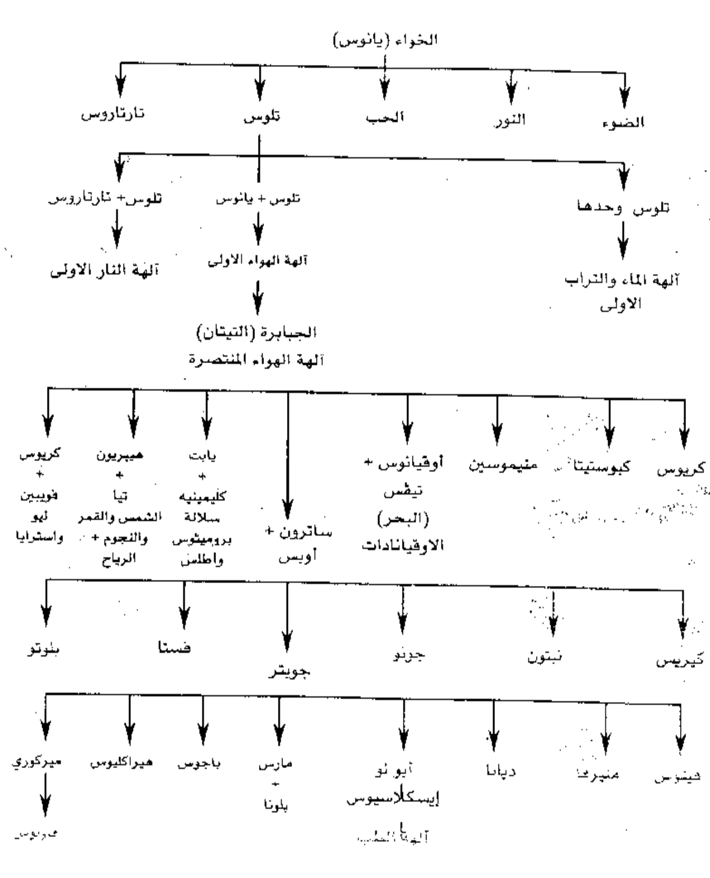





المخطط (12) : الجيل السادس: أبناء جوبتر الأولمبيون وأبناؤهم
جوبتر (Jupiter, Jove)


المخطط (13) : الجيل السابع: أبولو وأبناؤه
أبولو
كاليوبي (الشعر)
أورفيوس (الغناء)
يوريديكي
العالم الأسفل
دافني (الغار)
شجرة (الغار)
أريستايوس (النحل)
كوريبيس
إسكولاب (إله الطب)
الإناث
الذكور
هيجيا (الصحة)
ياسو (الشفاء)
باناكايا (العلاج)
بودالبروس (الطب)
مخاوون (الطب)
تليسفوروس (الطب)
هياكنثوس (الزنبقة)
سيباريسوس (السروة)

مخطط (14) الشجرة العامة للآلهة الرومانية المتأغرقة



المبحث الخامس

أساطير الخليقة Gensis

اختفت أساطير الخليقة الرومانية القديمة "يوم كانت الأرواح والآلهة المحلية في روما وما يحاورها هي المنظومة الثيولوجية الكبرى لمدينة في طريقها إلى التفتح والنضج وتكوين دولة قوية . وجاء هذا الاختفاء بسبب ضغط الأساطير الإغريقية التي كان في طريقها إلى الرومنة والتهام التراث الميثولوجي الأصيل لروما .

ولذلك فنحن اليوم وجهاً لوجه أمام أساطير الخليقة الرومانية الإغريقية الأصل التي وضعها كتاب وشعراء رومان كبار مثل أوفيد في كتابيه (مسخ الكائنات) و (فن الهوى) .

وعلينا أن نثبت رأياً جديداً مفاده أن أساطير الإغريق وأساطير الرومان ، كلّها ، عبارة عن نسخة مزيفة صنعها شعراء وأدباء من نسخ أصلية غابت مع غياب الكهنة ورجال الدين كانوا يحفظونها على ظهر الغيب باعتبارها إرثاً مقدساً . بمعنى أن هوميروس وهسيود الإغريقيين وأوفيد وفرجيل الرومانيين هم الذين أعادوا صياغة كتابة الأساطير الإغريقية والرومانية بلغة الشعر والأدب عن أصول غربت وكانت تحتفظ بالبراءة والطزاجة الأصلية للأساطير . فعلى سبيل المثال عثر على أساطير سومر وبابل في رقم ومدونات طينية أصلية التي وردت بها تلك النصوص كتبها الكهنة وحافظوا على دقتها التي وردت بها تلك النصوص المقدسة أما أساطير اليونان والرومان فقد جمعها وأعاد صياغتها الأدباء والشعراء ولم يحافظوا على دقتها وبكوريتها ، بل قدموها بالصيغة التي يريدون ، أي أنهم عبثوا بأصولها حتى وإن كانت شفاهية . وربما يكون هذا هو السبب خصوصاً بالنسبة لليونان لأن الكتابة في اليونان ظهرت متأخرة ربما بعد هوميروس .

وفي جميع أحوال سنقدم عرضاً لأساطير الخليقة الرومانية من أصول يونانية ، اعتماداً على كتاب مسخ الكائنات (ميتامورفورس) للشاعر الروماني أوفيد بالدرجة الأساس .

1. خلق العالم والجيل الأول من البشر

تتحدث أساطير الخليقة الرومانية الإغريقية عن خلق الكون والعالم ثم عن خلق ثلاثة أجيال من البشر ، تزداد شرور الأول بعد حلول العصر الحديدي ثم ينشأ الثاني من دم العمالقة ثم يسلط جوبتر

عليهما الطوفان وينقذ (بيراودوكاليون) اللذين يكونا الجيل الثالث من البشر. ولنبدأ من الخطوات الأولى لخلق الكون والجيل الأول من البشر:

1 . يحدثنا أوفيد في (مسخ الكائنات) عن صورة الكون الهيولية الأولى حيث العمى الذي " يلف العالم كله بروائه ولا يستبين منه غير شكل واحد لا سواه، فكان كتلة مضطربة لا شكل لها، جماداً لا حياة منها، أو جملة من بذور مختلفة لعناصر الأشياء، ليس ثمة بينها صلة ولا رابطة فلم تكن شمس (تيتان) يفيض نورها على العالم، كما لم يكن ثم قمر (فيبي) له مع كل يوم وجه جديد، يكمل ثم يعود ناقصاً كما بدأ. ولم تكن الأرض بعد قد ضمها الفضاء تتهاوي فيه بثقلها، كما لم تكن المياه (أمفتريتي) قد بسطت ذراعيها على شطآن البر، فلقد كانت الأرض والبحر الضاء كلها متمزجة لا انفصام بينها. وكانت الأرض تعوزه الصلابة والبحر تعوزه السيولة، كما كان الفضاء في عوز إلى الأضواء. لم يكن ثمة شيء له شكل مميز، وكانت هذه العناصر رغم اختلافها لا تنافر بينها. ثم إنها مع كونها كتلة واحدة كان ثمـــة صراع بين الحرارة والبرودة، وبين التومد والجفاف، وبين الليونة واليبس، وبين الخفة والثقل.

2 . في مثل هذا الجو السديمي يظهر الإله (أو الطبيعة الأكثر طواعية)، وهو أشبه بالروح الذي سيفصل بين الكتل الكبيرة المتضادة، ولا تسمي الميثولوجيا الرومانية هذا الإله ولا تعدده في فترة الخليقة هذه، فهو يعمل على فصل السماء على الأرض والأرض عن المياه والهواء الكثيف من الأثير الشفيف. ويزرع بين هذه الكتل السلام والوئام (عكس ما كانت عليه) ويجعل الماء محيطاً بكل شيء في الوجود ويضمنها الأرض.

3 . يعمل الإله على جعل الأرض كروية ويقسم فيها المياه إلى (أنهار وبحيرات وبحار وينابيع ومستنقعات، ويبسط الوديان ويعلي الجبال، ويقسم السماء إلى خمس مناطق وكذلك الأرض وجعل المناطق الوسطى تقليمها لا حياة فيها لشدة قيظها، والثلوج تغطي منطقتين منها أو ما بينهما فتستمعان بمناخ البرودة والحرارة.

4 . خلق الإله والهواء والنار والضباب والسحاب والرعد والرياح الأربعة (الشرقية، أبو روس، النسيم: زوفيروس، اللافعة: بورياس، الممطرة: أوستير)، وخلق الأثير ثم خلق الكواكب وجعلها تتألق في السماء وتجري في رعاية آلهة مجسدة.

5 . ظهرت الأسماك في المياه والوحوش على الأرض والطيور في الهواء.

6 . خلق الإنسان: قام برومثيوس بن يابيتوس فقبض قبضة من تراب الأرض وعجنها بماء المطر وسواها إنساناً على صورة الآلهة مشرئباً بوجهه إلى السماء تشد بصره الكواكب، ومر الإنسان بأربعة عصور.

2. العصور الأربعة

أ . العصر الذهبي: ويبدأ من بداية خلق الإنسان وتكاثر البشرية القائمة على الإيمان العميق والمبادئ السامية، فلم يشرع للبشر قانون يلزمون حدوده أو يخافون عقابه، وعاشوا ليس لهم وازع غير الضمير، فلا قضاة يفصلون بينهم، ولا حكام يجازونهم، إذا لم يكن ثمة نزاع أو عدوان، وكان الناس حيث هم: لا هجرة ولا نزوح عن أرضهم. كان الناس آمنين لا تفزعهم الحروب ولا هم في حاجة إلى جيوش تدفع عنهم شر المعتدين، والناس لا يعملون يأتيهم رزقهم من بلوط جوبتر الممتدة فروعه حيث يعتقد الناس أن الشهد قطرات ندى تسقط من السماء ثم يجمعها النحل من ورق شجر البلوط الذي كان مكرساً لجوبتر، ويأتيهم أيضاً من الثمار والتوت والأعناب. وكان فصل واحد هو الربيع الذي ساد الأعوام كلها فلا برد والمطر، حيث فاضت الأنهار لبناً و نكتاراً (شراب الآلهة) وسالت الأشجار شهداً ذهبي اللون.

ب . **العصر الفضي**: يبدأ العصر الفضي عندما وقع الإله ساتورن (المقابل لكرونوس الإغريقي أما ساتورن الروماني الأصلي فلا علاقة له بذلك) أسيراً بيد جوبتر (زوس الإغريقي) فألقى به في ظلام تارتاروس وانفرد هو بحكم العالم، وقام باختصار الربيع وقسم فصول السنة إلى أربعة هي الشتاء والصيف والخريف المتقلب والربيع القصير الأمد. وجعل الهواء بني بارد وحار وظهرت الثلوج بين الأعاصير العاتية، وأخذ الناس يبحثون عن مأوى يقيهم المطر فلجأوا إلى الكهوف والأدغال. ومضى الناس يكدون في فلح الأرض وحرثها، ويبذرون فيها حبوب الحنطة التي جادت بها عليهم سيريس (ديمتر عند الإغريق) وأخذت الثيران تئن تحت المحاريث.

ج . العصر البرونزي: انهارت القيم بين الناس وطبعوا على القسوة فاستسلموا للمنازعات وشاعت بينهم الخصومات، لكن الشر لم يغلبهم تماماً.

د . العصر الحديدي: استمر انحدار القيم فظهرت الجرائم في أبشع صورها وغاب الحق وسادت الغطرسة والخيانة والطمع والخداع وتفشت القسوة، وتجزأت الأرض وراء حدود وظهرت السفن وعمليات التعدين والحديد بالذات ثم اتبعوه بالذهب اللذين كانا عوناً لهم على الحرب

والقتال ، ووصل الناس إلى مملكة الظلال قرب نهر ستيكس . أصبح الناس يتآمرون على بعضهم فعل العقوق بالوالدين ودس السم بين زوجات الآباء لأبناء أزواجهن ، وخرج الناس على طاعة آلهتهم فعم الأرض البلاء وسالت الدماء فهجرتها أسترايا إله العدالة (ابنة زوس وثيمس) وكانت آخر من كان على الأرض من أرباب السماء .

3. خلق الجيل الثاني من البشر

وكان العمالقة (أبناء جيارية الأرض الذين أنجبتهم من الدم الذي نثر من جرح أورانوس - السماء- الذي ألحقه به إبنه كرونوس) ويسمون الجيجانت Gigantes الذين يسمون البناؤون وهم متحجزون في أعماق الأرض ، خرج هؤلاء العمالقة من أعماق الأرض وأرادوا الانتقام من جوبتر الذي سجنهم هناك فوضعوا الجبال واحداً فوق الآخر حتى يصلوا إلى النجوم .

عند ذاك أرسل جوبتر عليهم صواعقه فتداعى جبل الأولمب وتزحزح جبل بيليون من فوق جبل أوسّا وإذا تحت ذلك الركام الهائل جثث العمالقة هامدة ، وإذا الأرض قد غطيت صفحتها بدماء أبنائها العمالقة .

ولكي تبقى الحياة متصلة قيل أن الأرض قد نفثت من روحها في هذا الدم الدافئ فكانت مخلوقات لها سمات البشر عمرت الأرض من جديد . غير أنه سرعان ما خالف هؤلاء أمر الآلهة وثارت فيهم ثائرة ذلك الدم المسفوح الذي خلقتهم الأرض منه ، فغلظت قلوبهم وعدا بعضهم على بعض .

4. الطوفان:

يغضب جوبتر لما حصل بالأرض فيدعو الآلهة إلى مجلسه ويبلغهم خشيته من أن يقوم البشر بما قام به العمالقة فيتجاسرون على الآلهة وعلى السماء وتحدث لهم عن عقابه لطاغية اركاديا (ليكاوون) الذي تجاسر عليه فمسخه جوبتر ذئباً ، ثم قرر جوبتر أن يفني البشر من على وجه الأرض فانقسم الآلهة بين معارض ومتفق وصامت لكن جوبتر اخبرهم أن الأرض لن تهجر لأنه سيخلق نوعاً جديداً من البشر وهكذا اتخذ القرار بفناء البشر عن طريق الطوفان ، جمع جوبتر رياح الشمال في كهوف إيولوس وجمع معها الأعاصير التي تبدد السحب الكثيفة ، ثم أرسل رياح الجنوب من محبسها حاملة المطر ثم أمر (إيريس) بإنشاء السحب الأولى وإرسالها إلى الأرض ، وطلب من نبتون (إله البحر) أن يرسل أمواجه ، فإذا البحار والسماء تعصف الأرض بالمياه وإذا صفحة الأرض كلها

مغمورة بالمياه . وغرق الناس وفني الناس غرقاً أو جوعاً ومع البشر غرقت الكائنات كلها من زواحف إلى أسماك إلى طيور .

5. ظهور الجيل الثالث من البشر ديوكليون وبيرا

ويبدو أن هناك سفينة لا يذكرها أوفيد سابقاً تحمل رجلاً وامرأة من أصل إلهي . وهناك أسطورة تقول أنهما قد وضعا في صندوق مغلق أرستة المياه على قمة جبل برناس .

حين ترسو السفينة التي كانت تحمل ديوكاليون وبيرا على جبل برناس يكون الطوفان قد أوشك على الانتهاء .

كان ديوكاليون ابن عم بيرا فهو ابن برومثيوس وهي ابنة إبيمثيوس شقيق برومثيوس . اللذين ظهرا في الأساطير الإغريقية كمساعدين للبشر وهما يعلمانه العلوم ويقوم برومثيوس بسرقة نار الآلهة وإعطائها للإنسان حتى أنه نال عقاباً قاسياً من الآلهة .

ويبدو أن ديوكاليوت وبيرا كانا أفضل البشر وألزمهما للطريق السوي فكان أول شيء فعلاه هو شكرهما لربات الجبل حوريات كوريكا وإلى ثيمس ربة الوحي الكاشفة عن الغيب ، فقاما يصليان لهن من أجل نجاتهما .

شعرا بالوحدة ثم مضيا إلى نهر كيفيسوس (في بويوتيا) فغسلا بمياهه رأسيهما وملابسهما ، ثم تقدما إلى مزيج لإلهة (ثيمس) طالبين منها إصلاح ما حصل للجنس البشري فقالت لهما : أخرجا من معبدي ، وضعا على رأسيكما غطاءً ، وتخففا من تلك الأحزمة التي تشد ملابسكما ، واتركا وراءكما عظام أمكما الجليلة . فترددا ثم فعلا ذلك وأخذ يلقيان بالأحجار وراءهما كما أشارت الربة فإذا الأحجار تلين وإذا هي تتشكل أشكالاً ، وإذا هذه الأشكال على صور هياكل آدمية رغم أنها لم تكن ذات سمات واضحة بل كانت أشبه بتماثيل من الرخام لم يكتمل نحتها ثم ما لبث أن استحال الحجر لحماً فكسا تلك الهياكل العظيمة ، كما استحالت العروق التي كانت تتخلل الصخور عروقاً في تلك الأجسام الآدمية ، وكان كل حجر يلقيه ديوكاليون يأخذ صورة الرجل ، كما أن كل حجر تلقيه بيرا يأخذ صورة المرأة . وإلى هذه النشأة القاسية الصلبة يعزى كل ما في الجنس البشري من عنف وغلظة وقسوة .

وبعدها تتهيأ الأرض لاستقبال حياة جديدة وتظهر الآلهة فيها وتبدأ أساطير الآلهة بالظهور .

المبحث السادس

تأليه أبطال روما

نهج الرومان ذات النهج الذي سار عليه الإغريق فألهوا بعض أبطالهم القدماء وأحاطوهم بشيء من الغموض . وسنترك أمر حياة أبطال روما جانباً لأنها ليست من اختصاص هذا الكتاب بل سنؤكد على تأليههم فقط .

إينياس

عرفنا أن إينياس بن أنغيسس كان قد وشح بالألوهية في سيرته من خلال أمه التي يعتقد أنها فينوس (أفروديت عند الإغريق) ومعروف أن إينياس هو أحد أبطال طروادة الذين خرجوا من حربها خاسرين من أهالي طروادة وقد وعدته الآلهة بأن يخرج من طروادة ليؤسس له نسلاً في أرض إيطاليا ثم ليؤسس هذا النسل روما التي ستصبح أعظم مدن العالم . وقد تحقق كل هذا .

وعندما توفي إينياس كانت شهرته وعظمته أكبر من أن تنس أو يغفل عنها فقامت فينوس بالطلب من جوبتر أن يمنح ابنها إينياس الألوهية أو بعضاً منها فوافق الإله على ذلك ووافقت زوجته كذلك (جونو) .

فركبت فينوس مركبتها ووصلت إلى شواطئ لاورنتوم حيث نهر نوميكيوس يصيب في البحر المجاور وهناك أمرت إله النهر أن يغسل أعضاء إينياس ففعل وبذلك سادت أعضاؤه الخلود و مسح جسمه بزيت العطر ومس شفاهه بشهد الآلهة (الامبروزيا) وبنبيذهم العذب (النكتار) وهكذا تحول إلى إله مرحب به أهل كريرينوس (أخذ تلال روما) ودعوه رب المكان وشيدوا له معبداً وهيكلاً(86) .

أما نسل إينيناس فكان كما يلي :

1 . إينياس	2 . أسكانيوس	3 . سلفيوس
4 . لاتينوس	5 . ألبا	6 . أيتيوس
7 . كابيس	8 . كابيتوس	9 . تيبرينوس
10 . ريمولوس + أكرونا	11 . أفنيتنوس	12 . بروكا (بروكوس)
13 . أميوليوس + نيوميتور	14 . إيليا إبنة نيوميتور	15 . روملوس + ريمس

روميولوس

أنجب بروكا (بروكوس) الملك الثاني عشر لألب لالونغ بعد إينياس الجد الأكبر لهذه السلالة ، أنجب ولدين هما نوميتور وأموليوس وكان نوميتور الوريث الشرعي للعرش لكن أموليوس قام بعزل أخيه نوميتور (لكنه لم يقتله) وقام بقتل ابن أخيه وفرض على ابنته ريا (إيليا) سيلفيا على أن تعيش عذراء وراهبة لمعبد الفيستا حتى لا تنجب ولداً يطالب بعرش جده .

وبعد أربع سنوات وبينما كانت ريا في غابة الإله (مارس) تجلب الماء من الينبوع اسودت السماء فجأة وتمثل لها الإله بشراً خرافياً ذا حجم خرافي وجمال رائع واغتصبها وبشرها بأنها ستحمل من ذريته توأمين يفوقان سائر البشر في الشجاعة . ولما حملت ريا و بان أمرها حاكمها أميليوس وشكاها لوالدها إذ كيف تفعل ذلك راهبة فستا وحكم عليها بالإعدام ورمي أولادها في النهر ، لكنها نفيت ووضع الطفلان التوأم في صندوق ورمي في نهر التيبر فحمله النهر حتى سفح تل بالأيتام (أحد التلال السبعة التي ستقام عليه روما) ولما انحسر الماء رسا الصندوق على قاع المجرى وتقلب التوأمان في الوحل وهما يصرخان بجوار إحدى شجرات التين حيث ظهرت ذئبة (اسمها لوبا) ذات ضرع منتفخ فنظفت الطفلين لعقاً بلسانها وأرضعتهما .

قام راعي قطعان الملك فاوسيولاس برعايتهما سراً وأسماهما روميولوس وريموس نسبة إلى روما (أي حلمة الثدي) إشارة إلى معجزة رضاعتهما .

شب الوالدان على رعي أغنام الملك أموليوس وكانا يتعاركان مع رعاة أغنام جدهما نيوميتور ، وقد وقع ريموس ذات مرة في يدهم عندما كان روميولوس غائباً عن القطيع ، فحاول الانتقام لكن فاوستيولوس أخبره بالحقيقة ودعاه إلى خطة كبيرة لعزل الملك وتنصيب الملك الشرعي جده وإعادته إلى الحكم . وتعرف المكل المعزول نيوميتور على ريمس فاتفق الأربعة على خطة محكمة قتل فيها أميولوس وعاد نيوميتور على ريميس فاتفق الأربعة على خطة محكمة قتل فيها أميولوس وعاد نيومبتور إلى عرشه .

صرح نيوميتور للتوأم وأتباعهما بأن يؤسسا مدينة جديدة في المكان الذي تربيا فيه - أي على تل (بالأيتام) بجوار كوخ فاوستيولوس . واختلف الأخوان حول مركز المدينة فرأى روميولوس إثنا عشر عقاباً على تل البلاتيام بينما رأى ريموس ستة عقبان على تل أفنتان ، فاختاروا تل البلاتيام وبنيت عليه مدينة روما . ثم اختلف الأخوان من جديد حول حدود المدينة التي خطها روميولوس بالمحراث وخطر على أي انسان اجتيازها ، فسخر منه أخوه وقفز فوق الخط (ويقال أنه خندق ضيق) فقتله أحد جنود روميلوس أو روميولوس نفسه وهناك خلاف كبير حول هذا الموضوع سنتحدث عنه .



كان على روميولوس أن يملأ روما بالسكان ففتحها للعصاة والصعاليك واللصوص ، ولم يرغب الناس في تزويج هؤلاء من بناتهم ولأجل ذلك قام روميلوس بتدبير خطة لاغتيال اشراف جيرانه السابينيين للفوز بنسائهم ففعل ذلك حتى قامت حرب ضروس بين اللاتين والسابين اتحدوا في نهايتها بعد ان استعان روميلوس بالإله جوبيتر وقرروا ان يكون الحكم متداولاً بين روميولوس وزعيم السابينيين (تتيوس تايتوس) فلما قتل انفرد روميولوس بالحكم . فهناك نهايتان له هما :

1 . أنه أصبح طاغية لا يطاق فقام أعضاء مجلس الشيوخ بالتآمر عليه وتمزيقه إلى قطع صغيرة حمل كل منهم شلوا منه تحت عباءته .

2 . أن مارس (وهو والد روميلوس) رفعه إليه في عاصفة وأنه ظهر بعد ذلك لأحد اعضاء مجلس الشيوخ وأوصاه بأن يعبده الرومان تحت اسم (كيرينوس) . وكيرينوس تعني الإنسان ، وهو إله له علاقة بالخصب والأرض .

3 . أن مارس هبط بعربته فوق تل البلاتين حيث كان رومولوس يقضي بين شعبه فانتزعه من بينهم وتناثر جسد الملك الفاني في الفضاء كما تتناثر في السماء قذيفة متفجرة وأصبح جسده جلالاً وغدا اسمه كويرينوس الذي يرتدي الـ (ترابيا) (ثياب الاحتفالات السماوية) أما زوجة روميولوس (هيرسيليا) فقد أرسلت جونو إلى رسولتها إيريس لتهبط إلى الأرض ولتدلها على رؤية زوجها بعد وفاته عند الكويرينيالس عند تل روميولوس فسقطت نعمة من السماء وأشعلت النار في شعر هيرسيليا وعرجت بها إلى السماء حيث التوت روميولوس وأصبح اسمها (هورا) الإلهة التي ارتبطت عبادتها بعبادة كويرينوس .

فضلا عن الرواية الأسطورية التاريخية عن روميولوس وريموس حول تأسيس روما هناك عدد غير قليل يصل إلى ستين رواية لا تتطرق إلى الأسطورة المعروفة التي ذكرناها في أكثر من موقع من هذا الكتاب ، وتحتاج هذه الروايات الأسطورية والتاريخية إلى تمحيص دقيق وتحليل علمي ،لكننا هنا سنمر على أشهرها مروراً سريعاً .

جميع ت . ب وايزمان في ملحق كتابه (ريموس : أسطورة رومانية) ستين رواية غير الرواية الشهيرة لتأسيس روما وسنعتمد عليها في تحليلنا هذا .

1 . بعض الروايات تقول أن إينياس هو باني روما وبعضها تقول أن اسكانيوس هو الذي بناها وربما كان روماس هو ابنه الذي بناها وربما كان روماس و ابنه اللذان بنياها .

2 . بعض الروايات ترى أن رومولوس هو ابن اينياس وهو الذي بنى روما .

3 . بعضها تقول أن إينياس وأديسيوس (عوليس) هما اللذان بنياها .

4 . بعضها تقول أن أبناء أوديسيوس من سرسه .

5 . بعضها تقول أن روما هي امرأة طروادية جاءت مع إينياس أو مع أوديسيوس ، أو هي ابنة ايتالوس ولكاريا ، أو ابنة يتلوفوس زوجة إينياس ، أو ابنة اسكاينوس ، أو أنها أم روميولوس ، أو أن لها أبناء هم الذين بنوا روما . وعادة ما ظهرت روما بصفة الفتاة التي تغرق السفن لتضمن بقاء المحاربين والبحارة وعدم انتقالهم إلى أماكن أخرى وجعلهم الفتيات خادمات لهم .

6 . بعضها يرى أن روما أسست قبل تاريخها المعروف ، ومنها أن البلاسجين سكان اليونان الأصليين هم سكنتها وبناتها ، وبعضها يرى أن الطرواديين هم فعلوا ذلك .

7 . وهناك آراء أخرى كثيرة .

ديوسكور Dioscures

الدايوسكوريس أو الأخوان (أوسكور) هو اسم مشترك للأخوين التوأمين كاستور وبولكس ولدي الحسناء ليدا ، وكان أب كاستور هو تنداريوس ملك إسبارطة أما أب بولكس فهو زوس (جوبتر) وأصل اسطورتهما إغريقية لكنها أصبحت رومانية بعد المطابقة .

ولهما عدة أساطير لكن أشهرها أسطورة اختطافهما لبنتي الملك لوسيوس المخطوبتين من ابن عمهما ، فقام هذان بالتصدي لهما وقتلا كاستور لأنه من أصل بشري أما بولكس فقد جرح ورفعه زوس إلى الأولمب ، لكنه عاش في غم وحزن بسبب فراقه لأخيه فسمح لهما بأن يتقاسما الخلود والموت وذلك بأن يلتقيا يوماً في الأولمب ويوماً في العالم الأسفل .

انتشرت عبادتهما عند الرومان وخصوصاً في طبقة الفرسان ولهما معبد في الفدرم معابد معبد الفستا .

وفي الأساطير أنهما كانا يظهران للقائد ليساندر في حروب البلوبوينز الإغريقية فوق سفينته بهيئته شعلتين ناريتين ليحميانه من الأعداء ، وهكذا رأى البحارة أنهما يمثلان بروق العواصف ، وهما راعيا الألعاب الأولمبية والمساهمان في أناشيد احتفالاتها .

تأليه هيركيوليس (هرقل)

كان هيركيوليس (هرقل) يرعى قطيعاً لجريون قادما من أقصى الغرب بعد مغامرته العاشرة ، وعند

مطاردته لعجل جامح يقال أنه مر بشبه الجزيرة الإيطالية فأسماها (فيتوليا) ومعناها باللاتينية (مسرى العجل) وترجع هذه القصة إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حسب رواية هيلانيكوس من جزيرة ليربوس .

وحسب هذه الرواية يكون اسم إيطاليا مشتقاً من فيتوليا وعندما وصل هيركيوليس بالقطيع قرب تل بالاتاين قرب نهر التيبر قطع الطريق عليه وحش اسمه (كاكوس) ، فسرق بعض الماشية فقتله هيركيوليس فتنبأت أم إيفاندرا (وهي القديسة المعروفة المعرفة باللغة الإغريقية بنيكو ستراتا أو تميس وفي اللاتينية كارمينتا أو كارمنتس) ، تنبأت لهيركيوليس بالألوهية ، فأقام إيفاندرا (أو هيركيوليس نفسه) معبداً للإله الجديد ، وأقدم معبد معروف عن القديسة والمعبد بطقوسه الإغريقية هو سي أسيليوس في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد(90) .



وهكذا كان هيركيوليس بطلاً إغريقياً مر بإيطاليا وروما فأُله وأقيم له معبد على سطح تل كابتولاين ومازالت آثاره تحفظ نحتاً يظهر فيها هيركيوليس محفوظاً بحراسة بالاس أثينا .

ونعرف الآن أن تأليه هيركيوليس (هرقل) احتفلت به روما في القرن السادس قبل الميلاد في معبد قديم قريب جداً من معبد كارمينتا وبوابة كارمينتالس المبينة مؤخراً ، بمسيرة من المعبد الكبير ، عبر سوق الماشية في بوفاريوم .

تأليه قيصر

بعد الأعمال العظيمة ليوليوس قيصر وقبيل فجيعة التآمر عليه وقتله كانت الإلهة فينوس تحاول جاهدة تغيير مصير قيصر لكن جوبتر أقنعها بأن لا سبيل إلى ذلك لأنه مكتوب في ألواح الأقدار المصنوعة من البرونز والحديد ولا يمكن تغييره لكنه وعدها بأنه سيجعل منه خالداً مع الآلهة .

وبعد مقتل قيصر هبطت فينوس وسط قصر مجلس الشيوخ ورفعت روح قيصرها الغالي من جسده الممزق وارتفعت بها نحو السماء فشعرت أنها تشتعل شيئاً فشيئاً حتى التهبت تماماً ، وإذا بها تنقلت من تصدر فينوس محلقة عالياً حتى جاوزت القمر وهي تجر وراءها جدائل من أشعة متخذة شكل كوكب متألق .

ومن هناك ، من علياء السماء كان قيصر ينظر لمآثر ابنه (أو ابن اخته) ووريثه أوكتافيوس الذي أصبح أغسطس .

انتقلت فكرة تأليه الأباطرة الرومان وبدأت بأغسطس ثم كاليجولا وحتى قبل ظهور الإمبراطورية البيزنطية كان الأباطرة الرومان يرون أنهم ينحدرون من الآلهة وأن مآلهم إلى هذه الآلهة بعد الموت .

مراجع الفصل الثالث

1. Guirand, F and A.V. Pierre: Roman Mythology, New larrousse encyclopedia of Mythology. Translated by Richard Adington and Delano Ames, London. 1959, p217.

2 . الخوري ، لطفي : معم الأساطير ، ط ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 ، ص 231-230 .

3 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982 ، ص 240 .

4. Gurind, f. and A.V Pierre: OP. Cit p. 205 .

5 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق ، حـ2 ، ص 63 .

6 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص 95 .

7. Guirnd, F and A.V Pierre: op. cit 203 .

8 . الماجدي ، خزعل : المعتقدات الإغريقية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2004 ، ص 209-210 .

9 . توكاريف ، سيرغي أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 ، ص 448-449 .

10 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 223 .

11 . المرجع نفسه ص 234 .

12 . الأحمد ، سامي سعيد : الإله زووس ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، 1970 ، ص 191-192 .

13 . انظر الماجدي ، خزعل : المرجع السابق ص 211 .

14 . الأحمد ، سامي سعيد : المرجع السابق ص 189 .

15 . المرجع نفسه ، ص 19[illegible]-194 .

16 . المرجع نفسه ، ص 231 .

17 . المرجع نفسه ، ص 237 .

18 . المرجع نفسه ، ص 256 .

19 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق ، ص 236-237 .

20. Guirnd F. and A.V Pierre: op. cit p 2/2.

21 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 336 .

22. Guirnd f and A.V Pierre: OP202 .

23 . الماجدي ، خزعل : المعتقدات الأمورية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2001 ، ص 46-47 .

24. Guirand, F and A.V Pierre: op. cit, p. 202.

25 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 386 .

26. Guirnd, F . and A.V Pierre: op. cit, p 202.

27. Ibid

28 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق .

29 . المرجع نفسه ص 201 .

30. Guirnd. F and A. V Pierre: op . cit, p 202.

31. ibid, p.205

32. Ibid

33. Ibid

34 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 182 .

35 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق ص 152 .

36. Guirand . F. and A.V Pierre: op. cit, p205.

37 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 402-403 .

37 . المرجع نفسه ص 403

38 . الماجدي ، خزعل : المرجع السابق ص 148 .

39 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق 332 .

40 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق ص 141 .

41. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cot p 20.

42. Ibid, p 210

43 . عثمان ، سهيل ، عبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ، ص 298 .

44 . المرجع نفسه ص 363 .

45. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 210

46 . عثمان ، سيهل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق : ص 303 .

47 . المرجع نفسه ص 326 .

48 . المرجع نفسه ص 335 .

49. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cot p 210

50 . الخوري : لطفي : المرجع السابق ص 144 .

51 . عثمان ، سيهل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 335 .

52 . المرجع السابق ص 335 ، 193

53 . توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ص 455 .

54 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 259 .

55 . فرزير ، سير جيمس : الغصن الذهبي (دراسة السحر والدين) ، ترجمة أحمد أبو زيد حـ1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1971 ، ص72 .

56 . المرجع نفسه ص 73 .

57 . توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ص 455 .

58 . الخوري ، لطفي : المرجع السابق جـ1 ، ص 169 .

59. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 210

60 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 418 .

61 . المرجع نفسه ، ص 217 .

62 . المرجع نفسه

63 . المرجع نفسه ، ص 249-250 .

64 . المرجع نفسه ، ص 347 .

65. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 211

66. ibid

67 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 378 .

68 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 382 .

69 . المرجع نفسه ص 369

70. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 213

71 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 275-277 .

72 . وايزمان ، ت . ب : ريموس أسطورة رومانية ، ترجمة توفيق علي منصور ، المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة 546 ، القاهرة ، 2003 ، ص 296 .

73 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 125 .

74. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 213

75 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 345 .

76 . المرجع نفسه ، ص 435 .

77. Guirnd, F and A.V Pierre: op.cit p 214

78 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 362 .

79 . المرجع نفسه ص 95 .

80 . المرجع نفسه ص 73 .

81 . المرجع نفسه ص 74 .

82 . المرجع نفسه ص 156 .

83 . المرجع نفسه ص 449 .

84 . المرجع نفسه ص 127 .

85 . أوفيد : مسخ الكائنات (ميتامورفوسيس) ترجمة د . ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984 ، ص 31-32 .

86 . المرجع نفسه ص 310-311 .

87 . وايزمان ، ت . ب : المرجع السابق ص 27 .

88 . المرجع نفسه ص 289-305 .

89 . المرجع نفسه ص 87 .

90 . المرجع نفسه .

الفصل الرابع

الطقوس الرومانية

(دراسة في الطقوس والشعائر الرومانية القديمة)



تضحية إيفيجينيا

بريشة بيكاسو

انطلقت الطقوس والشعائر الدينية القديمة عند الرومان من ممارسات بدائية ترافق عبادة الأرواح ، وكانت هذه الممارسات أقرب إلى السحر منها إلى الدين . ولعل طقوس العائلة التي كان يقوم بها رب الأسرة الذي يعد هو كاهنها أيضاً ، كانت أصل الطقوس الرومانية التي تطورت إلى طقوس الدولة الدينية فيما بعد .

وكان ملك روما هو الكاهن الأعلى الذي يشرف على هذه الطقوس ولذلك سمي الكاهن الأعلى فيما بعد ب (ملك السلوك المقدسRex sacrorum) ولم تكن هذه الطقوس شديدة التماسك وذات مضمون روحي عميق بل كانت شكلية متشددة وقد اقترنت " مع قيام فن قائم بذاته في خداع الأرباب ، متخذاً شكل تقديم قرابين بأقل كلفة ممكنة ، فبدلاً من تقديم قرابين للآلهة بعدد ما من الرؤوس مثلاً (سواء كان ماشية أو رؤوساً بشرية ، كان الروماني يكتفي بتقديم ذات العدد من الرؤوس إلى الآلهة ، إنما من الثوم . ومع قيامه بتنفيذ واجباته حرفياً تجاه الآلهة ، لم يكن الروماني يرغب في أية إضافة فوقها .

وكان ضعف الطقوس وشكليتها يترافق مع عدم وجود أساطير رمزية قوية ونشطة بل وهجنة النظام الميثولوجي وانفصاله العلمي عن الطقوس والشعائر ، مضافاً إلى ذلك ضعف الخيال اروماني ونزعة الرومان الحسية ، كل هذه الأمور سطحت الطقوس والشعائر وجعلتها مهلهلة .

يصعب علينا تصنيف الطقوس والشعائر الرومانية كما تعودنا تصنيفها إلى (يومية ، مناسبات ، دورية ، سرية) رغم أنها كذلك ، لذلك سنتناول أبرزها مثل الاعياد ثم الطقوس اليومية كالصلاة أما طقوس الأسرار فنرى أنها قد ذكرت في أكثر من مكان من هذا الكتاب .

المبحث الأول

الأعياد الدورية الرومانية

.كانت الأعياد هي اكمل الطقوس الدورية عبر السنة فهي تتكرر في موعدها بذات الصيغة والهيئة تقريباً . فقد كانت السنة تزدان بأكثر من مائة يوم مقدس Feriaeمن بينها اليوم الأول من كل شهر ، وقد تشمل أحياناً اليومين التاسع والخامس عشر ، وخصصت بعض الأعياد لتقديس الموتى وأرواح العالم السفلي ، وكان يقصد بالأعياد وما يقام فيها من احتفالات استرضاء للموتى وإقصاء غضبهم .

ويبدو من خلال قراءاتنا لهذه الأعياد وتحليلنا لها أنها كانت أعياداً زراعية الأصل لكنها تأخذ

أشكالاً أخرى كلما ابتعدت عن أصولها ، بل لعل أهم أسباب انفصالها واتصالها مع أصولها أنها كانت زراعية النشأة لكنها أصبحت تقام في المدن فتحورت بعض الشيء رغم أن أصولها ظلت واضحة .

ويبدو أن الكاهن الأكبر في الأزمات القديمة لروما كان يدعو الناس في أول يوم من كل شهر ويذكر لهم ما فيه من الأعياد التي يجب أن يحتفلوا بها في الثلاثين يوماً وقد اشتق من هذه الدعوى calatis اسم calendea الذي سمي به اليوم الأول من كل شهر وكان معنى التقويم عند الرومان ، وهو معنى لا يزال يحتفظ به إلى حد ما عند الكاثوليك المسيحين وعند اليهود المتدنيين ثبتاً كهنوتياً لأيام الأعياد وأيام العمل ، يتخلله قليل من المعلومات المقدسة القانونية والتاريخية والفلكية 3 .

لقد ظل التقويم الروماني منذ الملك نوما حتى قيصر تقويماً قمرياً لم يستطع الرومان ضبطه مع الدورة الشمسية إلا بصعوبة كانت تنتهي دائماً بفارق واضح بين التقويمين الشمسي والقمري حتى وضع التقويم الجولياني في عهد قيصر الذي حاول أن يعدل تشهويات لحسابات الفوضوية التي كان يلجأ لها الرومان في هذا المجال .

وينسحب هذا على تقسيمهم للسنة والشهر والأسبوع ، فالأسبوع عندهم مكون من تسعة أيام ينتهي باليوم التاسع النندينا nundinae وهذا اليوم الذي يذهب فيه القرويون إلى أسواق المدن .

أما الشهر فكان ينقسم إلى ثلاث فترات يفصلها بعضها عن بعض اليوم الأول واليوم الخامس أو السابع واليوم الثالث عشر أو الخامس عشر ، يسمى اليوم الأول الكالندkalend ، واليوم الخامس أو السابع النون none والثالث عشر أو الخامس عشر الأيدIde .

وكانت الأيام تسمى بطريقة عجيبة وسمجة أساسها البعد عن هذه الأيام المحددة لأقسام الشهر . مثال ذلك أن اليوم الثاني عشر من شهر مارس كان يسمى : اليوم الثالث قبل أيد مارس .

أما الأشهر فكانت تبدأ بالشهر الثالث في تقويمنا تيمناً بالربيع وكانت الأشهر الرومانية تبدأ كما يلي :

1 . آذار march : شهر الإله مارس ، شهر إله البذار مارتيوس martus .

2 . نيسان April : شهر إله النبت أبريلس aprilis .

3 . مايس may : شهر الإلهة مايا ، شهر الوفرة .

4 . حزيران june : شهر الإلهة جونون ، شهر النجاح .

5 . تموز july : كان يسمى الشهر الخامس كونيكستالس qunixitilis ثم غير وسمي بشهر يوليوس (قيصر) جولاي .

6 . آب August : كان يسمى الشهر السادس ، سكستالس sextilis ثم غير وسمي بشهر أوغسطس (أو كتافيوس) أوغست عندما فتح مصر وأسقط آخر مملكة مقدونية في هذا الشهر .

7 . أيلول: September وهو الشهر السابع ، سبتمبالس septembalis .

8 . تشرين الأول:October وهو الثامن ، أوكتوبالس octobalis.؟

9 . تشرين الثاني :November وهو التاسع ، نوفمبالس novembalis .

10 . كانون الأول :December وهو العاشر ، ديسمبالس Decembalis .

11 . كانون الثاني :January وهو شهر الإله يانوس janus.

12 . شباط: February وهو شهر فبراو Februa أي الأشياء السحرية التي يطهر بها الإنسان .

كانت أشهر الخريف (أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني) خالية من الأعياد لأن كل المزروعات تحصد وتوضع في المخازن ولذلك ليس هناك مناسبة لوجود عيد وكانت السنة أنّس Annus أي الحلقة كأنهم يريدون أن يقولوا أنه لا توجد للزمن في بداية ولا نهاية . وسنقدم فيما يلي روزنامه أو تقويماً للأعياد الرومانية ابتداء من شهر جنوري أي حسب تقويمنا الحالي لأن السنة الرومانية تبدأ بشهر آذار (مارس) .

جدول (15) روزنامة الأعياد الرومانية القديمة

تسلسل الشهر الحالي	الإسم العربي للشهر	الإسم الغربي للشهر	أيام الأعياد الرومانية
1	كانون الثاني	January (الإله جانوس)	1 : عيد يانوس ومنه اشتق اسم الشهر جنوري 11 : جوتوناليا (جورتونا) :
2	شباط	February فيروا أدوات التطهير السحرية	15-17 : عيد فونوس Luper calia نهاية الشتاء 13-26 : عيد البرانتايا والفيراليا . 23 : عيد تيرمينوس إله الحدود (تيرمنالي) .
3	آذار	March الإله مارس شهر البذر (إله البذر مارتيوس)	1 : عيد الإله مارس (الزراعي) . 5 : عيد سفينة إيزيس 12-25 : عيد آتيس الربيعي 15 :عيد الإلهة آنا برنا 17 :عيد ليبراليا (ليبر باتر) 19 :عيد منيرفا
4	نيسان	April شهر النبت إله النبت أبريلس	12-19 : عيد كيريس (سيريس) الحبوب . 21 : باليليا (عيدباليس) ويصادف عيد تأسيس روما . 4/21- 5/3 : فلوراليا (عيد فلورا) .
5	مايس	May الإلهة مايا شهر الوفرة	1 : عيد مايا (مايو) وهي ماجستا (الثريا) . 1 : عيد فلوار 15 : رمي تماثيل خشب في التيبر لمنعه من الفيضان (الفستالات) 23 : عيد الوردة (فلورا) . 29 : أمبارفاليا (مارس) 9 ،11 ، 13 عيد الليموريا (الأرواح الشريرة ، عيد الليبراليا) .
6	حزيران	June (الإلهة JUNON) شهر النجاح	1 عيد جونون (وكان أحياناً في الأول من آذار) 7-15 : عيد فيستا 24 : عيد الحظ فورتنا

تسلسل الشهر الحالي	الإسم العربي للشهر	الإسم الغربي للشهر	أيام الأعياد الرومانية
7	تموز	July (يوليوس قيصر) August	7 : عيد يونو كابروتينا 10 : عيد ماتر ماتوتا 23 : عيد نبتوناليا
8	آب	الإمبراطور أوغسطس أوكتافيوس	7 : عيد يونو كابروتينا 10 : عيد ماتر ماتوتا 23 : عيد نبتوناليا 9 : عيد سول إله الشمس 9 : عيد فينياليا ريستيكا (فينوس) 10 :عيد الأوباليا (أوبس) 17 : عيد بورتونوس ، عيد [illegible] 21 : عيدكونسواليا الأول (الحصاد) 23 : عيد فولكانيا (فولكان)
9	أيلول	September السابع	لاتوجد أعياد في أشهر الخريف لأن المحصولات أدخلت في المخازن وليس هناك عمليات زرع .
10	تشرين الأول	October الثامن	
11	تشرين الثاني	November التاسع	عيد العثور على أوزيريس
12	كانون الأول	December العاشر	1 : عيد فونا (بوناديا) 9 &1 : عيد الأوباليا 15 : عيد كونسوالي الثاني (البنداد) 17-23 : عيد ساتورن (ساتورنالي) الزراعي 25 : عيد ميثرا .

1. أعياد الشهر الأول (January)

سمي هذا الشهر باسم (جنوري) اشتقاقاً من اسم الإله الروماني يانوس (جانوس) الذي هو إله البدايات ، فهو إله بداية السنة وبداية الشهر وبداية حياة الإنسان وبداية الفصول ، رغم أن السنة الرومانية تبدأ بمارس ويصور خانوس بأربعة وجوه لأنه إله الفصول الأربعة ، وبوجهين لأنه حارس الابواب والنوافذ لانها بوجهين .

والإله جانوس هو إله روما وناصرها في الحرب ، وكان معبده على شكل ممر طويل يغلق أثناء السلم ويفتح أثناء الحرب ليمر منه المقاتلون الذاهبون إلى الحرب .

وتختلط أحياناً شخصيته بشخصية جوبتر ، لكنه يعتبر من أقدم الآلهة الرومانية لأنه وفد إلى اللاتيوم على رأس أسطول فبسط حكمه هناك وأسس مدينة تعرف باسم جانيكول janicule ، وقام جانوس باستقبال ساتورن (زحل) عندما طردته الآلهة من السماء فقام ساتورن بتقديم علم الماضي والمستقبل لجانوس مكافأة له ويقال أن هذا هو سبب وجهيه الإثنين .

ويبدو أن عيد (يانوس) هو عيد رأس السنة الرومانية فيه تبدأ احتفالات اليوم الأول من شهر (جنوري) من كل سنة لأن هذا الإله هو بداية كل شيء وقد تأسست عبادة يانوس بواسطة روميلوس أو ينوما وكانت شائعة بين الرومان ، فقد كان دائماً في طليعة الطقوس الدينية بوصفه أب الآلهة ، وكان الأول دائماً بين الرومان حتى أن اسمه يرد قبل اسم جوبتر وكانت طقوس تكريمه تتم في الأول من كل شهر ، وهكذا حمل الشهر الأول من كل سنة إسمه (januarius) كان معبد يانوس هو مكان الاحتفال برأس السنة الذي كان مفتوحاً الأبواب دائماً ولم يغلق إلا مراراً . وكان هذا المعبد قد بني عندما غزا تايتوس السابيني روما وتم استدراجه الى داخل حصن عن طريق امرأة مزينة بالجواهر ثم انطلقت عليه تيارات الماء الساخن وأوقفت تقدمه ، وكان الإله يانوس هو من أطلق هذه المياه لأن من وظائفه فتح قنوات مياه الينابيع .

2. أعياد الشهر الثاني (February)

لا نعرف على وجه الدقة فيما إذا كانت تسمية هذا الشهر قد جاءت من اسم فبروا februa أو الأشياء السحرية التي يطهر بها الإنسان وربما من الإلهة الرومانية فيبريس **Febris** التي كانت إلهة الحمى عند الرومان ، وكان لها في روما ثلاثة معابد . ولكن هناك ثلاثة أعياد أساسية في هذا الشهر هي :

- **عيد فونوس (لوبركاليا)**: يبدأ هذا العيد منتصف الشهر الثاني ويستمر ليومين ويعبر هذا العيد عن نهاية الشتاء .

وهذا العيد خاص للاحتفال بالإله فونوس الذي يعتبر من أقدم آلهة الرومان ويعتبر إبنا لبيكوس وحفيداً لساتورن وأباً للملك الإله لاتينوس ، وكان إلها للغابات والمراعي والمايه العذبة والحقول الخصبة وحامياً للقطعان والزراعة ، وقد اندمج هذا الإله مع الإله الإغريقي (بان) وكذلك مع إله روماني قديم هو (لوبير كوس) .

في منتصف شهر شباط ينطلق كهنة فونوس لوبيركوس ويسمون (لوبيرك) في شوارع روما وقد ارتدى كل منهم جلد تيس كان قد قرب للإله ، ويضربون من يقابلونه بسياط من جلد التيوس . وقد جرت العادة أن تتعرض لهم النسوة العقيمات لاعتقاد الرومان بأن هذه الضربات تثير الخصوبة الأنثوية وتمحو العقم . ونظراً لما يجري في طقوس هذه الأعياد من التحلل الأخلاقي فقد أصدر الإمبراطور أغسطس مرسوماً بمنع الأحداث من حضورها . واستمرت هذه الأعياد حتى عام 494م حين ألغاها البابا جيلاز .

وربما لهذا السبب صارت زوجة فونوس (فونا) حامية للنساء من العقم ولذلك تبدو مشابهة للإلهة (بوناديا) وتشبه بها .

- **عيد البرانتاليا**: يبدأ في 13 من شباط وينتهي في 26 منه ويخص المانات وهن جنيات منزلية تمثل أرواح الموتى الذين كانوا يسكنون البيت سابقاً أو الأرواح الذين ألهو والساكنون في العالم الأسفل ، وكانت عبادة المانات نوعاً من تحاشي أذى هذه الأرواح وكانت أم المانات تسمى (مانيا) وتمثل الجنون ويسمى أيضاً عيد الفراليا Feralia حيث تسمى الفيرالات وفيه تتوقف الأعمال وتغلق المعابد خلال أسبوعين وتزين المعابد بالبنفسج والآس والليلك وتوضع فيها أطعمة من مختلف الأنواع .

- **عيد تيرمنالي**: وهو عيد إله الحدود تيرمينوس في 23 من شهر شباط حيث يجتمع الناس القريبون في مكان واحد في وليمة تقدم فيها القرابين بالقرب من حجارة الحدود ، وقد أصبحت الطقوس فيما بعد تقام لهذه الحجارة باعتبارها إلهة منفصلة ، ويوجد في معبد الكابتول لجوبتر حجر مقدس يرمز إلى الحدود ، وكان الإله جوبتر نفسه يسمى جوبتر تيرمنوس .

3- اعياد الشهر الثالث :(March)

سمي هذا الشهر باسم March نسبة إلى الإله مارس Mars الذي يشكل هذا الشهر شهرة بامتياز فهو إله الربيع وهو إله وما المحارب ، وكان الإغريق قد اطلقوا على هذا الشهر اسم مارس الذي حملت به جونون عندما لمست زهرة أهدتها لها الإلهة فلورا إلهة الزهور وليس من الاتصال بجوبتر .

- **عيد سفينة إيزيس** :(Navigium Isidis) يقام في الخامس من شهر آذار ، وهو عيد الآلهة المصرية الأصل إيزيس التي دخلت عبادتها مع بدايات الإمبراطورية ، حيث يلبس المحتفلون الأقنعة ويسيرون في مواكب رائعة وحيث تنزل إلى الماء السفينة المقدسة . ويقال في بعض الأحيان ، أن هذا العيد هو الأصل الذي نشأت عنه الاحتفالات التنكرية في مدن البحر المتوسط .

– عيد مارس: في بداية الشهر يطلق عيد مارس بمسيرة حول الحقول تتخللها قفزات وقرع على الدروع والتروس بالأسلحة وواضح أن الجمع بين الحقول والحرب يتمثل شخصية مارس الزراعية القديمة والمحاربة الجديدة . ويمثل هذا العيد إيذاناً بالربيع الذي تنهض فيه قوة الحياة خصباً أو حرباً ، حيث يعود المحاربون للتعرف على أسلحتهم بعد شتاء السلام البارد .

– عيد آتيس: يبدأ في 12 آذار ويستمر لمدة أسبوعين تقريباً ، وأصل هذا الاحتفال فريجي ، كان يحتفل بالإله آتيس وحبيبته سيبيل التي أحبته حباً عذرياً ولكنه خانها فأصابته في عقله فخصى نفسه ، ولذا كان طقس العيد يتضمن عنفاً جسدياً من كهنته الذين يخصون أنفسهم كنوع من التطهير الديني . وكانت طقوس هذا العيد تتضمن قصفاً وفرحاً ومجوناً ثم حزناً وإخصاء وبكاء . وهذا ما يذكر بالطبيعة المزدوجة لأعياد الربيع .

– عيد الإلهة (انا برنا): الإلهة أنا برنا Anna Pereranna (حلقة السنين) وهو عيد فلكي يحتفل في الخامس عشر من آذار حيث يخرج الفقراء فيقيمون لهم خياماً في حقل المريخ ، ويحتفلون بالسنة الجديدة ويدعون الإلهة أنا أن تهبهم سنين العمر بعدد ما يحتسون في كؤوس الخمر .

– عيد ليبراليا: هو عيد الإله ليبر باتر Liber pater إله خصوبة الحقول الذي يقام في السابع عشر من آذار في منطقة تسمى ليبراليا Liberalia حيث يتخلى المراهقون عن ثياب الصبا ويرتدون ثياب الرجال ، ويبدو أنه شعيرة عبور يتم فيها انتقال الأولاد إلى مرحلة الرجولة بعد أن يختاروا مجموعة من المصاعب .

وكانت الألهة ليبرا Libera زوجته تشير إلى الخصوبة والتهتك ، وهو ما يفسر اتحاد شخصيته ليبر باتر مع إله الكروم والخمر وإياكوس ديونسيوس . وهذا يدل أيضاً على الربيع ونضج الكروم .

– عيد منيرفا: في التاسع عشر من آذار يحل عيد إلهة الحكمة الرومانية منيرفا وإلهة الحرب والطب وحامية أشغال الإبرة ، وكان عيدها يجري في الكابتول الثلاثي الذي يضم معها جوبتر وزوجته جونون ، رغم أن لها معابد أخرى منها معبد على قمة جبل أفانتان وتقدم لها الفتيات في عيدها ثوباً موشى معمولاً بالإبرة ، وكانت شجرة الزيتون والبومة والديك والأفعى رموزها .

عياد الشهر الرابع april

عيد سيريس: وهو عيد إلهة النبات والحبوب والحصاد عند الرومان وقد اختلطت أعيادها بأعياد لهة الأرض القديمة الرومانية (تيلوّس) ثم مع أعياد ديمتر اليونانية ، وقد أقيم لها أول معبد في روما عام 493ق .م بعد موسم قحط ومجاعة .

وقد عدت طقوس أعيادها نوعاً من طقوس الأسرار التي كانت ترضى بها الأعياد الإليوزيسية عند الإغريق وخصوصاً عند النساء ولذلك قام الإمبراطور كلوديوس في القرن الميلادي الأول بنقل عبادة الأسرار من اليوزيس إلى روما . وبذلك كانت تتضمن أعيادها نوعاً من التضحية والتوحد مع سيريس باعتبارها إلهة خلاص .

عيد باليليا: وهو عيد الإله باليس إله القطعان والرعاة وكان في 21 نيسان الذي يوافق ذكرى تأسيس روما ، وكان الرعاة والمزارعون يحتفلون بالعيدين معاً فيدعون الناس لتطهير ماشيتهم وحظائرهم وزيادة البركة والتكاثر فيها .

عيد فلوراليا: وهو عيد الإلهة فلورا إلهة الزهر والربيع عند الرومان وكانت هي بمثابة إلهة الربيع والنضارة الدائمة وكانت أعيادها تجري بين 21 نيسان إلى 3 مايس ، وأحياناً في الأول من مايس حصراً . وكانت تمتاز بالسكر والعربدة والمظاهر الإباحية فهي إلهة الإغواء والحب . وكان للآلهة فينوس مكانة في احتفالات فلوراليا باعتبارها آلهة الزهور والربيع أيضاً .

أعياد الشهر الخامس may

عيد مايا: كان الشهر يفتتح أما بعيد فلورا أو عيد مايا التي هي حورية من بنات أطلس وبليونةوالتي كانت تمثل إلهة العظمة ماجستا وهي الثريا ، ومن أساطيرها أن جوبتر تزوجها فولدت له الإله ميركوري (عطارد) . وقد جاءت أسطورتها الرومانية في تحولها إلى نجمة الثريا من أن جونون غارت منها فاضطهدتها حتى منعتها من النوم فحولها جوبتر إلى نجمة .

وأحياناً كان يحتفل بعيد الإلهة الصالحة Bona dea .

عيد فلورا (عيد الوردة): وسبق أن تحدثنا عنه والراجح أنه يحصل في بداية هذا الشهر .

عيد منع الفيضان: في منتصف هذا الشهر تقوم كاهنات الإلهة فيستا وهن أربعة ثم أصبحن ستة برمي تماثيل الخشب في نهر التيبر لمنع حدوث الفيضان .

عيد الوردة (فلورا): إذا وقع عيد فلورا في 23 من شهر مايس فيسمى عيد الوردة والتي ترمز لها فلورا .

امبارفاليا:(Ambarbalia) وهو العيد الزراعي لمارس ويتضمن احتفالات تطهير تقدم من خلالها الطاعة لمارس عن طريق الطواف بخنزير وكبش وثور قبل أن تضحي بها للإله .

عيد اللبموريا الذي أقامه روميليس تكفيراً عن مقتل أخيه ريميس الذي ظهر بعد موته للراعي

فاوستلوس وغيره ليطالب بالتعويض عندها أقام روميليوس طقوس ال (ريموريا) التي تحاول اسمها إلى ليموريا وفي هذه المناسبة يقوم كل أب بطقوس غريبة حيث ينهض في منتصف الليل ويفرقع أصابعه ليطرد الأشباح ثم يغسل يديه ثلاث مرات وبعدها يملأ فمه بالفاصولياء السوداء ثم يرميها خلفه قائلاً (أرمي حبات الفاصولياء هذه وبها أخلص نفسي) ويكرر هذا الابتهال تسع مرات وفي هذه الأثناء تقوم أرواح الجنائز بالتقاط حبات الفاصولياء بعدها يطهر الأب يديه مرة أخرى ويدق تألق نحاسية ويكرر تسع مرات (أيها الآباء المانيس إذهبوا) بعدها فقط يمكن أن ينظر خلفه باطمئنان .

وكان يصادف في أيام 9 ،11 ، 13 من شهر مايو أيضاً عيد الليبراليا liberalia (عيد الحرية) وهو عيد الإلهين ليبر liber وليبرا libera إله العنب وإلهته ، وكان جماعات من الرجال والنساء في ذلك اليوم يمجدون بشكل علني والعضو الذكري ، فهو عيد الإخصاب .

أعياد الشهر السادس June

سمي هذا الشهر ب (جون) تيمناً بالإلهة جونون زوجة جوبتر والذي يصادف عيدها في بدايته وأحياناً في بداية الأول من آذار .

عيد جونون: وهو عيد إلهة الإنوثة العذراء والزوجة الوليدة والأم ، وهو لتنشيط الخصوبة عند المرأة وكانت تقدم فيه القرابين من الحملان وهي راعية ترتيبات الزواج والتي تلجأ لها في عيدها الكثير من النسوة والعقيمات .

عيد فيستا: يبدأ من السابع من حزيران وينتهي في الخامس عشر منه وهو عيد فيستا إلهة النار والموقد عند الرومان وتمثلها النار المقدسة المشتعلة دائماً ، وكان يجري عيدها في معبدها الحالي في روما الذي بنته زوجة الإمبراطور سبتموس سيفيروس وبقيت نارها مشتعلة حتى عام 393م وكانت تجدد في الأول من آذار .

كانت أعيادها في غاية الهيبة والجلال حيث تدخل الكاهنات الفيستات المعبد حافيات في الأول لتقديم القرابين .

عيد الحظ (فورتنا): في 24 من هذا الشهر يحتفل بآلهة الحظ والصدفة التي كانت تسير بغمضة العينين أو مقنعة الوجه فتمنح الناس الغنى والسلطة أو توقعهم في الفقرة والعبودية ، وكان يجلب إلى معبدها ما تملأ به قرن الوفرة من فاكهة .

أعياد الشهر السابع July

سمي هذا الشهر نسبة إلى يوليوس قيصر وفيه ثلاثة أعياد .

عيد يونو كابروتينا: في السابع من يوليو .

عيد ماترماتوتا: في الحادي عشر من تموز ، وهي الإلهة المعنية للنساء في المخاض ، وحدها الرومان مع إتيو لوكوثيا .

عيد نبتوناليا: في 23 تموز تقام أعياد إله البحار نبتون لمحاربة الجفاف والحر في هذا الشهر ، وتبني في العيد أكواخ من أغصان الأشجار كملاجئ من الشمس .

أعياد الشهر الثامن August

سمي هذا الشهر نسبة إلى أغسطس أول أباطرة الرومان بعد أن احتل مصر وأسقط آخر مملكة هيلنستية هناك ، وصادف ذلك في هذا الشهر .

عيد سول (الشمس): في التاسع من شهر آب يتم تقديم الأضاحي لإله الشمس الروماني (سول) الذي كانت ترافقه دائماً إلهة القمر الرومانية (لونا) . وقد تحول هذا العيد إلى اكبر أعياد الإمبراطورية عندما نقل الإمبراطور (اليجابل) الذي كان كاهناً لمعبد الشمس في حمص الإله اليجابل إله الشمس بصيغة سول أنفيكتوس إلى روما .

عيد فيناليا رستيكا (فينوس) Vinalia rustica أعياد الخصوبة للإلهة فينوس في التاسع من شهر آب

عيد الأوباليا: عيد الآلهة أوبس إلهة القوى الخلاقة في الطبيعة وهي زوجة ساتورن (زحل) وكان يقام في معبدها على الفورم بروما الذي شيد في العام السابع للميلاد .

عيد بورتونس: عيد الإله بورتونس حامي الأبواب والمفاتيح والطرق وعنابر القمح والمرافئ وخصوصاً ميناء روما على التيبر ، فهو عيد الموانئ الروماني في 17 آب .

عيد تيبرانااليا: عيد الإله تيبر أو تيبورنيوس أشهر أنهار روما ويصادف في 17 آب أيضاً ويختلط مع عيد بورتونس ، وهذا العيد هو مباركة هذا النهر وتجنب كوارثه .

عيد كونسواليا الأول (الحصاد): في 21 آب تكريماً لإله القمح المحصود والمخزون في الأهراء كونسوس ، حيث تجري سباق البغال وهي الحيوانات المخصصة له . وكانت قرينته هي (أوبس) وكان

معبد كونسوس تحت سطح الأرض في المدرج الكبير في روما لأن خزن الإهراء كان هناك ولذلك كان إلهاً سفلياً . ويشمل لاحتفال سباقاً يجري على أظهر بغال مدهونة ظهورها بالزيت .

عيد فولكانيا: في 23 آب حيث يقدم المحاربون الأسلحة التي غنموها في الحروب إلى إله الحدادة والأسلحة (فولكان) . أم القرابين فتقدم للإلهة (مايا) التي اقترنت به في أول شهر مايس .

أعياد الشهر الحادي عشر (November)

لعل أشهر أعياد هذا الشهر هو عيد أو حفل (العثور على أوزيريس) الذي دخلت عبادته إلى روما من مصر مع الإلهة إيزيس ويصاحب هذا العيد المشاهد الدرامية المقدسة للموت والبعث .



شكل (103)

تقدمات للإلهة ايزيس في بيت كاهنات ايزيس

أعياد الشهر الثاني عشر :December

عيد فونا (بوناديا): عيد الإلهة الطيبة في بداية شهر كانون الأول وهي إلهة الخصب والطهارة وزوجة فونوس وربما ابنته . وكان عيدها يعتبر جزءاً من عبادة الأسرار حيث يجري في بيت أحد النبلاء فيجتمعن نساء النبلاء ويمارسن الطقوس التي كانت تميل نحو التهتك .

عيد الأوباليا (اوبس): يقام في 18، 9 أو 19 كانون الأول للإلهة أوبس القديمة المسؤولة عن قوة الخصب ويتم الابتهال إليها بالجلوس ولمس الأرض بالأيدي . وكان هذا العيد يقام في معبدها المسمى (أوبس كونسيفا) ولا يدخله إلا كهنتها العذارى الفستيات .

عيد كونسواليا الثاني (البذار): يقام عيد البذار هذا في 15 كانون الأول حيث تبذر الأرض وتقام بعدها طقوس سباق للعربات التي تجرها العجال وهو عيد مرتبط أيضاً بالإلهة أوبس وقرينها الإله كونسوس ، وكان لهذا الإله مذبح قرب محفل السيرك العظيم ويغطي هذا المذبح بالتراب على مدار السنة لتحسين فكرة البذار .

وكانت احتفالات الكونسواليا الأول في (آب) والثاني في كانون الأول فرصة للرومان لخطف النساء السابينات .

عيد ساتورنالي (الإله ساتورن) كان يجري بين17–23 كانون الثاني وهو عيد زراعي ، ويعتبر الإله زوج إلهة الخصب الرومانية القديمة أوبس وفيه تعاد بعض مظاهر العصر الذهبي ففي اليوم الأول تجري الطقوس الدينية وتقدم الأضاحي وفي الأيام التالية يتبادل الأهل والأصدقاء والزيارات والهدايا المبهجة كالشموع والدمى الفخارية . وكان معبد ساتورن بالقرب من الكابيتول وما زالت بعض آثاره باقية .

تستبدل الملابس الثقيلة بأردية خفيفة ليستطيع الناس تناول الطعام بحرية تامة ويقوم السادة كذكرى للعصر الذهبي ، بخدمة العبيد الذين باستطاعتهم قول أو فعل أي شيء خلال المهرجان ، وتعطل جميع الدوائر العامة ، ولا تنعقد المحاكم ، وتغلق المدارس العمليات التجارية والعسكرية . تحفظ خزانة الدولة في هيكل ساتورن قرب الكابيتول ، كما تحفظ فيه رايات الفرق العسكرية التي لا تقوم بالحملات . وقد ربط تمثال الإله بأشرطة صوفية لتمنعه من مغادرة الأراضي الرومانية ، وتحل هذه الأربطة خلال احتفالات الساتورناليا .

عيد ميثرا: هذا الإله من أصل فارسي وهو إله النور الذي تحول إلى إله الشمس ، وتسربت عبادته مع الجنود الرومان في القرن الميلادي الأول ونشرت معابد في كل مكان .وكان عيده يقام في 25 كانون الأول وهو نفس الزمن الذي أصبح في ما بعد عيد ميلاد السيد المسيح ولذلك ربط الباحثون بين العيدين بل وأن منافسة الميثرائية للمسيحية كانت باعثاً على المزيد من البحوث المتعلقة بعلاقة الديانتين ببعضهما .

كانت عبادة ميثرا في بدايتها ذات طقوس سرية ثم اتجهت تدريجياً نحو الأسلوب التوفيقي وبلغت أقصى عنفوانها في القرن الثالث الميلادي . وهناك آثار تشير إلى ميثرا كمحارب عظيم وهو يذبح الثور

الأسطوري وهذا يرمز إلى انتصار العقيدة الشمسية على عقائد الخصب الأرضية ، وكان يوم ميلاد ميثرا يصادف الانقلاب الشمسي الشتوي 25 كانون الثاني وهو ما يثبت طبيعة ميثرا الشمسية ، وكانت طقوسه السرية تعتبره منقذاً .

إن ولادة ميثرا تشبه ولادة المسيح وكان المشهد الأسطوري يجعل من الثور البري طائراً لكن نهاية الثور تكون على يد ميثرا عندما يذبحه ويسيح دمه فتخرج منه الكائنات حيث تبدأ الخليقة .

كان الثور يذبح في طقوس عيد ميثرا عند مغارة بحضور ما يشير إلى الشمس والقمر والأبراج الإثنى عشر والكواكب السبعة ورموز الرياح والفصول الأربعة وشخصيتان (كوتس وكوتوباتس) تلبسان كميثرا ، وكل منهما يحمل مصباحاً متوقداً في يده ، وهما ينتظران بانتباه لعمل الإله الباهر ، إنهما يمثلان تجليان آخران لميثرا بوصفه إلهاً شمسياً .

وكانت طقوس ميثرا وأعياده مقتصرة على الرجال المحاربين وقد تبع انتشارها تحركات الفيالق العسكرية ولم تكن النساء تقبل بها مطلقاً رغم أن أغلب طقوس الأسرار الأخرى كانت للنساء .

وكان ميثرا يمتاز بميزة فريدة هو أنه لا يموت مثل باقي آلهة الأسرار ولا يشترك معها في مصيرها المأساوي . فهي طقوس لا تتطلب الموت والبعث . كانت الطقوس تجري على أساس العلاقة القوية بين الإله ميثرا والشمس ثم يضحى بالثور ترميزاً لموت الآلهة الخصبية ولصعود ميثرا مكانها أو بديلاً عنها وفي هذه الحبكة الخفية .

كانت تتجلى ولادة عقيدة جديدة وسرية أيضاً وهو ما نقل عبادة الأسرار إلى فضاء أوسع تلقفته المسيحية ونشرته بين الرجال والنساء دون الشرط العسكري للمحاربين وهكذا انتشرت المسيحية كديانة خلاص كبرى ، في حين ظلت الميثرائية حبيسة فئة المحاربين الرجال والمائة منهم الذين هم عماد كل كنيسة مثرائية ومعبد خاص بها .

كان المريدون يرتبطون بقسم الحفاظ على سر الأسرار ثم تبدأ شعيرة العبور من الدرجات السفلى إلى الدرجات العليا وهي كما يلي : (الغراب ، المستور ، الجندي ، الأسد ، الفرس ، ساعي الشمس ، الأب) وكان الأطفال يقبلون في الدرجات الأولى بدءاً من عمر سبع سنوات . وهكذا تبدأ طقوس المريدين بالانتقال من درجة إلى أخرى ، وقد يتعرضون خلالها للموت أو العذاب وعليهم أن يتحملوا .

والحقيقة أن طقوس عيد ميثرا السرية والعلنية كانت بمثابة خلطة من شعائر العبور والشعائر الرمزية للكواكب والنجوم وشعائر التضحية شكلت بمجملها طقوساً جذابة كانت تنافس طقوس ميلاد السيد المسيح التي تجري في نفس اليوم من كل عام .

انتشرت هذه الطقوس والعبادة في حاميات الراين والدانوب بوجه خاص وفي موانئ البحر المتوسط الكبرى ولم تظهر في العالم اليوناني . ومن المحتمل أن الدرجات الأربع الأخيرة في الطقوس (الأسد ، الفرس ، ساعي الشمس ، الأب) هي التي يستطيع فيها العضو الجديد أن يشهد الأسرار المقدسة ، ولا بد أن المراسيم التي تختص بشرا ، والتي كانت تقام في كهف تحت الأرض ، أو في معبد يضاء بنور باهر ، ويجتمع فيه الأعضاء من مختلف الرتب ، وهم يلبسون أقنعتهم وأزيائهم المميزة ، من المشاهد التي تترك أعظم الأثر في النفوس . وكانت هناك أسرار العماد ، وتثبيت العماد والتناول . وكانت المعابد ملكاً لجماعات المصلين التي كانت في العادة صغيرة ، لا تزيد فيما يرجح على مائة شخص . وعندما كان عددهم يتجاوز هذا الحد ، تنشأ جماعة جديدة .

المبحث الثاني:

الأعياد غير الدورية

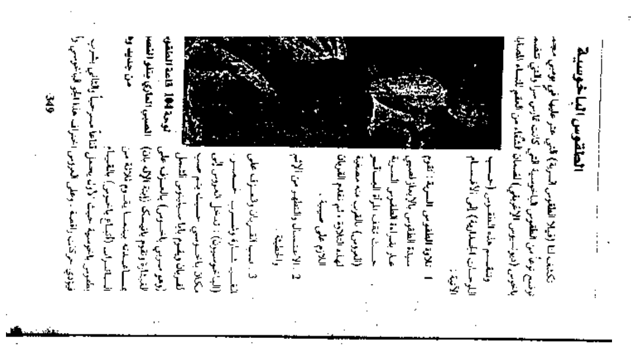
1. الاعياد القرنية (السيكولوم):

السيكولوم Saeculum ، وفقاً لاعتقاد أترروري- روماني ديني غامض يرى أن كل فترة طولها 100 عام (أو 110 أعوام) يتجدد فيها الجنس البشري أجمعه . ومعنى السيكولوم قرن من الزمان .

ولم تشهد روما طيلة تاريخها الاحتفال بهذا العيد إلا مرة واحدة كانت على يد أوغسطس في عام 17ق .م وكان قد بلغ عامه العاشر رئيساً لروما فقرر القيام بهذا الاحتفال .

تكونت لجنة الاحتفال من (15) عضواً على رأسها أوغسطس وأجريبا وكانت مهامها الأساسية هي إقامة الصلوات وذبح القرابين لمعبودات معينة قد تم اختيارها بدقة ، ويستمر هذا لمدة أربعة أيام ليلاً ونهاراً ، ففي ليل 31 مايو(مايس) بدأ الاحتفال كما يلي :

1. **اليوم الأول** (31/مايو) : إقامة الصلوات في (كامبوس مارتيوس) ابتهالاً لإلهات القدر لكي تصون عظمة الشعب الروماني وتحفظ إمبراطوريته ، وفي العشاء إقامة رئيسة الكاهنات مأدبة للإلهتين(جونو) و (ديانا) .



2 . اليوم الثـ (1/حزيران) : نحر القرابين للإله جوبتر الأول والأعظم على تل الكابيتول ، وفي الليل تنحر لقرابين لإلهات وضع الاطفال .

3 . اليوم الثـ : تكرم الآلهة جونو الملكة نهار ، والآلهة الأرض الأم Terra maiet ليلا على تل الكابتول .

4 . اليوم الربع : على تل البلاتين تنحر القرابين نهاراً لابولو وديانا وفي الليل تقرأ جوقة دينية مكونة من 27 ولداً و27 بنتاً الانشودة القرنية Carmen Saeculate على أبواب معبد أبولو الجديد بالـ ب من منزل أوغسطوس ، والانشودة من نظم الشاعر (هوراس) .

وبعد هذا انتهى العيد القرني وبدا الشعب الروماني منتصراً على أعدائه ومستعدا للدخول في دورة ومجيدة من دورات وجوده ذلك لانه كان على وفاق قام مع القوى المقدسة(14) .

وبعد هذا انتهى العيد القرني وبدأ الشعب الروماني منتصراً على أعدائه ومستعداً للدخول في دورة جديدة ومجيدة من دورات وجوده ذلك لأن كان على وفاق تام مع القوى المقدسة .

طقوس الربيع المقدس اللاتينية

لعل طقوس الربيع المقدس اللاتينية التي سبقت تأسيس روما كانت من أعرق الطقوس القديمة والتي تستند إلى مرجعات اجتماعية متأصلة في المجتمع اللاتيني القديم هي حب الهجرة والتجوال والنظام الأبوي القاسي في هذا المجتمع . فقد كان يفرض على الشباب الذين يبلغون سن الرجولة الذهاب إلى أماكن بعيد لامتلاك أراضي جديدة والبحث عن الثروة وتخلصاً من السلطة الأبوية الصارمة للأب ، وقد كانت هذه الهجرة تأخذ طابعاً طقسياً يسمى (بالربيع المقدس) ومن أجل التخلص من كارثة أو وضع حد لوباء أو حرب طويلة الأمد ، يعمد الآباء إلى التضحية للإله مارس (إله الشباب والربيع) بكل ما ولد أو سيولد تلك السنة ، تقدم الحيوانات الصغيرة ذبائح له . وعندما يصبح الفتيان في عمر السفر والمغامرة يرسلون لتأسيس قرية جديدة . وإن ما كان يسمى (الربيع المقدس) وما تأكد لدى السابيين من سكان الجبال . لم يجهله الرومان في غمرة العصور التاريخية .

الطقوس الباخوسية

تكشف لنا (فيلا الطقوس السرية) التي عثر عليها في بومبي مجموعة من اللوحات الجدارية التي توضح نوعاً من الطقوس الباخوسية التي كانت تمارس سراً والتي تتضمن نوعاً من الزفاف السري للإله باخوس (ديونسيوس الإغريقي) لضمان الشفاء من العقم للنساء المصابات به .



لوحة 104 قاعة الطقوس السرية - قراءة النصوص الصبي العاري يتلو النصوص الدينية والعروس تظهر من جديد وهي تقدم القربان

وتنقسم هذه الطقوس (حسب اللوحات الجدارية) إلى الأقسام الآتية :

1 . **تلاوة الطقوس السرية :** تقوم سيدة الطقوس بالإيعاز لصبي عار بقراءة الطقوس السرية حيث تقف المرأة العاقر (العروس) بالقرب منه مصغية لهذه التلاوة ، ثم تقدم القربان اللازم على صينية .

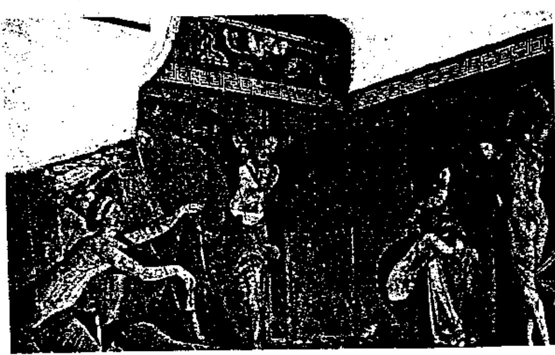
2 . الاغتسال والتطهر من الإثم والخطيئة .

3 . صب القربان والعزف على القيثارة وشرب الخمر . (الباخوسيون) : تدخل العروس إلى مكان باخوسي حيث يتم صب القربان ويقوم بابا سيلينوس الشمل (وهو مربي باخوس) بالعزف على القيثارة وتقوم بانيسكا (إبنة الإله بان) بمساعدته بينما يقوم ثلاثة من الساتيرات (أتباع باخوس) بالقيام بطقوس باخوسية حيث الأول يحمل قناعاً مسرحياً والثاني بشرب الخمر من طاس فضي أما الثالث فيؤدي حركات راقصة . وعلى العروس اختراف هذا الجو الباخوسي وأداء شعائر خاصة به .



لوحة 105 قاعة الطقوس السرية- احتساء الخمر ثلاثة من الساتير يمثلون طقوس احتساء الخمر المقدس.

4 . جلد العروس : ثم تدخل العروس إلى مكان تقوم فيه إمرأة عارية بأداء رقصة مميزة وتقرع بيديها الجلاجل الموسيقية وتقوم كاهنة باخوس بالإشراف على جلد العروس حيث تنحني العروس على فخذ الكاهنة الجالسة وتقوم باخوسية مجنحة بجلد العروس بقسوة بالغة .



لوحة 106 ربة الألم المجنحة تجلد العروس لتتحد روحها مع الإله عن طريق الألم قبل الزواج، بينما ترقص إحدى عابدات باخوس وهي تدق الصناجات احتفاء بتطهير العروس.

5 . **طقس الزواج السري للعروس** : حيث تجلس العروس على مقعد ذي قوائم محلاة بالزخارف وقد زينت ساعديها وتقف إلى جوارها وصيفة حسناء ويعمل لها كيوبيد مرآة تتأمل فيها كيانها .



لوحه 107 جلد العروس وكاهنة باخوس التي ترقص

المبحث الثالث

الطقوس الخاصة والعامة

1. الطقوس الخاصة (العائلية)

على امتداد تاريخ روما حافظت الطقوس الخاصة العائلية ، التي كان يقوم بها رب الأسرة باعتباره كاهن الأسرة أيضاً ، على استقلالها وقوتها دون أن تذوب في الطقوس العامة التي كانت الدولة تقوم بها ويؤيدها المجتمع . بل أن هذه الطقوس الخاصة حافظت على طبيعتها ولم تتحور أو تتطور أو تتبدل.

وكانت هذه الطقوس تؤدي حول موقد المنزل وكان أغلبها موجهاً إلى الأرواح [illegible]سانية الأصلية

القديمة (البينات ، اللارات ، المانات ، الجن) فقد كانت طقوس الموت والزواج والولادة وغيرها تتطلب الاتصال بهذه الأرواح لضمان استمرار الحياة السعيدة للعائلة .

كان الزواج يجري تحت رعاية الأرواح المحلية والأهلية مثل تيلّوس ثم سيريس وجونون- بصفتها راعية لقسم الزواج ، وكان ذلك يستوجب الأضحيات والدورانات حول الموقد .

وكذلك طقوس الحمل والولادة العائلية التي كانت تفرض نوعاً من الطقوس أما البيتاس(Pietas) أو البيتا فكان هو الذي يسكن الأجداد ، وربما أن شباط كان الشهر الأخير في السنة حسب التقويم الروماني القديم ، فإنه كان يشاطر في شرط الميوعة العمائية (الكاؤوس) التي تميز هذه الفترات بين دورتين زمنتين . ولأن القواعد معلقة ، كان الموتى يستطيعون العودة على الأرض . ودائماً في شباط كانت تجري شعيرة اللوبيركاليا Luper caliaوهي تطهيرات جماعية كانت تعد للتجديد الشامل ، المرموز إليه بالسنة الجديدة (إعادة خلق شعائري للعالم) .

وفي أيام أعياد الليموريا الثلاث (13، 11، 9 أيار) كان الأموات يعودون مجدداً وكانوا يزورون منازل أخلافهم . ومن أجل تهدئتهم ومن أجل منعهم من جر بعض الأحياء معهم ، كان رئيس العائلة يملأ فمه بحبات الفول الأسود ويلفظه لها كلها ، كان ينطق تسع مرات بهذه العبارة (بهذه الحبات من الفول ، اشتري نفسي ومن يلوذ بي) وأخيراً يحدث ضجة بشيء من البرونز ليخيف الأشباح ويردد تسع مرات (مانس manes) آبائي ، اذهبوا من هنا) . إن الطرد الطقوسي للموتى ، بعدزيارتهم الدورية على الأرض ، هي حفلة منتشرة على نطاق واسع فـ العالم .

أما المانات التي كان يحتفل بأعيادها في البارانتاليا والفيراليا في 13-26 كانون الثاني ، فكانت طقوسها تشير إلى شعيرة النذر التي تذكر بإضافي الدم القديمة فقد تحولت عائلياً إلى أعمال زينة للبيوت والمعابد بالبنفسج والآس والليل تقدم معها الأطعمة المختلفة لكي تهدأ أرواح المانات التي تمسك أساس البيوت والمعابد .

الجدير بالذكر أن هذه الطقوس العائلية الوقائية أو التعويذية من هذه الأرواح تحولت إلى طقوس لآلهة العالم الأسفل عند الجماعة الرومانية بعد أن استقبلت الديانة الرومانية نظاماً ثيولوجياً أوسع حوّل هذه الأرواح إلى بقايا من العالم الأسفل .

2. الطقوس العامة

في روما الملكية كان الملك يقوم بدور الكاهن الأكبر محاطاً بجهاز كهنوتي مكون من كهنة الفلامين

عددهم 15 كاهناً . وكان آلهة الدولة الكبار أولاً هم جوبتر مارس كويرينوس ثم حل محله في عصر الأتروسك مثلث آخر هو جوبتر جينون منيرفا .

كان الكهنة يوضعون في مجاميع سبق وأن ذكرناها مثل الفلامين ،العرافين والفيستال وغيرهم وهؤلاء جميعاً يؤدون الطقوس العامة الخاصة بالآلهة والتي كانت الأعياد الدورية أهم مظاهرها .

وكانت الطقوس العامة تؤدي بدقة وحذر بحيث يشرف عليها الكهنة فإن وقع فيما خطأ توجب إعادة الطقس من جديد حتى يتم تصويب الخطأ .

كان معنى لفظ Religio الذي اشتق منه كلمة دين Religion (هو أداء الطقس الديني بالعناية التي يحتمها الدين . وكان من أهم ما في الاحتفال هو التضحية Sacrifice ومعنى اللفظ مشتق من كلمة cacer اللاتينية ومعناها ملك للإله . وكانت التضحية في البيت تتخذ عادة شكل قطعة من كعكة توضع على الموقد أو كمية من النبيذ تلقى في نار البيت ، وتكون في القرية أول ثمرة تخرجها من الأرض ، وقد تكون كبشاً أو كلباً أو خنزيراً (19) .

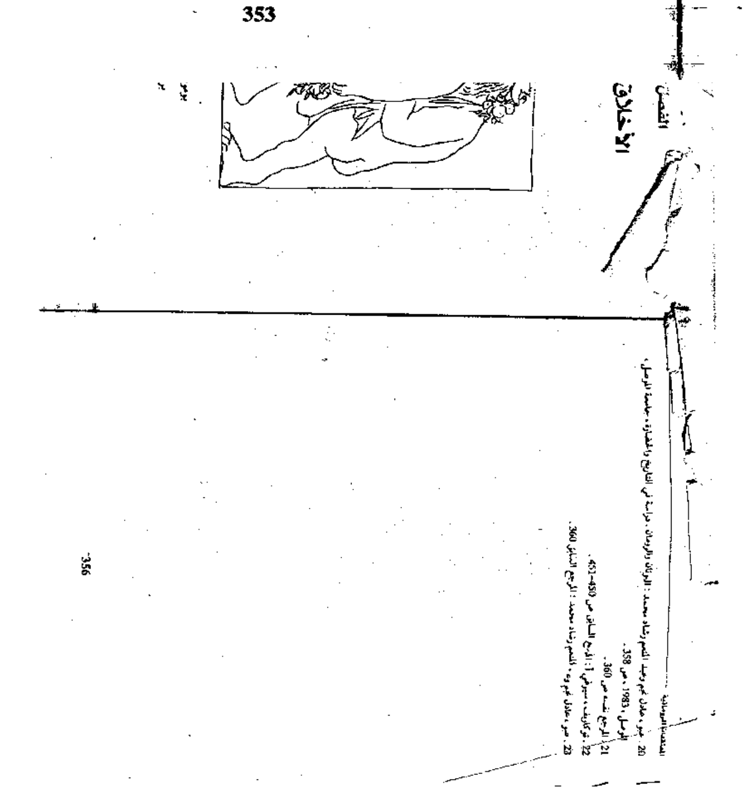
كانت التضحية الحيوانات تقضي بتقديم أحشاء الحيوان على المذبح لتحرق أما جسده فيؤكل من قبل المحتفلين لكي تنتقل قوته إليهم .

أما طقوس التطهير فهي من أكثر الطقوس شعبية وكان يشمل المحصولات الزراعية وقطعان الماشية والجيش والمدينة ، حيث يطاف بالشيء المراد تطهيره وتقدم له الصلوات والذبائح .

كانت كلمة كارمن Carmen تعني الأنشودة السحرية والرقية ويجب أن توجه بدقة وعناية للإله ، المطلوب حتى يستجاب للإنسان مطالبة . أما النذور (فوتا) vota فكانت تقدم لمعونة الألهة وكانت تقام لأجلها هياكل خاصة كبيرة كان الغرض من الطقوس الدينية الخاصة أو العامة هو حث الروح على القيام بوظيفتها بطريقة مرضية للعابد ، أي أن تدخل في مساومة معها ، والحقيقة أنها مسألة أخذ وعطاء (do ut des) أي (أعطيك شيئاً لتعطيني شيئاً) وعلى ذلك كل إنسان كاهناً لنفسه عند التعامل مع الأرواح التي تؤثر في منزله ومزرعته وحياته الخاصة .

الصلاة

طقس يومي يقوم به المتعبد للآلهة ويتم عادة مرافقاً مع تقديم تضحية للإله المعين مثل التضحية بحيوان أو بجزء منه أو تقديم كمية من اللبن أو عسل النحل أو الجبن أو كعكة مقدسة . وكانت قيمة كل منها تتوقف على مقدار النعمة المتوقعة من الإله ، وفي أغلب الأحيان لم تكن التقدمة تكتمل إلا



بعد أن يقوم الإله بالخدمة المنشودة ، وكانت هذه يعرب عنها بالنذر وعند إتمام الشروط يجب الوفاء بالنذر .

كانت المطالب التي يوجهه المصلي إلى الآلهة أثناء صلاته مصاغة بدقة وباختصار شديد ، كالدقة الموصوفة بها صيغ الصلاة ذاتها . ولاجتناب الشك ، تم تعزيز كلمات الصلاة بإيماءات وإشارات معينة . بلمس الأرض باليد حين ذكرها ، ورفع اليد نحو السماء إذا ما ذكر جوبيتر ، والضرب بيده على صدره عند تحدث المصلي عن نفسه . واعتبر من الأهمية بمكان صحة التلفظ باسم الإله ، وتفقد الصلاة قيمتها في الحالة المعاكسة ، ولهذا وضعت شروط في صيغ الصلاة ، علها استبعاد إمكانيات ارتكاب الأخطاء منها مثلاً : (جوبتر مبارك وعظيم ، أو أياً كان الإسم ، فهو مستحب لديك)(22) .

النذور

كان التضحية بالحيوان أكثر النذور شيوعاً وكان طقس تقديمه إلى الإله يقوم به الكاهن حيث يرشه بالخمر وينثر عليه فتات الكعكة المقدسة ، ثم يقوم مساعد الكاهن بذبحها وفحص أحشائها الداخلية بعناية وخاصة الكبد ، فإذا وجد في هذه الأحشاء بشيراً بالخير وضعت على المذبح وأكل ما تبقى من الحيوان .

ثم يقوم الكاهن بتلاوة صلاة بصوت خافت ويقوم شخص آخر بالعزف على المزمار ليسكت بهذه الموسيقى جميع أصوات الشؤم ويقف الحاضرون في صمت عميق ، وكان ينبغي مراعاة جميع الطقوس بدقة متناهية من اجل بلوغ الغاية المطلوبة وهي الحصول على بركة الآلهة في عمل من الأعمال أي الحصول على مردود مادي من الصلاة والذبيحة لإنه لا يوجد لدى الرومان صلاة مجردة للعبادة فقط . فإذا وقع خطأ ما أو عرقلة طارئة أثناء الصلاة يجب إعادة الطقوس جميعها وتقدم ذبيحة جديدة للتكفير عن الخطأ الذي حصل سابقاً .



شكل 108 طقوس التضحية الرومانية بثور وخروف

مراجع الفصل الرابع

1 . توكاريف ، سيرغي . أ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د. أحمد م. فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 ، ص 451 .

2 . ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، المجلد الخامس الجزء التاسع ، ترجمة محمد بدران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة2001 ،ص 135 .

3 . المرجع نفسه ص 137 .

4. Guirnad, F and A.v pierre: "Roman mythology" new larousse encyclopedia of mythology. Translated by Richard aldington and delona ames, London, 1959, p200

5 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1980 ، ص 375 .

6 . ددلي ، دونالدر : حضارة روما . ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979 ، ص 376 .

7 . ديورانت ، ول : المرجع السابق ص 136 .

Guirnad , F. and A.v pierre: op. cit, p215. 8

. ibid, p 202 . 9

10 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : المرجع السابق ص 288 .

11 . الخوري ، لطفي : معجم الأساطير ج2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 ، ص 63 .

12 . إلياد ، مرسيا : تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ج1 ، ترجمة عبد الهادي عباس المحامي ، دار دمشق ، دمشق ، 1987 ، ص 353 .

13 . ددلي ، دونالد . ر : المرجع السابق ص 377 .

14 . المرجع نفسه ص 206-207 .

15 . غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوربا العام ، ط1 ، (أوروبا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر ، ترجمة انطوان أ . الهاشم) منشورات عويدات ، بيروت ذ باريس ، 1995 ، ص 162 .

16 . عكاشة ، ثروت : الفن الروماني ، المجلد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993 ، ص 462-465 .

17 . إلياد ، مرسيا : المرجع السابق ، ص 127 .

18 . المرجع نفسه ص 138 .

19 . ديورانت ، ول : المرجع السابق ص 133 .

20 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : اليونان والرومان . دراسة في التاريخ والحضارة ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1983 ، ص 358 .

21 . المرجع نفسه ص 360 .

22 . توكاريف ، سيرغي أ : المرجع السابق ص 450-451 .

23 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : المرجع السابق 360 .

الفصل

الأخلاق والشرائع



بومونا وفيرتومنوس
بريشة بيكاسو

المبحث الأول

الأخلاق

كان المجتمع الروماني مجتمعاً طبقياً نموذجياً فبالإضافة إلى انقسام المجتمع إلى طبقات اقتصادية متدرجة فإنه كان من الناحية العلمية ينقسم إلى ثلاث فئات أساسية هي : مواطنو الدولة ذوو الحقوق الكاملة (باتريستي) وهم الزعماء والحكام والكهنة والأحرار كلياً ، والمواطنون العاديون وهم المحرومون من الوظائف المهمة ، والعبيد الذين لا حقوق لهم .

وكان المجتمع الروماني حسياً نفعياً لا يلعب الدين دوراً كبيراً في تهذيب خلقه بل يستخدم الدين لأغراض السياسة والحروب والاقتصاد .

الأسرة الرومانية

كانت الأسرة الرومانية هي أساس المجتمع وهي التي حافظت عليه من العواصف التي مرت . فهي المرآة العاكسة للوطنية والمدنية الرومانية .

" إن حكمة Piety كانت تعني التعبد وطاعة الابن لأبيه والمواطن لرئيسه والرجل لآلهته ، وكانت الشخصية المدنية للروماني تتشكل من ثلاثة عوامل أساسية هي (الحرية ، المواطنة ، أن يكون عضواً في أسرة") (1) .

كانت الأسرة الرومانية فريدة من نوعها بمقارنتها بغيرها من أسر المجتمعات الأخرى ، فقد كانت فكرة تجذرها ووحدتها وقوتها تتحقق كلياً بشخص رئيسها الأب رب الأسرة (paterfamilias) . وكان الأب هو مصدر السلطة في هذا المجتمع الصغير المكون من أفراد أسرته من زوجته وأولاده وبناته غير المتزوجات وأتباعه وعبيده . والذي كان يعزز سلطاته هو السطوة الأبدية Patria postestas وهي فكرة قانونية لم تكن تمنحه حقوقاً على الممتلكات التابعة للأسرة فحسب بل كان يتمتع بسلطة الحياة والموت على من يعولهم (2) .

كان الأب إذن هو مركز الأسرة وكاهنها ومنفذ طقوسها الدينية وقاضيها وحاكمها وكان له الحق في قتل زوجته أو أبنائه دون أن يحاسبه القانون . وعند وفاة الأب فإن الأولاد يصبحون رؤساء أسر

حين أن الزوجة والبنات غير المتزوجات يصبحن تحت حماية الأولاد ورعايتهم . وكانت الأسرة تكرم أجدادها المتوفين وتتغنى ببطولاتهم .

لكن صرامة التكوين الأسري هذه لم تحل دون تفسخ المجتمع وتحرره الجنسي الذي وصل إلى ذروته في نهاية العصر الجمهوري مما اضطر الإمبراطور الأول أغسطس سنة 17ق . م بتشريع برنامج اجتماعي غرضه الحد من تدهور الأخلاق الرومانية وإعادة الفضائل القومية التي كانت سائدة في فجر التاريخ الروماني . فصدرت قوانين حرمت الزنا وجعلته عملاً إجرامياً يعاقب مرتكبيه بشدة قد تصل إلى حد الإعدام ، كما أن قانون الزواج صدر ضد العزوبة والزيجات التي لا يتخلف عنها أولاد ، وأصبح الزواج إجبارياً تقريباً على كل مواطن روماني كما صدرت قوانين ضد الترف والبذخ ، إلا أن هذه التشريعات لم تلاق الترحيب المناسب (3) .

لقد ظلت الأخلاق الجنسية عند الرجل العادي واحدة لم يطرأ عليها تغيير من بداية التاريخ الروماني إلى نهايته ، وظلت خشنة طليقة ولكنها لا تتعارض مع الحياة الناجحة في ظل الأسرة . وكان يطلب إلى الفتيات في جميع الطبقات الحرة أن يحافظن على بكارتهن ، وما اكثر القصص القوية التي كانت تروى لرفع شأنها ، ذلك أن الروماني كان قوي الإحساس بحق الملكية ، شديد التمسك به ، ولهذا كان يتطلب زوجة قوية الأخلاق غير متقلبة الأهواء تضمن له أنه لن يرث متاعه بعد موته أبناء من غير صلبه (4) .

أما الرجل فلم يكن هناك تشديد على أن يكون عفيفاً ، وربما كان هذا الوضع شبيهاً بما كانت عليه اليونان من إعلاء لشأن الرجل وطمس لحقوق المرأة .

المرأة/ الرجل (الزواج والعلاقات المحرمة)

أقدم أشكال الزواج الروماني كان يقضي بأن تصبح في المرأة وممتلكاتها في يد الرجل قانونياً ودنيوياً ، لكنها كانت تبدو كما لو كانت ابنة الزوج في درجتها وليست شريكة محترمة جداً ، إذ كانت لا تخرج من البيت إلا مع زوجها ولا تفعل شيئاً إلا باستشارته . وعندما يموت زوجها تصبح تحت رعاية أكبر أولادها " لأن أمومتها لا يعترف بها من لدن القانون ولا تستطيع أن يمارس أي سلطة مع أولادها لأنهم يتبعون الأب . والجريمة الكبرى التي ترتكبها الزوجة هو الزنا أو شرب المسكرات وكانت العقوبة تصل إلى حد الموت ، إلا أن القوانين تبدلت تدريجياً لصالح الزوجة ، فقد منع بيع الزوجة أو قتلها بقوانين دينية ، وأخذت المرأة الرومانية تحظى باحترام أكبر من الماضي وباستقلال وحرية واضحة(5) .

كانت روماشبة خالية من العاهرات في نشأتها الأولى ، ثم ظهرت مع اتساعها واتساع المدن

الاخرى وزيادة الاسيرات والسلب والنهب في الحروب ، وكان يحرم على العاهرات لبس مئزر الامهات وهو شعار الزوجة المحترمة ، وكن محصورات في الأركان المظلمة من روما ومن المجتمع الروماني ، ولم تكن قد نشأت فيها وقتئذ طائفة المحظيات المتعلمات الشبيهات بطائفة المطربات في أثينا ، كما لم يكن قد نشأ فيها بعد أولئك المومسات الرقيقات اللاتي تغنى بهن أوفيدOvid في شعره .

كان الزواج مناسبة دينية أولاً فقد كانت الألهة (جونون) راعية الزواج ومدبرته وكان الرومان ، أخذاً عن الإتروسك ، يرون أن الزواج هو اتحاد مدى الحياة بين رجل واحد وامرأة واحدة عقد بينهما طواعية واختياراً من أجل إنجاب الأطفال ، ويقوم على أساس الحب المتبادل . وكان الزواج على أربعة أنواع :

1 . كمانو cum manu :حيث تكون المرأة خاضعة لسلطان زوجها أو والد زوجها خضوعاً تاماً ، وكان يتم بالمعاشرة مدة عام أو بالشراء .

2 . سنمانو sin manu : وهو زواج غير ديني تقريباً إذ يستوجب موافقة الرجل والمرأة فقط .

3 . كونفرياشو confarreatio : وتعني هذه الكلمة (أكل كعكة معاً) وهو الزواج الذي يتطلب حفلاً دينياً ولا يتم إلا بين الإشراف .

4 . كونيجوم coniugium : وتعني هذه الكلمة (الاشتراك في النير) ولا يمتاز هذا الزواج إلا بزيادة طقس يقضي بعد الزفاف بوضع رقبتي العروسين تحت النير .

كان الغرض من الزواج هو إنجاب الأطفال الذين يعملون بجد لمساعدة أبيهم في أعماله . وكانت تصحب الخطبة مراسيم وتقاليد معينة تعد رابطة قانونية بين الزوجين . وكان أقرباء الزوجين يجتمعون في وليمة ليشهدوا عقد الزواج ، وكانت تكسر قشة بين أهل العروسين علامة على اتفاقهما وكانت شروط الزواج والمهر تسجل كتابة على شكل عقود ، وكان الزوج يضع خاتماً من الحديد في الإصبع الرابعة من اليد اليسرى للزوجة لاعتقادهم أن عصباً يسير من تلك الأصابع إلى القلب . وكانت أصغر سن يباح فيها الزواج هي الثانية عشرة للفتاة والرابعة عشرة للفتى ، وكان القانون الروماني القديم يجعل الزواج إجبارياً (7) .

كان الطلاق يختلف حسب نوع الزواج ففي زواج كنفرياشو كان عسيراً ونادراً ، وفي زواج الكمانو كان سهلاً ، وكان زواج السنمانو أسهل الثلاثة ولايتطلب موافقة الدولة ، وكان الرجل يطلق زوجته الخائنة أو العقيم .

كان على الأب أن يوافق على عد ابنه من نسله (أو إذا تبناه) فكان عليه أن يرفعه من الأرض دلالة على تعهده بتربيته لأن العناية بالوليد من واجب الأم . وفي اليوم التاسع تجرى مراسيم تطهير الطفل وتسميته وتعلق في عنقه تعويذة من الذهب (إن كان أهله أغنياء) أو الجلد أو البرونز (إن كان أهله فقراء) ويستمر الولد بلبسها حتى يبلغ مبلغ الرجال (15–16) سنة من عمره ، اما البنت فكانت تلبسها حتى يوم زواجها .

كان الأولاد يربون في البيوت حتى القرن الأول قبل الميلاد ثم ظهرت المدارس التي كانت تستقبل الأولاد وهي على ثلاث مراحل (الإبتدائية ، النحوية ، البلاغية) ويبدأ الدوام صباحاً وكان النظام صارماً تستخدم فيه العصا . ويتم تعطيل المدارس مرتين في السنة في شهر كانون الأول وفي آذار (عيد منيرفا ، وكان الطفل يذهب للمدرسة في سن السابعة .

السلوك

كان الرومان أشد ميلاً إلى الجوانب الحسية في الحياة من غيرهم ، وكان الدين وسيلة نفعية أكثر مما هو تصور ميتافيزيقي عن العالم والآخرة ولذلك اتسم سلوك الإنسان الروماني بالواقعية والحسية والبراجماتية وهو ما يحجب عن العبقريات تفتحها .

وكان الرجل الروماني يصطنع المهابة الصارمة ويراها خلة ثقيلة لا يستغني عنها الإشراف الذين يحكمون شعباً ، ثم شبه جزيرة ، ثم امبراطورية ، وكان ما يتصف به من رحمة وعاطفة رقيقة مقصوراً على الحياة المنزلية ، أما في الحياة العامة فقد كان على رجل الطبقة العليا أن يكون راسخاً جافاً كتمثاله(8) .

كان أسرى الحروب يباعون في الأسواق آلافاً مؤلفة ، عدا الملوك وقواد الجند فكانوا يقتلون عقب النصر أو يتركون ليموتوا موتاً بطيئاً من أثر الجوع .

كان الرومان يحبون النظام ويميلون إلى الإدارة القوية ولكنهم يفتقرون إلى الخيال ، ورغم أنهم يحبون الجمال لكنهم كانوا عاجزين عن إنتاج الجمال ولذلك ضعفت عندهم الأساطير والفنون قياساً للإغريق .

أما العلوم والفلسفة فكانت مريبة إذ أن الرومان لم يجدوا فائدة في العلوم ولذلك لم يدرسوها في مدارسهم ، وكانوا لا يحبون الفلسفة ويعتبرونها وسيلة شيطانية للقضاء على الأخلاق ولغواً لا نفع فيه وهو ما جعل تقدمهم في العلوم والفلسفة ضعيفاً .

المبحث الثاني

الشرائع

كان القانون الروماني من اختصاص الكهنة وألغي هذه الاحتكار الكهنوتي في عصر الجمهورية في الألواح الاثنى عشر حيث ظهر اجتهاد المشترعين المذنبين في وضع القانون الروماني .

كانت هذه الألواح الاثنا عشر حداً فاصلاً بين القانون الديني فاس (Fas) الذي ينظم علاقة الإنسان بالآلهة ويعطي الكهنة حق حكم الناس قضائياً وبين القانون المدني (يوس jus use) أي القانون الدنيوي الذي ينظم علاقة الناس فيما بينهم ويعطي المشرعين والقضاة ورجال القانون حق حكم الناس والفصل بينهم .

كانت الآلهة في روما تصدر شرائعها من خلال الفاس وتحولت هذه الفاس إلى أعراف وأخلاق عامة بينما ظهر أليوس ليفصل في حقوق الناس شرعياً ويحول المجتمع الروماني من مجتمع ديني إلى مجتمع مدني .

ولعل القانون الروماني هو أعظم إنجازات الحضارة الرومانية التي قدمتها لحضارة الإنسان عموماً ، فهو من ابتكار الرومان أنفسهم حيث قاموا ببناء هذا القانون صفحة بعد أخرى حتى اكتمل كتاب هذا القانون الروماني بما يقرب من ستين مجلداً في قوانين الإمبراطور البيزنطي جستنيان في القرن السادس الميلادي .

ربما يصح قولنا أن الرومان اقتبسوا أغلب مظاهر الحضارة من الإغريق والشرق والأتروسك والقرطاجيين والمصريين وغيرهم لكن القانون والشرائع تظل رومانية الأساس رغم حافزها الإغريقي البسيط قبل ظهور الألواح .

ابتكر الكهان هذه الشرائع عند تأسيس روما سنة 753ق .م وأبقوها طي الكتمان وكانوا يحكمون وفقها بين الناس لكنهم لا يعلنونها ، ونشأ بسبب ذلك صراع بين الناس وبين طبقة الكهان حتى حصل الشعب على مجموعة مدونة من القوانين هي (الألواح الاثنا عشر ، الشهيرة عام 451ق .م فقد شكلت لجنة من عشرة أعضاء قاموا بدراسة قانونية مقارنة . ويقال إنهم زاروا أثينا حيث ظلت قوانين سولون تطبق أكثر من قرن من الزمن كما زاروا مدناً إغريقية أخرى وأسفرت جهودهم عن تصنيف للقانون العام والخاص والديني والجنائي الذي صدر في صياغة قانونية بتصديق الجمعية الشعبية عليه ، ونقش على ألواح برونزية في السوق الرومانية . وقد قال المؤرخ ليفي عن هذه القوانين : أنها منبع

جميع القوانين الرومانية العامة منها والخاصة . وكان التلاميذ يدرسونها في عصر شيشرون وظل عدد من بنودها ساري المفعول حتى العصور البيزنطية(9) .

ونمت الشرائع في عصر الجمهورية بعد ظهور هذه الألواح وازدادت من خلال قرارات مجلس الشيوخ والهيئات التشريعية الأخرى ومراسيم الحكام وخصوصاً البرتيور .

كان مجلس الشيوخ هو المسؤول عن سيادة القانون في إيطاليا أيام العصر الجمهوري ، ولم تظهر المحاكم الدائمية إلا في عام 149ق.م حيث كانت تتألف من محلفين من أعضاء مجلس الشيوخ يترأسها أحد الحكام له سلطة عليا وظيفتها محاكمة حكام المقاطعات المهتمين بالابتزاز ، ثم تبع ذلك إنشاء محاكم أخرى في نهاية القرن .

أما المحاكم المختصة فقد ظهرت قبل عصر سولا لكنه زاد عليها وأوصلها إلى سبع كل واحدة مختصة بنوع معين من الجرائم كالرشوة والتزوير وكان يرأس كل منها براتيور سمي (قسطور) .

1. الشرائع الدينية الحق (fas: ius divinum)

كانت أعراف القدماء mos maiorum النموذج والقدوة الأخلاقية التي تستمد منها القوانين ، ورغم كل محاولات الإصلاح القانوني ، إلا أن قصص وأساطير الشرائع الدينية هي التي كانت الحرض الأقوى على الصبر وقوة الاحتمال .

وكان القانون الديني مستمداً من القواعد والعادات الكهنوتية فكان بذلك فرعاً من الدين يغمره جومن الطقوس الرهيبة والحدود المقدسة ، وكان هذا القانون أوامر تصدر وعدالة تطبق ولم يكن يحدد العلاقة بين الناس بعضهم بعضاً فحسب ، بل كان يحدد ، فوق ذلك ، العلاقة بين الآلهة والناس(10) .

وكان أهم ما يميز هذه الشرائع الدينية ما يلي :(11)

1 . الجريمة سبب في اضطراب العلاقة بين البشر والآلهة وهي سبب في تعكير صفو سلام الآلهة ، والغرض من القانون والعقاب هو الاحتفاظ بهذه العلاقة أو إعادتها هي وذلك السلام الذي كانت تنعم به الآلهة .

2 . الكهنة هم الذين يعلنون الحق والباطل .

3 . الكهنة هم الذين يقررون في أي الأيام تفتتح المحاكم وتعقد المجالس .

4 . الكهنة هم أشبه بالمحامين في الزمن الحالي تعرض عليهم كل أمور الزواج والطلاق والأطفال والوصايا ونقل الملكية وغيرها ، وهم الذين يقررون حكمها .

5 . كانت قوانين الكهنة تحفظ في كتب بعيدة عن متناول أيدي العامة ، وكانوا يغيرونها باتجاه مصالح الإشراف أو رجال الدين كما يشاؤون .

الشرائع المدنية (jus)

Ius civile

أحدثت الألواح اثنا عشر انقلاباً قانونياً كبيراً في حياة الناس بسبب انتشار الكتابة وشيوع روح الديمقراطية ، فقد أصبحت أساساً للقوانين الرومانية ، وكانت بمثابة انتقال من الأعراف المتغيرة الشفاهية إلى القوانين المكتوبة المعلنة ، وهذا يعني بطريقة أو بأخرى تحول روما من دولة دينية إلى دولة علمانية .

ثم بدأ في حدود 280 ق . م تعليم الشعب الروماني بقوانينه وحل رجل القانون نهائياً محل الكاهن ، وحفظ التلاميذ عن ظهر قلب هذه القوانين وظلت الألواح لتسعة قرون جوهر القانون الروماني .

كان إصلاح القانون والإضافة له من أهم العوامل التي طورت القانون الروماني فقد عمل رجال القانون على توسيع التفاصيل والإفادة من الحوادث الجديدة .

وكانت مجموعة القوانين التي تحتويها الألواح الإثنا عشر من أشد القوانين التي شهدها التاريخ ، ذلك أنها كانت تحتفظ بالسيطرة الأبوية الكاملة القديمة للأب في المجتمعات الزراعية العسكرية ، فكان يسمح للأب بمقتضاها أن يجلد ابنه أو يربطه بالأغلال أو يسجنه أو يبيعه أو يقتله ، وكل ما قيد به سلطته أن حرر الإبن من سيطرة أبيه إذا بيع هذا الابن ثلاث مرات .

والحقيقة أن من يطلع على الفقرات المفصلة لقوانين الألواح فإنه سيتذكر ، ولا شك ، قوانين حمورابي البابلية التي ظهرت قبل قوانين الألواح الاثني عشر بأكثر من ألف سنة . فهناك الكثير من الحالات وأحكامها موجودة في كلا القوانين ، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن هناك صلة مباشرة أو غير مباشرة بينهما ربما تكون بسبب الأترورين ذوي الأصل البابلي الأموري أو بسبب التأثر الحضاري المتواتر بين الحضارات القديمة .

الشرائع الإمبراطورية

في الثلث الأخير من الجمهورية الرومانية ظهر مشترعون عظام جعلوا من القوانين الرومانية أمراً عظيماً واستمر ظهور المشترعين أثناء الإمبراطورية ، وكان منهم :

1 . أسكافولا وابنه كونتس : اللذين صاغا القوانين بسلاسة وبساطة

2 . لابيو : الذي أصلح تناقضات قوانين قيصر وأغسطس .

3 . هادريان : الذي أصدر المرسوم الخالد لتنظيم الحياة في الإمبراطورية

4 . الأباطرة الأنطونيون والمدرسة الرواقية التي سنت أرقى القوانين ووضعت مبدأ الشك لصالح المتهم وأن يظل الإنسان بريئاً حتى تثبت إدانته .

5 . سلفيوس يوليانوس صاحب الفتاوى الواضحة .

6 . جايوس في حدود عام 161 وفي عهد جستيان .

7 . بابنيان بولس وألبيان : ذروة فقه القانون الروماني .

هؤلاء وغيرهم استطاعوا أن يقدموا أعظم النتائج التي جعلت القانون الروماني قبل وأثناء العصر الإمبراطوري مثالاً يقتدى به وبشكل عام ينقسم القانون الروماني إلى ثلاثة فروع هي :

أ . قانون الأحوال الشخصية:

وهو القانون الذي يشرع للأشخاص حقوقهم وواجباتهم ، فهناك قوانين المواطن وحقوقه الأربعة في الاقتراع والزواج والتعاقد التجاري والمعتوقين . ثم حقوق الأب وحقوق المرأة وحقوق الزواج ، ولم تكن هناك حقوق للعبد بل عليه واجبات فقط وهو ما أساء إلى القانون الروماني ووصمه بالعار .

وقد ظهرت ملامح واضحة لما يمكن أن يسمى بالقانون الجنائي فقد كان التشريع الروماني يحسب حساباً للجرائم التي تقع على الأفراد والدولة والهيئات الاجتماعية والتجارية بوصفها أشخاصاً معنويين . فأما الدولة فقد كان الاعتداء عليها يشمل خيانتها بالفعل أو بالقول ، وعصيانها ، والاعتداء على دينها الرسمي والرشوة وابتزاز الأموال أو الفساد في أعمالها الإدارية أو سرقة أموالها أو تقديم الرشاة للقضاء أو المحلفين ، أما الجرائم التي تقع على الأفراد فكان منها الإيذاء البدني والغش والفحش والقتل(13) .

قانون الملكية

وهو أكبر أقسام القانون الروماني ويخص شؤون التملك والالتزامات والتبادل والتعاقد والديون . وكان هذا القانون ينظم شؤون تحول الأموال والأملاك عن طريق الوراثة أو وضع اليد . فإذا مات الوالد من غير أن يترك وصية ورث أبناؤه أملاك الأسرة من تلقاء أنفسهم وورث أكبر الأبناء حق الولاية على الأسرة . وكان يؤخذ بوصية المتوفي في توزيع ثروته بعد موته .

وكان الذي يشغل الأرض ويفلحها مدة عامين متتالين يتملك تلك الأرض وكان الدين يعقد إما سلفة أو رهناً أو وديعة أو أمانة ، أما العجز عن أداء الدين فيجعل من حق الراهن قانوناً أن يستولي على الملك المرهون ، 14 وفي العصر الإمبراطوري أصبحت جرائم السرقة أو الإتلاف تعاقب بأن يرد السارق إلى المسروق منه ضعفي أو ثلاثة أضعافه أو أربعة أضعافه بينما كانت في القوانين الجمهورية تجعل من السارق عبداً للمسروق .

قانون المرافعات

وهو قانون التقاضي أو رفع الشكاوي حيث كانت القوانين الرومانية القديمة محيرة في هذا الشأن حتى جاء قانون إيبوتيا عام 150 ق .م الذي ألغى تلك الإجراءات المعقدة وصاغ طرقاً أسهل أصبحت هي الأخرى شديدة السهولة قرابة القرن الميلادي الثالث عندما اصبح الحاكم هو الذي يفصل بنفسه هذه القضايا .

وكان هناك محامون ومستشارون قانونيون وفقهاء قانونيون وظهرت أنواع المحاكم ، وكانت المحاكم تمتاز بالحرية قولاً وفعلاً وكان هناك الشهود والحجج وكانت هناك أنواع كثيرة من الأحكام كالسجن والغرامة والنفي والطرد والإعدام .

قانون الأمم

وهو القانون الذي وضعته روما ليتكيف مع الأمم المغلوبة أو الأمم المجاورة ولم يكن قانون الأمم قانوناً دولياً ، أي أنه لم يكن طائفة من الالتزامات والأحكام ارتضته الدول بوجه عام لتحديد علاقاتها بعضها ببعض .

كان هذا القانون هو منطق القوة وهدفها الاقتصادي وقوانينه هي قوانين الفاتح القوي والمستبد لكن الرومان أرادوا أن يضفوا عليه قوة إلهية وفطرية ترعى العلاقات بين الأمم .

صحيح أن الشرائع كانت قد ظهرت منذ سومر وبابل مروراً بالإغريق وصولاً إلى روما لكن الشعب الروماني كان مطبوعاً على تنظيم وتبويب وتوحيد وتجديد وتنشيط القوانين الوضعية حتى أوصلها إلى درجة المنجز الحضاري الأعظم لروما ، فلو أننا عزينا كل مظاهر الحضارة إلى الشعوب القديمة الأخرى لكن روما يكفيها فخراً أنها واضعة ومنفذة . أوسع القوانين طراً في تاريخ البشرية .

مراجع الفصل الخامس

1. de burge, w.g: the leagacy of the oncient world, London, 1926, p187.

2 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : اليونان والرومان ، دراسة في تاريخ والحضارة ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1983 ، ص414 .

3 . المرجع نفسه ص 416 .

4 . ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، المجلد الخامس ، الجزء التاسع ، ترجمة محمد بدران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2001 ، ص 141 .

5 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : المرجع السابق ص 415 .

6 . ديورانت ، ول : المرجع السابق ص 142 .

7 . المرجع نفسه .

8 . المرجع نفسه ص 146 .

9 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : المرجع السابق ص 387 .

10 . دورانت ، ول : المرجع السابق ص 67 .

11 . المرجع نفسه ص 67-68 .

12 . المرجع نفسه ص 70 .

13 . المرجع نفسه ج10 ، ص 373 .

14 . المرجع نفسه ج10 ، ص 377 .

الفهارس

الفهارس

فهرس المراجع

المراجع العربية:

1 . إرمان ، أدولف : ديانة مصر القديمة ، ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ود ، محمد أنور شكري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 .

2 . إنج ، و . ر . : " الأديان المنافسة" ، تاريخ العالم . للسير جون .أ . بوزارة التربية والتعليم ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت .

3 . أوفيد ، ب : مسخ الكائنات (ميتامورفوسيس) ، ترجمة د . ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة . 1984 .

4 . أيوب ، ابراهيم رزق الله : التاريخ الروماني ، منشورات جامعة سبها ، سبها ، 1996 .

5 . بتري ، أ : مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم ، ترجمة يوئيل عزيز ، الموصل ، 1977 .

6 . برن ، أندرو روبرت : تاريخ اليونان ، ترجمة محمد توفيق حسين ، منشورات جامعة بغداد ، 1989 .

7 . برهيبة ، أميل : الفلسفة الهلستيتية والرومانية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، 1982 .

8 . بهنسي ، عفيف : موسوعة تاريخ الفن والعمارة ، المجلد الأول . الفنون القديمة دار الرائد العربي ودار الرائد اللبناني ، بيروت ، 1982 .

9 . تارن ، وليم وود تورب : الحضارة الهيلنستية ، ترجمة زكي علي ، القاهرة ، 1966 ..

10 . توغاريف ، سيرغي أ . : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ترجمة د . أحمد م . فاضل ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1998 .

11 . توفيق ، عمر كمال : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرة الجامعية ، القاهرة ، 2000 .

12 . توينبي ، أرنولد : تاريخ البشرية ، ج1 ، ترجمة الدكتور نيقولا زيادة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 .

13 . حسين ، حسن عبد الوهاب : معالم التاريخ البيزنطي (السياسي والحضاري) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2001 .

14 . الخوري ، لطفي : معجم الأساطير ، ج1 و ج2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990 .

15 . ددلي ، دونالد . ر : حضارة روما ، ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979 .

16 . دورانت ، ول : قصة الحضارة ، ج9 و 910 ؛ ترجمة محمد بدران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاهرة ، 2001 .

17 . الروبي ، آمال محمد : مظاهر الحياة في مصر في العصر الروماني ، سلسلة المكتبة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975 .

18 . أبو ريان ، محمد علي وحربي عباس عطيتو : دراسات في الفلسفة القديمة والعصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1999 .

19 . الزوبي ، ممدوح : الموسوعة الدينية الميسرة ، مراجعة د . لينة الحمصي ، منشورات دار الرشيد ، د .ت .

20 . الشيخ ، حسين : الرومان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000 .

21 . شيشرون : علم الغيب في العالم القديم ، ترجمة الدكتور توفيق الطويل ، دار يوسف ، بيروت ، 1946 .

22 . عباس ، احسان : تاريخ دولة الأنباط ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 1987 .

23 . عبو ، عادل نجم وعبد المنعم رشاد محمد : اليونان والرومان (دراسة في التاريخ والحضارة) ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1993 .

24 . عثمان ، سهيل وعبد الرزاق الأصفر : معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1982 .

25 . عكاشة ، ثروت : الفن الروماني ، المجلد الأول : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1993 .

26 . غريمال ، بيار وجماعته : موسوعة تاريخ أوروبا العام ، ط ، اوروبا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر) ، ترجمة أنطوان أ . الهاشم ، منشورات عويدات ، بيروت- باريس ، 1995 .

27 . فريزر ، سير جيمس : الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين) ، ترجمة أحمد أبو زيد ج1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1971 .

28 . فشر ، ه . أ . ل : تاريخ أوروبا في العصور القديمة ، ترجمة د . ابراهيم نصحي بك و .د محمد عواد حسين ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1950 .

29 . الكرمي ، حسن سعيد : الثنوية في التفكير (المقالة الأولى) ، الناشرون البحيري إخوان ودار الأحد ، بيروت ، 1977 .

30 . الماجدي ، خزعل : بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1988 .

31 . الماجدي ، خزعل : المعتقدات الأمورية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2002 .

32 . الماجدي ، خزعل : المعتقدات الإغريقية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، 2004 .

33 . مارت ، : تاريخ العالم ، المجلد الأول ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارفة العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت .

34 . مونيه ، ماريو : الإلهة السورية للوقيانوس السماطي ، ترجمة موسى ديب خوري ، سلسلة الأبجدية7 ، دار الأبجدية للنشر ، دمشق ، 1992 .

35 . ميرز ، ج . ل : الإترووريون والقرطاجيون ، أصلهم وتكاثرهم ، تاريخ العالم ، المجلد الثاني ،

الفصل 38 ، ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة . د .ت .

36 . نصحي ، إبراهيم : تاريخ الرومان ، ج1 و ج2 ، ط2 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1998 .

37 . النور ، ابراهيم .

38 . النيهوم ، الصادق : الاتروسيكون ، بهجة المعرفة ، المجموعة الثانية 3 ، ميسرة الحضارة . المجلد الأول ، الشركة العامة للتوزيع والنشر و الإعلان ، طرابلس ، 1982 .

39 . هامرتون ، السيرجون : الإمبراطورية في دور الإغلال 211-330 ، تاريخ العالم ، للسير جون . أ . هامرتون ، المجلد الرابع ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت .

40 . هامرتون ، السير جون : الإمبراطورية الرومانية ، تاريخ العالم للسير جون . أ . هامرتون . المجلد الثالث ، ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د .ت .

41 . وايزمان ، ت .ب : ريموس أسطورة رومانية ، ترجمة توفيق علي منصور ، المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة 546 ، القاهرة ، 2003 .

42 . وورنر ، ريكس : فلاسفة الإغريق ، ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985 .

المراجع الأجنبية:

1. De burge, w. g: the legacy of the ancient world, London, 1926.
2. Guirnad, F. and A.V. Pierre: roman mythology, new larousse encyclopedia of mythology, translated by Richard aldington and delono Ames, London, 1959..

فهرس المخططات والجداول

فهرس الخرائط

فهرس الأشكال والصور

الفصل الثالث : ديوكاليون وبيرا

فهرس المحتويات

المبحث الرابع :مملكة روما 753-508 ق.م

المبحث الخامس : الجمهورية الرومانية 508-27 ق.م

المبحث السادس: الإمبراطورية الرومانية 27 ق.م -476م)

الفصل الثاني : المعتقدات الرومانية

المبحث الثاني: المؤسسة الدينية الرومانية

المبحث الثالث : أنواع العبادات

المبحث الرابع : أشكال العبادات